كتاب
صورة الأرض

لابن حوقل

«أبي القاسم بن حوقل النّصيبيّ»

منشورات دار مكتبة الحياة

بيروت - لبنان

مقدمة الناشر

« هذا كتاب المسالك والممالك ، والمفاوز والمهالك ، وذكر الاقاليم والبلدان ، على مر الدهور والازمان .. وطبائع أهلها وخواص البلاد في نفسها ، وذكر جباياتها وخراجاتها ومستغلاتها ، وذكر الأنهار الكبار ، واتصالها بشطوط البحار ، وما على سواحل البحار من المدن والامصار ، ومسافة ما بين البلدان للسفارة والتجّار .. مع ما ينضاف إلى ذلك من الحكايات والاخبار ، والنوادر والآثار ... »

بهذه الكلمة الجامعة قدم ابو القاسم محمد بن علي الموصلي الحوقلي البغدادي كتابه إلى العالم .

وابن حوقل هذا عاش في القرن العاشر ، وهو واحد من اولئك التجار الرحالة المثقفين الذين اتخذوا التجارة وسيلة لتفهم خصائص الاقاليم ، وطبائع الشعوب ، وتدوين ما يتعرفون إليه من ميزات الناس ونوادرهم وغرائبهم .

اطلع ابن حوقل على كتاب « المسالك والممالك » لأبي اسحاق الفارسي المعروف بالاصطخري ، فكتبه من جديد ، محتفظاً بعنوانه ، ونسبه إلى نفسه .

وقد افاد غير واحد ممن جاء بعده من الجغرافيين والمؤرخين من كتابه ، ولاسيما «ياقوت» في « معجم البلدان » .

طبع هذا الكتاب مرتين في ليدن : ففي الطبعة الأولى نشر باسم « المسالك والممالك ، والمفاوز والمهالك » ثم حُسنت هذه الطبعة ونُشرت بعنوان « صورة الارض » .

...

إن « دار مكتبة الحياة » تعيد طبع هذا المؤلف النفيس في جزءين ، وتضعه بين أيدي اساتذة الجغرافيا والتاريخ ليصلوا ما انقطع من تاريخنا في هـذا الحقل ، وليروا اي جهد بذله الأقدمون في سبيل التعرف الى حياة الشعوب والافادة من عاداتها واخلاقها ، والاطلاع على أرضها وميزاتها ...

دار مكتبة الحياة

كتاب
صورة الأرض

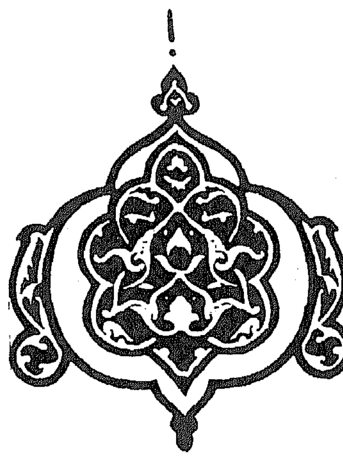
لابن حوقل

« أبي القاسم بن حوقل النصيبي »

وصفة أشكالها ومقدارها في الطول والعرض وأقاليم البلدان وعلّ الغامر منها والعمران ، من جميع بلاد الاسلام بتفصيل مدنها وتقسيم ما تفرّد بالاعمال المجموعة اليها .

يوجد في بعض النسخ العنوان الآتي :

هذا كتاب المسالك والممالك والمفاوز والمهالك ، وذكر الأقاليم والبلدان على مر الدهور والأزمان ، وطبائع أهلها وخواص البلاد في نفسها ، وذكر جباياتها وخراجاتها ومستغلاتها ، وذكر الأنهار الكبار ، واتصالها بشطوط البحار ، وما على سواحل البحار من المدن والأمصار ، ومسافة ما بين البلدان للسفارة والتجار ، مع ما ينضاف الى ذلك من الحكايات والأخبار ، والنوادر والآثار ، تأليف أبي القاسم بن حوقل رحمه الله ، مختصر في صور بلاد الإسلام ، واخبارها بالكمال والتمام ، جمع الإمام العالم أبي القاسم محمد الحوقلي البغدادي ، رحمه الله تعالى معول فيما جمعه على كتاب الإمام العالم ابي القاسم محمد بن خرداذبه وقدامة بن جعفر الكاتب ، تغمدهم الله برحمته ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم . حسبنا الله ونعم الوكيل .



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المحمود بنِعَمه ، المشكور على آلائه وقِسَمه ، وصلّى الله على خير خلقه محمد وأبرار عترته وسلّم .

أمّا بعد فإنّ أحقّ من رقى الى المكارم فحلّ منها في الذروة ، وسما الى الرغائب فلذّ منها بالصفْوة ، من قدّمته خلائقه وفضّلته سوابقه ، وأصبح ومُناويه مخصومٌ وثانيه معدومٌ ، والمستسلم اليه آمنٌ والمتمسّك بحبله ساكنٌ ، واللاجىء اليه مُوَفّقٌ والمُثْني عليه مُصَدّقٌ ؛ فهو للعلم وأهله حليفٌ وبالأدب والمُعتزي اليه خصيصٌ شريفٌ ، قد رسخت فيها أعرافه ووشجت وانتسجت بها هِمّته وأخلاقه ، ذاك أبو السَريّ الحَسَن بن الفضْل بن أبي السرِيّ الاصبهانيّ سليل السَراة ، وشِهاب الكُفاة وغَيْث العُفاة ، زِمام الفضائل وقُطب الخصائل والأحقّ بقول القائل :

كَمْ عَارِفٍ بِي لَسْتُ أَعْرِفُهُ ... وَمُخَبِّرٍ عَنِّي وَلَمْ يَرَنِي
يَأْتِيهِمُ خَبَرِي وَإِنْ نَزَحَتْ ... دَارِي وَبُوعِدَ عَنْهُمُ وَطَنِي

وإلى الله أرغب في إطالة مُدّته ورفع درجته وسموّ منزلته إنّه مجيب قريب .

وقد عملتُ له كتابي هذا بصفة أشكال الأرض ، ومقدارها في الطول والعرض ، وأقاليم البلدان ومحلّ الغامر منها والعمران ، من جميع بلاد الإسلام ، بتفصيل مدنها وتقسيم ما تفرّد بالأعمال المجموعة اليها . ولم أقصد الأقاليم السبعة التي عليها قسمة الأرض لأنّ الصورة الهنْدِيّة التي بالقَواذِيَان ، وإن كانت صحيحة ، فكثيرة التخليط . وقد جعلتُ لكلّ قطعة أفردتها تصويراً وشكلاً يحكي موضع ذلك الإقليم ، ثمّ ذكرتُ ما يحيط به من الأماكن والبقاع ، وما في أضعافها من المدن والأصقاع ، وما لها من القوانين والارتفاع ، وما فيها من الأنهار والبحار ، وما يُحتاج الى معرفته من جوامع ما يشتمل عليه ذلك الإقليم من وجوه الأموال والجبايات والأعشار ، والخراجات والمسافات في الطُرقات ، وما فيه من المجالب والتجارات إذ ذلك علمٌ يتفرّد به الملوك الساسة ، وأهل المروآت ، والسادة من جميع الطبقات .

وكان ممّا حضّني على تأليفه وحثّني على تصنيفه ، وجذبني الى رسمه أنيّ لم أزل في حال الصبوة شغفاً بقراءة كتب المسالك ، متطلّعاً الى كيفيّة البين بين الممالك في السير والحقائق ، وتباينهم في المذاهب والطرائق ، وكمّيّة وقوع ذلك في الهمم والرسوم ، والمعارف والعلوم ، والخصوص والعموم ، وترعرعتُ فقرأتُ الكتب الجليلة المعروفة والتواليف الشريفة الموصوفة ، فلم أقرأ في المسالك كتاباً مقنعاً ، وما رأيتُ فيها رسماً متبعاً ، فدعاني ذلك الى تأليف هذا الكتاب ، واستنطاقي فيه وجوهاً من القول والخطاب . وأعانني عليه تواصل السفر ، وانزعاجي عن وطني مع ما سبق به القدر ، لاستيفاء الرزق والأثر ، والشهوة لبلوغ الوطر ، بجور السلطان وكلب الزمان ، وتواصل الشدائد على أهل المشرق والعدوان ، واستئناس سلاطينه بالجور بعد العدل والطغيان ، وكثرة الجوائح والنوائب ، وتعاقب الكلف والمصائب ، واختلال النعم وتحط الديم .

فبدأتُ سفري هذا من مدينة السلام يوم الخميس لسبع خلون من شهر رمضان سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة ، وفيه خرج أبو محمّد الحسن بن

عبدالله بن حمدان ، منهزماً عنها الى ديار ربيعة من أيدي الأتراك وقد عملوا على القبض عليه ، بعد أن استتبّت له الأمور بها واتّسعت به الأحوال فيها وشرفت به الأعمال ، وتناهى في الصولة ولقّب بناصر الدولة . وأنا من حداثة السنّ وغرّته ، وفي عنفوان الشباب وسكرته ، قويّ البضاعة ظاهر الاستطاعة .

وقد ذكرتُ في آخر كتابي هذا كيف تعاورَتْني الأسفار ، واقتطعَتْني في البرّ دون ركوب البحار ، الى أن سلكتُ وجهَ الأرض بأجمعه في طولها وقطعتُ وتر الشمس على ظهرها ، ووصفتُ رجالات أهل البلدان وأعيان ملوكها من ذوي السلطان وأهل الامكان ، والمقدّمين في كلّ ناحيةٍ وبلد بالاحسان ، الى ذكر النادرة بعد النادرة من محاسنهم والفضيلة بعد الفضيلة من مكارمهم .

ولم أستقصِ ذلك كراهيةَ الاطالة المؤدّية الى ملال قارئه ، ولأنّ الغرض في كتابي هذا تصوير هذه الأقاليم التي لم يذكرها أحدٌ علمتُه ممّن شاهدها . فأمّا ذكر مدنها وجبالها وأنهارها وبحارها والمسافات فيها ، وبعض ما أنا ذاكرُهُ فقد يوجد في الأخبار متفرّقاً ، ولا يتعذّر على من أراد تقصّي شيء من ذلك من سافرة أهل كلّ بلدٍ ، وإن كانت المتعصّبة للبلدان والقبائل جاريةً على خلاف ما توخّيتُه ، وشرعتُ فيه ورسمتُه من قصدها لحقائقها ، وإيرادها على ما هي عليه من طرائقها .

القسم الأول

صورة الأرض

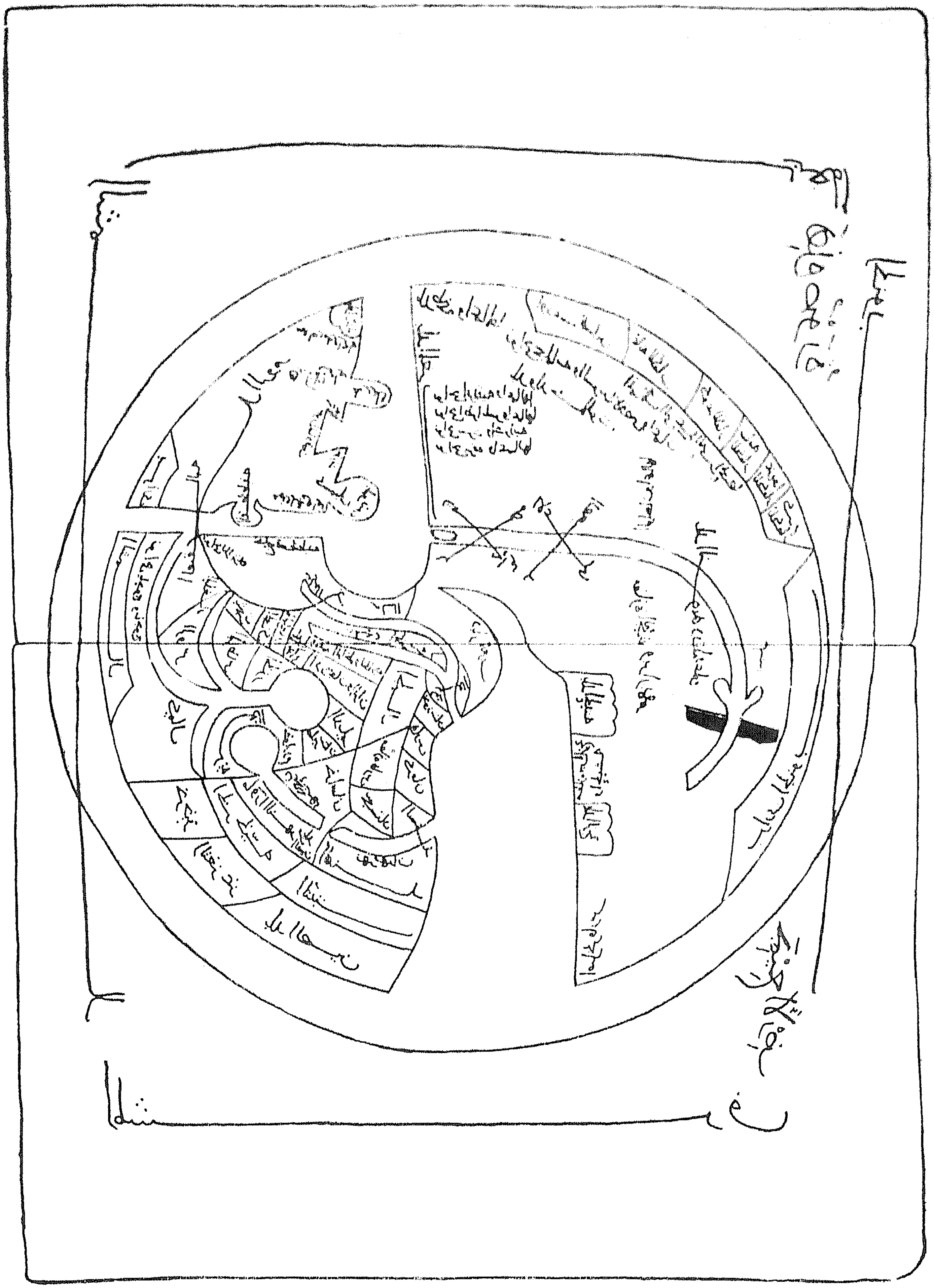
١ — وقد حرّرتُ ذكر المسافات واستوفيتُ صور المدن وسائر ما وجب ذكره ، واتّخذتُ لجميع الأرض التي يشتمل عليها البحر المحيط الذي لا يُسلك ، صورةً تضاهي صورة القَواذيان من جهةٍ وتخالفها في مواضع ، وأعربتُ عن مكان كلّ إقليم ممّا ذكرتُه ، واتّصالِ بعضه ببعض ومقدار كلّ ناحيةٍ في سعتها وصورتها ، من مقدار الطول والعرض والاستدارة والتربيع والتثليث ، وسائر ما يكون عليه أشكالُ تلك الصورة والعملُ وموقعِ كلّ مدينةٍ من مدينةٍ تجاورها وموضِعها من شمالها وجنوبها ، وكونها بالمرتبة من شرقها وغربها ليكتفي الناظر ببيان موقع كلّ إقليم وموضعه ومكانه ، وما توخيتُه من ترتيبه وأشكاله وقصصتُه من أحواله وأخباره . وقد يقع له فيما كان يعتقده شكٌ في طول الأرض وكبرها ، وحالها في تقارب عرضها وطولها وصغرها ، ولا يقارب هذا التأليف عنده كتاب الجَيْهانيّ ولا يوافق رسم ابن خُرّدَاذْبَه وسبيل قارئه ، أرشده الله أن يُنعم النظر فيما شكّ منه ويتأمّله تأمّل من حمُل عنه بتحرّي الصِدْق ، فيه كثيرٌ من غَثاثة الناقلين وكذْب المسافرين الذين لا يعلمون ولا قصدُهم الحقّ فيما يبغون . ولْيَعْلَمْ أن الأسباب المُحرّضة على تأليفه المقتضية لعمله اللذّةُ بالاصابة في المقصد والمحبّة للظَفَر بإبانة كلّ بلد ، والذكر الجميل من أهل التحصيل في كلّ مشهد .

٢ — وقد فصّلتُ بلاد الاسلام إقليماً إقليماً وصُقْعاً صُقْعاً وكورةً كورةً لكلّ عملٍ ، وبدأتُ بذكر ديار العَرَب فجعلتُها إقليماً واحداً

لأنّ الكعبة فيها ومكـّة أمّ القُرَى ، وهي واسطة هذه الأقاليم عندي . وأتبعتُ ديار العرب بعد أن رسمتُ فيها جميع ما تشتمل عليه من الجبال والرمال والطرق، وما يجاورها من الأنهار المنصبّة الى بحر فارس ببحر فارس، لأنه يحتفّ بأكثر ديارها وشكـّلتُ عطفه عليها، ولأنّ بحر فارس يعطف من جزيرة مَسقَط مغرّباً الى مَكّة والى القُلْزُم عن خمسين فرسخاً من عُمان ، ويُدعى ذلك الموضع رأس الجُمْجُمَة . ثمّ ذكرتُ المَغْرب ورسمتُه في وجهين وبدأتُ بشكل ما حاز منه أرضَ مِصْر الى المَهْدِيّة والقَيْرَوَان ، وما في براريها من المدن وإن قلّت ، وأعقبتُها بباقي صورته من القيروان والمهديّة الى أرض طنجة وازيلي ، ورسمتُ على بحره مدنَه الساحليّة وشكّلتُ طُرُقه الى جميع أنحائها وكيفيّتَها مُغَرِّبَةً ومُشَرِّقَةً في سائر جهاتها .

ثمّ ذكرتُ مصر في شكلين حسب ما جرى رسم المغرب به ، ولطول العمل أعربتُ فيهما عن حال مدنها ومواقعها على المياه الجارية في ارضها ، وما كان برسمها في البعد عن المياه ، وخططتُ جبالها ومياهها بخلجانها وشُعَبها واتّصال بعضها ببعض ، وانفصالها الى البحر على حيالها وما يصبّ من ماء الفيّوم الى بحيرة أقْنى وتَنهمتَ . ثمّ صوّرتُ الشأم وأجناده وجباله ومياهه من أنهاره وبحره وما على ساحله من المدن ، وبُحيرة طبرية بحيرة زُغَر وتِيه بني إسرائيلَ وموقعَه من ظاهر الشأم . ثمّ بحر الروم وكيفيّته في ذاته وشكله في نفسه وما عليه من الجانب الشرقيّ للروم من المدن ، والأعمال المحاذية لبلد المغرب . وذكرتُ ما بقلوريه للروم من المدن والانكبرذه والزنقة المعروفة ببلبونس ، والخليج الخارج من بحر الروم الى المجاز المحيط على القُسطنطينيّة ، ومياهَ بلد الروم وأكابر أنهاره ومدنه . وكنتُ استوفيتُ صورة الأندلُس في أشكال المغرب فلم أُعِدْ شيئاً منها ، وقد رسمتُ في هذا البحر الجزائر المشهورة المسكونة ، وما دعت الحاجة الى ذكره اذ كان مسكوناً مشهوراً .

ثمّ ذكرتُ الجزيرة المشهورة المعروفة بديار ربيعةَ ومُضَرَ وبَكْرٍ



وكيفيّةَ دِجْلَةَ والفُرات عليها ، واشتمالها على حدودها الى ذكر جبالها وسائر طرقها وأحوالها . وأعقبتُها بصورة العراق ومياهها وبطائحها وانصباب مياهها الى البحر وما يُفرِّعُ ويفرَغُ اليها من أنهارها . وذكرتُ خوزستان على حدودها وأنهارها وما اقتضته صورتها وحالها . وقفّيتُها بصورة فارس على تصوير جميع أنهارها وبُحيراتها ، ومواقع مدنها وصورة بحرها الى ما عليه من المدن الساحليّة . وأتبعتُها بصورة كرمان برّها وبحرها وسَهْلها وجَبَلها وسائر طُرُقها وسُبُلها . ثمّ صوّرتُ بلاد السِنْد ومدنها وطرقها وسبلها وبحرها ، وما عليه من مدنها وأثبتُّ فيها نهر مهرانَ وكيفيّة مصبّه عن المُلْتان وما يصاقبه من بلاد الهند والإسلام .

ثمّ تلوتُها بصورة اذربيجان وشكّلتُ ما فيها من الجبال والطرق والأنهار العَذْبة كالرَسّ والكُر ، الى أن رسمتُ بُحيرة خِلاطٍ وبُحيرة كَبُوذان ، وكلتاهما غير متّصلتين بشيء من البحار وأثبتُّ فيها جبل القبق . ثمّ صوّرتُ الجبال وأعمالها ومواقع بلدانها على ما هي به وما انحذق منها بدخول بعض مفازة خراسان وفارس على حدودها . وذكرت اليها صورة الجِيل والديلم وطَبَرستان وما يليها من بحر الخَزَر وبعض سبله إذ لم أحط علماً بكُلّيته . وأتبعتُها بصورة بُحيرة طَبَرستان وجزيرتيها ومصبّ ما اليها من المياه وما يصاقبها من الجبال ، وكمّيّة ما للاسلام منها وحدودَ ما لغيره من أقطارها ، وشكّلتُ المفازة التي بين فارس وخراسان وجميع ما فيها من الطرق الى النواحي المجاورة لها والمضافة إلى حدودها ، وما يليها من أعمال سجستان على ما يجاورها من بلاد الغُور وجبالها ومصبّ مياهها الى بُحيرة زَرَه . وصوّرتُ خراسان وما في ضمنها من طخيرستان وجبال الباميان وطُوس وقُوهستان ، بجميع مياهها الجارية وجبالها المشهورة ورمالها وطرقها المعروفة .

ثم صوّرتُ نهر جيحون وما وراءه من أعمال بُخارا وسَمرقَند واشروسنه واسبيجاب والشاش وخوارزم ، الى جميع ما يشتمل عليه من المياه ويحيط به من الطرق والمسالك .

٣ ـ ما في بطن هذه الورقة صورة جميع الأرض .

ايضاح ما يوجد في صورة الأرض من الأسماء والنصوص :

قد كتب عند طرف الصورة الفوقاني الجنوب ، وتحت ذلك يمنة ويسرة صورة جميع الأرض ، ومع الطرف الأسفل الشمال . ثم مع الطرف الأيمن المغرب ، ومع الطرف الأيسر المشرق .

قد قسمت الأرض قسمين وهما : بر جنوبي وبر شمالي ، ورسم في البر الجنوبي نهر النيل ، وكتب على قسمه الجنوبي بلد النوبه دنقله وعلوه ، ثم على قسمه الشمالي الصعيد الأعلى ثم نواحي مصر . وعلى ساحل هذا البر عن يمين فوهة النيل بلد المغرب ، وفوق ذلك في داخل البر أولا نواحي برقة واعمالها ، ثم متصاعداً الى اليمين نواحي سرت واجدابيه، نواحي طرابلس واعمالها ، نواحي افريقية واعمالها ، ثم في زاوية البر على ساحل البحر المحيط بالأرض بلد طنجه واعمالها . وبعد ذلك تابعاً للساحل اودغست للمسلمين ، غانه للكفار ، كوغه للكفار ، سامه للكفار ، غريوا الكفار ، كزم الكفار ، ووراء هذه الأسماء الممالك التي على البحر المحيط ، ثم على الساحل براري الجنوب ثم في زاوية البر حيث يبتدىء بحر فارس اصل بحر فارس ، وعلى ساحل هذا البحر بلد الزنج ، مفازة بين الزنج والحبشة ، بلد الحبشة ، وبين ذلك والنيل مفازة البجه وبراريها ، وفي الجانب المقابل من النيل الواحات وأعمالها . ويقرأ وراء ذلك في البر بلد ولد جالوت ، ثم نواحي سجلماسه والسوس الأقصى واغمات .

وانفصلت عن البر الشمالي قطعة في يمين الصورة بخليج يقرأ عنده خليج قسطنطينيه ، ويقرأ في هذه القطعة بلد الروم مع أن أول كلمة بلد في القطعة الأخرى من البر ، وعلى ساحل القطعة الصغرى في وسط الخليج القسطنطينية ، ويليها على الساحل نواحي مجذونيه ، ثم كسميلي ، بلبونس ، بذرنت ، جون البنادقين ، اذرنت ، قلورية ، نواحي الانكبرذه ، نواحي افرنجه وجليقيه وفي الزاوية بلد الاندلس ، وفي الطرف التحتاني من البحر المحيط براري الشمال .

وكلمة الشمال هذه كتبت عن يسرة الخليج في القطعة الاخرى من البر الشمالي ، ويقرأ في هذه القطعة وراء كلمة الشمال نواحي ياجوج وماجوج ، ثم متصاعداً الى الفوق الصقالبة وهو قسم في القطعة الصغرى من البر ، ثم وراء ذلك في جهة الشرق البلغار والروس ، ثم على الخليج نواحي اطرابزنده ، ومن فوق النهر المجانب للبلغار والروس بشجرت ، البرطاس ، الخزر ، البجناكية ، البلغار مرة ثانية ثم بلد السرير ، ومن فوق ذلك بلد ارمينيه الداخلة والخارجة ، ويسرة اذربيجان والران . وعن يمين ارمينيه نهر دجله ثم الفرات وبينهما الجزيرة وبين الفرات والبحر يقرأ الشام . ثم عند مصب النهرين العراق ومن فوق ذلك ديار العرب .

ثم يقرأ عن يسار العراق على البحر خوزستان ثم فارس ، كرمان ، السند ووراء ذلك الجبال ، مفازة فارس ، سجستان ووراء ذلك الديلم ، طبرستان ، خوارزم ، الغزيه ، خراسان ، ومجانباً لخراسان نهر جيحون ووراءه ما وراء النهر ويقرأ بعد ذلك من بلد الصين . ثم من فوق ذلك الهند وفيه نهر مهران ، ثم وراء ذلك الخرلخيه ، التبت ووراء ذلك على البحر المحيط خرخيز ، التغزغز ، بلد الصين .

٤ – فهذه جميع الأرض عامرها وغامرها وهي مقسومةٌ على الممالك ، وعماد ممالك الأرض أربع : فأعمرها وأكثرها خيراً وأحسنها استقامةً في السياسة وتقويم العمارات ووفور الجبايات مملكة ايران شهر ، وقطبها إقليم بابل وهي مملكة فارس . وكان حدّ هذه المملكة في أيّام العجم معلوماً ، فلمّا جاء الاسلام أخذت من كل مملكة بنصيب فأخذت من مملكة الروم الشأم ومصر والمغرب والاندلس ، وأخذت من مملكة الصين ما وراء النهر وانضمّت اليها هذه الممالك العظيمة . ومملكة الروم يدخل فيها حـــدود الصقالبة ، ومن جاورهم من الروس والسرير واللان والأرمن ومن دان بالنصرانية .

ومملكة الصين يدخل فيها سائر بلدان الأتراك وبعض التُبّت ومن دان بدين اهل الأوثان منهم . ومملكة الهند يدخل فيها السند وقشمير وطرف من التُبّت ومن دان بدينهم ، ولم اذكر بلدان السودان في المغرب والبُجة والزنج ومن في أعراضهم من الأمم ، لأنّ انتظام الممالك بالديانات والآداب والحِكَم وتقويم العمارات بالسياسة المستقيمة . وهؤلاء مُهمَلون في هذه الخصال ولا حظّ لهم في شيء من ذلك فيستحقّوا به إفراد ممالكهم بما ذكرتُ به سائر الممالك . غير أنّ بعض السودان المقاربين هذه الممالكَ المعروفةَ يرجعون الى ديانة ورياضة وحِكَم ، ويقاربون اهل هذه الممالك كالنُوبة والحبشة فإنّهم نصارى يرتسمون مذاهبَ الروم . وقـــد كانوا قبل الاسلام يتّصلون بمملكة الروم على المجاورة ، لأنّ ارض النوبة مصاقبةٌ ارضَ مصر والحبشة على بحر القازم ؛ وبينهما وبين ارض مصر مفـاوزُ معمورةٌ فيهـا معادنُ الذهب ، ويتّصلون بمصر والشأم من طريق بحر القازم ؛ فهذه الممالك المعروفة . ولما زادت مملكة الاسلام بما اجتمع اليها من طرائف هذه الممالك المذكورة شَرُفَتْ وعَظُمَت .

٥ – وقسمة الأرض على الجنوب والشمال ، فإذا اخذتَ من المشرق من الخليج الذي يأخذ من البحر المحيط بأرض الصين الى الخليج الذي يأخذ من هـذا البحر المحيط من ارض المغرب ، بين ارض الأندلس وطنجة ، فقد قسمتَ الأرض قسمين . وخطّ هذه القسمة يأخـــذ من بحر الصين

حتى يقطع بلد الهند ، ووسطَ مملكة الاسلام حتى يمتـدّ على ارض مصر الى المغرب . فما كان في حدّ الشمال من هذين القسمين فأهله بِيض ، وكلّما تباعدوا في الشمال ازدادوا بياضاً وهي أقاليم باردة . وما كان ممّا يلي الجنوب من هذين القسمين فأهله سود ، وكلّما ازدادوا تباعداً في الجنوب ازدادوا سواداً ؛ وأعدل هذه الممالك في الخطّ المستقيم وما قاربه .

٦ — وسأذكر كلّ إقليم من ذلك بما يعرف قربه ومكانه من الاقليم الذي يضامّه ويصاقبه إن شاء الله . فأمّا مملكة الاسلام فإنّ شرقيها ارض الهند وبحر فارس ، وغربيّها مملكة السودان السكّان على البحر المحيط المتّصلين ببواريّ اودغست وصحاريها تجاه اوليل ، وشماليّهـا بلاد الروم وما يتّصل بها من الأرَمن واللاّن والران والسرير والخزر والروس والبلغار والصقالبة وطائفة من الترك ، ومن شمالها بعضُ مملكة الصين وما اتصل بها من بلاد الأتراك وجنوبيّها بحر فارس . وأمّا مملكة الروم فإن شرقيّها بلاد الاسلام ، وغربيّها وجنوبيّها البحر المحيط ، وشماليّها حـدود عمل الصين لأنني ضممت ما بين الاتراك وبلد الروم من الصقالبة ، وسائر الامم التي تلي الروم الى بلد الروم ، وأمّا مملكةُ الصين فإنّ شماليّهـا وشرقيّها البحر المحيط ، وجنوبيّها مملكة الاسلام والهنـد ، وغربيّها ايضاً البحر المحيط لأنّ يَاجُوج ومَاجُوج ومن اليهم الى البحر المحيط من هذه المملكة . وأمّا ارض الهند فإنّ شرقيّها بحر فارس وغربيّها وجنوبيّهـا بلاد خراسان وشماليّها مملكة الصين ، فهذه حدود هذه الممالك التي ذكرتُها .

٧ — وأمّا البحار فأشهرُها اثنان وأعظمها بحر فارس ثمّ بحر الروم ، وهما خليجان متقابلان يأخذان من البحر المحيط ، وأفسحهما طولاً وعرضاً بحر فارس . والذي يقترى بحر فارس من الارض فمن حـدّ الصين الى القُلزُم ، فإذا قطعتَ من القلزم الى الصين على خطٍّ مستقيم كان مقداره نحو مائتي مرحلة . وكذلك اذا شئتَ أن تقطع من القـلزم الى اقصى حجر بالمغر على خطّ مستقيم ، ألفيتَهُ مائة وثمانين مرحلة . واذا قطعتَ من القـلزم الى ارض العراق في البرّيّة على خطّ مستقيم وشققتَ ارض

السَماوَة ، ألفيتَــه نحو شهر ومن العراق الى نهر بلخ نحو شهرين ، ومن نهر بلخ الى آخر بلاد الاسلام في حدّ فرغانة نيّف وعشرون مرحلة . ومن هناك الى أن تقطع ارض الخَرلخيّة كلّها ، وتدخل في عمل التغزغز نيّف وثلاثون مرحلة . ومن هذا المكان الى البحر المحيط من آخر عمل الصين نحو شهرين . وأما من اراد قطعَ هذه المسافة من القُلزُم الى الصين في البحر ، طالت المسافة عليه لكثرة المعاطف والتواء الطرق في هذه البحور .

وأمّا بحر الروم فأنه يأخذ من البحر المحيط في الخليج الذي بين المغرب والاندلس حتى ينتهي الى الثغور التي كانت تُعرَفُ بالشاميّــة ، ومقدارُه في المسافة نحو أربعة أشهر وهو أحسن استقامــةً واستواءً من بحر فارس ، وذلك أنّك إذا اخذتَ من فم هــذا الخليج أدّتْك ريحٌ واحدةٌ الى أكثر هذا البحر . وبين القلزم الذي هو لسان بحر فارس وبين بحر الروم على سَمْت الفرَمَا ثلاث مراحلَ . ويزعم بعض المفسّرين في قول الله تعالى «بينهما برزخٌ لا يبغيان[1]» أنّه هذا الموضعُ ويزعم أهل التأويل غير ذلك . غير أنّ بحر الروم يجاوز الفرما بنيّف وعشرين مرحلة ، وهو مفصَّل في مسافات المغرب بما يُغني عن إعادته . ومن مصر الى أقصى المغرب نحو مائة وثمانين مرحلة ، فكأنّ مــا بين أقصى الارض من المغرب الى اقصاها من المشرق نحو أربع مائة مرحلة .

٨ — وأمّا عرضُها من أقصاها في حدّ الشمال الى اقصاها في حد الجنوب ، فإنّك تأخذ من ساحل البحر المحيط حتى تنتهي الى ارض ياجوج وماجوج ، ثمّ تمرّ على ظهْر ارض الصقالبة فتقطع ارض البُلغــار الداخلة والصقالبة ، وتمضي في بلد الروم الى الشأم وارض مصر والنوبة ، ثمّ تمتدّ في بريّةٍ بين بلاد السودان وبــلاد الزَنج حتى تنتهي الى البحر المحيط ؛ فهذا خطّ ما بين جنوبيّ الارض وشماليّها . وأما الذي أعلَمُهُ من مسافة هذا الخطّ فإنّ من ياجوج الى بُلغار وأرض الصقالبــة فنحو

١ — سورة الرحمان (٥٥) الآية ٢٠ .

أربعين مرحلة ، ومن ارض الصقالبة في بلد الروم الى الشأم نحو ستّين مرحلة ، ومن ارض الشأم الى ارض مصر نحو ثلاثين مرحلة ، ومنها الى اقصى النوبة ثمانين مرحلة حتى تنتهي الى البرّيّة التي لا تُسلك ، فذلك مائتا مرحلة وعشر مراحل كلّها عامرة مسكونة . وأما ما بين ياجوج وماجوج والبحر المحيط في الشمال، وما بين براريّ السودان والبحر المحيط في الجنوب فقَفْرٌ خرابٌ ما بلغني أنّ فيه عمارة ولا حيواناً ولا نباتاً ، ولا يُعلم مسافةُ هاتين البرّيّتين الى شطّ البحر كم هي ، وذلك أنّ سلوكهما غير ممكن لفرط البرد الذي يمنع من العمارة . والحياة في الشمال ، وفرط الحرّ المانع من العمارة والحياة في الجنوب . وجميع ما بين المغرب والصين فمعمور كلّه ، والبحر المحيط محتفّ بالارض كالطوق، ومأخذ بحر فارس وبحر الروم من البحر المحيط .

٩ — فأمّا بحر الخَزَر فليستْ له مادّة من شيء من ذين البحرين بوجهٍ ولا سبب، وقد حُكِيَتْ عن هذا البحر حكاياتٌ كثيرة عن كبار المؤلّفين، ولقد قرأتُ في غير نسخةٍ لجَغرافيّا أنه يستمدّ من بحر الروم عن بَطلميوسَ ، وأعوذ بالله ان يكون مثلُ بَطلميوسَ يذكر المحال او يصف شيئاً بخلاف ما هو به . وهذا البحر في قرار من الارض مادّتُهُ الماء العذب، والذي يفرع اليه ويفرّغ فيه فنهر آتُل، وهو أكبرُ موادّه، وهو نهر الروس ونهر الكر والرس ومياه الجيل والدَيْلَم وطبرستان ونواحي الغُزّيّة ، وجميعها مياه عذبة وإنما تربتها فاسدة حمّائيّة ، فالماء يَأجَن ويَأسَن فيها لذلك . وهو بحر لو أخذ السائر على ساحله من الخزَر على ارض اذربيجان الى الديلم وطبرستان وجُرجان والمفازة على جبل سياه كويه ، لرجع الى مكانه الذي سار منه بغير أن يمنعه مانع من ماء مالح سوى الأنهار العذبة التي ذكرتُها . فأمّا بحيرة خُوارزم فكذلك ايضاً لا تتّصل ببحر غيرها . وفي اراضي الزَنج وبلدانهم خُلجان ، وكذلك في أعراض بلد الروم خلجان وبحار لا تُذكر لقصورها عن هذه البحار وكثرتها وقد اخذ من البحر المحيط خليج يمرّ على ظهر بلد الصقالبة ، ويقطع ارض الروم على القسطنطينيّة حتى يفرع في بحر الروم .

١٠ – وأرض الروم حدّها من هذا البحر المحيط على بلد الجلالقة وافرنجه وروميه واثيناس الى القسطنطينيّة، ثمّ الى ارض الصقالبة. ويشبه أن يكون نحو مائة وسبعين مرحلة، وذلك أنّ من حدّ الثغور في الشمال الى ارض الصقالبة نحو شهرين، وقد ثبت أنّ من اقصى الجنوب الى أقصى الشمال مائتي مرحلة وعشر مراحل. والروم المحض من حدّ رُومية الى حدّ الصقالبة وما ضممتُه الى بلد الروم من الافرنجه والجلالقة وغيرهم، فإنّ لسانهم مختلفٌ غير أن الدين والمملكة واحدٌ، كما أن لمملكة الاسلام ألسنةً والبلد واحدٌ.

١١ – ومملكة الصين على ما يزعم أبو إسحق الفارسيّ وأبو إسحق إبراهيم ابن البتكين، حاجب صاحب خراسان أربعة أشهر في ثلاثة اشهر. فإذا أخذتَ من فم الخليج حتى تنتهي الى دار الاسلام بما وراء النهر فهو نحو ثلاثة أشهر، وإذا اخذتَ من حدّ المشرق حتى تقطعَ الى حدّ المغرب في أرض التُبّت، وتمدّ في ارض التَغَزْغُزِ وخَرْخِيزَ وعلى ظهر كيماك الى البحر فهو نحو اربعة اشهر. ولمملكة الصين ألسنةٌ مختلفةٌ وجميع الأتراك من التَغَزْغُزِ وخَرْخِيزَ وكيماك والغُزّيّةِ والخَرلخيّة فألسنتهم واحدةٌ، وبعضهم يفهم عن بعض. ولأرض الصين والتُبتِ لسان مخالف لهذه الألسنة كألسنة صِنهاجة اودغست وأهل سرت وأهل قسطيلية وغيرهم من البربر، فإنّ لهم ألسنة خاصيّة، ولسان البربر يجمعهم ويفهم بعضهم عن بعض به. ومملكة الصين كلّها منسوبةٌ الى صاحب الصين المقيم بخُمدان، كما مملكة الروم منسوبةٌ الى الملك المقيم بالقسطنطينيّة، ومملكة الهند منسوبة الى الملك المقيم بقَنّوج كنسبة مملكة الاسلام الى الملك المقيم ببغداد.

١٢ – وفي ديار الأتراك ملوك متميّزون بممالكهم. فأمّا الغُزّيّة فإن حدود ديارهم ما بين الخزر وكيماك، وأرض الخرلخيّة وبلغار وحدود دار الاسلام ما بين جُرجان الى باراب واسبيجاب. وديار الكيماكيّة وهم من وراء الخرلخيّة في ناحية الشمال فيما بين الغُزّيّة وخرخيز وظهر الصقالبة. فاما ياجوج فهم في ناحيـة الشمال اذا قطعت ما بين الصقالبة

والكيماكية ، والله اعلم بمقاديرهم ، وبلادهم جبال شاهقة لا يتوقلها الدواب ولا يرتقيها الا الرجالة ، ولم ألق بهم أخبر من ابراهيم بن البتكين حاجب صاحب خراسان ، فأخبرني أن تجاراتهم انما تصل اليهم على ظهور الرجال وأصلاب المعز ، وأن تجارهم من نواحي خوارزم ربما أقاموا في صعود جبل ونزوله الاسبوع والعشرة الايام ، واما خرخيز فانهم ما بين التَغَزغُز وكيماك والبحر المحيط وأرض الخرلخية والغُزيّة ، واما التَغَزغُز فقبيل عظيم لهم دار واسعة ما بين التبت وأرض الخرلخيّة وخرخيز ومملكة الصين . والصين ما بين البحر المحيط والتغزغز والتبّت والخليج الفارسي ، وأرض الصقالبة عريضة طويلة نحو شهرين في مثلها ، وبلغار مدينة صغيرة ليس لها أعمال كثيرة ، وكانت مشهورة لأنها كانت فرضة لهذه المهالك ، فاكتسحها الروس وأتوا على خَزَران وسمندر واتل في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، وساروا من فورهم الى بلد الروم والاندلس وافترقوا فرقتين . والروس قوم هَمَج سكان بناحية بُلغار فيما بينهم وبين الصقالبة على نهر اتل . وقد انقطعت طائفة من الترك عن بلادهم فصاروا بين الخزر والروم يقال لهم البجناكية ، وليس موضعهم بدار لهم على قديم الايام ، وانما انتابوها فغلبوا عليها وهم شوكة الروسية وأحلافهم ، وهم الخارجون قديماً الى الاندلس ثم الى برذعة . والخزر اسم لجنس من الناس وكان بلدهم صغيراً ذا جانبين يسمى اتل أحد جانبيها باسم النهر ، والجانب الآخر خزران ، وهذا النهر يجري من بلد الروس . وليس لهذا المصر كثير رساتيق ولا سعة مملكة ، وهو بلد بين بحر الخزر والسرير والروس والغزية ؛ والتبت بين أرض الصين والهند وأرض الخرلخية والتغزغز وبحر فارس ، وبعضهم في مملكة الهند وبعضهم في مملكة الصين ، ولهم ملك قائم بنفسه يقال أن أصله من التبابعة ، والله أعلم .

١٣ — وأما جنوبي الأرض من بلاد السودان فإن بلدهم الذي في أقصى المغرب على البحر المحيط بلد ملتف ، ليس بينه وبين شيء من الممالك اتصال ، غير أن حداً له ينتهي الى البحر المحيط ، وحداً له ينتهي الى برية بينه وبين أرض المغرب ، وحداً له ينتهي الى برية بينه وبين

أرض مصر على ظهر الواحات ، وحداً له ينتهي الى البرية التي ذكرت أنها لا تُنبت ولا عمارة فيها لشدة الحر . وطول أرضهم ألف فرسخ في نحوها عرضاً ، غير أنها الى البحر لا الى ظهر الواحات أطول من عرضها . وأرض النوبة فلها حد الى ارض مصر من نواحي الصعيد ، وحد الى هذه البرية التي بين ارض السودان ومصر ، وحد لها الى أرض البجه وبراري بينها وبين القلزم ، وحد لها الى هذه البرية التي لا تسلك وارض البُجة فديار صغيرة العرض طويلة تمر في الجنوب بين نهر النيل وبحر القُلزُم ، وهم فيما بين الحبشة والنُوبة من حدود قوص الى البرية التي لا تسلك ، وعدد رجالهم وذكر حالهم وملوكهم واعتقاداتهم وما تقلبت بهم الحال عليه في الاسلام كثير طريف ، ولا أعرف لهم في سيرة من السِيَر ذكراً ، وسآتي من أخبارهم بجمل يستحسنها من اعترضها عند الحاجة اليه . واما الحبشة فانها على بحر القلزم ، وهو بحر فارس ، فينتهي حد لها الى بلاد الزنج وحد لها الى البرية التي بين النوبة وبحر القلزم ، وحد لها الى البجة والبرية التي لا تسلك ، وارض الزنج اطول اراضي السودان ولا تتصل بمملكة غير الحبشة ، والحبشة ناحية ومملكة عريضة لهم في وقتنا هذا مَلِكة لها عليهم نحو ثلاثين سنة ، وأخبارها من ظرائف الأخبار — وهي تجاه اليمن وفارس وكرمان الى ان تحاذي بعض أرض الهند . وأرض الهند تجاه بلاد الزنج من جانب بحر فارس الشرقي ، وطولها من عمل مكران في أرض المنصورة والسندهند وهم البدهه وسائر بلدان السند الى ان تنتهي الى قَنُّوج ، ويجوزها الى ارض قنوج ، ويجوزها الى أرض التبب نحو أربعة أشهر ، وعرضها من بحر فارس على أرض قنوج نحو ثلاثة أشهر .

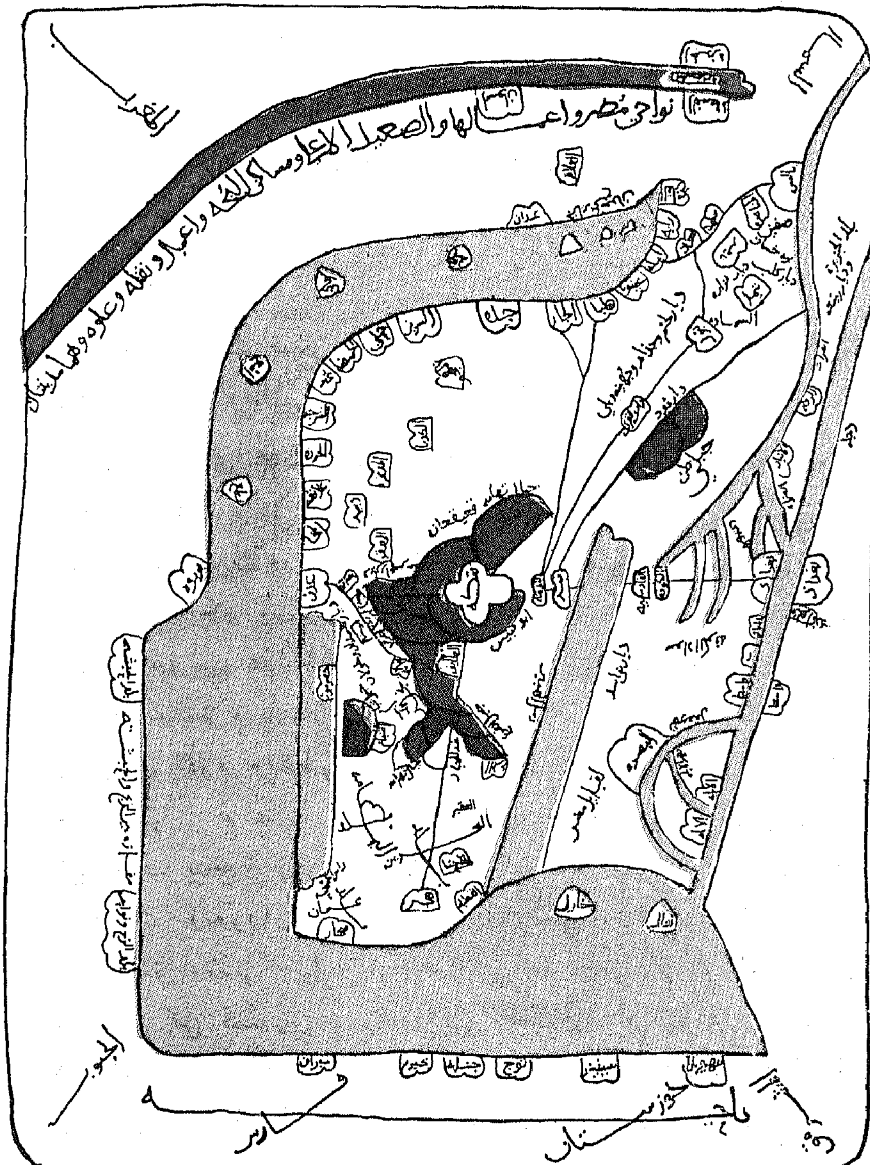
١٤ — ومملكة الاسلام في حيننا هذا ووقتنا فان طولها من حد فَرغانه حتى يقطع خراسان والجبال والعراق وديار العرب الى سواحل اليمن فهو نحو خمسة أشهر ، وعرضها من بلد الروم حتى يقطع الشام والجزيرة والعراق وفارس وكرمان الى أرض المنصورة على شط بحر فارس نحو أربعة أشهر وانما تركت في ذكر طول الاسلام حد المغرب الى الاندلس لأنه كمّ في

الثوب ، وليس في شرقي المغرب ولا في غربيه اسلام لأنك اذا جاوزت مصر في أرض المغرب كان جنوبي المغرب بلاد السودان ، وشماله بحر الروم ثم أرض الروم . ولو صلح أن يُجعل طول الاسلام من فرغانه الى ارض المغرب والاندلس لكان مسيرة ثلاثمائة مرحلة لأن من فرغانه الى وادي بلخ نيّفا وعشرين مرحلة ، ومن وادي بلخ الى العراق نحو ستين مرحلة ، ومن العراق الى مصر نحو ثلاثين مرحلة ، وقد ثبت في مسافات المغرب أن من مصر الى أقاصي المغرب مائة وثمانين مرحلة ، ومن مصر الى ان تحاذي آخر ارض الاندلس بأعمال طنجة نصف هذه المسافة ، ولما قصدت تفصيل بلاد الاسلام اقليماً اقليماً ليعرف موضع كل اقليم من مكانه وما يجاوره من سائر الأقاليم ، ولم تتسع هذه الصورة التي جمعت سائر الاقاليم لما يستحقه كل اقليم في صورته من مقدار الطول والعرض والاستدارة والتربيع والتثليث وما يكون عليه أشكاله ، جعلتُ لكل اقليم مكاناً يُعرب عن حاله وما يجاوره من سائر الأقاليم ثم افردت لكل اقليم منها صورة على حِدة ، بينتُ فيها شكل ذلك الاقليم وما يقع في اضعافه من المدن وسائر ما يحتاج الى علمه مما آتي على ذكره في موضعه ان شاء الله .

ديار العرب

١ – فابتدأت بديار العَرَب لأن القبلة بها ومكة فيها وهي ام القرى وبلد العرب واوطانهم التي لم يشركهم في سكناها غيرهم .

٢ – والذي يحيط بها بحر فارس من عبّادان وهو مصب ماء دجلة في البحر ، فيمتد على البحرين حتى ينتهي الى عمان ثم يعطف على سواحل مهرةَ وحضرَموتَ وعدن ، حتى ينتهي على سواحل اليمن الى جُدّة ، ثم يمتد على الجار ومَدين حتى ينتهي الى ايْلة ، ثم قد انتهى حينئذٍ حدُّ ديار العرب من هذا البحر وهذا المكان من البحر لسان ويعرف ببحر القُلزُم ، والقُلزُم مدينة على طرفه وسِيفه ، فاذا استمر على تاران وجُبيلان وصل الى القازم وينقطع حينئذٍ ، وهو شرقي ديار العرب وجنوبيها وشيء من غربيها . ثم يمتد عليها عن ايْلة على مدائن قوم لوط والبحيرة الميتة التي تعرف ببحيرة زغر الى الشراة والبلقاء ، وهي من عمل فلسطين واذرِعاتَ وحَورانَ والبثنية وغوطة دمشق ونواحي بعلبك ، وهي من عمل دمشق وتدمر وسلمية ، وهما من عمل حمص ثم الى الخناصرة وبالس وهما من عمل قِنَّسرين . وقد انتهى الحد الى الفرات ثم يمتد الفرات على ديار العرب حتى ينتهي الى الرقة وقرقيسيا والرحبة والدالية وعانة والحديثة وهيت والأنبار الى الكوفة ومستفرغ مياه الفرات الى البطائح . ثم تمتد ديار العرب على نواحي الكوفة والحيرة على الخورنق ، وعلى سواد الكوفة الى حد واسط ، فتصاقب ما جاور دِجلة وقاربها عند واسط مقدار مرحلة ثم تستمد وتستمر على سواد البصرة وبطائحها حتى ينتهي الى عبادان .



صورة ديار العرب

٣ — وهذا الذي يحيط بديار العرب فما كان من عبّادان الى ايلة فانه بحر فارس ويشتمل على نحو ثلاثة أرباع ديار العرب ، وهو الحد الشرقي والجنوبي وبعض الغربي وما بقي من حد الغربي من ايلة الى بالس فمن الشأم ، وما كان من بالس الى عبادان فهو الحد الشمالي ومن بالس الى أن تجاوز الانبار فمن حد الجزيرة ، ومن الانبار الى عبادان فمن حد العراق . ويتصل بأرض العرب بناحية ايلة بريةٌ تُعرف بتيه بني اسرائيل وهي برية وان كانت متصلة بديار العرب فليست من ديارهم ، وانما كانت برية بين أرض العمالِقة واليونانية وأرض القِبْط ، وليس للعرب بها ماء ولا مرعى فلذلك لا تدخل في ديارهم .

٤ — وقد سكن طوائف من العرب من ربيعة ومُضر الجزيرة حتى صارت لهم بها ديار ومراع ، ولم ارَ أحداً عزا الجزيرة الى ديار العرب لأن نزولهم بها وهي ديار لفارس والروم في أضعاف قرى معمورة ومدن لها أعمال عريضة ، فنزلوا على خفارة فارس والروم حتى أن بعضهم تنصر ودان بدين النصرانية مع الروم ، مثل تغلب من ربيعة بأرض الجزيرة وغسّان وبهراء وتنُوخ من اليمن بأرض الشأم .

٥ — وديار العرب هي الحجازُ التي تشتمل على مكة والمدينة واليمامةِ ومخاليفِها ، ونجدُ الحجاز متّصلٌ بأرض البحرين وباديةِ العراقِ وباديةِ الجزيرة وباديةِ الشأم ، واليمنُ المشتملةُ على تهامةَ ونجدِ اليمن وعمانَ ومهرةَ وبلادِ صنعاء وعدن وسائرِ مخاليف اليمن . فما كان من حدّ السرّين حتى ينتهي على ناحية يلملم ثم على ظهر الطائف ممتدًّا على نجد اليمن الى بحر فارس مشرقاً فمن اليمن ، ويكون ذلك نحو الثُلثين من ديار العرب . وما كان من حدّ السرّين على بحر فارس الى قرب مدين راجعاً في المشرق على الحِجْر الى جبلي طيّء ، ممتدًّا على ظهر اليمامة الى بحر فارس فمن الحجاز . وما كان من اليمامة الى قرب المدينة راجعاً على بادية البصرة حتى يمتد على البحرين الى البحر فمن نجدٍ . وما كان من حدّ عبّادان الى الانبار مواجهاً لنجد والحجاز على ديار أسد وطيّء وتميمٍ وسائر قبائل مضر فمن بادية العراق . وما كان من حدّ الانبار الى بالس ، مواجهاً

لبادية الشأم على ارض تيماء وبرّية خساف الى قرب وادي القرى والحِجْر فمن بادية الجزيرة . وما كان من بالس الى أيلة مواجهاً للحجاز على بحر فارس الى ناحية مدين معارضاً لارض تبوك حتى يتّصل بديار طيّء فمن بادية الشأم . على أن من العلماء بتقسيم هذه الديار من زعم أن المدينة من نجدٍ لقربها منها ، وان مكّة من تِهامة اليمَن لقربها منها .

٦ — وما في بطن هذه الصفحة فهو صورة ديار العَرب .

إيضاح ما يوجد من الاسماء والنصوص في صورة ديار العرب :

قد كُتب في زاويتي الصفحة العليا بين المغرب والشمال ، ورُسم في هذا القسم نهر النيل وتحت ذلك الرسم النص الآتي : نواحي مصر واعمالها والصعيد الاعلى ومساكن البُجه واعمال دنقله وعلوه وهما مدينتان . وعلى النهر من المدن الفسطاط والجيزة وبينهما الجزيرة ثمّ اسوان ، وبين النيل وبين ساحل البحر العلاقي .

ويقرأ على ساحل البحر في اسفل ايسره : بلد الزنج ونواحيه ، مفازة بين الزنج والحبشة ، بلد الحبشة ثم بربره ، ثم قرب منتهى الساحل الفوقانيّ عيذاب ثم جزائر بني حدان ، ثم عند منتهى البحر القلزم ؟ وفي البحر من الجزائر : سنجله ، سواكن ، باضع ، زيلع .

وعلى ساحل البحر من الجانب المقابل يلي القلزم من المدن رايه ، ايله ، عينونه ، طبا ، الجار ، جده ، السرين ، حلي ، الحمضه ، عثر ، الشرجه ، الحرده ، غلافقه ، المخا ، عدن ، ثم حضرموت ثم في الزاوية بلاد عمان وفيها رأس الجمجمه ومدينة صحار . ثم تلي ذلك على الساحل مدينة القطيف ، وفي هذا القسم من البحر جزيرتا خارك واوال .

وفي وسط الصورة رُسمت مدينة مكة تحيط بها كتلة جبال متلاصقة ، وفيها ايضاً من اسفل مكة الطائف . ويُقرأ عند هذه الجبال من الجانب الايسر : جبال تهامه ، قعيقعان ، ديار راحه ، وبين هذا الطرف من الجبال والبحر من المدن : المعقد ، زبيد ، المذيخره ، الكدرا ، المهجم . ويأخذ من عدن على البحر طريق الى الجبال وعليه من المدن : صنعا ، صعده ، نجران ، بيشه ، جرش ، تباله . ثم يقرأ عند جانب الجبل مكتوباً على شكل صليبيّ : نجد الحجاز . ثم رُسم بين الجبل وحضرموت جبل شبام وفيه مدينة شبام . ويقرأ بين جبل شبام وعدن : ديار همدان وخولان . وتتشعّب الجبال الوسطية عن أسفلها الى طرفين كُتب بينهما : نجد الحجاز ، وعند الطرف الايسر جبال تهامه ، وعند الطرف الايمن جبل الفرع ومدينة الفرع . وبين هذه البقاع والبحر بلد اليمامة وبلد البحرين ، وفيها من المدن : العقير ، الاحسا ، هجر . ثم يأخذ عن يمين القطيف على البحر الى اعلى رمل الهبير ، ويُقرأ عند طرف الجبل الذي بين مكة ورمل الهبير : ابو قبيس .

وعن يمين مكة بينها ورمل الهبير ايضاً من المدن : المدينة وفيد ، والطريق المارّ على هاتين

المدينتين بعد اجتيازه رمل الهبير يمر على القادسيه والكوفه الى بغداد على نهر دجله . ويأخذ من المدينة طريق الى وادي القرى ثم تبوك ثم معان ثم سلميه ثم الخناصره ثم بالس على نهر الفرات ، وبين تبوك والفرات يُقرأ: السماوه ، ديار فزاره، ديار كلب ، بريه خساف ، صفين ، وأثناء ذلك من المدن : تيا وتدمر . وبين وادي القرى والفرات : ديار ثمود وجبلي طي ، وبينه والبحر ديار لخم وجذام وجُهينه وبلي .

وبين الفرات ودجلة يُقرأ بلد الجزيرة وديار ربيعة . ثم على الفرات من المدن : الرقة ، الانبار . وعند الخليج الآخذ من الانبار الى دجلة الصراه ، ويجري من بغداد الى هذا الخليج نهر عيسى ، وعلى دجلة بين بغداد والبحر من المدن : كلواذي ، المدائن ، واسط ، الابلة . ومن الابلّة يأخذ نهر الابله الى البصرة وينصبّ تجاهها في نهر معقل . ويقرأ بين البصرة ورمل الهبير : ديار بني اسد ، ثم في قرب الساحل لقبائل مضر .

وفي أسفل الصورة على البحر من المدن : مهروبان، سينيز، توج، جنابه، نجيرم، سيراف؛ ويُقرأ وراء ذلك في البر كلمة ناحية التي أضيف اليها اسما خوزيستان وفارس المكتوبان عليها في شكل الصليب ، وفي زاويتي الصورة السفلايين المشرق والجنوب .

٧ — وكانت هذه الديار عظيمة خطيرة الملوك ، مَلَكها الفراعنة والتبابعة ومنهم من ملك أكثر أهل الأرض في سالف الزمان : كتبّعٍ الذي مدّن مدينتي صنعاءَ وسَمَرْقَنْد ، وكان يقيم بهذه حولاً وبهذه آخر . ومن أهلها فرعون ابراهيم وهو سِنان بن عُلوان وفرعون موسى مصعب بن الوليد . وبعث فيها كثير من الانبياء وكان من اكرمهم نبيُّنا صلى الله عليه وسلم . ولم يكُ فيما سلف الزمان ولا على مر الدهور والايام ممن علت كلمته واتسعت مملكته ، واستفحلت جبايته كتبع وذي القرنين من ثبت الملك فيه وفي عَقِبه وجُبيت اليه الأموال ، وتخرق في المروءة والافضال كمن ملكها من أهلها في الاسلام مع أكثر الأرض ، من حيث لم يرم اكثرهم عن مواطنهم ولا برحوا عن أماكنهم ، يدعى لهم في اطرافها ويدر عليهم الاموال من أخلافها .

٨ — فأما اموالها في وقتنا هذا الواصلة الى سلاطينها وملوكها وأربابها وأصحاب أطرافها فمن جلتهم خلف أبي الجيش اسحق بن ابراهيم بن زياد بعد أهل البحرين ، والذي تحت يده من الشرجة الى عدن طولاً على ساحل البحر وارض تهامة اليمن ، ويكون مقدار ذلك اثنتي عشرة مرحلة

وعرضه من الجبال الى ساحل اليمن من عمل غلافقة ، ويكون مقداره مسيرة أربع مراحل . وأكثر أمواله المقبوضة من العشور وهي ما ينيف على خمس مائة الف دينار عثري ، ومن قبالات زبيد عن جميع ما يدخلها ويخرج عنها وتشتمل عليه وجوه الأموال مائتا الف دينار عثري . واكثر ملوك الجبال في وقتنا هذا يخطبون له على منابرهم . ويصل اليه من جباية عدن عن المراكب العشرية مما لا يقع بموافقة وضمان ويعمل بالأمانات ، فربما زادت المراكب ونقصت ، والمرتفع له في السنة عن هذا المكان على التقريب مائتا الف دينار عثري ، وربما زادت الزيادة العظيمة وربما نقصت اليسير . ويوجد العنبر بسواحل عدن وما يليها ، وله على ذلك ضريبة تصل اليه ، وله على صاحب جزائر دهلك موافقة من هدايا ، ترد عليه فيها العبيد والعنبر وجلود النمور المرتفعة الى غير ذلك ، وله على ملكة الحبشة هدايا ومبار فلا تنقطع هداياها ومبارها . (قال كاتب هذه الأحرف : دخلت عدن سنة أربعين وخمس مائة ، وكان العميد بها بلال بن جرير والمشرف عليه خالي أحمد بن غياث من قبل سلطانها محمد بن سبا ، وكان ضمان عشر المراكب بحسب مائة ألف وأربعة عشر ألف دينار مرابطية ، وهذا اكثر مما ذكره مصنف الكتاب بأضعاف) ويتلوه في المكنة والمقدرة ابن طرف صاحب عثر ، ويشتمل ملكه على وجوه من الأموال وضروب من الجبايات ، ويكون الواصل اليه كنصف ما يصل الى ولد أبي الجيش بن زياد من المال . ويتلوه الجرامي صاحب حلي وهو دون ابن طرف في المكنة والسلطان والجباية ، وهؤلاء الثلاثة ملوك تهامة اليمن وابن طرف والجرامي جميعاً في طاعة ابن زياد وقتنا هذا ، ويخطبون على اسمه ، وقد خطب الجميع لصاحب المغرب في هذا الوقت . وكان من أجل ملوك تهامة اليمن المعروفين بملوك الجبال : أسعد بن أبي يعفر فأنه ملكها سنين كثيرة وملك صنعاء ، وخطب لآل زياد وضرب دراهمه باسمهم بغير هدية أو مبرة تصل منه اليهم ، وكانت أمواله دون أربع مائة ألف دينار تنصرف في مروءته والى أضيافه وقاصديه ، وكان من سلالة التبابعة . وكذلك فجميع ما يجتبيه ولاة اليمن منصرف الى أضيافهم وقاصديهم . وجميع من بالجبال من ملوكها فجبايته دون هذه العدة من

المال ومرافقهم بقدر كفايتهم لمؤنهم . واما الحسني صاحب صعدة فله جباية كثيرة ومستغلات من المدابغ ، وضرائب على القوافل كثيرة تضاهي ارتفاع ابن طرفٍ ونفقاته في طرق المعروف من حيث امر الله تعالى ان تُصرف الصدقات والاعشار والخراجات ، وربما زادت جبايته ونقصت . وصاحب السرّين فالواصل اليه كفاء ما يقوم به وبأهله ، وليست بحال تذكر . وله على المراكب الصاعدة والنازلة من اليمن رسم يأخذه من الرقيق والمتاع الوارد مع التجار .

٩ — واما البحرين ومدنها وهي هجر والاحساء والقَطيف والعقير وبيشَةُ والخَرج واوال وهي جزيرةٌ كان لأبي سعيد الحسن بن بهرام ولولده سليمن بها الضريبة العظيمة على المراكب المجتازة بهم ، والى وقتنا هذا هي لمخلفيهما ونسلهما . ويكون نسل ابي سعيد لظهره بين مَرّةٍ ورجل نحو الاربع مائة نسَمَة . وبها أموال وعشور ووجوه مرافق وقوانين ومراصد وضروب مرسومة من الكلف الى ما يصل اليهم من بادية البَصرة والكوفة وطريق مكة بعد إقطاع ما بالبحرين من الضياع بضروب ثمارها ومزارعها من الحنطة والشعير والنخل لأتباعهم المعروفين كانوا بالمؤمنين ، ومبلغها نحو ثلاثين ألف دينار ، وما عدا ذلك من المال والامر والنهي والحل والعقد وما كان يصل اليهم من طريق مكة ومال عُمان ، وما وصل اليهم من الرَملة والشأم فمتساوٍ فيه آراء ولد أبي سعيد الباقين ، ومفاوضة أبي محمد سنبر بن الحسن بن سنبر ، وكان أكمل القوم واشدهم ثم تمكناً من نفسه . فإذا همّوا بقسمة ما يصل اليهم من مال السنة كان ذلك ليوم معلوم مذ لم يزالوا ، فيعزل منه الخُمس بسهم صاحب الزمان ، والثلاثة الأخماس لولد أبي سعيد على قوانين وضعوها بينهم ، وكان الخمس الباقي للسَنَابِرَة مسلماً الى أبي محمد ليفرقه في ولد ابيه وولده ويكونون نحو عشرين رجلًا . وكان ولد أبي طاهر فيهم يُعظمون ويُكرمون ، وكان أجلهم سابور فلما قتله اعمامه تشتتت كلمتهم وتغيرت احوالهم . وكان لهم من الثلاثة الأخماس مال معلوم دون الجرايات عليهم من الغنائم بحسب منازلهم ، دون ما لهم من الضياع والنعمة المختصة بهم الى سنة ثمان وخمسين ،

فإنهم لما فتكوا بسابور استوحش بعضهم من بعض وانقبضوا عن الالتقاء بالجرعاء وغيرها . وكان من رسومهم ركوب مشائخهم واولادهم فُرادى فيجتمعون الى قبلة الاحساء بالمكان المعرف بالجرعاء ، ويلعب أحداثهم بالرماح على خيولهم وينصرفون أفذاذاً بغاية التواضع ، وقد لبسوا البياض لا غير . وكان من رسومهم ان تقع شُوراهم بالجرعاء فيمن يخرجونه لما فدحهم وأهمهم ، فإن اتفق رأيهم على خروجهم بأجمعهم لم يتخلفوا ونفذوا وتركوا في البلد أوثقهم وأشفهم منزلة عندهم . ولما أنفذوا قديماً أبا علي ابن أبي المنصور الى عُمان وتعذّر عليه فتحُها ساروا بأجمعهم اليها فافتتحوها ولما انفذوا أبا علي بن ابي المنصور الى الشأم وعاد عنها ظُنّت به خيانةٌ فيما صار اليه من الغنائم ، فرُدّ اليهـــا كسرى بن أبي القسم وصخر بن ابي إسحق ، فكان منهم مع ابي محمد الحسن بن عبيد الله بن طُغج ما سيرد في مواضعه من اخبارهم ، وبالله القوّة .

١٠ — ثم إن المطيع سلّ سخائمهم وسعى في تألّف قلوبهم وجمع كلمتهم في سنة ستين على ما بلغني سنة إحدى وستين من مشافهة ابي الحسين عليّ ابن احمد الجزريّ ، صاحب ابي الحسين علي بن محمـد بن الغمر ، ورأيتُه بصقلّية وكأنه ورد المغرب ليقرأ الاخبـار بها ، وأخبرني بأشياء كالسرّ عنده ثم خمش وجه الحديث وقال : ومن بقي من العِقدانيّــــة بالأحساء وغيرها هلكوا كلُّهم . وكان في جُملتهم رجال جِلّةٌ ذوو حلوم وعقول دون من صحبهم من الجفاة الاغتام الأغفال الطغام ، كبني الغمر ، وأجلُّهم كان المقيمُ بالجعفرية من ظاهر البصرة ، وهو ابو الحسين علي بن محمـد بن الغمر ، ويتلوه اخوه المقيم بالكوفة ابو طريف عديّ بن محمـد بن الغمر ، وابو الحسن علي بن احمد بن بشر الحارثي المتولّي رجـالهم وأموالهم من سائمتهم وكُراعهم ، وكان المقيم فيهم الحدودَ على من وجبَت منهم وكان قـد ناهز المائة سنة . وثور بن ثور الكلابي صاحب جيشهم مسنّ ايضاً كافٍ مع كبر سِنّه ، وكان صاحب سراياهم الى كل مكان ، وكان اكبر منه حالةً وأتمّ درايةً ابو الحسن علي بن عثمان الكلابي ؛ كان يُزعم أن سنيه مائة وعشرون سنة ، وكان ممن لقي أبا زكريا الطمامي وشاهد دعوتهم

الأولى وناموسهم القديم فصيحُ اللسان، حسنُ البيان، جريءُ الجنان، وتوسّل لهم الى غير مكان، وناب منابة قاضيهم ابن عرفة في اسباب المراسلة الى بني حمدان وغيرهم، فعقد عليه بيعتهم وأخذ عليهم العهود بموالاتهم . وقد انتشر حبلهم وقلّ حولهم وفُلّ حدّهم بما جروا اليه من قتل سابور بن سليمان وأمورهم كالواقفة فيما بينهم . وسمعتُ غير حاكٍ في سني نيّف وخمسين يحكي عن ابي طريف عديّ بن محمد بن الغمر والقاضي ابن عرفة عن تقارب ألفاظهم في القول . أن سادتهم يتوزّعون من مال البصرة والكوفة وما يقبضونه من الحجّاج، ويرد عليهم من مال عُمان والغنائم دون الخُمس الخارج عنهم لصاحب الزمان ألف ألف دينار، وربما زادت المائة والمائتي ألف دينار .

١١ — فأما ما ينتهي اليه علمي من أحوال مدنها وما يُحتاج الى علمه من المشهور والمهمل من اخبارها، فلا أعلم بأرض العرب نهراً ولا بحراً يحمل سفينة لأن البحيرة الميتة التي تعرف بزغر وان كانت مصاقبةً للبادية فليست منها . ومجمع الماء الذي بأرض اليمن في ديار سبأ انما كان موضعَ مسيل ماء، فبُني على وجهه سدّ فكان يجتمع فيه مياه كثيرة يستعملونها في القرى والمزارع، حتى كفروا النعمة بعد أن كان الله تعالى جعل لهم عمارات قرى متصلة الى الشام، فسلط على ذلك المكان آفة فصار لا يمسك الماء، وهو قوله تعالى: « وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها » الى قوله: « ومزقناهم كل ممزق »[1] فبطل ذلك الماء الى يومنا هذا، فأما الجداول والعيون والسواقي فكثيرة .

١٢ — وأنا مبتدىء من ديار العرب بذكر مكة، ومكة مدينة فيما بين شعاب الجبال، وطولها من المَعلاة الى المَسفلة نحو ميلين، وهو من حد الجنوبي الى الشمالي، ومن أسفل جياد الى ظهر قُعيقعان نحو الثلثين من هذا . وابنيتها من حجارة والمسْجِد في نحو وسطها، والكعبة في وسط المسجد . وباب الكعبة مرتفع من الارض نحو قامة تجاه المشرق، وهو

---

١ — (وجعلنا . . . مُمزّق) سورة سبأ (٣٤) الآيتان ١٧ — ١٨ .

مصراعان . وأرض البيت مرتفعة عن الارض مع الباب ، ويحاذيه قُبّةُ زَمْزمَ ومقامُ ابراهيم صلى الله عليه بقرب من زمزم بخطوات . وبين يدي الكعبة مما يلي المغرب حصار مبني مدور له بابان مع ركني البيت ، الا انه لم يدخل فيه ويعرف بالحِجر والطواف يحيط به وبالبيت ، وأحد الركنين الذي يحادّ الحِجْرَ يُعرف بالعراقي ، والركن الآخر يُعرف بالشأمي ، والركنان الآخران احدهما عند الباب والحَجر الاسود فيه مركّب على نحو قامة انسان ، والركن الآخر يعرف باليماني . وسقاية الحاجّ المعروفة بسقاية العبّاس على ظهر زمزم ، وزمزم فيما بينها وبين البيت . ودار النَدوَة من المسجد الحرام في غربيّه ، وكانت لعبد الله ابن جُدعانَ التيمي ، وكان يملأها بالفالوذَج وله منادٍ ينادي عليها في الموسم : هلموا الى الفالوذ . وهي أوّل دار أُسِّست بمكة ؛ وفيه وفيها يقول الشاعر :

له داعٍ بمكّةَ مُشمَعِلٌّ وآخرُ فوقَ دارَته يُنادي

١٣ — ومن وقف على الصفا رأى الحجر الأسود والسعي بين الصفا والمروة . والمروَة حَجَرٌ من حد قُعيقِعان وهو الجبل الذي عن غربي الكعبة ، وأبو قُبيس أرفع وأعلى منه تجاهه من نحو المشرق . ويقال أن حجارة البيت من قُعيقعان . ومنىً على طريق عرفات من مكة ، وهي أيضاً شعب طوله دون الميلين وعرضه دون رمية السهم ، وبينه وبين مكة ثلاثة أميال . وبمِنىً أبنية كثيرة كالقصور ، لأهل كل بلد من بلدان الاسلام ، ومسجد الخَيفِ في أقل من وسطها مما يلي مكة ، وجمرة العَقَبَة في آخر منىً مما يلي مكة ، وليست العقبة التي تنسب اليها الجمرة من منىً والجمرة الأولى والوسطى هما معاً فوق مسجد الخيف الى ما يلي مكة . والمزدلفة مبيت للحاج ومجمع صلاتي المغرب والعشاء الآخرة إذا صدر الحاج من عرفات بالمزدلفة ، وهو مكان بين بطن مُحسّر والمأزمين ، فأما بطن محسر فهو وادٍ بين عرفات والمزدلفة . والمأزمان شِعْبٌ بين جبلين يفضي آخره الى بطن عُرنَةَ ، وهو واد بين المأزمين وبين عرفة ، وعرفة ما بين وادي عُرنَة الى حائط بني عامر الى ما أقبل على الصخرات التي

يكون بها موقف الإمام ، والى طريق حضن . وبحائط بني عامر نخيل ، وكذلك في غربي عرفة وعُرَنة بقرب المسجد الذي يجمع فيه الامام بين صلاتي الظُهر والعَصْر في يوم عرفة . ونخيل الحائط والعين تُنسب الى عبد الله بن عامر بن كريز . وليس عرفات من الحرم ، وانما حدّ الحرم من المأزمين ، فاذا جزتها الى العلمين فمن الحِلّ . وكذلك التنعيم الذي يُعرف بمسجد عائشةَ ليس من الحرم ، والحرم دونه نحو عشرة أميال في مسيرة يوم ، وعلى الحرم كله منار مضروب متميز به عن غيره .

١٤ — وليس بمكة ماء جار إلا شيء أجري اليها من عينٍ قد كان عمل فيها بعضُ الولاة ، فاستتم في أيام المقتدِر ويُفتَح الى مسيلٍ قد جعل له الى باب بني شيبة في قناة قد عملت هناك . وكانت أكثر مياههم من السماء الى مواجن وبركٍ كانت بها عامرة ، فخربت باستيلاء المتولين على أموال أوقافها واستئثارهم بها ، وليست لهم أبار يشرب منها ، وأطيبها زمزم ولا يمكن الادمان على شُرب مائها . وليس بجميع مكة شجر مثمر غير شجر البادية ، وإذا جزت الحرم فهناك عيون وآبار وحوائط كثيرة ، وأودية ذات خُضَر ومزارع ونخيل . ويقال أن بفخّ نخيلات يسيرة متفرقة وهي من الحرَم ولم أرها . وثبير جبل مشرف يُرى من منىً والمزدلفة ، وكانت الجاهلية لا تدفع من المزدلفة إلا بعد طلوع الشمس إذا أشرقت على ثبير . وبالمزدلفة المشْعَر الحرام ، وهو مصلّى الامام يصلي فيه المغرب والعشاء الآخرة والصبح ، والحُديبيّة بعضها من الحِلّ وبعضها من الحرم ، وهو مكان صدّ المشركون فيه رسول الله صلى الله عليه وسلّم عن المسجد الحرام من أبعد الحل الى البيت ، وليس هو في طول الحرم ولا عرضه ، إلا انها في زاوية للحرم ، فلذلك صار بينها وبين المسجد أكثرُ من يوم .

١٥ — فأما المدينة فهي أقل من نصف مكة ، وهي في حرّةٍ سَبِخَةِ الأرض . ولها نخيل كثيرة ومياه نخيلهم وزروعهم من الآبار ، يسقون بها العبيد وعليها سور والمسجد في نحو وسطها . وقبر النبيّ ﷺ من المسجد في شرقيّه قريباً من القبلة قريباً من الجدار الشرقي في بيت مرتفع ، بين

سقفه وسقف المسجد فرجة ولا باب له ، وله زاويتان والمنبر الذي كان يخطب عليه النبي ﷺ قد غُشي بمنبرٍ آخر ، والروضة أمام المنبر بينه وبين القبر والمصلّى الذي كان النبي ﷺ وعلى بوّة عِنْترته يصلي فيه الأعياد في غربي المدينة داخل سورها . وبقيع الغرقد خارج السور بباب البقيع في شرقي المدينة ، وقباء خارج المدينة على نحو ميلين الى ما يلي القبلة ، وهو مجمع بيوت الأنصار يشبه القرية ، وأُحدٌ جبل في شمالي المدينة وهو أقرب الجبال اليها على نحو فرسخين منها . وبقربها مزارع فيها ضياع لأهل المدينة ، ووادي العقيق فيما بينها وبين الفُرع والفُرع من المدينة على أربعة أيام في جنوبيّها . وبها مسجد جامع غير أن أكثر هذه الضياع خراب وقتنا هذا . وكذلك حوالي المدينة ضياع كثيرة قد خربت . والعقيق وادٍ من المدينة في قبلتها على أربعة أميال في طريق مكة وأعذب ماء في الناحية آبار العقيق ، وروى عن النبي ﷺ أن غبار المدينة أمان من الجذام ، ومن أقام بها وجد في ترابها وهوائها رائحة ليست في الأرائيح طيباً خِلقة فيها وجوهرية لا تتغير . وهي أنقى طيناً من الطيب بسابور ، وألذ نسيماً من نهر الأبُلة ، ولا تتغير المعجونات والطيب بها ما أقاما .

١٦ — واما اليمامة فواد ، والمدينة به تسمى الخضرمة دون مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهي اكثر نخيلا وثمراً من المدينة ومن سائر الحجاز . وكانت قراراً لربيعة ومضر ، فلما نزل عليها بنو الأُخيضر جلت العرب منها الى جزيرة مصر ، فسكنوا بين النيل وبحر القُلْزُم وقرّت ربيعة ومضر هناك ، وصارت لهم ولتميم كالدار التي لم يزالوا بها ، وابتنوا بها غير منبر : كالمحدِثة التي بظاهر اسوان ، وكالعلاقي وهو المنهل يجتاز به الحجيج الى عيذاب وهم أهل معدن الذهب وإقامتهم عليه في امورٍ سيآتي على ذكرها في اماكنها : وليس بالحجاز بعد مكة والمدينة أكبر من اليمامة ، ويليها في الكبر وادي القرى وهي ذات نخيل أيضاً ، والبحرين في ناحية نجد وأكبر أعمالها ومدنها هجر وهي أكثر تموراً ، وليست من الحجاز ، وهي على شط بحر فارس ومقام القرامطة بها وهي دارهم . ولها قرىً

كثيرة وقبائل من مضر ذوو عدّةٍ وعدد اغتصبت لضعف السلطان من اربابها .

١٧ – والجارُ فرضة المدينة ، وهي على ثلاث مراحل منها على شط البحر ، وهي اصغر من جُدّة ، وجُدّة فرضة لأهل مكة على مرحلتين منها على شط البحر ، وكانت عامرة كثيرة التجارات والأموال ، ولم يكن بالحجاز بعد مكة أكثر مالاً وتجارة منها ، وكانت تجاراتهم تقوم بالفُرس ، فلما أقام بها ابن جعفر الحسني تشتت أربابها ورزحت أحوالها .

١٨ – والطائف مدينة صغيرة نحو وادي القرى كثيرة الشجر والثمر ، وأكثر ثمارها الزيت وهي طيبة الهواء ، وفواكه مكة وبقولها منها . وهي على ظهر جبل غزوان ، وبغزوان ديار بني سعد وسائر قبائل هُذيل ، وليس بالحجاز فيما علمته مكان هو أبرد من رأس هذا الجبل ، ولذاك اعتدل هواء الطائف . وبلغني أنه ربما جَمُدَ الماء في ذروة هذا الجبل ، وليس بالحجاز مكان يجمُد فيه الماء سوى هذا الموضع .

١٩ – والحِجرُ قرية صغيرة قليلة السكان وهي من وادي القرى على يوم بين جبال ، وبها كانت ديار ثَمُود الذي قال الله تعالى : « وتنحتون من الجبال بيوتاً فرهين[١] » وذكر أبو إسحق الفارسي أن بيوتها منقورة كبيوتنا في أضعاف جبالها ، وتدعى تلك الجبال الأثالب وهي جبال في العيان متصلة ، حتى إذا توسطت كانت كل قطعة منها قائمة بذاتها ، يطوف بكل قطعة منها الطائف ، ودونها جبال ومال لا يكاد يرتقى الى ذراها إلا بمشقة شديدة ، وبها بئر ثمُود التي قال الله تعالى في الناقة « لها شِربٌ ولكم شِربُ يوم معلوم[٢] » .

٢٠ – وتبوك بين الحجر وبين أول الشأم على أربع مراحل في نحو نصف طريق الشأم ، وهي حصن وله عين ماء ونخيل وحائط ينسب الى

١ – (وتنحتون الخ) سورة الأعراف (٧) الآية ٧٢ وسورة الشعراء (٢٦) الآية ١٤٩ .
٢ – (لها شرب الخ) سورة الشعراء (٢٦) الآية ١٥٥ .

النبي ﷺ ، ويقال أن أصحاب الأيكة الذين بعث الله اليهم شعيباً كانوا بها ، ولم يكن شعيب منهم وإنما كان من مَدين . ومَدين على بحر القلزم محاذية لتَبُوك على نحو ست مراحل ، ومَدين أكبر من تبوك وبها البئر التي استسقى منها موسى عليه السلام لسائمة شعيب ، وهي بئر مغطاة قد عمل عليها بيت ، وماء أهلها من عين تجري لهم ، ومدين اسم القبيلة التي كان منها شعيب ، وإنما سميت القرية بهم . ألا ترى أن الله تعالى يقول والى مدين أخاهم شعيبا [1] .

٢١ — والجُحفة منزل عامر ، وبينها وبين البحر نحو ميلين وهي من الكبر ودوام العمارة نحو مدينة فَيدٍ ، وليس بين مكة والمدينة منزل يستقل بالعمارة والأهل سائرَ السنة كهي ولا بين المدينة والعراق مكان يستقل بالعمارة والأهل جميع السنة مثل فيد . وهي في ديار طـّيء ، وجبلا طـّيء منها على مسيرة يومين ، وبها نخيل وزروع قليلة لطيء وبها ماء تافه ، ويسكنها بادية من طيء ينتقلون عنها في بعض السنة ينتجعون المراعي . وخيبر حصن ذو نخيل كثيرة وزرع .

٢٢ — وينبع حصن به نخيل وماء وزرع ، وبها وقوف لعليّ بن أبي طالب عليه السلام يتولاه أولاده . وبقرب يَنبُع جبل رَضوى وهو جبل منيف ذو شعاب وأودية ، ورأيته من ينبع كخضرة البقل . وزعم بعض أصحابنا انه طاف في شعابه ، وفيها ماء كثير وأشجار وهو الجبل الذي تزعم طائفة الكيسانية ان محمد بن علي بن أبي طالب فيه حيّاً مقيماً . ومنه يحمل حجارة المِسنّ الى سائر الآفاق . وفيما بينه وبين ديار جُهينة وسائر البحر ديار للحسنيين ، يسكنونها ببيوت الشَعر نحو سبع مائة بيت بادية كالأعراب ، ينتجعون المراعي والمياه بزيّ كزيّ الأعراب ، لا تميز بينهم في خَلق ولا خُلق ، وتتّصل ديارهم فيما يلي المشرق بوادي ودان وهو من الجحفة على مرحلة وبينهم وبين الأبواء التي على طريق الحاج في غربيها ستة اميال . وبها رئيس الجعفريين من ولد

١ — (والى مَدين الخ) سورة الاعراف (٧) الآية ٨٣ .

جعفر بن أبي طالب ، وله بالفرع والسابرة ضياع كثيرة وعشيرة وأتباع ، وبينهم وبين ولد الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام حروب ردماء ، حتى لقد استولت طائفة من اليمن يعرفون ببني حربٍ على ضياعهم وصاروا حرباً لهم وألباً عليهم ، وقد ضعفوا بخلافهم . وتيماء حصن أعمر من تبوك وهي في شمال تبوك ولها نخيل ، وهي ممتار البادية وبينها وبين أول الشأم ثلاثة ايام .

٢٣ — ولا أعلم فيما بين العراق والشأم واليمن مكاناً إلا وهو في ديار طائفةٍ من العرب ، ينتجعونه في مراعيهم ومياههم الا ان يكون بين اليمامة والبحرين وبين عمان . ومن وراء عبد القيس برية خالية عن الأبار والسكان والمراعي قفرة لا تُسلك ولا تُسكن . فأمـــا ما بين القادسية الى الشقوق في الطول والعرض من قرب السماوة الى حد بادية البصرة ، فسكانها قبائل من بني أسدٍ . فاذا جزت الشقوق فأنت في ديار طيء الى ان تجاوز معدن النقرة ، في الطول وفي العرض من وراء جبلي طيء محاذياً لوادي القرى ، الى ان تتصل بحدود نجد من اليمامة والبحرين . ثم اذا جزت المعدن عن يسار المدينة فأنت في بني سُليم ، واذا جزته عن يمين المدينة فأنت في جهينة . وفيما بين المدينة ومكة بكر بن وائل في قبائل من مضر من الحسنيين والجعفريين . والغالب على نواحي مكة مما يلي المشرق بنو هلال وبنو سعد في قبائل من هذيل ، وعن غربيها مدلج وغيرها من قبائل مضر . وأما بادية البصرة فهي اكثر هذه النواحي أحياءً وقبائل ، واكثرها تميم حتى يتصلوا بالبحرين واليمامة ثم وراءهم عبد القيس وأما بادية الجزيرة فإن بها أحياءً من ربيعة واليمن واكثرهم كلب اليمن ، وفي قبيلة منهم يُعرفون ببني العُلَيص ، خرج صاحب الشام الذي فلّ جيوش مصر واوقع بأهل الشأم حتى قصده المكتفي الى الرقة فأخذ له بالدالية . وبادية السماوة من دومة الجندل الى عين التمر وبرية خساف من بادية الجزيرة . وبرية خساف فيما بين الرقة وبالس ، عن يسار الذاهب الى الشأم . وصفين أرض من هذه البادية بقرب الفرات ما بين الرقة وبالس ، وهو الموضع الذي كان به حرب علي عليه السلام ومعاوية .

ورأيت هذا الموضع فرأيت عجباً ، وذلك أنّا كنا سائرين من تحته في الفرات ، وهو ربوة عظيمة فعددنا عليها ثمانية قبور أو تسعة ، ومن فوقها ربوة أعلى منها فعددنا عليها بضعة عشر قبراً ظاهرةً بينةً لمن يتأملها ، ولم تختلف جماعة كنت فيهم في عدد قبور الموضعين ، ثم صعدنا المكان الذي عددنا فيه هذه القبور فلم نر فيه ولا لقبر واحد اثراً . واخبرني من يعرف بمعرفة تلك الناحية انه رأى فيها بيت مال علي بن أبي طالب صلوات الله عليه للفيء قائماً بنفسه ، واما بادية الشأم فإنها ديار لفزارة ولخمٍ وجذام وبليٍ وقبائل مختلفةٍ من اليمن وربيعة ومضر واكثرها يمن .

٢٤ — والرمل المعروف بالهبير هو الرمل الذي أصله بالشقوق الى الأجفُر عرضاً ، وطوله من وراء جبلي طيء الى ان يتصل مشرقاً بالبحر . ويمضي من وراء جبلي طيء الى ان يرد الجفار من أرض مصر ، ثم يساير النيل وجبل المقطم عن جانبي النيل الى بلد النوبة ، فيعبر من فوق الفيوم النيل فيتّصل بالمغرب الى ارض نَفزاوه ، ويمضي مغرباً الى سجلماسة وارض أودغست الى البحر المحيط مسيرة خمسة أشهر . ومنه عرق يضرب من القادسية الى البحرين ، ويعبر البحر فيمر على مشارق خوزستان وفارس الى ان يرد الى سجستان ، ويعطف منه شيء على مفازة فارس وخرسان الى الطبسين وقوهستان ، ويمر مشرقاً الى مروٍ آخذاً على جيحون في برية خوارزم الى خوارزم ، ثم يعبر جيحون وقد شقه جيحون وقطع فيه الى قرية قراتكين ، ويأخذ في بلاد الخرلخية وبعض التبت الى بلد الصين والبحر المحيط في جهة المشرق وهو على ما وصفته وسقته من المحيط بالمشرق الى المحيط بالمغرب ، وذاهب من نواحي اودغست وصحاريها على البحر المحيط على بلاد غانه وكوغه ، وجميع بلاد السودان الى البرية التي لا تسلك ، وقد فرش الجنوب من الارض أيضاً . وفيه جبال منه عظام لا تتوقل ولا ترتقى وبعضه في ارضٍ سهلةٍ ينتقل من مكان الى مكان ، وبعضه لا تعرف له حركة فهو لا يزول عن مكانه ومنه أصفر لين اللمس وأحمر قانئ وأزرق سماوي وأسود حالك وأكحل مشبع كالنيل ، وأبيض كالثلج ، وبعضه يحكي الغبار نعمةً وبعضه خشن جريش اللمس أحرش ،

وقد عادت صفة الرمل من بعد أحوال مصر عند ذكر الجفار .

٢٥ ــ وأما تِهامة فإنها قطعة من اليمن جبال مشتبكة ، اولها مشرف على بحر القُلزم بما يلي غربيها وشرقيها بناحية صعدة وجرش ونجران ، وشماليها حدود مكة وجنوبيها من صنعاء نحو عشر مراحل ، وقد صوّرت بعض جبال تهامة في صورة ديار العرب .

٢٦ ــ وبلاد خولان تشتمل على قرىً ومزارع ومياه معمورة بأهلها ، وهي مفترشة وبها أصناف من قبائل اليمن . ونجران وجرش مدينتان متقاربتان في الكبر ، وبها نخيل وتشتملان على أحياء من اليمن كثيرة ، وصعدة أكبر وأعمر منهما ، وبها يُتخذ ما كان يتخذ بصنعاء من الأدم ، ويتخذ بنجران وجرش والطائف أدم كثير غزير وأكثره من صعدة ، وبها مجمع التجار والاموال ، والحسني المعروف بالرسّيّ بها مقيم .

٢٧ ــ وليس بجميع اليمن مدينة أكبر ولا أكثر مرافق وأهلًا من صنعاء . وهو بلد في خط الاستواء ، وهو من اعتدال الهواء بحيث لا يتحول الانسان عن مكان واحد شتاء ولا صيفاً عمره ، ويتقارب بها ساعات الليل والنهار لان محور الشمس عليها معتدل ، والجذام بها ظاهر لقلة سطوة الشمس فيها وتافه تحليلها عن جسومهم . وفيه كانت ديار ملوك اليمن فيما تقدم وبها آثار بناء عظيمٍ قد خرب فهو تل كبير يعرف بغمدان ، وكان قصراً لملوك اليمن ، وليس باليمن بناءٌ أرفع منه على خرابه .

٢٨ ــ والمذَيخِرة جبل كان فيه الجعفري ، وبلغني ان أعلاه كان عشرين فرسخاً فيها مزارع ومياه ، وفيه ينبت الورس وهو نبات أحمر في معنى الزعفران ، يباع منوان بدينارٍ فيصبغ به ، فهو منيع منيف لا يسلك ، وكأنه من أسفله جبل بالمغرب يعرف بجبل نفوسة في الحصانة وكثرة المياه والاشجار وطيب التربة وكثرة الثمار ، يسكنه الخوارج وهو دار هجرةٍ لهم . ومات به عبد الله بن وهبٍ الراسبي ، وعبد الله بن إباضٍ ، ولا يسلك الا من طريقٍ واحدٍ . وكانت المذيخرة قديماً لأسعد ابن أبي يعفر ثم غلب عليها محمد بن الفضل الداعي لاهل المغرب .

٢٩ – وشبام جبل عظيم منيع أيضاً فيه قرىً ومزارع وسكان كثير وفيه جامعٌ ، وهو متميز من جبال اليمن ويرتفع منه العقيق والجزع والحجر المعروف بالجمست ، ويصيبها المطالبيون بالناحية غشيماً كسائر الحجارة ، فإذا عملت ظهر جوهرها بالنار والعمل ، وبلغني أنها تكون في صحارى فيها حصى ملون تلقط من بينها .

٣٠ – وعدن مدينة صغيرة وشهرتها لأنها فرضة على البحر ، ينزلها السائرون في البحر ، وباليمن مدن أكبر منها ليست كشهرتها . وباليمن أيضاً من الخوارج طائفة بقرب همدان وخولان . وجَمْعُ بلدةٌ وهي من أعمر بلادٍ بتلك النواحي مخاليفَ ومزارعَ وأغزرها مياهاً .

٣١ – وحضرموت في شرقي عدن بقرب البحر ، ورمالها كثيرة غزيرة تعرف بالأحقاف ، وهي مدينة صغيرة ولها ناحية وأعمال عريضة ، وبها قبر هودٍ النبي صلى الله عليه . وبقربها برهوت وهو البئر التي لا يعلم أن إنساناً نزلها ، وبلاد مهرة فقصبتها تسمى الشِحْر ، وهي بلاد قفرة السنتهم مستعجمة جداً ، لا يكاد يوقف على كلامهم ، وليس بها نخل ولا زرع وإنما أموالهم الابل والمَعَز والابل والدواب ، تعلف السمك الصغار المعروف بالورق ، وهم وسائر حيوانهم لا يعرفون الخبز ولا يأكلونه ، وأكلهم السموك والالبان والتمور . ولهم نُجُبٌ من الابل تفضل في السير وحسن الرياضة على جميع النجب ، واللبان الذي يستعمل بالآفاق من هناك ، وديارهم مفترشة به وبلادهم بوادٍ نائية . ويقال أنها من أعمال عمان وطول مهرة اربع مائة فرسخ .

(قال كاتب هذه الأحرف : إن المستولي على هذه البلاد لما دخلتها في سنة أربعين وخمس مائة ، والمتحكم فيها أحمد بن منجويه ، وكان دار ملكه بمرباط ، وهي مدينة صغيرة على شاطىء البحر ، وعلى مسيرة يوم ونصف منها مدينة ظفار وهي ايضاً له) .

٣٢ – وعمان ناحية ذات أقاليم مستقلة باهلها فسحة ، كثيرة النخل والفواكه الجرومية من الموز والرمان والنبق ونحو ذلك وقصبتها صحار وهي على البحر ، وبها من التجار والتجارة ما لا يحصى كثرةً ، وهي أعمر مدينةٍ بعمان وأكثرها مالاً ولا يكاد يُعرف على شط بحر فارس

بجميع الاسلام مدينة اكثر عمارة ومالاً من صحار، ولها مدن كثيرة ويقال ان حدود أعمالها ثلاثمائة فرسخٍ . وكان الغالب عليها الشُراة الى ان وقع بينهم وبين طائفةٍ من بني سامة بن لؤي ، وهم في أكثر تلك النواحي فخرج منهم رجل يعرف بمحمد بن القاسم السامي الى المعتضد ، فاستنجده عليهم فبعث معه بابن ثور ففتح عمان للمعتضد واقام بها الخطبة له وانحازت الشراة الى ناحيةٍ لهم تعرف بنزوى الى يومنا هذا . بها إمامهم وبيت مالهم وجماعتهم على غدرٍ فيهم شديد وغيلةٍ ظاهرة بالجميع . وعمان بلاد حارة جرومية وبلغني ان بمكان منها بعيد من البحر ربما وقع ثلج رقيق ولم أر من شاهد ذلك إلا بالبلاغ .

٣٣ — وبأرض سبأٍ من اليمن طوائف حِميَرَ وكذلك بحضرمَوْتَ . وديارُ همدان وأشعرَ وكِندَةَ وخولانَ فبلاد مفترشة في أعراض اليمن ، وفي اضعافها مخاليف وزرع ، وبها بوادٍ وقرىً تشتمل على بعض تهامـةَ وبعض نجدٍ . ونجدُ اليمن من شرقيّ تهامةَ وهي قليلةُ الجبال مستويةُ البقاع ، ونجد اليمن غيرُ نجد الحجاز ، غير ان جنوبيّ نجد الحجاز يتصل بشمال نجد اليمن . وبين البحرين وبين عُمان بريّة منيعةُ السلوك . وباليمن قرود كثيرة ، وبلغني أنها تكثر حتى لا تطاق إلا بجمع عظيم ، فإذا اجتمعوا كان لهم كبيرٌ يعظّمونه ويتبعونه كاليعسوب للنحل . وبها دابّة تُدعى العُدارُ بلغني انها تطلب الانسان فتقع عليه ، وإن اصابت منـه تلك الدابّة جرحاً تَدَوَّدَ جوفُ الانسان فانشقّ . ويُحكى عن الغيلان بها من الاعجوبة ما لا أستحسن حكايتَه، لأن المنكرَ لما لا يُعلمُ اعذَرُ من المُقِرّ بما يُجهلُ .

٣٤ — وأما المسافات بديار العرب فإن الذي يحيط بها من عبّادان الى البحرين نحو إحدى عشرة مرحلة ، ومن البحرين الى عُمان نحو شهر ، ومن عُمان الى أوائل مهرة نحو مائة فرسخ . وسمعتُ أبا القاسم البصريّ يقول : من عُمان الى عدن ستمائة فرسخ، منها خمسون فرسخاً الى المَسقط عامرةً، وخمسون لا ساكن فيها الى أوّل بلد مهرة وهي الشِحر، وطولها أربع مائة فرسخ والعرض في جميع ذلك من خمسة فراسخ الى ثلاثة

فراسخ ، وكلّها رمل . ومن آخر الشحر الى عدن مائة فرسخ ، ومن عدن الى جُدّة الى ساحل الجُحفَة نحو خمس مراحل، ومن ساحل الجُحفَة الى الجار ثلاث مراحل ، ومن الجار الى أيْلة عشرون مرحلة ، ومن ايلة الى بالس نحو عشرين مرحلة ، ومن بالس الى الكوفة نحو عشرين مرحلة ومن الكُوفة الى البَصرة اثنتا عشرة مرحلة ، ومن البصرة الى عبّادان مرحلتان ، وهذا هو دائرها وما يحيط بها .

٣٥ — فأما المسافات في أضعافها فإن من الكوفة الى المدينة نحو عشرين مرحلة، ومن المدينة الى مكّة مسافة عشر مراحل في طريق الجادّة، ومن الكوفة الى مكة طريق اخصر من هذا الطريق بنحو ثلاث مراحل ، اذا انتهى الى معدن النَقرة عَدَلَ عن المدينة حتى يخرج على معدن بني سُليم ، ثم الى ذات عِرْقٍ حتى ينتهي الى مكّة . وأما طريق البصرة فإلى المدينة ثماني عشرة مرحلة ، ويلتقي مع طريق الكوفة بقرب معدن النَقْرة . وأما طريق البحرين الى المدينة فنحو خمس عشرة مرحلة ، وأما طريق الرقّة الى المدينة فنحو عشرين مرحلة الى جبلي طيء؛ وكذلك من دِمَشق الى المدينة ومثلها من فلسطين الى المدينة . ومن مِصْر الى المدينة على الساحل عشرون مرحلة ، ويجتمعهم مع أهل الشأم بأيلة وفي ضمن المصريين يحجّ المغاربة ، وربما تفرّدوا بأنفسهم إلا أنهم يتّفقون في مُناخ واحد . وربما تقدّموا فيكون بينَهم أن ينزل أحدهم ويرحل الآخرون او يتأخّرون على هذا السبيل . وايلة من ناحية الشأم أوّل حدود البادية . ولأهل مصر وفلسطين اذا جازوا مَدْيَن طريقان : احدهما الى المدينة على بَدأ وشَغبٍ قرية بالبادية كان بنو مروان أقطعوها الزُهريّ وبها قبره حتى ينتهي الى المدينة على المروَة . وطريق يمضي على ساحل البحر حتى يخرج بالجُحفة فيجتمع بها اهل العراق ودمشق وفلسطين واهل مصر . وطريق الرقّة وقتنا هذا منقطعٌ إلا لقوم من العرب يحجّون فيه أفذاذاً ويسلكونه عباديدَ ؛ وسائر الطرق مسلوكة في وقتنا هذا غيرَهُ .

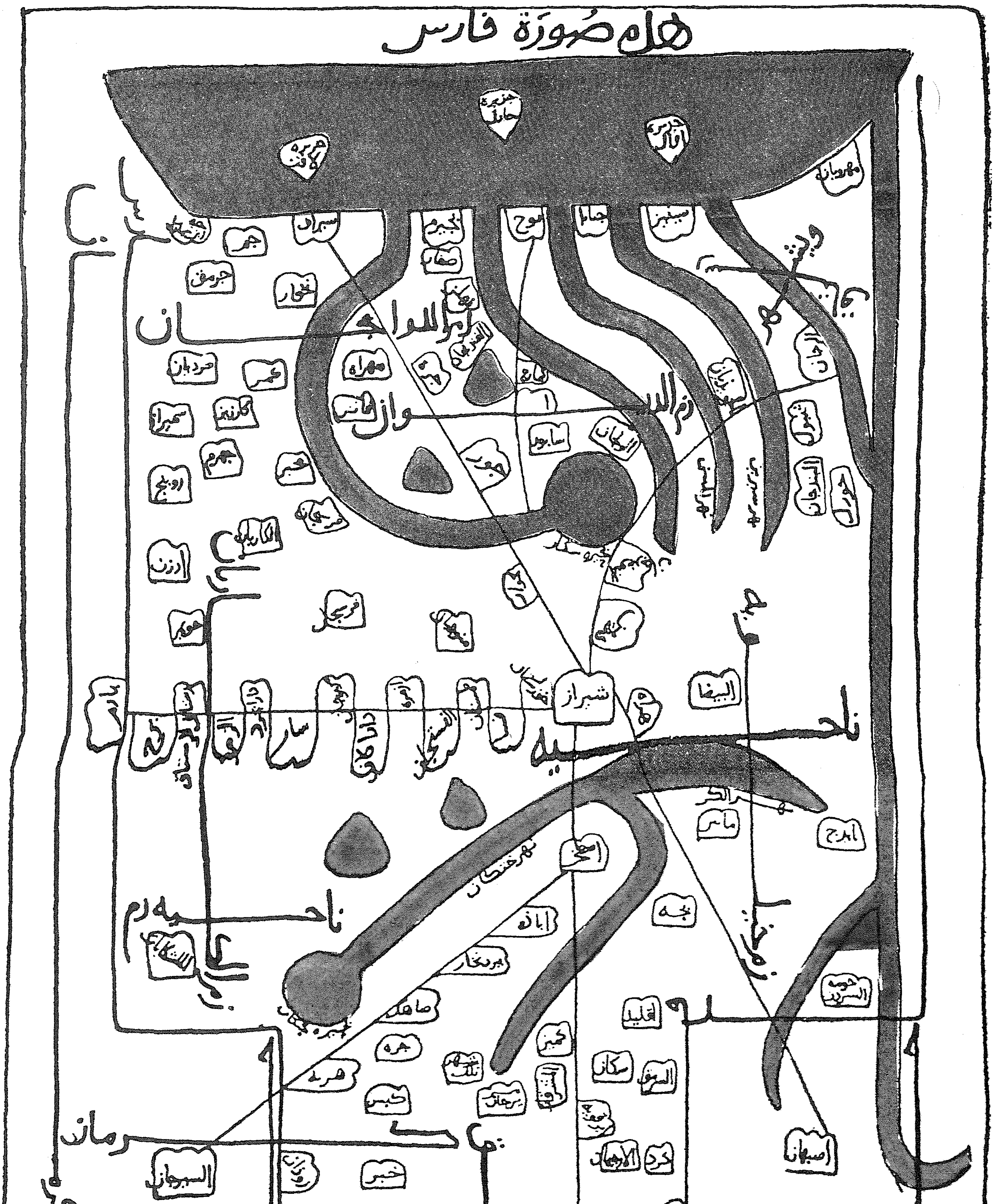
٣٦ — ومن عدن الى مكة نحو شهر ، ولهم طريقان : أحدهما على ساحل البحر وهو أبعد ، وهي جادّةُ تِهامة والسائر عليها يأخذ على صَنعاء

وصعدة وجُرَش وبيشة وتَبالة حتى ينتهي الى مكة ، وطريق آخر على البوادي غير طريق تهامة يقال له الصُدور في سفح جبل نحو عشرين مرحلة ، وهو اقرب غير انه على أحياء اليمن ومخاليفها يسلكه الخواصّ منهم . وأما اهل حضرموت ومهرة فإنهم يقطعون عرض بلادهم حتى يتصلوا بالجادّة بين عدن ومكة ، والمسافة منهم الى الاتصال بهذه الجادّة اثنتان وعشرون مرحلة ، فيصير جميع طريقهم نيّفاً وخمسين مرحلة . وطريق عُمان يصعب سلوكه في البرّية لكثرة القفار وقلّة السكّان ، وإنما طريقهم في البحر الى جُدّة فإن سلكوا على السواحل من مهرة وحضرموت الى عدن او الى طريق عدن بعُد عليهم وقلما يسلكونه . وكذلك ما بين عمان والبحرين فطريق شاقّ يصعب سلوكه لتمانع العرب وتنازعهم فيما بينهم . وأما ما بين البحرين وعبّادان فغير مسلوك كان الى هذه الغاية وقد سُلِكَ وهو قفر والطريق منها على البحر . ومن البصرة الى البحرين على الجادّة إحدى عشرة مرحلة ، وعلى هذا الطريق أتى سليمان بن الحسن متزوّداً الماء من البحرين الى البصرة ولا ماء فيه ، وهو على الساحل نحو ثماني عشرة مرحلة وفي قبائل العرب ومياههم وهو طريق عامر غير أنه مخوّف .

٣٧ — فهذه جوامع المسافات التي يُحتاج الى علمها . فأما ما بين ديار العرب لقبائلها من المسافات فقلّما تقع الحاجة اليه لغير اهل البادية والى معرفته .

بحر فارس

١ ــ والذي يجب ان يَذكرَ بعد ديار العرب بحر فارس ، لأنه يشتمل على اكثر حدودها ، وتتصل ديار العرب به وبكثير من بلدان الاسلام وتعتوِرُه ، ثم اذكر جوامعَ مما يشتمل عليه هذا البحر . وأبتدىء بالقُلزُم وساحله مما يلي المشرق فإنه ينتهي الى ايلة ، ثم يطوف بحدود ديار العرب التي ذكرتُها وأثبتُّها قبل هذا من هُنا الى عبّادان ، ثم يقطع عرض الدِجلة وينتهي على الساحل الى مهروبان ثم الى جنّابه ، ثم يمرّ على سِيف فارس الى سيراف ثم يمتد الى سواحل هُرمُوز من وراء كرمان الى الدَّيبُل ، وسواحل المُلْتان وهو ساحل السِند وقد انتهى حدُّ بلد الاسلام . ثم ينتهي الى سواحل الهِند ماضياً الى سواحل التُبُّت فيقطعها الى ارض الصين . واذا اخذتَ من ارض القُلزُم من جانب البحر الغربي على ساحله سِرْتَ في مفاوز من حدود مصر حتى تنتهي الى جزائر تعرف ببني حدان ، وكان بها مراكب لمن أثِر الحجّ تخطف بالحُجّاج الى الجار وجُدّة ، ثم تمتد في مفاوز للبُجَة كان بها معدن الزُمرُّد وشيء من معادن الذهب الى مدينةٍ على شط البحر يقال لها عَيذاب ، وهي محاذية للجار ثم يتصل السِيف الى سواكِن ، وهي ثلاث جزائر يسكنها تُجّار الفُرس وقوم من ربيعة ، ويُدعى فيها لصاحب المغرب ، وهي محاذية لجُدّةَ . وبين سَواكِن وعيذاب سُنْجلَةُ جزيرة بين رأس جبل دَواي وجبل ابن جَرشم وهي لطيفة ، وبها مغَاص للؤلؤ ويُقصَد في كل حين بالزاد والرجال ، وبينها وبين جُدّة يوم واحد وليلة ، والمتسحِلّ منها يصل الى جزيرة باضِعٍ وبينهما مجراوان . ثم يخطف المُستحِل عنها الى دَهلَك


هذه صورة فارس
شيراز
البيضا
السيرجان
اصبهان
كرمان
الاصبهان

اربعة مجارٍ . ومن دَهلَك الى زَيلع ستة مجارٍ ، وباضع جزيرة ذات خَير ومَير وماشية وهي محاذية لحلي وجزيرة دهلك محاذية لعَثر وجزيرة زَيلع ، فكأنها بين غلافقة وعَدَن وجزيرة نجه وبربرة محاذيةٌ لأعمال عدن ، ومن هذه الجزائر اكثر جلود الدباغ بعدن واليمن من البقري والمُلَمّعِ والأدَمِ الثقيل . ثم يمتد البحر على بحر الحَبَشة ويتصل بظهر بلد النُوبة حتى ينتهي الى بلدان الزَنج ، وهي من اوسع تلك الممالك فيمضي السيف محاذياً لجميع بلدان الاسلام . وقد انتهت مسافة هذا البحر من شرقه وغربه ، وقد تعترض فيها جزائر وأقاليم تختلف لا يعلمها إلا من سافر في البحر الى أن يُحاذي ارضَ الصين .

٢ — وهذه صورةُ بحر فارس :

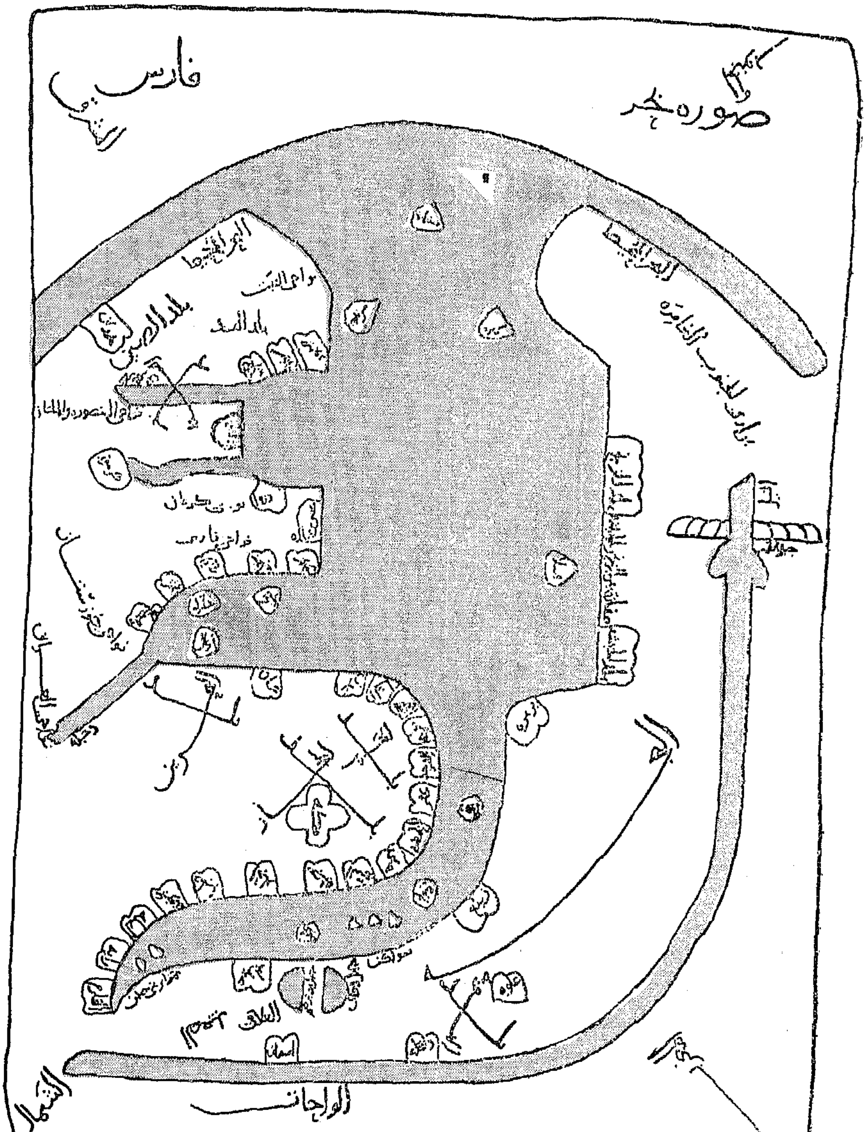
إيضاح ما يوجد في صورة بحر فارس من الاسماء والنصوص :

يقرأ في أعلى الصفحة صورة بحر فارس وفي الزاويتين العلياين الجنوب والمغرب .

وفي أعلى الصورة يعطف ساحل البحر يميناً ويساراً وكتب عند العطف الى اليمين في البر البحر المحيط ، وفي داخل البر براري الجنوب الغامرة ، ثم على الساحل الداخلي من الجانب الايمن مبتدئا من الاسفل بلد الحبشة . مفازة بين الزنج والحبشة ، بلد الزنج ، وبعد ذلك الى الاسفل بربره ، زيلع ، سواكن ، عيذاب ، جزائر بنى حدان وعند منتهى البحر القلزم ، وبين سواكن وعيذاب في البر جبل دواي وجبل ابن جرشم . ويوازي هذا الساحل في داخل البر نهر النيل وعند مبتدئه جبل القمر وعلى ضفة النيل في أسفل الصورة دنقله واسوان . ويقرأ بين النيل والساحل البجة وبلد النوبة وفيه مدينة علوه ثم بين اسوان وعيذاب العلاقى . وعن يسار ذلك الصعيد ، وفي الجانب الآخر من النيل الواحات .

ويبتدىء من عند القلزم ساحل ديار العرب وعليه من المدن : رايه ، ايله ، عينونه ، طبا ، الجار ، جده ، السرين ، حلى ، الحمضه ، عثر ، الشرجه ، الحرده ، غلافقه ، المخا ، عدن ، عمان . وفي داخل هذه الديار مدينة مكة ، وبلد العرب وبلد الحجاز . وعن يسار عمان بلد البحرين ثم نهر دجله . وعند مبتدأ هذا النهر نواحي العراق .

ويلي ذلك الى الأعلى قطعة من البر يقرأ فيها نواحي خوزستان ثم نواحي فارس ثم نواحي كرمان . وعلى ساحل تلك القطعة من المدن : مهروبان ، سينيز ، توج ، جنابة ، سيراف ، حصن بن عمارة ، سوروا ثم هرموز عند منتهى خليج من البحر . والقطعة التي تليها يقرأ فيها نواحي المنصوره والملتان وبلد السند ، وفيه نهر مهران ، ثم بلد الهند ونواحي التبت وعن يسار ذلك بلد الصين . وعلى ساحل هذه القطعة الديبل، كنبايه ، سندان ، صيمور وفي بلد الصين . على البحر خمدان، ويقرأ على ساحل البر عند عطفه الى الشمال: البحر المحيط.



صورة بحر فارس

وفي بحر فارس من الجزائر مبتدئـاً من أعلى الصورة : سوبارة ، سربزه ، سرنديب ثم قرب ساحله الأيمن ، قنبلا ، وفي الخليج بين ديار العرب وفارس لافت ، خارك ، اوال ، وفي الخليج بين ديار العرب وساحل البجة دهلك ، باضع ، سنجله .

وفي أسفل الصورة في الزاويتين يقرأ المغرب والشمال .

وقد صورت هذا البحر وذكرت حدوده وسأصف ما يحيط به وما في أضعافه مفصلًا ليقف عليه من قرأه .

٣ ــ فأما ما كان عليه من القلزم الى ان يحاذي بطن اليمن فإنه يسمى بحر القلزم ومقدار نحو ثلاثين مرحلة طولا ، وعرضه أوسع ما يكون عبره ثلاث ليال ، ثم لا يزال يضيق حتى يرى في بعض جنباته الجانب الآخر حتى ينتهي الى القلزم ثم يدور على الجانب الآخر من بحر القلزم ، وهو وإن كان بحراً ذا اودية ففيه جبال كثيرة قـــد علا الماء عليهـــا وطرق السفن بها معروفة ، ولن يُهتدى فيها إلا برُبَّانٍ يتخلل بالسفينة في أضعاف تلك الجبال بالنهار فأما بالليل فلا يسلك والماء به على غاية الصفاء فترى تلك الجبال فيه . وفي هذا البحر ما بين القلزم وآيلة مكان يُعرف بتاران وهو أخبثُ ما في البحر من الأماكن ، وذلك أنه دوّارة ماءٍ كالدُرْدُور في سفح جبـــل ، إذا وقعت الريح على ذُرْوَته انقطعت الريح قسمين ، فتنزل على شعبتين في هذا الجبل متقابلتين فتخرج الريح من كمّي هاتين الشعبتين المتقابلتين ، فتثير البحر وتتبلد كل سفينة فيه تقع في تلك الدوارة باختلاف الريحين وتتلف ، فلا يَسلم المركب بالواحدة إلا ما شاء الله . وإذا كان الجنوب أدنأ مهبٍ فـلا سبيل الى سلوكه ، ومقدار هذه الصورة الصعبة والمكان القبيح نحو ستة اميال . وهو الموضع الذي غرق فيه فرعون على ما يـذكره الرواة . وبقرب تاران موضع يُعرف بجيلان يهيج أيضاً وتتلاطم أمواجه باليسير من الريح ، وهو موضع مخوف أيضاً فـــلا يسلك بالصباء مغرباً وبالدّبور مشرقاً . وإذا حاذى آيلة ففيه سمك كثير كبير مختلف الالوان والانواع .

٤ ــ فإذا قابل بطن اليمن يسمى بحر عدن الى ان يحاذي عدن ، ثم يسمى بحر الزنج الى ان يحاذي عمـان عاطفاً على بحر فارس . وهو بحر

يعرض حتى يقال أن عِبرَه الى بلد الزنج سبعمائة فرسخ ، وهو بحر مظلم اسود لا يرى مما فيه شيء . وبقرب عدن معدن اللؤلؤ يخرج ما يقع منه الى عدن . فإذا جُزت عُمان الى ان تخرج من حدود الاسلام وتتجاوز الى قرب سرنديب فيسمى بحر فارس ، وهو عريض البطن جداً وفي عدوته بلدان الزنج . وفي هذا البحر هوارات كثيرة ومعاطف صعبة وأجوان مختلفة ، واشدها ما بين جنَّابه والبصرة فإنه مكان يسمى هور جنَّابه ، وهو مكان مخوف لا يكاد تسلم منه سفينة في هيجان البحر . وفيه مكان يعرف بالخشبات من عبادان على نحو ستة اميال على جري ماء دجلة الى البحر ، وربما يرقّ الماء حتى يخاف على السفن الكبار أن تسلكه خشية ان تجلس على الارض إلا في وقت المد وبهذا الموضع أربع خشبات منصوبة قد بني عليها مرقب يسكنه ناظور يوقد بالليل ليهتدي به ، ويعلم به المدخل الى الدِجلة ، وإذا ضلت السفينة فيه خِيف انكسارها لرقة الماء . وتجاه جنَّابه مكانٌ يُعرف بخارَك ، وبه موضعُ اللؤلؤ يخرج منه الشيء اليسير ، إلا أن النادر اذا وقع من هذا المكان فاق في القيمة غيرَه . ويقال أن الدُرَّة اليتيمة وقعت من هذا المعدن ، وبعُمان وبسَرَنديب في هذا البحر معدنان للُّؤلؤ ولا اعلم معدناً للؤلؤ إلا ببحر فارس . ولهذا البحر مدٌّ وجزرٌ في اليوم والليلة مرَّتان من حدّ القُلزُم الى حد الصين حيث انتهى ، وليس لبحر المغرب من جانب المغرب ولا لبحر الروم من الجانب الشرقي مدّ ولا جزر إلا ما بالبحر المحيط في شمال الاندلس ، فإنه من ناحية جبل العُيون الى لُبْ الى اكشنبه الى نواحي شلب وقصر بني ورديسن الى المعدن ، ونواحي لشبُونَه وشنترين وَشنترَه فإن فيه مدًّا وجزراً وزيادةً تظهر ، ويرتفع الماء هناك فوق العشر الأذرع كارتفاعه بالبَصرة ، ثم ينضب حتى يرجعَ الى قدره الأوَّل . وفي هذا البطن الذي نسبْتُه خصوصاً الى فارس جزائر منها : لافت وأوال وخارك وغيرها من الجزائر المسكونة التي ذكرتُها وعددتها ايضاً في غربي بحر القُلزُم ، فيها مياه عذبة وزروع وماشية وضرع . وهذه جملة من صفة هذا البحر في حدود الاسلام ،

وسأصف ما على سواحله صفةً جامعةً وأبتدىء بالقُلزُم منتهياً بالصفة لما على جنباته الى غايته ، ان شاء الله .

٥ — فأما القازم فمدينةٌ على شفير البحر ونحره ومنتهى هـذا البحر اليها، وهي في عقم هذا البحر من آخر لسانه، وليس بها زرع ولا شجر ولا ماء ، وماؤهم يُحمل اليهم من آبار بعيدة ومياه منها على نأي ، وهي تامّة العمارة بها فُرضة مصرَ والشأم ، ومنها تُحمل حمولات الشأم ومصر الى الحجاز واليَمن وسواحل هذا البحر وبينها وبين مصر مرحلتان . ثم تنتهي الى شطّ البحر فلا تكون بها قرية ولا مدينة سوى مواضع بها ناس مقيمون على صَيد من هذا البحر وشيء من النخيل، يسير حتى تنتهي الى تاران وجبيلان وما حاذى جبل الطُور الى آيلَة . وايلة هذه مدينة صغيرة عامرة بها زرع يسير وهي مدينة لليهُود الذين حُرِّمت عليهم صُيود السَبْت ، وجُعل منهم القِردَةُ والخنازيرُ على ما يذكر اهل الرواية . وبها في أيدي يَهودها عهدٌ لرسول الله ﷺ . ثم الى مَديَن والجار وجُدّة مواضع غير مأهولة بالناس . وما انتهى على هذا البحر في عطوف اليَمن الى عُمان والبحرين الى عبّادان فقد وصفتُه في صفة ديار العرب .

٦ — وأما عَبّادان فحصن صغير عامر على شطّ البحر ومجمع ماء دِجلة، وهو رباط كان فيه المحاربون للصفريّة والقَطَريّة وغـيرهم من متلصّصة البحر ، وبها على دوام الأيّام مرابطون .

قال كاتب هذه الاحرف : اجتزتُ بعبّادان سنة ثمان وثلاثين وخمس مائة ، وهي جزيرة في وسط الدجلة وماء الفرات عند مصبّها في البحر واختلاط ماء البحر بهما ، وفيهـا رباط يسكنه جماعة الصوفيّة والزهاد وليس بينهم المرأة البتة . وفي هذه الجزيرة مسجد من جـانب الشرق وفيه ودائع وأمانات غير مسلمة الى احد من الناس ، وقد قرر الجماعة بتلك البقعـة ان كل من اخذ من عبادان شيئاً على سبيل الجناية والسرقة فان السفينة تغرق لا محـالة بزعمهم ، حتى انهم قد رسخوا في قلوب الناس أن تراب عبّادان إن حمله احد بغير امر اولئك الجماعة ، فإن تلك السفينة التي فيهـا من ذلك التراب تغرق ، وليس كما زعموا . وبعبادان بئر يزعم الشيعة أن الرجل اذا وقف عليها وأقسم على الماء بكل اسم خلق الله فان الماء لا يتحرك ، فاذا اقسم عليه بعليّ رضوان الله عليه فإن الماء يفور ويصعد الى شفير البئر ، فمضيت الى تلك البئر وأقسمت عليها بما زعموا فوالله ما تحرك ماؤها ولا تزعزع من موضعه ، ففكرت وقلت : هذه

الجزيرة في وسط الماء وهذا الماء في اليوم والليلة يمد ويجزر مرتين ، ومادّة هذه البئر من ذلك الماء ولا يبعد أن يتحرك الماء في البئر عند الزيادة ، وقد اتفق في تلك الساعة من لا يهتدي الى حقائق الاشياء . اما المد والجزر فانه من اعجب الاشياء ، وذلك انه يبتدىء بالمد عند طلوع القمر ولا يزال يتزايد الى ان يصير القمر في وسط السماء ، ثم يبتدىء بالجزر الى ان يحصل القمر في افق المغرب ثم يبتدىء بالمد الى ان يصير القمر في درجة الرابع وتد الارض ، ويبتدىء بالنقصان الى وقت طلوع القمر ، ويعود في الزيادة وتختلف اوقاته باختلاف طلوع القمر ومغيبه وتبارك الله احسن الخالقين ، نعود الى نسخة الاصل .

ثم يقطع عرض الدجلة فيصير على ساحل هذا البحر الى مهروبان من حدّ فارس ، ويعترض فيه أماكن تمنع من السلوك إلا في الماء ، وذلك أن مياه خوزستان تجتمع الى الدورق وحصن مهدي ٍ والباسيان فتتصل بماء البحر . ومهرُوبان مدينة صغيرة عامرة وهي فرضة الرجان وما والاها من أداني فارس وبعض خوزستان ، ثم ينتهي البحر على الساحل الى سينيز وهي مدينة أكبر من مهروبان ، ومنها يقع هذا السينيزي الذي يحمل الى الآفاق ثم ينتهي البحر الى جنّابه ، وهي مدينة أكبر من مهروبان أيضاً ، وهي فرضة لسائر فارس خصبة شديدة الحر ، وعلى نحر البحر بهذا السيف ما بين جنّابه ونجيرم قرىً ومزارع ومساكن متفرقة شديدة الحر ، ثم ينتهي الى سيراف وهي الفرضة العظيمة لفارس ، وهي مدينة جليلة وأبنيتها ساج وتتصل أبنيتها الى جبل يُطِل على البحر وليس بها ماء يحمد ولا زرع ولا ضرع ، وهي من أغنى بلدٍ بفارس ، ثم يتجاوزها على الساحل في مواضع منقطعة تعترض بها جبال ومفاوز الى ان ينتهي الى حصن ابن عمارة ، وهو حصن منيع عليّ على نحر البحر ، وليس بجميع فارس حصن أمنع منه . ويقال ان صاحبه هو الذي قال الله تعالى فيه : وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينةٍ غصباً[1] وينتهي على ساحل هذا البحر الى هرُموز ، وهي فرضة لكرمان مدينة غناء كثيرة النخل حارة جداً .

وتعرف بالتير وهي مساكن بين جبلين في شعب ممتد وصلتها سنة تسع وثلاثين وخمس مائة

١ ـ « وكان . . . غصباً » سورة الكهف (١٨) الآية ٧٨ .

وكان عميدها إذ ذاك محمد بن المرزبان من أهل شيراز الملقب بصاحب السيف والقلم . ولعمري إنه كان مستحقاً لهذا اللقب إذ كانت له أريحية خازمية ومروءة حاتمية واهلها ذوو مروءة ظاهرة ورياسة كاملة، وكان بها عدة من التجار ذوي اليسار، من جملتهم رجل يعرف بحسن بن العباس، له مراكب تسافر الى أقصى بلاد الهند والصين ومبلغ مضاربيه . . . وكان له غلمان زنوج يضربون على باب مسجده خمس نوب ، فنقل ذلك الى ملك كرمان وهو محمد بن ارسلان شاه فقال لو ضرب خمسين نوبه لما اعترضت له ، رجل يتحصل في خزائني من مراكبه في كل سنة نحو من مائة ألف دينار ، وانافسه في الريح الهابة ؟ عدنا الى الصفة والشرح .

ثم يسير عليه آخذاً شطه الى الدَّيبُل ، وهي مدينـة عامرة وبها مجمع التجارة ، وهي فرضة لبلد السند وبلد السند فهو المنصورة وأواضي الزُطّ والمعروفون بالبدهه متصلين بالملتان . ثم ينتهي الى ساحل بلدان الهند الى ان يتصل بساحل التُبَّت والى ساحل الصين ثم لا يسلك بعد ذلك .

٧ ــ وإذا أخذت من القلزم غربي هــذا البحر فإنه ينتهي الى برّية قفرة لا شيء فيها إلا ما قدمت ذكره من الجزائر والبجة في اعراض تلك البرّية ، وهم أصحابُ اخبيـةِ شعرٍ وألوانهم أشدّ سواداً من الحبشة في زيّ العرب ولا قُرى لهم ولا مدن ولا زرع إلا ما يُنقل اليهم من مدن الحبشة ومِصرَ والنُوبة . وينتهي في حدّهم ما بين الحبشة وارض مصر وارض النوبة معدن الزُمُرّد والذهب ، ويأخذ هذا المعــدن من قرب اسوان على ارض مصر نحو عشر مراحل، حتى ينتهي على البحر الى حصنٍ يُسمّى عيذاب ، وبه مجمعٌ لربيعة تجتمع اليه يُعرف بالعـلاقيّ في رمال وأرض مستوية ، وفي بعضها جبالٌ ما بينهـا وبين اسوان وأموالُ هذا المعدن تقع في مصر ، وهو معدن تِبر لا فضّة فيــه وهو بأيدي ربيعة وهم اهله خاصّةً .

٨ ــ وكانت البُجةُ أمّةً تعبد الأصنام بهذه الناحيـة وما استحسنوه الى سنة إحدى وثلاثين ، فإن عبدالله بن ابي سَرْح لمّا فتح مدينة أسوانَ وكانت مدينة أزليّة قديمة ، وكان عبرَ اليها من الحجـاز قهرَ جميعَ من كان بالصعيد ، وبها من فراعنة البُجة وغيرِهم . وأسلم اكثر البُجة إسلام تكليف ، وضبطوا بعضَ شرائط الاسلام وظاهروا بالشهادتـين ودانوا

ببعض الفرائض . وفيهم كرَمٌ وسماحةٌ في إطعام الطعـــام ، فسامحهم في الأخذ عليهم وهم بادية أغتام متوغّلون في الجبال والآجام في عـدد لا يُحاط به ، فجرت أحكامُهم على سُنن كانت لهم جاهليّة الى بعض احكام يستعملونها إسلامية ؛ وسآتي بما رأيتُه منهم معاينةً ومشاهدةً ونقلتُـه مفاوهةً ومشافهة .

٩ـ حدثني أبو المنيع كثير بن أحمد الجعدي الاسواني أن اسوان افتتحها عبد الله بن أبي سرح سنة إحــدى وثلاثين وافتتح هيف وهي المدينة التي تجاه اسوان عن غربي النيل وقد تدعى قرية الشقاف ؛ وافتتح ابلاق وهي مدينة في وسط ماء النيل على حجر ثابتة في وسط الماء منيعة كالجزيرة ، وبينها وبين اسوان ستة أميال وبحذائها على النيل من جهة المشرق مسجد الرُديني وقصر آليه ، وتحت المسجد بيعـة للنُوبة وهو آخر حد الاسلام واول حد النوبة . ولم يزل المسلمون مستظهرين على جميع من جاورهم هناك من النوبة والبجة الى سنة أربع ومائتين ، فإن البجة كانت تمتار من قفط ، وهي مدينةٌ تحاجز قوص وكان للبجة رئيسٌ يدخـــل الى قفط أيضاً رئيسٌ يُعرف بإبرهيم القفطي ، فخرج حاجّاً في جماعة من أهله يريد عينونا والعبر اليها من ناحية جزائر بني حمدان على طريق طلفه فتطرق بمُحا البِجاوي وجماعته التي صحبته على طريق الزيارة ، وكان بتلك الأرض في غاية الخبرة فاجتمعت البجة الى مُحا رئيسهم ، فقالت لا بد من قتل هـــذا المسلم لمعرفته بديارنا ومقارّنا ومظان مياهنا ، ولسنا نأمنه فدافعهم عن ذلك فغلبوه على رأيه واتفقوا على إتاهته فأتاهوه ، فمات عطشاً ومن كان معه . وكان له ولدٌ صغيرٌ فرقّ له بعض البجة فسرّبه بالحيلة الى ناحيـة اتفوا من الصعيد ، فأوصله أهلها الى قفط فأخبرهم بحال أبيه فأسروا ذلك ولم يُظهروه . واتى محا على عادتـه ليمتار في ثلاثين رجلاً من وجوه قومه فأنزلوهم في بعض بِيَعهم وأتوا عليهم أجمعين . واتصل ذلك بالبجة فساروا اليهم ، وقـد جلا بعض أهل قفط مغربين ففتحوها في احدى شهور سنة اربع ومائتين ، وسبوا منها سبـــع مائة نسمة ، وقتلوا منها خلقاً واسعاً . وكان بقفط حسنيٌّ له محل فقصـد البجة فرد

عليه بعض السبي ، وانحدر اهل قفطٍ الى مصر والسلطان ببعض شأنه مشغولٌ ، فأقاموا يرفعون بمصر سبع سنين . وكان بجوف مصر رجل يُعرف بحَكَم النابغي من قيس عيلان ، ثم من بني نصر بن معاوية ذو يسارٍ وخيرٍ وجهادٍ ، فقصدوه وشكَوا اليه فقال: تجيئُوني بكتاب القاضي وشيوخ البلد لأكفيكم . ففعلوا ذلك فسار معهم في سنة اثنتي عشرة ومائتين حتى ورد الى قفط في ألف رجلٍ من قومه : خمس مائة فارسٍ وخمس مائة راجلٍ . وغزا البُجَة فأقام ببلدهم ثلاث سنين يجوس ديارَهم ويسبيهم ، ومُناخُه بالمكان المعروف يومَنا هذا بماء حكَمٍ ، وهو عن مرحلةٍ من عَيذاب وعلى اربع مراحل من العلاقيّ . واسترجع السبيّ عن آخره وقفَلَ مُعاوداً الى اسوانَ ، فنزلها ثم انحدر فأقام بطَودٍ مدينةٍ كانت قريباً من قُوص وملكها ، ومات بها بعد استجارة العَلَويّ العُمَريّ بحَكَمٍ النابغيّ ، فستَرَهُ وطالبه به السلطان فحلف أيمان البَيعَة أنه لا يعرف له مكاناً حانثاً ، فخرج عن يمينه عن كل ما حَنِثَ فيه . ثم دارت الأيام وأتى هذا العَلَويُّ الى منزل حَكَمٍ فسلبهُ بطودٍ وقهرَه وشرّده عنه ، خلافاً لما عامله به من الإحسان اليه وأخبارُهما تطول . وعند فتح قفطٍ(١) .... ما بُنِيَ سُورُ اسوانَ وقوص في سنة اثنتي عشرة ، وأُعيدت الى ما كانت عليه قبل تخرّبها .

١٠ — ثم إن البُجه افتتحت انبُوا مدينةً من الصعيد كان بينها وبين أسوانَ مرحلةٌ سنة اثنتين وثلاثين ومائتين من المتوكّل ، وكان يلي أسوانَ وعينونا والحَوراء عُبيد بن جَهمٍ مولى المأمون ، وكانت انبُوا مُضافةً اليه فركب من عَينونا والحَوراء في جلاب ، فأرسى بأقاصي جزيرة مصرَ بمعسكره فأثخن في البُجة قتلًا وسبياً ، واستردّ ما سباه البُجةُ من انبُوا وعاد الى اسوانَ وعبر الى عينُونا . وكان في بعض اصحابه من عاين التبر وآثارَ العمل فيه للروم بالجزيرة ، عند أول دخولهم مع عُبيد

---

١ — في هذا المكان من نسخة الاصل جملة مفقودة يمكن ان تتم بهذا الشكل : « تخربت المدينة ، وبعد خروج البجة منها رجع اهلها وبنوا سور قفط مثل » .

ابن جَهمٍ مولى المأمون ، فنكصوا الى البلد من سَنَتِهم . وصادف ذلك دخولَ محمد بن يوسفَ الحسنيّ الأُخَيضِر اليامةَ ، وانقشاعَ أهلها من جَوره الى ارض مِصرَ والمعدن في آلافٍ كثيرة ، فغلبوا على من كان بها من أهل الحجاز لسنتهم وفورِهم ، وتكامل بالعلاقيّ قبائل ربيعة ومُضرَ وهم جميع اهل اليامة في سنة ثمان وثلاثين ومائتين . ووقع بين رجلٍ منهم ورجلٍ من البُجة شَحناء فسبّ البجاويُّ النبيَّ ﷺ ، فكتب بذلك الى المتوكّل فأنفذ رجلًا من ولدِ ابي موسى الأشعري يُعرف بمحمد القُمّي ، وكان في محبسه مطالباً بدمٍ لا وليّ له ، فأنجده بما طلبه من الرجال والسلاح وخيّره حين اطلقه فيما يحتاج اليه ، فاختار ألف رجل منهم خمس مائة فارس وخزانةً بعشرة آلاف دينار ، فقبضها بمصرَ وسار بها الى اسوان وأتى العلاقيّ فأخذ من ربيعةَ ومُضر واليمنِ ثلاثة آلاف رجل ، من كل بطن ألف رجل . فلقي ملك البُجة وكان اذ ذاك علي بابا وهو في مائتي ألف معهم ثمانون ألف نجيب . فلما التقى الجمعان وعاين ذلك المسلمون هالَهُم وعظُم عليهم ، فقال لهم القميّ : ما لنا من محيص فقاتلوا عن دمائكم وأحسابكم فإنكم حاصلون . وهمّ علي بابا بكبس المسلمين لوقته فحال بينه وبين ما اراد الليلُ ، فرمى القُميُّ حَسَكَ الحديد سوراً على عسكره ؟ وبقيّةُ هذا الحسكِ وهذه الخزانةِ بأسوانَ الى الآن ؛ وأنشأ القُميُّ كُتُباً في طوامير كتانٍ بالذهب وجعلها بخطٍ جليلٍ على الأسنّة ، ونادى عند طلوع الشمس ، هذه كُتب امير المؤمنين اليكم معاشرَ البُجة ؛ وهم صافّون . فلما رأت البجة ذلك استطرفته وتحلّلت من المصافّ وقصدَتهُ . وكان القُميّ قد حمل البنود على الفوالج والطبول ، فلما التفّت البُجة بالطوامير ضُربت الطبول الزنجيّة ، فاضطربت صفوفهم فحمل عليهم القُميّ وقد التفّت جمالهم وشردت ، فهلك بتلك الغِرّة عامتهم ووطئتهم الجمال ، فقَتلَ وأسر وسبى وأخذ علي بابا أسيراً . وكان قد قعد على رَبوَة وحلف ألاّ يزول او تنقلعَ الربوةُ ، فلما اسره القمي عاد به وبما معه من الغنيمة الى اسوان ، فباع ذلك وكان مبلغه خمسين ألف أوقية تبراً . وأنفذ الى يركى ملك النوبة فأتاه طائعاً ، فانحدر بالجميع الى بغداد في سنة

ثمان هذه المؤرخة . فأدخلهما الى السلطان فنودي عليهما ، فبلغ ملك البجة سبعة دنانير وملك النوبة تسعة ، فأجرى لكل واحدٍ منهما في كل يوم مثلَ ثمنه وعاد الى اسوان بعد موافقتهما على اداء الجزية . وأتى العلاقيّ وكان خلّف عليها أشهبَ ربيعة من بني عبيد بن ثعلبة الحنفي ، وهو جدّ أبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي يزيد بن بشر صاحب المحدثة ، وهي المدينة التي لربيعةَ محاذّةٌ لاسوان ؛ وأبو عبدالله هذا ابن عم ابي بكر إسحق بن بشَرٍ صاحب العلاقيّ ، وكان قد مسّ الناس بالجور فرُفع عليه الى القمي فقبض عليه ، فلم يجد لديه شيئاً وكانت مروءةُ أشهبَ تستغرق عائده ، فحبسه طويلًا ثم أطلقه . وقد أحفظ أشهبَ فعلُ القُميّ به وكان في جملة رجاله ، فعمل على قتله . وقيل للقُمي ذلك فقال : لأن يلقى الله بدمي أحبّ اليّ من ان ألقاه بدمه ؛ فقتله أشهب في سنة خمس واربعين ومائتين .

١١ — وزال مذ ذلك أمر السلطان بالعلاقيّ وهلك المتوكل ، وضبطت البجة أطرافها والإسلام في بعضها مريضٌ ، وبلادهم بين النيل والبحر ويصل اليهم التجار بالصوف والقطن والحيوان من الرقيق والابل ، فيكون غاية ما يقطعونه من بلدهم ويمكنهم التصرّف فيه نواحي قلعيب ، وهي مواضع ذوات مياه في أودية متصلة بجبل يعرف بملاحيب ، واكبر أوديته وادي بَركه . وبين قلعيب وبركه غياضٌ عاديةٌ ذوات أشجارٍ ، وربما كان دائرة الشجرة من اربعين ذراعاً الى خمسين ذراعاً وستين ذراعاً ، وأفنيتها مراتع الأفيلة والزرافات والسبُع والكركدنّ والنمر والفهد الى سائر الوحوش ، سائمةً راتعةً في غِيلها ومياهها وغياضها . ويتصل بجدّ ملاحيبَ من شقّه الشرقي وادٍ يُعرف بصيغيوات كثير الماء ايضاً والشجر والحُمُر والوحش . وبنواحي بركه بطون كديم وهي المعروفة بعجات من البُجة ، ويتصل بها مما يلي سواحل البحر الجاسّة بطون كثيرة في السهل والجبل . وكأنّ هذا الجبل آخذٌ بأوديته من نواحي البحر المالح الى دُكن ، وهي أرضٌ مزارع احوافٌ يجري اليها ماء النيل ، ويُزرَع عليها الذُرة والدُخْنَ اهل النُوبة ومن يحضر معهم من البجة . وفي شقّ بركه قبائل كثيرة تُعرف ببازين وباريه ، وهم أمم كثيرة قتالهم بالقسيّ والسهام المسمومة والحِراب بغير

درق . ومن رسم باديه قلعُ ثناياها وبجرُ آذانها ويسكنون في جبال وأودية ، ويقتنون البقر والشاء ويزرعون . والذي بين وادي بركه وجبالها المدعوّ ملاحيبَ راجعاً الى الاسلام قلعيب وانبوريت وجبال دَروريت ، ومياه متّصلة وبلدان عامرة لبيواتيكه من قبائل البَجة ، تزيد على الاحصاء ولا يُبلغُ عددها لتوغّلهم في اعماق الصحارى . وبركه تقارب جزيرة باضع وبينهما يومٌ وتكون نحو ثلاث مراحل مملوءة ببطون قعْصَة ، وهي أجلّ بطون البجة الداخلة وأكثرها مالاً وأعزّها . ومن دون هؤلاء الماتين المتصلون بدُهرا وسيتراب وغركاي ودُحنت الى الجبل المعروف بسمار ، وتحاذي سواكن بطون تُعرف برقابات وحَنديبا ، وهم خُفراء على الحدربيّة وخفارتهم لعبدك وهم تحت يده وعبدك خال ولد أبي بكرٍ إسحق بن بشرٍ صاحب العلاقيّ . وبعض هؤلاء القوم في خفارة كُوك خال ابي القاسم حسين بن عليّ بن بشر ، وعبدك وكوك رئيسا الحدارب أجمع ، وفيهم رئيسان : رئيسٌ لأهل كلّ بيتٍ ذمامٍ ، ورئيسٌ يسوسهم . فأما بطون الحدارب فمنهم العريتيكه والسوتباروا والحوتمه والعنكبيرا والنجريروا والجنيتيكه ، والواخيكه ، والحربيب بطنٌ واحدٌ . ويتفخّذ لهؤلاء القوم كلّ بطنٍ الى نحو مائة فخذ ، ولكل فخذ رئيسٌ او رئيسان وجميعهم منتجعون لا حاضرةَ لهم . وتكون بلادهم التي تمطر وتُزرع وينتجعونها بمواشيهم طولاً نحو شهرين مسيرةً ، والعرض من البحر الى النيل . ومشاتيهم على البحر المالح والسواحل ، ومصائفهم الاودية التي في وسط البلد ذوات مياهٍ مراعٍ تقوم بهم ، وخريفهم فيما قارب النيلَ مغرّبين عن بلادهم بديار قليلةِ الشجر كثيرةِ نباتِ الارض والغُدران . وطعامُهم اللحم واللبن خاصّةً ، وضُعفاؤهم يأكلون الوحش كالغزال والنعام والحمار ، وهم مسلمون بالاسم ومياسيرهم ، لا يرون أكلَ الصيد ولا مخالطة آكلِه ولا استعمالَ آنيةِ من استجاز ذلك واستحلّه ، ولا يحلبون فيها ولا يشربون . ولُغتُهم لغةٌ تعمّ البجة وجميعها أعجميةٌ ، ولبعضهم لغةٌ يتفرّد بها .

١٢ — وتتصل بلادُهم ببلاد النوبة والحبشة وهم نصارى ، وتقرب

ألوانهم من العرب بين السواد والبياض ، وهم مفترقون مجتمعون الى ان يحاذوا عدن ، وما كان من جلود النمور والجلود البقريّة الملمّعة، وأكثر جلود اليمن التي تُدبغُ للنعال فيقع من ناحيتهم الى عدن وعُدوة اليمن . والجميعُ اهل سِلمٍ وليست دارهم بدار حربٍ ، وعلى شط البحر بنواحيهم منهلٌ يقال له زيلع فُرضةٌ للعبور الى الحجاز واليمن . ثم يتصل ذلك بمفاوز النوبة والنوبة نصارى ايضاً ، وبلدهم اوسعُ من الحبشة في نواحيه وعماراتهم اكثر مما بالحبشة ، ويخترق نيل مِصرَ فيما بين مدنهم ونواحيهم وقراهم عامرةٌ خصبةٌ كثيرة التمر والزرع والخُضَر .

١٣ — ومن أعمر بلادهم نواحي علوه ، وهي ناحية لها قرىً متصلة وعمارات مشتبكة حتى أن السائر ليجتاز في المرحلة الواحدة بقرىً عدّة غير منقطعةِ الحدودِ ذوات مياه متصلة بسواق من النيل . وكان ملكهم وأنا بالناحية اسابيوس كرجوه بن جُوتي ، وقد خلا له في مُلكه سبع عشرة سنةً وتُوفّي فجلس ابن أُخته اسطابنوس بن يركي ، وهو مقيمٌ فيهم الى وقتنا . هذا ومن سُنّة جميع السودان اذا هلك الملك ان يقعدَ ابن أُخته ، دون كل قريبٍ وحميمٍ من ولد وأهل . وطول بلده من ناحية المقرّه الذي هو آخر مُلك دُنقله في طاعة العلوي الى بلد كُرسي آخذاً على النيل ، ومسافةُ ذلك بالطول شهرٌ واحدٌ وعرضُه من النيل الى تفلين، ويكون ذلك ثماني مراحلَ مشرّقة، وفي خلال ذلك النهر المعروف بسنسابي ويفرع الى النيل ، وأصله من ناحية الحبشة . والنهر المعروف بالدجْن يأتي من بلد الحبشة فينقطع في اعمال دجن ومزارعها، ودجن هذه قرىً متصلةٌ ذواتُ مياهٍ ومشاجرَ وزرعٍ وضرع . والى وسط هذا الوادي تفلين قرىً ايضاً للبادية منهم ينتجعونها للمراعي حينَ المطر . ولهم ملك مسلمٌ يتكلم بالعربية من قِبَل صاحب عَلْوَه ، ويختص اهل تفلين بالابل والبقر ولا زرع لهم . فيهم مسلمون كثيرون من غير ناحية على دينهم يتجرون ويسافرون الى مكّة وغيرها . ويجاور تفلين بازين أُممٌ مقيمةٌ في أخصاصٍ كالقرى لهم الماشية من البقر والزرع، ورياستهم بأيدي شيوخهم وليس فيهم إلا راجلٌ ، وسلاحهم الحراب والمُرّان ولا فارس

فيهم، وليس لأحدٍ عليهم طاعةٌ ولا دين لهم ولا هم متصلون بشريعةٍ غير الاقرار بالله وحدَه والتسليم له، واسمُه جلّ وعزّ عندهم أننه . ومن تفلين الى وادي بركه ثلاثة أيام، وقد تقدّم أن وادي بركه يجري من بلد الحبشة مجتازاً على بازين وآخذاً الى ناحية البُجة، وينصبُّ بين سواكن وباضع في البحر المالح . وفي اعالي بلد علوه نهرٌ يجري من المشرق يُعرف باورٍ، وعليه مرنكه قبيلٌ من النوبةِ، فينصبُّ في النيل ومن أعلاه عن يومين نهرُ اتمى، وعليه من النوبة المعروفين بكرسى أمّةٌ كثيرةٌ . ويتصلون ببلد الحبشة على هذا النهر، وهذه الأنهار كبارٌ غزارٌ تتصل بنهر سُوبَه الى بلد المقرّه، وهو بلد دُنقَله ويتصل بأسوانَ . وذكر قومٌ أنهم يجتازون في أعالي هذا النهر أعني النيل من اعالي بلد كرسى ببلد طبُلى، وهو منتهى مُلك عَلوَه على النيل فلا يخالطونهم ولا يتاجرونهم عراةٌ حاسرين، ولا يُعلم ما غِذاؤهم ولا كيفيةُ سيرتهم . وأهل كرسى اصحاب زفالٍ، وهو الجلد الذي يتّزرون به عرضاً ويستخرج طوله من تحت الأفخاذ، فيُغرز عند السُرّة فيما انعقد من الزفال . ومن غرب النيل نهرٌ يجري من ناحية المغرب كبير غزير الماء يُعرف بالنيل الابيض، وعليه قومٌ من النوبة . وبين النيل الابيض وعمود النيل المتقدّم ذكره ببلد عَلوه جزيرة لا يُعرف لها غايةٌ بها جميعُ الوحش ويسكنها النوبة والكرسى ومن لا يُقدَر لامتناع جانبه ان يحاطَ بمعرفته . ومن غربي هذا النيل الابيض أُمة يُعرفون بالجبليين في طاعة ملك دُنقله، هو ملك المُقرّه ومريسَ ومريسُ فهي من حدّ اسوان الى آخر بلد المقرّه . وبين عَلوه وبين الأمّة المعروفة بالجبليين مفازةٌ ذات رمالٍ الى بلد امقل، وهو ناحية كبيرة ذات قرىً لا تحصى وأُممٍ مختلفةٍ ولغاتٍ كثيرة متباينة لا يُحاط بها ولا تُبلغُ غايتهم، يُعرفون بالاحديين . وفيهم معادن الذهب الجيّد والتبر الخالص والحديد متصلين بالمغرب الى ما لا يُعرف منتهاه، زيُّهم زيّ المغاربة أربابُ جمالٍ وخيلٍ براذينَ غير تامةِ الخلق لقصرها وقرب لبودها، وسلاحهُم فيه درق كدرق المغاربة بيضٌ وحرابٌ وسيوفهم ايضاً غير تامّة . وفيهم جُندٌ يلبسون السراويلات المفتّحةَ

الطوالّ ، ونعالهم كنعال المغاربة وهم على النصرانيّة وهم في طاعة ملك علوه . وبينهم وبين ملك علوه خمس مراحل ثلاث منها مفازة . وملوك النوبة اثنان : ملك المَقرّه وهو ملك دُنقله ، وملك علوه وملك المقرّه تحت ملك علوه .

١٤ — وأما بلد الحبشة فملكتهم مرأة مذ سِنون كثيرة ، وهي القاتلة لملك الحبشة المعروف كان بالحضاني . وهي مقيمة الى يومنا هذا مستولية على بلدها وما جاورها من بلد الحضاني في دَبور بلد الحبشة ، وهو بلد عظيم لا غاية له ومفاوز وبراريّ يتعذر مسلكها .

١٥ — ثم ينتهي ذلك الى أرض الزنج مما يحاذي عدن ، وجميع بلد المقرّه في يد ملك دُنقله ، وبيد ملك علوه من معادن التبر الغزير الكثير ما ليس مثله في نواحي غيرهم من المواضع المشهورة باستخراجه ، وليس فيهم من يعرض له ولا يستخرجه خوفاً من أن يشتهر فيغلب الاسلام عليه . وهذه المعادن تمتد في بلد الزنج على البحر وفيما بَعُدَ منه الى أن تتجاوز حدود الاسلام ، وتحاذي بعض بلدان الهند . وقد ذكر قوم أن في أطراف الزنج صروداً فيها زنج بيض ، وقد قدّمت أن بلدهم قليل العمارة قشف تافه الزرع إلا ما اتّصل منه بمستقر الملك .

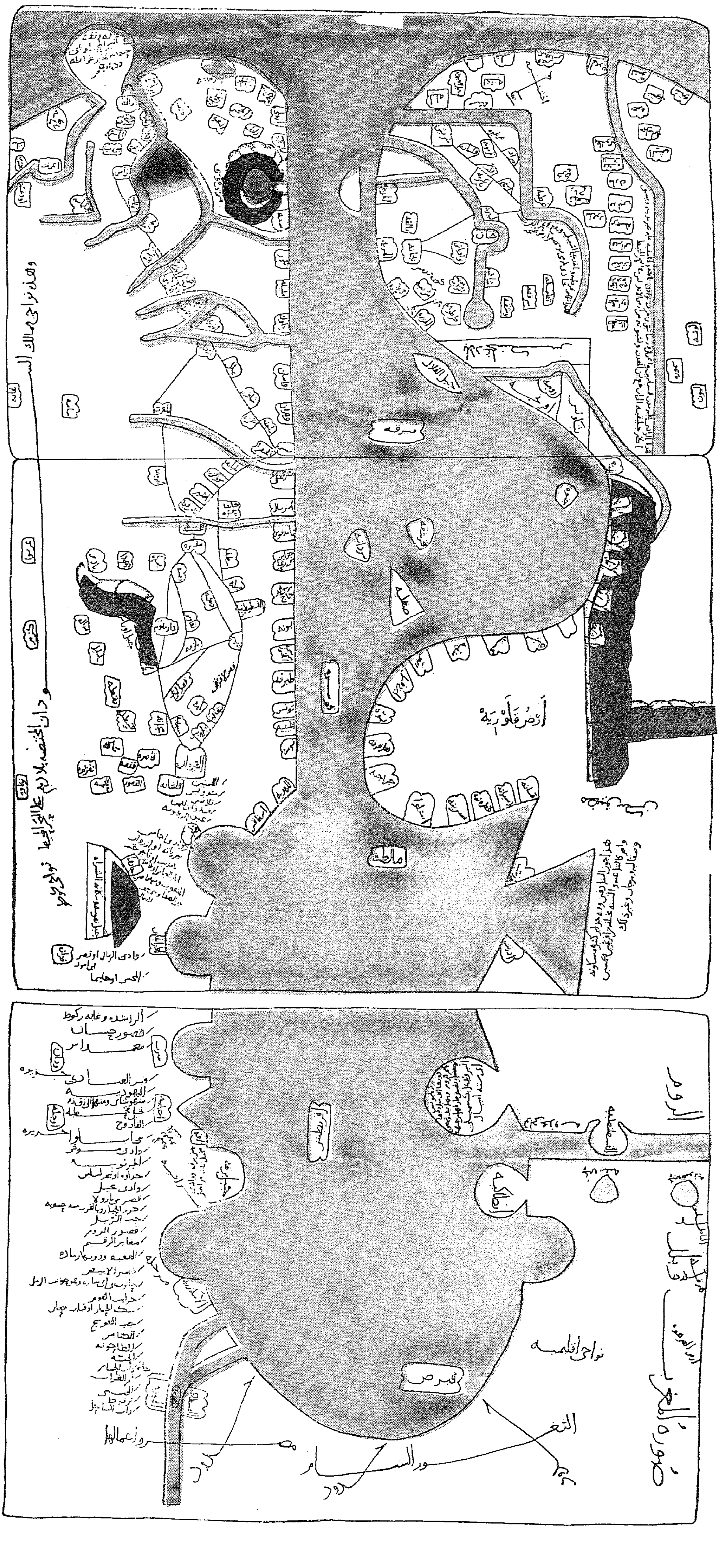
المغرب

١ ـ وأما المغرب فبعضه ممتدّ على بحر المغرب في غربيّه ولهذا البحر جانبان شرقي وغربي وهما جميعاً عامران .

٢ ـ وأما الغربي فمن مصر وبرقة الى افريقية وناحية تنس الى سبتة وطنجة ، فللعرب خاصة وازيلي وما في أضعاف هذا الاقليم ، وأما الشرقي فهو بلد الروم من حدود الثغور الشامية الى القسطنطينية الى نواحي رومية وقلورية والانكبردة والافرنجة وجليقية ، ثم باقي ذلك الى آخره للعرب في يد أصحاب الاندلس .

٣ ـ وقد صوّرتُ مدنه وذكرت اعماله وارتفاعها وما فيها من التجارات والمجالب الى ما سوى ذلك مما لجزيرة الاندلس على البحر ، وكنت جمعتها وبلد الروم ثم رأيت تفريقهما ووضع كل صورة منهما على حدة من صاحبتها ، وسآتي بحدودها بعده والذي يساير أرض الاندلس ويحاذيه من بلد الاسلام صقليّة ، وصقليّة تجاه اقليبية من أرض افريقية ثم تمتدّ أرض الاندلس على البحر .

٤ ـ وقد بدأت بذكر حدّه المحيط به من قَبوله ، وحده من مصر الاسكندرية على النيل وأرض الصعيد حتى يمضي على ظهر الواحات الى برية تنتهي الى أرض النوبة ، آخذاً الى البحر المحيط وممتداً الى حقيقة الغرب بنواحي أرض غانه وأرض اودغست ، ثم يستمرّ عاطفاً الى الشمال ماراً على بلاد برغواطه وماسه الى فوهة بحر الروم الذي يأخذ من البحر المحيط بين أرض طنجة وأرض الاندلس ، وراجعاً حده من



صورة المغرب
الروم
أرض قلورية
قبرص

أرض طنجه على البحر الى نواحي تنس ، والى تونس والمهدية من أرض افريقية مقبلًا على أرض طرابلس وبرقة الى الاسكندرية .

٥ – وازيلي يحاذي أرض الاندلس المذكورة المحاذية لبلد الروم وأرض صقليّة . ثم تمتد أرض الاندلس على البحر فتواجه من أرض المغرب تونس وهكذا الى طبرقة الى جزائر بني مزغنّان ، الى تنس الى وهران الى نكور الى سبتة ثم الى ازيلى .

٦ – ثم البحر المحيط الجنوب فيمرّ على ماسة ومغارب سجلماسة وظاهر السوس الاقصى ، ويمتد على ظواهر اودغشت وغانة وكوغة وقبول سامة وغربوا في بلد لا عدد لأهلها الى ان يصل الى البريّة التي لا تُسلك الى الحين . ويكون بين دبرته وبلاد الزنج براريّ عظيمة ورمال كانت في سالف الزمان مسلوكة ، وفيها الطريق من مصر الى غانة فتواترت الرياح على قوافلهم ومفردتهم ، فأهلكت غير قافلة وأتت على غير مفردةٍ . وقصدهم أيضاً العدّو فأهلكهم غير دفعة ، فانتقلوا عن ذلك الطريق وتركوه الى سجلماسة . وكانت القوافل تجتاز بالمغرب الى سجلماسة ، وسكنها أهل العراق وتجار البصرة والكوفة والبغداديّون الذين كانوا يقطعون ذلك الطريق ، فهم وأولادهم وتجاراتهم دائرة ومفردتهم دائمة وقوافلهم غير منقطعة الى أرباح عظيمة وفوائد جسيمة ونعم سابغة ، قلّما يدانيها التجار في بلاد الاسلام سعةَ حالٍ ، ولقد رأيت صكّاً كتب بدينٍ على محمّد بن أبي سعدون باودغشت ، وشهد عليه العدول باثنين وأربعين ألف دينار .

٧ – وأمّا الاندلس فهي جزيرة تتصل بالبرّ الأصغر من جهة جليقيه وافرنجه ، وهي في جملة المغرب ويحيط بها الخليج المذكور من مغربها والبحر المحيط من بعض شمالها وشرقها ، وحدُّها من نحو بلد جليقيه على كورة شنترين الى لشبونه الى اكشنبه ، والى نواحي جبل العيون وما لديه من النواحي الى جزيرة جبل طارق الى مالقه والى المريّه ، ثمّ الى بلاد مرسيه وبلنسيه الى نواحي طرطُوشه ، ثم يتصل ببلاد الكُفر مما يلي البحر بناحية افرنجه ، ومما يلي المغرب ببلاد غلجشكش وهم جيل من

الانكبرذه ثم الى بلاد بشكونس ، ثم بلاد الجلالقة حتى ينتهي الى البحر .

٨ — وقد صوّرتها بذاتها ورسمتُ فيها مواقع مياهها ومجاريها وأمكنة مدنها ومواقعها من شرقها وغربها وجنوبها وشمالها في جملة صورة المغرب . وابتدأت منها بصورة ما بين مصر الى القيروان والمهديّة ، وما في أضعاف ذلك ، وأتبعتها بباقي صورته من القيروان والمهديّة الى طنجة مما يحتاج الى رسمه وذكره ومثاله ، والى الله الرغبة في التوفيق لما جانس الحق ووافق الصدق ، وهو حسبي ونعم المعين .

٩ — وهذه صورة المغرب .

ايضاح ما يوجد في القسم الأول من صورة المغرب من الأسماء والنصوص :

قد رسم البحر في وسط الصورة ويوجد على ساحله الأسفل من المدن مبتدئاً من اليسار : سرت ، اجدابيه ، برقه ، ثم جبل برقه ثم مدينة الاسكندرية . ويقرأ من وراء جبل برقة بين برقه ووادي مخيل ثلاث مراحل وأسفل ذلك مراقيه وعن يسار الاسكندرية مرحله ، ويقابل سرت في اسفل الصورة في البر جزيرة ودان وعن يمين ذلك مقابلاً لأجدابية جزيرة اوجله . ويقرأ بين اجدابية وبرقة في البر المحمدية ، لغربو ، تاكست ، وفي داخل البر الأسفل يوجد جدول يشتمل على عدة من الاسماء ، وهي من اليسار الى اليمين : الراشده وغابه ركوط ، قصور حسان ، مغمداس ، قبر العبادي ، اليهودية ، منهوشاي ومنها الى زق زم ، نخيل قحطبه ، الفاروج ، بني ابلوا ، اوادي مسوش ، الجرنوبه ، جراوه او تيم ليلين ، وادي مخيل ، قصر بني تازولا ، كرم الجبار وبالقرب منه : حمويه ، جب الزبل ، قصور الروم ، مغائر الرقيم ، العقبه ودونها رماده ، قصر الابيض ، حانوت بني ابي ساره وهو حوانيت الرمل ، خرائب القوم ، سكه الحمار او قباب معان ، جب العوسج ، الكنائس ، الطاحونه ، الحنيه ، ذات الحمام ، فم الغراب ، الفتى ، ترنوط ، ذات الساحل .

ورسم عن يمين الاسكندرية فوهة نهر النيل وعليه دون تشعبه مدينة الفسطاط ، وتقابلها في الجانب الآخر الجيزه وبينهما الجزيرة ، ويقرأ في أعلى النيل وقاطعاً له حدود مصر واعمالها ، وأعلى ذلك حدود الشأم ، ثم حدود الثغور ، ثم عن يسار ذلك نواحي اقليميه ، ويلي ذلك عن يساره على البحر انطاليه ، ومن عند ذلك يأخذ خليج من البحر الى أعلى الصورة وبقرب هذا الخليج في البر عن يمينه بحيرة نيقيه ثم بحيرة نقموذيه ، وعن يمين هذه البحيرة عند طرف الصورة الأعلى يقرأ بلد الناطليق ، ثم بلد هرقله ثم أرض الصرهوه . وكُتب موازياً للطرف الأعلى من الصورة كله صورة المغرب وبلد الروم ، وفي البحر من الجزائر قبرص واقريطش .

وعلى وسط الخليج من الجانب الأيسر مدينة القسطنطينية ، ويقرأ أسفلها على الساحل نواحي

مجذونيه ، ثم اسفل ذلك في لسان البر المدوّر الخارج في البحر أرض بلبونس دورها الف ميل، وفيها امم للروم وبها نيف وسبعون حصناً ويضيق طرفهـــا من جهة البر ويدعا بكسميلي اي ستة اميال .

. . .

إيضاح ما يوجد في القسم الثاني من صورة المغرب من الأسماء والنصوص :

قد رُسم على ساحل البحر من أسفله من المــدن مبتدئاً عن اليمين : اطرابلس ، قابس ، اسفاقس ، المهديه ، سوسه ، اقليبيه ، تونس ، طبرقه ، مرسى الخرز ، بونه ، مرسى الدجاج ، جزائر بني مزغنــاي ، تامدفوس ، اشرشال ، برشك ، ومقابلا لاطرابلس في أسفل الصورة فزان ويقرأ بينهما وادي الرمـــال او قصر ابن اسود وعن يمين ذلك المحتنى او حليا . ورُسم عن يسار ذلك جبل يقرأ عنده جبل نفوسه وسكانه الشراه ويتصل بالجبل مدينتــا شروس وجادوا . ويقرأ بين جبل نفوسه ومدينة قابس مبتدئاً من اليسار : وادي اجاس ، بئر زناته او ازروار ، تامديت او تاجرجت ، آبار العباس او فاضلات ، المنقوب وبينهما صبره ، بئر الصفا وهي بئر الجالين ، وعن يسار قابس مبتدئـاً عن اليسار اللحمتين ، حدوبس ، فلانس ، فندق ابن لقمن ، عين الزيتونه .

ثم يلي ذلك من الجانب الأيسر في وسط البر مدينة القيروان وفي الساحة التي أسفل القيروان من المدن : قلشانه ، مجانه ، قاصره ، القصور ، قفصه ، الحمه ، نفزاوه ، سماطه ، قسطيليه ، نفطه ، تامليل ، مداله . ورسم عن يسار هــذه المدن جبل اوراس وعن يساره من المدن : بسكره ، تهوذا ، بادس . ويأخذ من القيروان طريق الى جبـــل اوراس . عليه مدينتا سبيبه وباغاي ، وطريق آخر هو أقرب من الساحل يأخذ على الاربس ، تيفاش ، قصر الافريقي ، تيجس ، القسطنطينية ، ميله ، مقره . ثم الى المسيله وهي على نهر ينصبّ في البحر عند اشرسال ، وبين ميله وهذا النهر مدينة سطيف ، وبين تيفاش وباغــاي مدينتا ابه وقصر الزيت . ويأخذ من باغاي طريق الى مقره عليه دار ملول وطبنه وطريق آخر الى طبنه عليه بلزمه ونقاوس ، وعلى الطريق الآخذ من تيجس الى مقره مدينة دكه ، ويأخذ من المسيله من جانب النهر المقابل طريق الى اليسار عليه ابن مامه وطريق آخر يميل الى الأعلى عليه تامزكيدا ، اشير ، سوق كران ، مليانه . وبين سوق كران والنهر مدينة حائط حمزه على الطريق الآخذ الى سطيف ، ويقرأ موازياً للطرف الأسفل من الصورة : وهــذه نواحي السودان المختصة بلادهم على البحر المحيط ، وبين هذا النص والطرف : غريوا ، كزم ، زغاوه ، ثم بين جبل نفوسه والطرف نواحي كوكو .

وفي البحر رُسم من الجزائر : مالطه ، قوسره ، صقليه ، سردانيـه ، قرشقه ، وفي قسمه الأعلى جنوه .

وتخرج قطعة مدوّرة الشكل من البرّ الأعلى الى البحر يُقرأ في داخلها ارض قلوريه ، وعلى ساحلها من المدن مبتدئاً من اليمين : قسانه ، رسيانه ، قطرونيه ، سبرينه ، استلوا ، جراجيه ،

قسطرقوقه ، بوّه ، ابن ذقتل ، ريو ، منتيه ، كسشه ، مسنيان ثم مدينة لا اسم فيها وفوق هذه المدينة في الجبل شاورى ثم عن يسار ذلك في الجبال وعلى الساحل : ملف ، نابل ، غيطه ، بيش ، قرره ، وعن يمين أرض قلوريه رُسم خليج مثلث الشكل يدخل في البر ، وعلى طرفيه مدينتا بذرنت واذرنت ، ويقرأ عند ساحل هذا الخليج في البرّ هذا جون البنادقين ، وفيه جزائر كثيرة مسكونة وأمم كالشاغرة وألسنة مختلفة من افرنجيين ونمتين وصقالبة وبرجان وغير ذلك ، وعن يسار هذا النصّ بينه وبين الجبال مضيق سكن .

. . .

إيضاح ما يوجد من الأسماء والنصوص في القسم الثالث من صورة المغرب :

يوجد على ساحل البر الأسفل من المدن ابتداء عن اليمين : تنس ، وهران ، واسلن ، ارجكوك ، مليله ، نكور ، سبته ، طنجه وبينهما مرسى موسى ، ثم ازيلي ، ومن وراء ازيلي في البرّ زلول ، جرمانه ، الحجر ، تاوارت ، البصره ، الاقلام ، وعن يسارها بحيرة ريغه ثم أسفل ذلك كرت . وعند رباط على البحر مصبّ نهر وعلى ذلك النهر تجاه رباط : سله ثم مليله ، حجنه ، دخله ، فاس وتجاهها فاس مرّة ثانية . ومن وراء هذه المدن في البر : بني سدال ، الحبش ، بني رجيك . وعن يسار سله تخرج قطعة من البرّ الى البحر يُقرأ فيها : هذه زنقة في البحر المحيط وهي حومة بلد برغواطه وديارهم . وأسفل هذه الزنقة مصب نهر وبين هذا النهر والساحل من المدن رباط ماسه وتامدلت ، وعلى النهر اغمات والسوس ، ومن وراء النهر مقابل السوس اودغست ، ثم فوق ذلك سجلماسة في عطف نهر آخر . ويأخذ من فاس طريق الى تنس على البحر وعليه من المدن : نمالته ، كرانطه وهما على نهر فاس كرماطه ، مزاوروا ، تابريدا ، صاع ، جراوه ، تنمسان ، ترفانه ، افكان . وفي الجانب الآخر من نهرها افكان مرّة ثانية ثم : يلل ، شلف ، غزه ، تاجنا . واسفل تنس على طرف الصورة الخضرا وهي على نهر يأتي من الاسفل وعند مبتدأ هذا النهر تاهرت ، واسفل ذلك في البرّ سامة ثم اسفل ذلك عند طرف الصورة غانه ، وكُتب موازياً لهذا الطرف هذه نواحي ممالك السر وتمام هذا النصّ في القسم الثاني من صورة المغرب كما مضى في إيضاحه ، وفي البحر شُكّلت جزيرتا ميرقه وجبل القلال .

وأما البرّ الأعلى فيقرأ في قسمه الايمن عند البحر : بشكونس ، افرنجه ، روميه ، بلاد غلجشكش . وعن يسار ذلك على ساحل البحر : الجزيرة ، بلنسيه ، قرطاجنه ، المريه ، الجزيرة ومن وراء هذه المدن في البرّ : طرطوشه ، مرسيه ، كورة تدمير ، مدينة التراب ، بجانه ، مالقه ، وادياش ، وجيان في عطف نهر . ورسم وراء هذا النهر نهر آخر يُقرأ عنده : هذا نهر قرطبه ، ويأخذ على اشبيليه ويقع في بحر الغرب محاذى لمرسى موسى من ارض طنجه ومدينة قرطبه من جانب النهر المقابل في عطفه ، وبين هذين النهرين من المدن ابتداء عن اليمين : تطيله ، سرقصه ، وشقه ، وشاطبه ولبيره على النهر الاول ، ثم عن يسار ذلك : استجه ،

تاكرنه ، قلـّب ، قلسانه ، شريش ، قرمونه ، مراد ، غرغيره ، وبين آخر نهر قرطبه والبحر يقرأ : اقليم اخشنبه وفيه من المدن على البحر لب ، شلب ، قصر بني ورداسن ووراء ذلك في البر لبله ، جبل العيون ، اخشنبه ثم اشبيليه على النهر . وفي اعلى الصورة نهر ثالث ينصبّ في البحر ويقرأ عنده : هذا الوادي عليه مدن للمسلمين وأعمال ورساتيق . ويعرف بوادي تاجو والجليقيه عليه غير مدينة ويشقّ أكثر جليقيه الى ان يقع بين المعـدن ولشبونه من ارض الاندلس في البحر المحيط . وعند مصبّ هذا النهر مدينة المعدن ، وبين هذا النهر ونهر قرطبه من المدن : طليطله ، طلب ايره ، مخاضه البلاط ، مكناسه ، قصراش ، ترجيله ، مدلين ، مارده ، قنطرة السيف ، بطليوس . ثم أسفل ذلك : ملقون ، قلعـة رباح ، كركويه . وبين نهر تاجه وطرف الصورة على البحر لشبونه وشنتره ووراء ذلك في البرّ : شنترين ، بيزه ، جل مانيه ، البش . وفي القسم الايمن من الصورة يونه ، سموره ، ليون .

فهذه صورة المغرب ومكان كلّ عمل ومدينة منها وموقعها من شمالها وجنوبها وشرقها وغربها ، حسب ما أدت الاستطاعة اليه ووقفتُ بالمشاهدة والخبر الصحيح بالمفاوهة عليه .

١٠ — فأما بَرقَـة فمدينة وسطة ليست بالكبيرة الفخمة ولا بالصغيرة الزريّة ، ولها كور عامرة وغامرة وهي في بقعة فسيحة تكون مسيرتها يوماً وكسراً في مثله ويحيط بالبقعة جبل من سائر جهاتها ، وأرضها حمراء خلوقيّة التربة وثياب أهلها أبداً محمرّةٌ ، ويُعرف أهلها بالفُسطاط من بين أهـل المغرب بحمرة ثيابهم وتغيّرهم ، ويطوف بها من كل جانب منها بادية يسكنها الطوائف من البربر وهي بريّة بحريّة جبليّة ؛ ووجوه أموالها جمّة وهي أوّل منبر ينزله القادم من مصر الى القيروان ، وبها من التجار وكثرة الغرباء في كل وقت ما لا ينقطع طلاّباً لما فيها من التجارة ، وعابرين عليها مُغرّبين ومُشرّقين وذلك أنهـا تنفرّد في التجارة بالقطران الذي ليس في كثير من النواحي كهو ، والجلود المجلوبة للدباغ بمصر والتمور الواصلة اليها من جزيرة اوجله ، ولهـا أسواق حادّة حارّة من بيوع الصوف والفُلفل والعسل والشمع والزيت وضروب المتاجر الصادرة من المشرق والواردة من المغرب . وشرب أهلها من ماء المطر بمواجن يدّخر بهـا ، وأسعارها بأكثر الأوقات فائضة بالرخص في جميع الأغذية .

١١ — واليها مدينة اجدابيه على صحصاح من حجر في مستواه ، بناؤها

بالطين والآجرّ وبعضها بالحجارة ، ولها جامع نظيف . ويطيف بها من احياء البربر خلق كثير ، ولها زرع بالبَخس وليس بها ولا ببرقة ماء جارٍ ، وبها نخيل حسب كفايتهم وبمقدار حاجتهم ، وواليها القائم بما عليها من وجوه الأموال وصدقات بربرها وخراج زروعهم وتعشير ُخضَرهم وبساتينهم هو أميرها ، وصاحب صلاتها وله من وراء ما يقبضه للسلطان لوازم على القوافل الصادرة والواردة من بلاد السودان . وهي أيضاً قريبة من البحر المغربيّ فترد عليها المراكب بالمتاع والجهاز وتصدر عنها بضروب من التجارة . وأكثر ما يخرج منها الاكسية المقاربة وشُقّة الصوف القريبة الأمر وشِرب أهلها من ماء السماء .

١٢ – وجزيرة اوجله منها على ايام بين غربها وجنوبها ، وهي ناحية ذات نخيل عظيمة وغلاّت من التمر جسيمة . ويليها وقتنا هذا رجلٌ من ناحية صاحب برقة ، ولم يكن ارتفاعها وما لها الداخل على خزانة السلطان في جملة مال برقة . فلمّا ُضمّت الى برقة غزُر مالها وكَثُر وزادت الحال في ذلك . ومنها الى جزيرة ودّان طريق قصد في الرمال وودّان ناحية ومدينة في جنوب مدينة ُسرت وكانت مضمومة اليها وهي جزيرة لا تقصر في رخص التمور وكثرتها وجودتها عن اوجله ، وإن كانت اوجله أوسع قُسوباً وأفسح ناحيةً ، فتمور ودّانَ الرطبة العذبة وأرطابهم أغزر وأكثر .

١٣ – وسُرْت مدينة ذات سور صالح كالمنيع من طين وطابية وبها قبائل من البربر ، ولهم مزارع في نفس البرّ ُتقصد نواحيها اذا ُمطِرت وتُنتجع مراعيها . ولها من وجوه الأموال والغلاّت والصدقات في سائمة الإبل والغنم ما يزيد على حال اجدابيه ومالها في وقتنا هذا ، وبها نخيل تُجتنى أرطابها وليس بها من القسب والتمر ما ُتذكَرُ حاله لأنّ نخيلهم بقدر كفايتهم . ولهم أعناب وفواكه وأسعارهم صالحة على مرّ الأوقات . والمتَّلي صدقاتهم وجباياتهم وخراجاتهم وما يجب على القوافل المجتازة بهم صاحب صلاتهم . واليه جميع مجاري امر البلد والنظر فيه وفيما ورد اليه وصدر في استيفاء ضرائبه ولوازمه ، واعتبار السجلاّت والمناشير بمواجب

ما على الامتعة وتصفحها خوفَ الحيلة الواقعة دون الأداء عنه بأفريقية ؛ ودَخلُها اوفر من دخل اجدابيه لما ذكرتُ . وهي عن غلوة سهمٍ عن البحر في مستواة من رمل ، وترد المراكب ايضاً عليها بالمتاع وتصدر عنها بشيء منه كالشبّ السُرتيّ ، فإنه بهـا غزير كثير وبالصوف ايضاً ولحوم المعز أغذى فيها من الضأن وأنفعُ ، وتقوم لحوم الضأن فيها مقام لحم المعز بغيرها لأنها غير ملائمة لأهلها وللسافرة المجتازين من اجل مراعيها . وشِرب اهلها من ماء المطر المختزن في المواجل . وعدد البربر بها أوفر وأغزر وأكثر منه بما جاورها . وللبربر حاضرة بنفس قصبة سُرت وبينهم خلافٌ على مرّ الأوقات وحروب ربما ثارت في بعض الاحايين قريبة ولا تدوم ، وعاملُهم قائم بنفسه من تحت يد سلطانهم الأعظم .

١٤ — فأما اطرابُلس فكانت قديماً من عمـل افريقية . وسمعتُ من يذكر ان عمل افريقية لمّا كانت اطرابلس مضافة اليها معروفٌ معلوم وكان من صبره وهي منزل من اطرابلس على يوم ، وبه ضريبة على القوافل وقتنا هذا ، ولم اعرفها قديماً ولا سمعتُ بها على الخارج من اطرابلس الى القيروان وعلى القادم من القيروان الى اطرابلس غير ما يقبضه المتولّي عمل اطرابلس من كل جملٍ ومحملٍ وحِملٍ ، وذلك كالذي بلبدَه وهي ايضاً قرية بينها وبين اطرابلس الى جهة المشرق مرحلتان من الضريبة على الجمال والاحمال والمحامل والبغال والرقيق والغنم والحمير ، الى ما عدا ذلك من الاسباب الواردة وأخذ الصدقات والخراج واللوازم من ناحية قصري ابن كمو وابن مظكود والبربر المقيمين هنالك من هُوارة وغيرهم اليه . وهي مدينة بيضاء من الصخر الابيض على ساحل البحر خصبة حصينة كبيرة ذات ربض صالحة الأسواق ، وكان لها في ربضها اسواق كبيرة فنقل السلطانُ بعضَها الى داخل السور ، وهي ناحية واسعة الكور كثيرة الضياع والبادية ، وارتفاعُها دون ارتفاع برقة في وقتنا هذا . وبها من الفواكه الطيّبة اللذيذة الجيّدة القليلة الشبه بالمغرب وغيره : كالخَوخ الفرسك والكُمَّثرَى اللذين لا شِبه لهما بمكان ، وبها الجهاز الكثير من الصوف المرتفع وطِيقان الأكسية الفاخرة الزرق ، والكُحل النفوسيّة

والسُود والبيض الثمينة الى مراكب تحطّ ليلًا ونهاراً ، وترد بالتجارة على مرّ الاوقات والساعات صباحاً ومساءً من بلد الروم وأرض المغرب بضروب الامتعة والمطاعم . وأهلُها قومٌ مرموقون من بين من جاورهم بنظافة الأعراض والثياب والاحوال، متميّزون بالتجمّل في اللباس وحسن الصور والقصد في المعاش ، الى مروآتٍ ظاهرة وعِشرة حسنة ورحمة مستفاضة ونيّات جميلة ، الى مراءٍ لا يفتر وعقول مستوية وصحّة نيّةٍ ومعاملة محمودة ومذهبٍ في طاعة السلطان سديد ، ورباطاتٍ كثيرة ومحبّةٍ للغريب اثيرة ذائعة . ولهم في الخير مذهبٌ من طريق العصبيّة لا يدانيهم اهل بلد ، اذا وردت المراكب ميناهم عرضت لهم دائماً الريح البحرية فيشتد الموج لانكشافه ويصعب الإرساء ، فيبادر أهلُ البلد بقواربهم ومراسيهم وحبالهم متطوّعين ، فيقيِّد المركبُ ويُرسى به في اسرع وقت بغير كُلفة لأحد ولا غرامةٍ حبّةٍ ولا جزاء بمثقال .

١٥ — وقابس مدينة منها على ستّ مراحل الى جهة القيروان وجادّة الطريق ، ذاتُ مياه جارية وأشجار متهدّلة وفواكه رخيصة ، وبها من البربر الكثير ولهم من الزروع والضياع ما ليس مثله لمن جاورهم ، الى زيتون وزيت وغلاّت . وعليها سور يحيط به خندق ولها أسواق في ربضها وجهاز من الصوف كثير ، ويُعمل بها الحرير الكثير الغزير ، وبها جلود تُدبغ بالقَرَظ وتعمّ اكثر المغرب فتأتي من طيب الرائحة ونعمة اللمس بمثل حال الاديم الجُرَشي . وبها صدقات وزكوات وضرائب وجوال على اليهود وسائمة كثيرة . ولها عامل بنفسه وهي خصبة في اكثر اوقاتها وأهلُها قليلو الدماثة غير محظوظين من الجَمال والنظافة وفيهم سلامة . وفي باديتهم شرٌ شِمِرٌ ودِينٌ قَذِرٌ وذلك انهم لا يخلون من الشراية والقول بالوعد والوعيد مع الغيلة لبني السبيل والاعتراض على اموالهم في الكثير والقليل ، والويل لمن نام بينهم والحرب على من جاورهم واستجار بهم مخالفين اكثرَ ايامهم لسلطانهم ، مواربين في الحقوق عليهم . ولم تزل هذه العادة بهم الى ان سار منهم الكثير الى قابس فأحرقوا ربضها وحاصروها واستباحوا اموال تجّارها وأهلِ الذمّة منها ، وأمكن الله تعالى منهم

فأهلك جميع من رصدها ثم سار عليهم زعيم صنهاجة فجعل عشرة منهم في كساء .

١٦ — ومدينة سُفاقس مدينة جُلّ غلاّتها الزيتون والزيت ، وبها منه ما ليس بغيرها مثله ، وكان سِعرُه عندهم فيما سلف من الزمان بحال غيّرته الفتن في وقتنا هذا ربما بلغ من ستين قفيزاً بدينار الى مائة قفيز بدينار، على حسب السنة وريعها . وزيتُ مصر في وقتنا هذا فمن ناحيتها يُجلب لقلّته بالشأم . وهي ناحية على نحر البحر ولها مرسى ميّت الماء وعليها سور من حجاره وأبواب حديد منيعة ، وفيها محارس مبنيّة للرباط بها وأسواقها عامرة وهي قليلة الكروم . وفاكهتها من قابس تسدّ حاجة اهلها وشِربُ اهلها من مواجل بها ومواجنها صالحة الطعوم حافظة لما استودِعت . ولهم من صيود السمك ما يكثر ويعظم ، تصاد بحظائر قد زُرِبت وعُملت في الماء فتؤخذ بأيسر سعي . وبناؤها بالحجارة والجير وبينها وبين المهديّة مرحلتان ، ولها عامل عليها للسلطان بذاته .

١٧ — والمهديّة مدينة صغيرة استحدثها المهدي القائم بالمغرب وسمّاها بهذا الاسم وهي في نحر البحر، وتحوّل اليها من رقّادة القيروان في سنة ثمان وثلاثمائة وهي من القيروان في مرحلتين ، فرضة لما والاها من البلاد كثيرة التجارة حسنة السور والعمارة منيعة ، ولها سور من حجارة وله بابان ليس لهما فيما رأيتُه من الارض شبيهٌ ولا نظيرٌ غير البابين اللذين على سور الرافقة ، وعلى مثالهما عُمَلا ، ومثل شكلهما اتخِذا ، كثيرة القصور نظيفة المنازل والدور ، حسنة الحمّامات والخانات خصبة رفهة الفواكه والغلاّت، طيّبة الداخل نزهة الخارج بهيّة المنظر، أدركتُها سنة ستّ وثلاثين وملوكها كماة وجيوشها حُماة وتجارها طُراة، وقد اختلّت أحوالها والتاثت أعمالها وانتقل عنها رجالها ، بانتقال ملوكها عنها وبُعدِهم منها . وكان اول نحسٍ أظلّها أبو يزيد مَخلد بن كيداد، وخروجه بالمغرب على أهلها وانثالت المناحس عليها الى الآن وقد بقي بها بعض رمقٍ .

١٨ — وانتقل عنها رجالها بانتقال المنصور عليه السلام عنها وبُعده عنها وسكناه المنصوريّة من ظهر القيروان ، وذلك لما دهمه من ابي يزيد

مخلد بن كيداد وقصده المخالفة عليه ، واطّراد ما اطّرد له عند خروجه بالمغرب في احزاب الكفر والنفاق والاباضيّة والنكاريّة المرّاق ، فإنه صارت به الحال عند نجومه لما سبق به القدر وتقدّم به القضاء ، الى ان استولى على المغرب بأجمعه وحاصر المهديّة وضيّق على اهلها وموالينا عليهم السلام ، حتى اذن الله تعالى ببواره وهو في غاية الثقة بأنصاره والسرور باغتراره ، فخانه فجوره وأسلمه سروره وخرج اليه مولانا امير المؤمنين المنصور بالله ﷺ ، في فئة شعارها الايمان وعادتها من الله الظفر والاحسان ، وعدوّ الله في عدد لا يُحصى وأمّة أذن الله فيها بالفنى ..... يمرّ مرًّا كرجع الطرف ابطؤوه في قبض انفسهم والنصر منتظم ، فزحزحهم عن مستقرّهم وصياصيهم وبذل السيف في نواصيهم ، وانهزم اللعين وقد عاين الموت وشارف الفوت ، يطلب من الارض معاذاً وفيها من سوء ما اقترفه لواذاً ، فمنّاه اهل القيروان الغرور وأنزلوه كالمقهور ، وقد وصل اليهم في مرحلة واحدة فمنّوه الأباطيل وزخرفوا له الأقاويل ، فأقام ووصل المنصور أمير المؤمنين صلوات الله عليه فنزل عن غربي القيروان في منزل نزله بالسعادة ، وعلت فيه طير النصر والسلامة . فتيمّن بنزوله وتبرّك بحلوله فأنجزه الله ما وعده وبلّغه ما امّله ، فهزم ابا يزيد عن مكانه وأمكن الله من حزبه وأعوانه ، فمنّ على اهل القيروان بالعفو والغفران ، واتّبع أبا يزيد فكان بينهما ما يطول شرحه ويتفاقم إنباؤه الى أن اخذه ورجع الى العسكر المنصور والمكان المذكور ، فاختطّ به احسن بلد في اسرع أمد ، وانتقل اليه واستوطنه وأقام به واستحسنه ، صلوات الله عليه يوم الثلثاء لليلة بقيت من شوّال سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة .

١٩ — وأما سُوسه فمدينة بين الجزيرة والمهديّة طيّبة رفهة خصبة على نحر البحر ، ولها سور حصين وماؤها معين ، وبها مواجن قليلة وأعمال صالحة نبيلة ، وفي اهلها دَهقَنة والغالب عليهم السلامة . وهي إحدى فُرَض البحر ولها أسواق حسنة وفنادق وحمّامات طيّبة ، وهي من القيروان على مرحلة وكانت لها ضياع جمّة ووجوه من الجباية غزيرة ، وغلاّت واسعة ورباطات كثيرة . وبين المهديّة وسوسه رباط يسكنه أمّة من

الناس على مرّ الأيام والساعات ، يُعرف بالمنستير ويقصده اهل افريقيــة لوقت من السنة فيقيمون به أياماً معلومةً ، ويحضر بفاخر الاطعمة ونفيس المآكل ويقيم جمعهم به مدّةً ثم يتفرّقون الى اوطانهم وهو على نحر البحر . وبينه وبين المهديّة ايضاً قصر ورباط يُعرف بشقانص دونه عندهم في المنزلة وهو حصين منيع ، وبه ايضاً أمة مقيمة على صيد السمك ، وهما قصران عظيمان على حافة البحر للرباط والعبادة عليهما اوقاف كثيرة بأفريقيّة والصدقات تأتيهما من كل أرض .

٢٠ — والجزيرة إقليم له مدينة تعرف بمنزل باشوا واسعة العمــل خصبة ، أوسع من سوسه على سلطانها دخلاً وأكثر منها جباية وأهلاً . ولها كورة تضاف اليها وغير غلّة يعوّل التجّار عليها . وبها في غير موضع وخم ظاهر الثقل في مياهها ولا يدخلها غريب إلاّ مرض ، وإذا دخلها السودان صلحوا به وصلحت نفوسهم وطابت بالخدمة قلوبهم وجميع الفواكه بها . ولباشوا هذه أسواق في كل شهر تحضر لايامٍ معروفةٍ .

٢١ — واليها مدينة تونس وهي قديمة أزلية ذات مياه جارية قليلة والانتفاع بها كثير والعائدة الى أربابها صالحة ، وهي خصبة في ذاتها . متّسع بغلاّتها ويعمل بها غضار حسن الصباغ وخزف حسن كالعراقيّ المجلوب . وكان اسمها في قديم الزمان ترشيش ، فلما أحدث فيها المسلمون البنيان واستحدثوا البساتين والحيطان سميت تونس ، وهي مصاقبة لقرطاجنة المشهور أمرها بالطيب وكثرة الفواكه وحسنها وجودة الثمار وصحة الهواء واتّساع الغلاّت ، ومن غلاّتها القطن ويحمل الى القيروان فيظهر الانتفاع به ، وكذلك القِنّب والكَرَوْيا والعُصْفُر والعسل والسمن والحبوب والزيت وكثير من الماشية مختصة بها .

٢٢ — وسطفُورَه إقليم أيضاً على البحر جليل له ثلاث مدائن فاقربهن الى تونس انبلُونه ثمّ متيجه ثمّ بنزرت ، وبنزرت مدينة على البحر خصبة أَصغر من سوسه في ذاتها ، وعامل المعونة ينزل من أعمالها في بنزرت ، فيها ثمار كثيرة . وأنهار سطفوره واسعة غزيرة والارتفاع بها والجَدَى على السلطان قليل ، والحيتان بها وبتونس ما يزيد على الكثرة ولا يدانيه ما

باطرابلس من الرخص والسعة . ولها وادٍ عجيب يخرج فيه في كل شهر نوع من السمك ، واذا اهلّ الهلال لا تجد من ذلك النوع واحدة ويظهر غيره . وأهل هذا الاقليم جلد وناسه ذوو بأس في البرّ والبحر ، صُبُر على الشقاء والكدّ مع قلّة الخَوَر والضَجَر ، وإن كان بلدهم في هذا الوقت قد خلا وجلا .

٢٣ – وطَبَرقه قرية وهي عُدوة لأهل الاندلس ، اليها ينتهون ومنها الى الاندلس يركبون . وهي قرية وبئة ، وبها عقارب قاتلة نحو عقارب عسكر مكرم في وحاء القتل وسرعته ، ومضاء المِيتة وقربها . ومن اراد طبرقه من تونس على الجادّة اجتاز على مدينة باجـــه ، وهي مدينة قديمة أزليّة كثيرة القمح والشعير ، ولها من الغلاّت والزروع ما ليس بجميع المغرب كهو عندها كثرةً وجودةً ونقاءً الى جوهرٍ في نفس حبوبها . وهي صحيحة الهواء كثيرة الرخاء واسعة الفضاء غزيرة الدخل على السلطان ، وافرة الارباح على تجّارها والمزارعين بها . وطبرقـه المذكورة مع صغر مقدارها وتفه منزلتها ، فإنما اشتهرت لكثرة وورود المراكب بالاندلسيين والتجّار عليها ونزولهم فيها وتعشيرهم كان في سالف الزمان بها . وهي تجاه اوائل الاندلس من المكان الذي هي به وتحاذي ايضاً بعض بلاد افرنجه .

٢٤ – وعلى الساحل منها بهذا النحر على نحو مرحلة مرسى الخَرَز وفيه معدن المرجان . ومرسى الخرز ايضاً قرية غير أنها نبيلة لمكان المرجان وحضور من يحضرها من التجّار ، ولا اعرف في شيء من البحار له نظيراً في الجودة ، ولا يوجد المرجان في مكان غير هـذه القرية المدعوّة بمرسى الخرز ومدينة تنس وبمدينة سبته المحاذية من الاندلس لمدينة جبل طارق ، وهي المعروفة بالجزيرة الخضراء ، والذي بها من المرجـــان قليل الجوهر حقير المقدار في جنب ما يخرج من مرسى الخرز . ولسلطان المغرب بهـا أُمناء على ما يخرج منه ، وناظر يلي صلاتها ومعاونهـا وما يلزم ما يخرج من هذا المعدن . وللتجّار بها اموال كثيرة من اقطـار النواحي عند سماسرة وقوف لبيع المرجان وشراه . ويُعمل بها في اكثر الأوقات في

إثارة المرجان الخمسون قارباً ، وما زاد على ذلك بما في القارب العشرون رجلًا الى ما زاد ونقص . والمرجان نبت ينبت كالشجر في الماء ثم يستحجر في نفس الماء بين جبلين عظيمين ، والعاملون فيها يُكثرون الأكل والشُرب والخلاعة ، ولهم بها مكاسب وافرة وينتبذون نبيذ العسل فيشربونه من يومه ويُسكرهم الاسكارَ العظيم ، ويعمل من الصُداع ما لا يعمله نبيذ الذُرة وغيره من الاشربة . وهي ناحية قليلة الزرع يُجلب اليها ما يقوتها مما يجاورها من فاكهة وغيرها ، وفيها من صيود السمك ما لم أر ببلد مثله سِمَناً وربما منع جانِبُه من أكل ما يصاد بها وسيّما وقت الغلاّت .

٢٥ — ومدينة بونه مدينة مقتدرة ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة ، ومقدارها في رقعتها كالاربس وهي على نحر البحر ولها أسواق حسنة وتجارة مقصودة وأرباح متوسّطة ، وفيها خِصب ورُخْص موصوف وفواكه وبساتين قريبة ، وأكثر فواكهها من باديتها ، والقمح بها والشعير في أكثر أوقاتها كما لا قدر له . وبها معادن حديد كثيرة ويُحمل منه الى الاقطار الغزيرُ الكثيرُ ، ويزرع بها الكتان ولها عامل قائم بنفسه ومعه من البربر عسكر لا يزول كالرابطة . ومن تجارتها الغنم والصوف والماشية من الدوابّ وسائر الكُراع ، وبها من العسل والخير والمير ما تزيد به على ما داناها من البلاد المجاورة لها ، وأكثر سوائمهم البقر ولهم اقليم واسع وبادية وحَوزَة بها نتاج كثير ، وقلّ من بها تفوته الخيل السائقة للنتاج . وبينها وبين جزائر بني مَزغَنّاي مراسٍ فمنها جيجل مرسى ومنه الى بجايه (مرسى) ومنه الى مرسى بني جَنّاد ومنه الى مرسى الدجّاج ، وهي مدينة عليها سور منيع على نحر البحر وفي شفيره ، وليس لها مرسىً مأمون وبها من رخص الاسعار أيضاً في الفواكه والمآكل والمطاعم والقمح والشعير والألبان والمواشي ما يُغرِق غيرهم ممن يجاورهم ، وبها من الاشجار والثمر والتين خاصةً العظيم الجسيم ما يُحمل منه الى البلاد النائية عنه .

٢٦ — وجزائر بني مزغنّاي مدينة عليها سور على سِيف البحر ايضاً ،

وفيها اسواق كثيرة، ولها عيون على البحر طيّبة وشربهم منها . ولها بادية كبيرة وجبال فيهـا من البربر كثرة ، وأكثر اموالهم المواشي من البقر والغنم سائمةٌ في الجبـال ، ولهم من العسل ما يُجهّز عنهم والسمن والتين ما يُجهَّز ويُجلَب الى القيروان وغيرها . ولهـا جزيرة في البحر على رمية سهم منها تحاذيها فاذا نزل بهم عدوّ لجؤوا اليها فكانوا في منعة وأمنٍ ممّن يحذرونه ويخافونه . وتامدفوس مرسىً ومدينة خربت، وفيها بقيّة قومٍ يسكنونها سكنى الصابين الى اوطانهم . واشرشال مدينة قديمة أزليّة قد خربت، وفيها مرسىً وبها آثار قديمة وأصنام من حجارة ومبانٍ عظيمة . ومنها الى برشك مدينة كان عليها سور فتهدّم ، ولها مياه جارية وأبار مَعين وبها فواكه حسنة غزيرة وسفرجل معنّق كالقرع الصغار وهو طريف وأعناب . الغالب على اهلها البربر ، ولها بادية يشتارون العسل من الشجر والاجباح لكثرة النحل بالبـلد ، وأكثر اموالهم الماشية ولهم من الزرع والحنطة والشعير ما يزيد على حاجتهم .

٢٧ — وتنس مدينة عليها سور ولها أبواب عدّة ، وبعضها على جبل قد أحاط به السور ، وبعضها في سهل وهي من البحر على نحو ميلين على وادٍ كثير الماء وشربهم منه . وهي مدينة فوق الصغيرة وليس على البحر فيما قاربها على شكلها بنواحيها في الكبر وبهـا فواكه حسنة وهي من الخصب في جميع الوجوه الرفهة بأمرٍ مستفاضٍ ، وهي أكبر المدن التي يتعدّى اليها الاندلسيون بمراكبهم ويقصدونها بمتاجرهم وينهضون منها الى ما سواها . ولسلطانها بها وجوه من الاموال كثيرة : كالخراج والجوالي والصدقات والأعشار ومراصد على المتاجر الداخلة اليها والخارجة والصادرة والواردة . ولها بادية من البربر كثيرة وقبائل فيها أموالهم جسيمة غزيرة، وبها من الفواكه والسفرجل المعنّق ما لا أزال أحكيه لحسنه ونعمته وحلاوته وطيب رائحته .

٢٨ — ومنها الى مدينة وهران مراسٍ لا مدنَ لها مشهورة كمرسى عطا وليس به احد يسكنه ، وقصر الفلوس وإن كانت مدينة محدثة فلها سور وهي لطيفة جداً ، وسورها من ترابٍ طابية وماؤها من عين ماء

جارية بها . وغلاتهم من القمح والشعير والمواشي عندهم كثيرة . ولمدينة وهران مرسى في غاية السلامة والصون من كل ريح ، وما أظن له مثلا في جميع نواحي البربر سوى مرسى موسى ، فقد كنفته الجبال وله مدخل أمن . وعليها سور ، وماؤها من خارجها جار عليها في وادٍ عليه بساتين وأجنّة كثيرة فيها من جميع الفواكه وفي حاضرتها دهقنة وحذق ، وفيهم حميّة مع الغريب وهي فرضة الاندلس ، اليها ترد السلاع ومنها يحملون الغلال ، والغالب على باديتها البربر من يزداجه ، وهم في وقتنا هذا في ضمن يوسف بن زيرى ابن مناد الصنهاجي خليفة صاحب المغرب .

٢٩ — ومن وهران الى واسلن مدينة خصبة لها سور عظيم حصين وماؤها فيها ، ولها بساتين كثيرة وكنت أعرفها قديماً لحميد بن يزل ولها مرسى وهي خصبة كثيرة الأهل واكثر أموالهم الماشية ولهم منها الكثير الغزير . ومنها الى ارجكوك مدينة أيضا لطيفة لها مرسى وبادية وخصب وسعة في الماشية والأموال السائمة ، ومرساها في جزيرة لها فيها مياه ومواجن كثيرة للمراكب وأهلها والمحتاجين اليها في سقي سوائمهم . وهي جزيرة معمورة بالناس . وارجكوك على وادٍ يُعرف بتافنا وبينها وبين البحر نحو ميلين ، وكانت مليله مدينة ذات سور منيع وحال وسيع ، وكان ماؤها يحيط بأكثر سورها من بئر فيها عين عظيمة ، وكانت أزليّة فاكتسحها ابو الحسن جوهر الداخل مصر برجال المغاربة ، وقد تغلّب عليها بنو بطويّه بطن من البربر ، وكان بها من الأجنّة ما يسدّ حاجتهم ومن الزروع الكثيرة والحبوب والغلاّت الجسيمة فزال اكثرها . ونكور مدينة مقتصدة في وقتنا هذا ، وكانت قديماً اعظم مما هي وآثارها بيّنة ، ولها مرسىً تُرسى فيه المراكب في بطن جزيرة تُعرف بالمزمّة .

٣٠ — ومنها الى مدينة سبتة وهي لطيفة على نحر البحر ، وبها بساتين وأجنّة تقوم بأهلها ، وماؤها من داخلها يستخرج من أبار بها معين ، ومن خارجها ايضاً من الأبار شيء كثير عذب ، مرسىً قريب الامر وقد تقدّم ان بها معدناً للمرجان صالحاً يعمل فيه قوبريات لطاف . وهي وقتنا هذا لبني أميّة ولم يكن لهم في عدوة المغرب غيرها . ولها من ظاهرها بربر

يأخذ صدقاتهم ولوازمَهم وخراجَهم من كان بها والياً عليها، وكذلك من كان بمرسى موسى في ضمنهم، وكأني بها راجعة الى مولانا عليه السلام .
ومنها الى طَنجة مدينة ازليَّة آثارها بيّنة وأبنيتها بالحجارة قائمة على وجه البحر . سكنها أهلها قديماً سنين في صدر الاسلام ثم استحدثوا لهم مدينة عن مسيرة ميل منها على ظهر جبل، والذي أوجب استحداثها خوفُ آل إدريس عليها عند استحواذهم على سبتة في وقتهم، وأكثر أموال اهلها من الزرع حنطة وشعير وحبوب، وماؤها مجلوب اليها في قنيً من مكان بعيد لا يُعلم أصلُه ولا يُعرف من أين مجيئه، وإنما يظنّون جهاته وهي خصبة صالحة الأسعار وليس عليها سور .

٣١ — وزُلُول مدينة لطيفة في شرق ازيلي لها اسواق قريبة وكان عليها معوَّلُ حسن بن كنون الحسنيّ الفاطمي وهو مستحدثها، وشربهم كشرب اهل طنجة مجهول المبتدأ غير معلوم الأصل . وأزيلَي مدينة عليها سور متعلّقة على رأس جُرْف خارج من البحر المحيط الى ارض المغرب . لطيفة وسورها من حجارة وبعضها على البحر المحيط، وحظّهم من الزروع والحنطة والشعير وافر، وماؤها من أبار فيها معين لذيذ وفيها اسواق . واذا اخذ منها الآخذ يريد الجنوبَ على سِيف البحر المحيط، لقيه وادي سفدد وهو وادٍ كبير عظيم غزير الماء يحمل المراكب عذبٌ، ومنه شِرب اهل تشُمّس، وهي مدينة لطيفة قديمة أزليَّة اوليَّة جاهلية، وعليها سور من البناء الاوّل تركب وادي تشمّس هذا المعروف بسفدد، وبينها وبين البحر نحو ميل، ويُمِدّ سفدد شعبتان تقع فيه : إحداهما من بلد دنهاجه من جبلي البصرة، والثانية من بلد كتامة وكلتاهما ماء كثير، وفيه يحمل اهل البصرة تجاراتهم في المراكب ثم يخرجون الى البحر المحيط ويعودون الى البحر الغربي، فيسيرون منه حيث شاؤوا . وبين مدينة تشُمُّس هذه وبين مدينة البصرة دون المرحلة على الظهر .

٣٢ — ثم َتعطف على البحر المحيط يساراً وعليه من المدن قريبة منه وبعيدة : جرمانه وتاوارث والحجر على نحر البحر ودونها في البر مشرقاً

الأقلام ثم البصرة ثم كرت . والبصرة مدينة مقتصدة عليها سور ليس بالمنيع ، ولها مياه عن خارجها من عيون عليها بساتين يسيرة من شرقيّها، ولها غلاّت كثيرة من القطن المحمول الى افريقية وغيرها ، ومن غلاّتهم القمح والشعير والقطاني وسهمهم من ذلك وافر . وهي خصبة كثيرة الخير حسنة الاسواق والعمارة طيّبة الهواء صحيحة التربة ، وفيها قوم لهم خطر وميل الى السلامة والعلم، ولهم محاسن في خلقهم قد عمّت نساءهم ورجالهم . والغالب عليهم حسن القدود والشطاط واعتدال الخلق وجمال الأطراف ، ويشملهم السِتر والسلامة والمعروف . وبين البصرة والمدينة المعروفة بالأقلام أقل من مرحلة ، وهي مدينة استحدثها يحيى بن إدريس ولها سور منعهم عند منابذتهم موسى بن أبي العافية . ولها مياه كثيرة وهي في وسط شعراء وجبال شامخة عالية ، والمدخل اليها من مكان واحد ، وفيها منبر ومسجد جامع لآل ادريس واليها لجؤوا عند محاصرة موسى لهم عند مواقعتهم لبني أميّة آنفاً ، وقد كان قبضها منذ قريبٍ بنو أميّة وقد عادت اليهم ، وهي خصبة حصينة وإنما قبضها آل أميّة منهم بالجوع وتواصل الحصار .

٣٣ — وكُرت ايضاً مدينة لطيفة في سفح جبلٍ منيعةٌ ايضاً بغير سور . ولها مياه كثيرة وأجنّة واسعة ومزارع عظيمة ، وغلاّتهم من القمح والشعير والقطن كثيرة . وأهلها تجّار والغالب عليهم البربر، وجميعهم وجميع اهل هذا الصقع المذكور . وهو إقليم طنجة ، لآل ادريس تصل اليهم جبايته ويجتبون خراجه ومن المدن المضافة اليهم والداخلة في قبضتهم بالمجاورة ماسيته وهي مدينة لها سور في قبلة مدينة البصرة ، وهي على وادٍ عذب يجري الى وادي سُبه وهو وادي فاس . وهي مدينة عليها سور يمنعها ولها غلاّت كثيرة ورخص وخصب ولها بادية من البربر . ومن غلاّتهم القطن والقمح والشعير ولهم مياه كثيرة وسقي يغزر عائدته عليهم . والحجر مدينة عظيمة محدثة على جبل عظيم شامخ لآل ادريس ، وهي حصن منيع فيه املاكهم وهي من اعظم مدنهم عندهم منزلة واكبرها خطراً، وماؤها فيها ولها بساتين فيها وليس عليها طريق ولا اليها سبيل إلا من

جهة واحدة، يسلكه الراجل بعد الراجل، وهي خصبة رفهة كثيرة الخير .

٣٤ — وبحيرة آزْيغ بحيرة أصلها من البحر المحيط صغيرة ترسى فيها المراكب الاندلسية التي تحمل غلّات الناحية ، وفيها يركب أهل البصرة ويشحنون من نواحيهم وناحية بلد بياثه . ومنها عن مرحلة الى جهة الجنوب مصب وادي سُبُه وهو وادي فاس ، ومن ورائه الى ناحية برَغْوَاطه على نحو بريد وادي سَلَه واليه ينتهي سكنى المسلمين .

٣٥ — وبسله رباط يرابط فيه المسلمون . وعليه المدينة الأزلية المعروفة بسله القديمة وقد خربت . والناس يسكنون ويرابطون برباطاتٍ تحفّ بها ، وربما اجتمع في هذا المكان من المرابطين مائة ألف إنسان يزيدون في وقت وينقصون لوقت ، ورباطهم على برَغْواطه من قبائل البربر على البحر المحيط متّصلين بهذه الجهة التي سُقْتُ عمارة بلد الاسلام اليها يغزون ويسبون . وذلك أنّ رجلاً كان يُعرف بصالح بن عبدالله دخل العراق ودرس شيئاً من النجوم وصلحت منزلته في علمها ، الى أن قوّم الكواكب وعمل التقاويم والمواليد واصاب في اكثر أحكامه . وكان له خطٌّ حسنٌ وفهمٌ باطراف من العلم وعاد فنزل بينهم ، وكان بربريّ الأصل مغربي المولد مضطلعاً بلغة البربر ، يفهم غير لسان من ألسنتهم فدعاهم الى الايمان به وذكر أنّه نبي ورسول مبعوث اليهم بلغتهم واحتج بقول الله تعالى : « وما أرسلنا من رسولٍ إلا بلسانِ قومهِ » وأنّ محمداً ﷺ نبيّ حقّ عربي اللسان مبعوث الى قومه والى العرب خاصةً، وأنّه صادق فيما اتى به من القرآن والاحكام ، وإياه اراد الله عزّ وجل بقوله: « وصالحُ المؤمنين والملئكةُ بعد ذلك ظهير » ووعدهم غير كسوف فوجدوه وأنذرهم غير شيءٍ فادركوه واصابوه على حكايته ، فافسد عقولهم وبدّل معارفهم وافترض عليهم طاعته في سنن ابتدعها واحوال فرضها واخترعها ، واوجب عليهم صوم شعبان وإفطار شهر رمضان ، وعمل لهم كلاماً رتّله بلغتهم وشرع فيه محابّه على نحلتهم فهم يتدارسونه ويعظمونه ويصلون به ، وهلك فخلفه وصيٌّ كان له اقامه يُكْنى ابا العفير فزاد فيما رسمه أشياء ذكر أنّ له فيها الزياده والنقصان والحلّ والعقد فيما قدمه

صالح لهم من الاحوال ، فدعاهم الى النُسُك وترك الدنيا والاقبال على التقلل والزهد ، وتناهى هو وخاصته في ذلك الى ان حُفِظَ عليه صَبْرُه عن الغذاء خُمْساً من الدهر وسُبْعاً وتُسْعاً ، وهو في جميع ذلك يذكر أنه يوحى اليه وأنّ الملائكة تأتيه بما يأمرهم به وينهاهم عنه . وكان صالح يحل لهم الطيّبات ويبيحهم اللذّات ويسوسهم في المحظورات ، وفيهم الآن من يقرأ القرآن بغاية الاحترام ويحفظ منه السوَر ويتأوّل آياته على موافقته لكتابهم وقرآنهم . وكان اهل البصرة ومدينة فاس يغزونهم في بعض الاوقات ويسالمونهم ويتاجرونهم ، ويجلبون اليهم التجارات على ما يرونه ولاتهم . وفي برغواطه امانة وبذل للطعام وتجنب للكبائر من الحرام والمحظورات من الاثام ، وقد يصل اليهم أهل آغمات والسوس ايضاً بالتجارة ، وكذلك قوم من أهل سِجِلمَاسه وبلدهم بلد مستقل بنفسه عن الحاجة الى ما في غيره وفيهم جمال بارع وشدة وبأس وصبر على القلاء والمراس . وكنت ألفيت محمد بن الفتح المعروف بالشاكر لله بسجلماسه يدعو الى غزوهم في سنة اربعين وثلاثمائة ، وأظنه هلك ولم يبلغ منهم محابّه لقلة إجابة من كان يدعوه الى غزوهم من البربر ، وخوفهم من اطراد حيلة لمحمد بن الفتح الشاكر لله عليهم في ذلك .

٣٦ — وهذه جملة أحوال المدن المشهورة والمراسي والقرى المعروفة على نحو بحر المغرب من حدّ برقة الى البحر المحيط ، مما انتهيتُ اليه وأدركته بالعيان او اخذته عمّن نشأ فيه . وليس من حدّ برقة وأعماله الى نواحي افريقية فيما يواجه البحر المغربي من البر غير عشر مراحل فما فوقها بلدٌ يُذكر ولا يُعرف إلا ما ذكرتُه ، والغالب على ما واجه هذا البحر من ارض مصر الى نواحي عمل افريقية البراريّ والمفاوز التي بين بلاد السودان وأرض المغرب . وفي أطرافها سُكّان من البربر وفي قلب البرّ أيضاً مياه عليها قوم منهم . وأما ما حاذى ارض افريقية الى آخر أعمال طنجة عن مرحلة الى عشر مراحل ، فزائدٌ وناقصٌ فبلاد مسكونة ومدن متصلة الرساتيق والمزارع والضياع والمياه ، والوُلاة والسلاطين والملوك والحكام والفقهاء ، وكلّ ذلك في جملة صاحب المغرب وحوزته وقبضته أو في يد

خليفته . وما عداه وأوغل في براري سجلماسه واودغست ونواحي لمطه وتادمكه الى الجنوب ونواحي فزان . ففيه مياه عليهـــا قبائل من البربر المهملين الذين لا يعرفون الطعام ولا رأوا الحنطـة ولا الشعير ولا شيئاً من الحبوب . والغالب عليهم الشقاء والاتـّشاح بالكساء وقوام حيـاتهم باللبن واللحم ، وسأذكر ذلك وأصفه بعد فراغي من ذكر المسافات على استقصاء ان شاء الله .

٣٧ ـ ذكر الطريق من افريقية الى تاهرت وفاس: فمن القيروان الى الجهنيين قرية مرحلة ؛ ومنها الى سَبيبه مدينة أزليـّة كثيرة المياه والأجنـّة، وعليها سور من حجارة حصين ولها ربض فيه الأسواق والخانات، وشربهم من عين جارية كثيرة تسقي بساتينهم وأجنـّتهم، وهي على مرّ الأيام كثيرة الفواكه رخيصة الاسعار ، ويغلب على غلأتهم الكَمّون والكرويا والبقول ويُزرع عندهم الكتـّان ، ولهم ماشية كثيرة مرحلة ؛ ومنها الى مَرماجنه قرية مرحلة وهي لهوارة وفيها اسواق حسنة؛ ومنها الى مجانه مدينة ذات سور من طابيه مرحلة ، وهي كثيرة الزعفران والزرع وبها معادن حديد وفضة ومنها الحجارة المجلوبة المطاحن بجميع المغرب ، ولهم وادٍ غزير الماء يزرعون عليه وأسواق صالحـــة ؛ ومن مجانه الى تيجس طريق قصد على مناهل وقرى خمس مراحل ، ويفارق طريق باغاي قبل ان يصل الى نهر ملاق ؛ ومنها الى مسكيانه قرية عليها سور قديمة كثيرة الميـاه والزرع ، ولها سوق وماؤها جار من عيون فيها من الحوت الكثير الرخيص، وسوقها يمتد كالبساط مرحلة، وهي اكبر من مرماجنه وتُجمعان أبداً لعامل واحدٍ؛ ومنها الى مدينة باغاي وهي كبيرة عليها سور أزلي من حجارة، ولها ربض عليه سور والأسواق فيه ، وكانت الأسواق قديماً في المدينة فنُقلت، ولها ماء جارٍ من وادٍ يأتيهم من القبلة ومنه شربهم مع ابارٍ لهم عذبة ، ولهم من البساتين الكثير مرحلة ، وهو بلد بربري البادية واكثر غلأتهم الحنطة والشعير ، وعاملها على صلاتها ومعاونها ووجوه أموالها عامل بنفسه لا من تحت يد احدٍ ، وجبل اوْرَاسٍ منهـا على اميال ، وفيه المياه الغزيرة والمراعي الكثيرة والعمارة الدائمة ، وكان أهله قوم سوْءٍ وطوله نحو

اثني عشر يوماً وسكانه مستطيلين على من جاورهم من البربر وغيرهم ، فهلكوا « واتى الله بنيانهم من القواعد » . ولباغاي طريق يأخذ الآخذ على بلزمه الى نقاوس الى طُبْنه ، ويتصل هذا الطريق بطريق مجانه الى تيجس فيمر عليه الى بونه ومن أحبّ فيه من تيجس الى القسطنطينية الى ميله الى سطيف الى المسيلة وصل اليها ، ومن اراد من سطيف الى حائط حمزة الى اشير بلد زيرى كان أقصدَ له إن كان يريد المغرب .

٣٨ — ومن باغاي الى دوفانه قرية من جبل اوراس ، لها سكان من اللهان وكان البلد لهم ولبني عمهم من اللهان مرحلة ؛ ومنها الى دار ملول وكانت مدينة قديمة فرزحت احوالها وصارت منزلاً ينزله المجتازون ، وفيها مرصد قديم على جميع ما يجتاز بها وماؤها من عين بها مرحلة ؛ ومنها الى طبنه مدينة قديمة وكانت عظيمة كبيرة البساتين والزروع والقطن والحنطة والشعير ، ولها سور من طابية مرحلة ، واهلها قبيلتان عرب وبرقَجَانة ، واكثر غلاّتهم السقي ويزرعون الكتان وجميع الحبوب فيها غزيرة كثيرة ، وكانت وافرة الماشية من البقر والغنم وسائر الكراع والنَعَم ، فحدث بينهم البغي والحسد الى ان أهلك الله بعضهم ببعض ، واتى على نعمهم فصاروا بعد السعة والدعة الى الضيق والذلة والصغار والشتات والقلة ، مشردين في البلاد مطرّحين في كل جبل وواد وبقيتهم صالحه ؛ ومن طبنه الى مقره منزل فيه ايضاً مرصد مرحلة ؛ ومن مقره الى المسيلة مرحلة وهي مدينة محدثة ، استحدثها علي بن الاندلسي احد خدم آل عُبَيد الله وعبيدهم وعليها سور حصين من طوب ، ولها واد يقال له وادي سهر فيه ماء عظيم منبسط على وجه الارض وليس بالعميق ، ولهم عليه كروم واجنة كثيرة تزيد على كفايتهم وحاجتهم ، ولهم من السفرجل المعنّق ما يحمل الى القيروان وأصله من تنس ، ومن غلاّتهم القطن والحنطة والشعير ، وتكثر عندهم المواشي من الدواب والأنعام والبقر ، وعليها من البربر بنو برزال وبنو زنداج وهوارة مزاتة وعليهم صدقات وخراج غزير ؛ ومنها جُوزا منهل ينزله الناس لا ساكن به وفيه ماء من عيون عذبة مرحلة ؛ ومن جُوزا الى هاز قرية كانت قديمة عظيمة فخربت ، وهي في وقتنا هذا

مفازة فيها ماء عيون مسجونة مرحلة ، وهو بلد يغلب عليه الرمل؛ ومنها الى جُرتيل قرية كبيرة كثيرة الزرع والمياه وشِربهم من عيون بها مرحلة، وسكّانها زناته؛ ومنها الى ابن ماما مدينة صغيرة ذات منبر عليها سور طوب ، ولها خندق وماء في وادٍ عذب كثير الماء يُزرع عليه وعلى المطر ايضاً مرحلة؛ ومنها الى تاهرت مرحلة؛ وتاهرت مدينتان كبيرتان إحداهما قديمة أزليّة والأُخرى محدثة ، والقديمة ذات سور وهي على جبل ليس بالعالي وبها كثير من الناس ، وفيها جامع وفي المحدثة ايضاً جامع ولكلٍ إمامٌ وخطيبٌ ، والتجّار والتجارة بالمحدثة أكثر، ولهم مياه كثيرة تدخل على اكثر دورهم وأشجار وبساتين وحمّامات وخانات ، وهي احد معادن الدوابّ والماشية والغنم والبغال والبراذين الفراهية ، ويكثر عندهم العسل والسمن وضروب الغلاّت .

٣٩ — ومن القيروان الى المسيلة طريق غير هـذا الطريق على بلاد كتامة ، والأربس وهو من القيروان الى جلولا مدينة عليها سور ، وفيها عين ماء جارية وعليها بساتين كثيرة قد حُفّت بها ونخيل غزيرة مرحلة خفيفة؛ ومنها الى اجر قرية ماؤها من الآبار ولهم زروع كثيرة من القمح والشعير مرحلة خفيفة؛ ومنها الى طافجنه قرية لها فحص واسع، ولهم من الغلاّت المتصلة بنواحي الاربس من الحنطة والشعير أمر عظيم مرحلة خفيفة أيضاً؛ ومنها الى الاربس مدينة لها إقليم واسع وغلاّت جُلّها الزعفران ولها سور حصين من حجر ، وفيها من داخلها عينان جاريتان : إحداهما تسمّى عين رباحٍ ، والأُخرى عين زيادٍ ، وعين زياد اطيب وعليها معوّل في شِربهم ، وماؤها صحيح وبهـا معدن الحديد . وهي ذات فواكه صالحة؛ وأُبه مدينة عن غربيّ الاربس ومنها على اثني عشر ميلًا وبها من الزعفران ما يضاهي ما بالأربُس في الكثرة والجودة ، وأرضها واحدة مختلطة وعملها كعمل واحد . وفي وسطها عين ماء جارية منها شِربهم وهي غزيرة ، وعليها سور من طابية خصبة كثيرة الفواكه والثمار ، وعليها جبل مطلّ؛ ومن الاربُس الى تامديت مدينة لها سور وشِربهم من عيون بها وأكثر غلاّتهم القمح والشعير مرحلتان بينهما قرية تعرف بمرماجنة؛ ومن

تامديت الى تيفاش مرحلة ، وهي مدينة أيضاً ازلية اولية قديماً عليها سور قديم بالحجر والجير ، وبها عين ماء جارية ولهم من الأجنّة والبساتين ما يقوتهم وعليها شعراء كبيرة ؛ ومنها الى قصر الافريقيّ مدينـــة لا سور عليها والغالب على غلاّتهم القمح والشعير ، وتحتها وادٍ يجري ينتفع به من كان في أعالي عملها ومنه شربهم مرحلة ، ومنها الى اركوا قرية لها أجنّة وعيون ومياه جارية كثيرة وقمح وشعير وغلاّت صالحة وجميع مياههم عذبة مرحلة؛ ومنها الى تيجس مدينة لها سور وربض قد استدار من قبلتها الى بحريّها وسوق صالح وماء جارٍ من عين تُعرف بتبودا، وفي وسط المدينة ماء كثير من عينٍ طيّبة مرحلة ، ومن تيجس الى غردوان قرية لها حاضرة وبادية ، ولها بالبعد منها عيون وشربهم منها وهو بلد قمح وشعير مرحلة ؛ ومنها الى مهريّين قرية في فحص ماؤها من أبار ولها سوق، والغالب عليها البربر وهي لكتامة ومَزاتة مرحلة؛ ومنها الى تامسنت قرية وسوق لكتامة ومزاتة ولها اجنّة وماء يجري وأبار معينة مرحلة ، ومنها الى دَكَمَه قرية لها سوق والغالب عليها كُتامة وشربها من أبار وغلاّتهم من القمح والشعير وافرة مسيرة مرحلة ؛ ومنها الى اوسجيت مرحلة ، وهي قرية فيها بعض حوانيت لبربر كُتامة ولها مياه كثيرة يزرعون عليها ؛ ومنها الى المسيلة مرحلة خفيفة ؛ ومن المسيلة الى اشير مرحلتان ينزل المار بينهما في وادي المالح ، وهو وادٍ يجري بماء مالح ويرحل منه الى اشير، وسأصفها فيما بعد .

٤٠ — ومن المسيلة الى افريقية طريق ثالث يأخذ من المسيلة الى مَقَرَه ، ومنها الى طبنه ومن طبنه الى بسكره مرحلتان ، ومن بسكره الى تهوذا مرحلة؛ ومنها الى بادس مرحلة، ومن بادس الى تامديت مرحلة، ومن تامديت الى مداله مرحلتان ، ومن مداله الى نفطه مرحـــلة ، ومن نفطه الى قسطيليه بعض مرحلة، ومنها الى قفصه، وسيأتي ذكر هذا الطريق فيما بعد ان شاء الله .

٤١ — ذكر الطريق من فاس الى المسيلة : فمن فاس على سُبُه ، وهو نهر عظيم الماء كثيره واليه مصبّ وادي فاس وجميعاً يقعـــان في البحر بنواحي سَلـَه ، وعليه قرىً تتصل إحداها بالأخرى الى غالته مرحـــلة ،

وهي ايضاً على وادٍ يقال له ايناون ولنالته وادٍ غير ايناون يأتيها من القبلة ، ويُعرف بوادي غالته ، عليه كروم وبساتين كثيرة ؛ ومنها الى كرانطه وهي مدينة على وادي ايناون ، ولها وادٍ آخر يأتيها من القبلة عليه من الفواكه والكروم والسقي الكثير الغزير ؛ ومن كرانطه يأخذ الطريق على باب زناته وهو وادٍ وقرىً متصلة ذوات أسقاء ، وبعض هذه القرى متصلة بمياه ايناون ويخرج ذلك الى قلعة كرماطه وهو سوق وحصن على ايناون ، وبها من الزرع والضرع والسائمة الكثير العظيم مرحلة ؛ ومن كرماطه على فجّ الجبل المعروف بتازا الى تَمزاوروا وهي مدينة لطيفة كثيرة القمح والشعير مرحلة ؛ ومنها على وادي مسون طريق الى تابريدا وهي مدينة لطيفة على وادي مَلْوِيَه مرحلة ؛ ووادي مَلوِيه يقع الى وادي صاع ويصبّان جميعاً الى البحر ما بين جراوة أبي العيش ومليله ؛ ومنها الى صاع مدينة لطيفة على وادٍ عظيمٍ يدخل على جميع دورهم ، ويشقُّ الصحراء اليهم مرحلة ؛ ومن صاع الى جراوة ابي العيش ، وبينها وبين البحر ستة اميال ، وكانت عامرة آهلة مرحلة ؛ ومنها الى ترفانه مدينة عليها سور ولها سوق وأنهار مطّردة وفواكه واسعة عظيمة وكروم جسيمة مرحلة ؛ ومنها الى العلويّين قرية على نهر يأتيها من القبلة ، ولها عليه فواكه عظيمة مرحلة ؛ ومنها الى تنمسان مرحلة لطيفة وهي مدينة ازليّة ، ولها انهار جارية وأرحية عليها وفواكه ولها سور من آجرّ حصين منيع وزرعها سقي وغلّاتها عظيمة ومزارعها كثيرة ؛ ومنها الى قرية تُعرف ايضاً بالعلويّين وهي قرية عظيمة آهلة على نهر ولها أجنّة وعيون ، ومنها الى تاتانلوت وهي قرية جليلة كثيرة ذات اجنّة وأرحية على واديها وفواكه مرحلة ؛ ومنها الى عيون سي قرية كبيرة لها عيون وأنهار تطّرد مرحلة ؛ ومنها الى وادي الصفاصف وهو الوادي النازل من افكان الى افكان مرحلة ، وافكان مدينة لها ارحية وحمّامات وقصور وفواكه وكانت ليعلى بن محمد ذات سور من تراب في غاية الارتفاع والعرض ، وواديها يشقّها بنصفين ؛ ومنها الى تاهرت بالعرض الى الشرق ثلاث مراحل . ولافكان على واديها اعمال عريضة وأجنّة ومزارع ؛ ومنها الى المعسكر قرية عظيمة لها أنهار

وأشجار وفواكه مرحلة؛ ومن المعسكر الى جبل توجان الى عين الصفاصف قرية كبيرة لها عين وأنهار وأشجار ومنها سقي يلل مرحلة؛ ومنها الى يلل مدينة ذات أنهار وفواكه مرحلة؛ ومن يلل الى شلف مدينة ذات سور وحصن ونهر وشجر ومزارع مرحلة، ومنها الى غزة مدينة صالحة وفيها سوق وحمّام ويضاقب أعمالها سوق إبراهيم، وهي مدينة ايضاً صغيرة فيها حمّام وسوق وهي على نهر شلف؛ ومن سوق ابراهيم الى ناحية مدينة صغيرة فيها سوق، ولها فواكه وتين عظيم كثير يُجهّز عنها مرحلة؛ ومنها الى تنس مرحلة؛ ومن تنس الى بني واريفن مرحلة لطيفة بين جبال عظام شواهق سوامق، وبنو واريفن قرية أزليّة لها كروم وسوانٍ كثيرة وهي على نهر شلف؛ ومنها الى الخضراء مدينة على نهر ولها فواكه وسوانٍ، وبها السفرجل المعنّق الفراسيّ مرحلة، ولها ناحية خصبة وفيها سوق وجامع وحمّام؛ ومنها الى مليانه مدينة أزليّة ولها أرحية على نهرها وسقي كثير من واديها، ولها حظٌ من نهر شلف مرحلة؛ ومنها الى سوق كران وهو حصن أزليّ له مزارع وسوانٍ، وهو على نهر شلف أيضاً مرحلة؛ ومن سوق كران الى ريغه وهي قرية، ولها سوق صالح ولها فواكه وأجنّة وأنهار تطّرد ومزارع مرحلة؛ ومنها الى رطل مازوغه قرية لطيفة حسنة فيها ماء عذب مرحلة؛ ومنها الى اشير مدينة بحصن يسكنها آل زيري ابن مناد ولها سور حصين وأسواق وعيون تطّرد وأجنّة ومزارع وإقليم حسن القدر مرحلة، ومن اشير الى تامزكيدا وبها عين ولها انهار عذبة مرحلة؛ ومنها الى الوادي المالح مرحلة؛ ومنها الى المسيلة مرحلة؛ وقد أتيتُ بهذا الطريق مقلوباً لأني سلكتُه من المغرب الى افريقيّة .

٤٢ — وفاس مدينة جليلة يشقّها نهر وهي جانبان يليهما اميران مختلفان، وبين اهل الجانبين الفتن الدائمة والقتل الذريع المتصل، ونهرها كبير غزير الماء عليه ارحية كثيرة، وهي مدينة خصبة مفروشة بالحجارة احدثها إدريس بن إدريس، في كل يوم من ايام الصيف يُرسَل في اسواقها من نهرها الماء فيغسلها فتبرد الحجارة وجميع ما بها من الفواكه والغلّات والمطاعم والمشارب والتجارات والمرافق والخانات، فزائدٌ على سائر ما

قرُب منها وبعُد في ارض الهبط موقعه ، وظاهرٌ بكثرته حدّه وموضعه ومستفاضٌ بوفوره مكانه ومرفقه .

٤٣ — ومنها الى سِجلماسه ثلاث عشرة مرحلة ، وسجلماسه مدينة حسنة الموضع جليلة الاهل فاخرة العمل على نهر يزيد في الصيف كزيادة النيل في وقت كون الشمس في الجوزاء والسرطان والاسد ، فيُزرع بمائه حسب زروع مصر في الفلاحة وربما زرعوا سنة عن بذر وحصدوا ما راع من زرعه وتواترت السنون بالمياه ، فكلما اغدقت تلك الارضُ سنةً في عقب أخرى حصدوه الى سبع سنين ، بسُنبُل لا يشبه سُنبل الحنطة ولا الشعير بحبٍّ صُلبِ المكسَر لذيذ المطعم وخلقه ما بين القمح والشعير ، ولها نخيل وبساتين حسنة وأجنّة ولهم رطب اخضر من السلق في غاية الحلاوة ، وأهلها قوم سراة مياسير يباينون اهل المغرب في المنظر والمخبر ، مع علم وستر وصيانة وجمال واستعمال للمروءة وسماحة ورجاحة وأبنيتها كأبنية الكوفة الى أبواب رفيعة على قصورها مشيّدة عالية .

٤٤ — وعن يسار طريق فاس الى سجلماسه إقليم اغمات وهو رستاق عظيم فيه مدينة كثيرة الخير والتجارة الى سجلماسه وغيرها ؛ ومن سجلماسه الى اغمات نحو ثماني مراحل ومثلها الى فاس ؛ ومن ورائها الى ناحية البحر المحيط السوس الأقصى وليس بالمغرب كله بلد أجمع ولا ناحية اوفر واغزر وأكثر خيراً منها ، قد جمعت فنون المأكل كلها ذات الصرود والجروم ، فيها الاترجّ والجوز واللوز والنخـــل وقصب السكّر والسمسم والقِنَّب وسائر البقول التي لا تكاد تجتمع بغيرها ، وأهل السُوس فرقتان مختلفتان. مالكيّون أهل سنّة ، ومُوسَويُّون شيعة يقطعون على موسى بن جعفر من أصحاب عليّ بن ورصند ، والغالب على الجميع الجفاء والغلظة في العشرة وقلّة رقّة الطبع ، والمالكيّون من فظاظ الجشويّة وبينهم القتال المتصل والدماء الدائمة ، ولهم بالبلد مسجد جامع تصلّي فيه الفرقتان فرادى عشر صلوات ، إذا صلّت فرقة تلتها الاخرى بعشرة أذاناتٍ وعشر إقامات ، وبالمالكيّين من جباسة الاخلاق وبحسب ما نالوا من رفاهة العيش نالوا من الجهل والطيش ، ومن السوس الى سجلماسة اثنتا عشرة مرحلة .

٤٥ – ومن سجلماسه الى اودغست شهران على سمت المغرب فتقع منحرفةً محاذاةً عن السوس الاقصى ، كأنها مع سجلماسه مثلّث طويل الساقين اقصر اضلاعه من السوس الى اودغست . واودغست مدينة لطيفة أشبه بلاد الله بمكّة وبمدينة الجرزوان في بلد الجوزجان من بلاد خراسان، لأنها بين جبلين ذات شعاب ؛ ومن اودغست الى غانه بضعة عشر يوماً بالمفردة ، ومن غانه الى كُوغه نحو شهر ، ومن كوغه الى سامه دون الشهر ، ومن سامه الى كُزم نحو شهر ايضاً ، ومن كزم الى كُوكُو شهر ، ومن كوكو الى مرنده شهر ، ومن مرنده الى زويله شهران ، ومن زويله الى اجدابيه شهر ، ومن زويله الى فزان خمس عشرة مرحلة ، ومن فزان الى زغاوه شهران . وعلى سمت اودغست المتقدّم ذكرها في نقطة المغرب او ليل وهو على نحر البحر وآخر العمارة واوليل معدن الملح ببلاد المغرب بينها وبين اودغست شهر ؛ ومن اوليل الى سجلماسه راجعاً الى الاسلام شهر وكسر ، ومن سجلماسه الى لمطه معدن الدرق اللمطيّة عشرون يوماً . ومن اوليل الى لمطه معدن الدرق خمسة وعشرون ميلاً ودون لمطه من بلاد المغرب تامدلت وعلى جنوبها اودغست؛ ومن سجلماسه الى القيروان على تفزاوه ونواحي قسطيليه شهران .

٤٦ – واكثر بربر المغرب الذين من سجلماسه الى السوس واغمات وفاس الى نواحي تاهرت ، والى تنس والمسيلة وبسكره وطبنه وباغاي الى اكربال وازفون ونواحي بونه الى مدينة قسطنطينيّة الهواء وكتامة وميله وسطيف يضيفون المارّة ويطعمون الطعام ، ويتخلّق قوم منهم بخاق ذميم من بذل انفسهم لأضيافهم على سبيل الإكرام ولا يحتشمون من ذلك ، وأكبرهم وأجملهم كأصغرهم في بذله نفسَه لضيفه حتى يُلحّ به . وقد جاهد على ذلك ابو عبدالله الداعي لبعضهم الى ان بلغ بهم كل مبلغ فما تركوه .

٤٧ – وأما القُسطنطينيّة التي لكُتامة فمدينة قريبة الأمر تداني ميله ونقاوس في حالها ؛ ومدينة نقاوس مدينة كبيرة عليها سور من حجارة قديمة أزليّة ولها مياه كثيرة وأجنّة عظيمة ، وبها جميع الفواكه كاللوز والجرز والكروم وزرعهم غزير كثير . ومدينة بلزمه حصن لطيف فيه

رجال جلد، وله ماء جارٍ وهو في وسط فحص عليه سور تراب وزروعهم تسقى بمائهم ، وهو بلد محدث للعرب وفيــه بقاياهم الى الآن ، وهو من الرخص والسعة وكثرة الكراع والماشية والعزّ والمنعـة في غايةٍ حسنة . ومما ظاهر هذه الديار الى نواحي البادية على طريق سجلماسه من افريقيـه مدينة سُماطه ، وهي من نفزاوه مدينة صالحة ، وتدانيها مدينة بشّرى وهي ايضاً ذات سور، ومدينة نفطه ايضاً مصاقبة لهذه الحدود ولها سور ونخيل واسعة . وقَسطيليه مدينة ايضاً كبيرة عليهـا سور حصين ، ولها نخيل كثيرة والتمر والقسْب بها كثير ، وهي مَغوثة افريقية بتمورها ، وفيها الأُترجّ الكثير الحسن الطيّب الزكيّ وأكثر الفواكه بهـا على حالٍ معتدلةٍ في الطيبة، وماؤها غير طيّب ولا مريء، يجري سواقيها في خلال أجنّتها ونخلها اكثر منه بغيرها مما يجاورها ، وسعر الطعـام بها في سائر الأقوات غالٍ لانه يُجلب اليها ولا يُزرع بهـا من الشعير ولا القمح إلا زرع تافه ، وهي من السعة والبيوع والاشربة في الاسواق وكثر الوارد والصادر عليها ملتمسين للمير والتجارة بما لا يدانيها فيه مدينة مما قاربها ، وجهاز الصوف في جميع جهاته من الشقّة والكسى والحنبل الى سائر ما يُعمل منه يُحمل منها الى جميع الاقطار . ومدينة الحَمّة مدينة غير طيّبة الماء ايضاً، ولها شيء من النخيل، وبينها وبين مدينة قفصه القصور الثلاثة . وقَفصه مدينة ايضاً مستقلة ذات سور ونهر يجري اطيب من ماء قسطيليه، ولها أجنّة وكروم ونخيل ، وهي تصاقب من جهــة اقليم قموده قاصِره ومدينة مَذكود ومدينة نفايض ومدينة كمونس الصابون ، وهي مُديّنات قريبة الاحوال وكانت قبل سنة ثلاثين في غاية الكمال فأتى عليها أبو يزيد مخلد بن كَيداد الاباضيّ .

٤٨ — وأما جبل نفوسه فجبل عالٍ منيف يكون نحو ثلاثة أيام في أقلّ من ذلك ، وفيه منبران لمدينتين تسمّى إحداهمـا شروس في وسط الجبل وفيها مياه جارية وكروم وأعناب طيّبة وتين غزير، وأكثر زروعهم الشعير وإياه يأكلون ، واذا خُبِزَ كان اطيب طعماً من خبز الحنطـــة ولشعيرهم لذّة . ليس لخبز من أخباز الأرض، لأنه ينفرد بلذّة ليست في

خبزٍ إلا ما كان من سميذٍ او حُوّارَى قد تأنّق صانعه فيه . وبالجبل مدينة ثانية تُعرف بجادوا من ناحية نفزاوه وفيها منبر وجامع . والجبل بأجمعه دار هجرتهم على قديم الأيام لهم ، وبه معشر الاباضيّة والوَهبيّة ثوَوا بعد عبدالله بن إباضٍ وعبدالله بن وهبٍ الراسِبي ، لأنهما قدِماه وماتا به ولم يدخل اهل هذا الجبل في عهد الاسلام الى سلطانٍ ولا سكنه غير الخوارج مذ أوّل الاسلام ، بل مذ عهد عليّ عليه السلام وقت انصرافهم عنه بمن سلم معهم من اهل نهروان ، وقد اقام من خلفهم على منهاج سلَفهم به وبما قاربه من مدن الخوارج ، وهي نفزاوه ولا وجه وبادس وبسكره ، يعتقدون آراءهم ويمشون على سنتهم ، والسلطان على أهل هذه المدن حكم وأمره فيهم نافذٌ وكذلك فيمن كان منهم .

٤٩ – وكورة تاهرت من افريقيا عند الجميع وكانت في القديم مفردة العمل والاسم في الدواوين . ومدينة سطيف كثيرة الخير تقارب ميلة والمسيلة وتصاقب القسطنطينية ، وبربرها بالصورة التي ذكرتها من بذل الطعام والاولاد ، وكان اصل ما استباحهم به ابو عبد الله الداعي على بذل اولادهم لأضيافهم . فاني سمعت اباعليّ بن ابي سعيد يقول انه ليبلغ بهم فرط المحبة في إكرام الضيف أن يؤمر الصبي الجليل الأب والأصل ، الخطير في نفسه بمضاجعة ضيفه ليقضي منه نهمته وينال منه الحرام وربما وقعت شهوة أحدٍ الباطلَ في جليلٍ من فرسانهم وشجعانهم فلا يمتنع عليه منه مطلب من الباطل ، ويرى ذلك كرماً وفخراً والاباء عنه عاراً ونقصاً ، وليس نرى بكتامة التي بسطيف ولا بغيرها شيئاً من هذا الامر ولا يجيزونه ولا يستحسنون ذكره . وكتامة التي بهذه الناحية متشيعون وبهم ظهر أبو عبد الله الداعي واخذ المغرب . وقد تغيرت تاهرت عما كانت عليه ، واهلها وجميع من قاربها من البربر في وقتنا هذا فقراء بتواتر الفتن عليهم ودوام القحط وكثرة القتل والموت ، وكذلك كتامة في حالها من جهة خليفة اهل المغرب بالمغرب ، وهو بلكين يوسف بن زيري وقد استباح الجميع . فاما أهل قسطيلية وقفصة ونفطة والحامة وسماطة وبشّرى وأهل جبل نفوسة فشراة ، إما إباضية من أصحاب عبد الله بن إباض ، او وهبية

من اصحاب عبد الله بن وهب ، وتجاورهم من البربر زناتة ومزاتة قبيلتان عظيمتان الغالب عليهم الاعتزال من أصحاب واصل بن عطاء ، وكان أبو يزيد مخلد بن كيداد الاباضي الخارج على القائم محمد بن عُبيد الله عليه السلام من اهل سماطة ومن فراعنتهم ، قتل خليلاً صاحب ديوان المغرب وميسوراً الخادم صاحب جيش المغرب واتسق له من الظلم والعدوان ما جعل الله بغيه نكالاً عليه .

٥٠ — وكانت القيروان اعظم مدينة بالمغرب واكثرها تجراً واموالاً واحسنها منازل واسواقاً، وكان فيها ديوان جميع المغرب واليها تجبى اموالها وبها دار سلطانها ، وبظاهرها المكان المدعو رقادة وهو مدينة كانت منازل لآل الاغلب .

٥١ — وسمعتُ أبا الحسن بن أبي عليّ الداعي المعروف كان بجمدان قرمط ، وهو صاحب بيت مال أهل المغرب يقول في سنة ستّ وثلاثين وثلاثمائة ، دخل المغرب من جميع وجوه أمواله وسائر كوره ونواحيه واصقاعه عن خراج وعشر وصدقات ومراع وجوال ومراصد ، وما يؤخذ عما يرد من بلد الروم والاندلس فيُعْشَر على سواحل البحر ، وما يلزم الخارج من القيروان الى مصر ويلزم ما يرد منها من الورق والمقوّم بقيمة العين والعَين المجتبى من هذه الوجوه ، فيكون من سبع مائة ألف دينار الى ثمان مائة ألف دينار ؛ قال : ولو بُسطت يده فيه لبلغ ضعفه وإن قصر عن ذلك فالقليل . وسمعت هذه الحكاية بعينها واللفظ بصيغته من زيادة الله أبي نصر بن عبد الله بن القديم في سنة ستين ، يذكرها عن نفسه وكان صاحب الخراج بافريقية وجميع المغرب ، وكأنهما تفاوضا القول وعلما وجوه ذلك ، وما يدخل فيه من ارتفاق اصحاب الاعمال واستئثارهم بما يزيد على القوانين في ايديهم ، وما أبعدَ ان يكون ذلك كذلك لما تبيَّنتُه في ضمان برقة وحالها ، وكان جميع المغرب في أيام آل عُبيد الله يُعمل بالأمانة من غير ضمان حتى تُقبُّلت برقة ، وليس بجميع المغرب ضمان غيرها .

٥٢ — فأما ما يُجهَّز من المغرب الى المشرق فالمولّدات الحسان الروقة ،

كالتي استولدهنّ بنو العبّاس وغيرهم وأكابر رجالهم وولدْن غير سلطان عظيم : كسلامة البربريّة أم أبي جعفر عبدالله بن محمّد بن علي بن عبد الله ابن عبّاس ، وقراطيس ام ابي جعفر هرون الواثق بن المعتصم ، وقتول ام ابي منصور محمد القاهر بن المعتضد ، وغير من ذكرتُ من ملوك المشرق ، وأمرائه ، والغلمان الروقة الروم والعنبر والحرير والأكسية الصوف الرفيعة والدنيّة الى جباب الصوف وما يُعمل منه ، والانطاع والحديد والرصاص والزيبق ، والخدم المجلوبون من بلاد السودان والخدم المجلوبون من ارض الصقالبة على الاندلس . ولهم الخيل النفيسة من البراذين والبغال الفُره والابل والغنم وما لديهم من ماشية البقر وجميع الحيوان الرخيص . فأما أسعارهم على تنائي مدنهم وديارهم فعلى غاية الرخص في الأطعمة والاغذية والاشربة واللُحْمان والأدهان ، ولهم من جيّد الفواكه والثمور والأرطاب وسائر الاغذية، وعندهم من الجمال الكثيرة في براريّهم وسكّان صحاريهم التي لا تدانيها في الكثرة إبل العرب .

٥٣ ـ هذا الى طاعتهم لمن ملكهم فتقفهم ونفارهم عمّن أهملهم وأغفلهم وليس في بلدانهم من الفواحش الظاهرة وتعاطي الامور المنكرة كالعيدان والطنابير والمعازف والنوائح والقيان والمخنّثين والفسق الشنيع ما بكثير من المواضع ، وقد يعرض في بعض نواحيهم من التهوّر الشديد والجنون العتيد وبذل السيف وبدار الطيش، ويوجد عندهم فيمن رقّ أدبه وحسُن عمله من هذا وجوه فاسدة وحجج فيمن يقول به ويستحسنه داحضه . وفيهم خاصّة بغير هذه الصفة لم يزالوا تسمو هِممُهم وتتوق نفوسهم الى ورود المشرق بسعة أخطارهم وفاشي مروآتهم ، فيزدادون ظرفاً وأدباً ومحتداً وفروسيّةً وعملاً في جميع وجوه الفضل وسُبُل النبل . وكان ممن قَدِم مصر بهذه الحال قديماً محمد بن هواشا ، وكانت فيه آلة من آلات الخير ، وكان تائناً فاكتنفه السلطان بمصر واستخدمه لبسالته وشجاعته ورياسته ، فتقدّم في كل حال من الجميل ، والخير وكان يتخرّق في نفقاته ويتّسع في صدقاته ويتناهى في معروفه وطلباته، وكان اذا نُصِبت موائده فُتحت ابوابه ورُفعت ستوره وحجابُه ، وبلغ الداخل عليه جميع آماله بل

أناف على رجائه بإجماله وحُسن فعاله . واليه توهيب بن سعيد وكان يتعاطى الزيادة على ابن هَواشا وغيره من منتحـلي المحاسن ومكتسبي المكارم . وبنو مُصعب وكانوا ثلاثة نفر من بعد هؤلاء بزمـان ، وأدركتُ من شاهدهم في غاية الكمال من امور الدنيا والآخرة واختلّت احوالهم بتغـيّر الزمان والسلطان وانتقال الولايات بمصر ، فلم يفارقوا عاداتهم ولم يُخِلّوا برسمٍ لمن كان برسمهم الى القيـام بمن جاور أسبابهم واتصل بأتباعهم ، وقبروا مستورين في آخر نعمهم . وأبو الحسن البازمي وكان اميراً مع الماذرائيّين مجبوراً على الامـارة ، يذهب بنفسه عن احوال الوزارة الى التواضع بذمّ الدنيا وقلّة الحفل بالمقبل منها، ولحق الاخشيد فأحسن اليه وبالغ في إكرامه وزاد في أرزاقه وجرايته ؛ وكان يقول : ابو الحسن طريق المعروف والسبيل الى صلاح الخاصة والعامة، والقاضي حقه كالقاضي حق نفسه لأن اكتسابه المحامد به حال لا تجدها مع سواه ولا تراها مع غيره .

٥٤ — ويقارب القيروانَ سجلماسه في صحّة الهواء ومجاورة البيداء ، مع تجارة غير منقطعة منها الى بلد السودان وسائر البلدان وأرباح متوافرة ورفاق متقاطرة ، وسيادة في الأفعال وحسن كمال في الأخلاق والاعمال ، يخرجون برسومهم عن دقّة أهل المغرب في معامـلاتهم وعاداتهم الى عملٍ بالظاهر كثير ، وتقدُّم في أفعال الخـير شهير وحنوٍّ بعض على بعض من جهة المروءة والفتوّة ، وإن كانت بينهم الحنات والترات القديمة تواضعوها عند الحاجة واطّرحوها رياسةً وسماحـةً وكرم سجيّة تختصهم ، وأدب نفوسٍ وقف عليهم بكثرة أسفارهم وطول تغرُّبهم عن ديارهم وتعزُّبهم من أوطانهم . ودخلتُها في سنة اربعين فلم ار بالمغرب اكثر مشائخَ في حسن سمتٍ وممازحةٍ للعلم وأهله الى سعة نفوس عالية وهمم سامقة ساميـة . وسائر ارباب المدن دونهم في اليسار وسعة الحال وتتقارب بالعصبية اوصافهم وتتشاكل أحوالهم . ولقد رأيتُ باودغست صكّاً فيه ذكرُ حقٍّ لبعضهم على رجل من تجار اودغست ، وهو من اهل سجلماسه باثنين وأربعين ألف دينار ، وما رأيتُ ولا سمعت بالمشرق لهذه الحكاية شبهاً ولا نظـيراً ، ولقد حكيتُها بالعراق وفارس وخراسان فاستُطرِفت . ولم يزل المُعتزّ

أيام ولايتها وهو اميرها يجتبيها من قوافل خارجة الى بلد السودان وعُشرٍ وخراجٍ وقوانين قديمةٍ ، على ما يباع بهـا ويُشترى من إبل وغنم وبقر الى ما يخرج عنها ويدخلها من نواحي افريقية وفاس والاندلس والسوس واغمات الى غير ذلك مما على دار الضرب والسكة زُهاء أربع مائة ألف دينار ، تختص بها وبعملها . وقد ذكرتُ أن ارتفاع المغرب من اوله الى آخره من ثمان مائة الف دينار الى ما زاد على ذلك بيسير ، وربما نقص الكثير ، وجباية سجلماسه تختص بها وبعملها ، وتكون خمسة أيام في ثلاثة .

٥٥ — والبربر السكان بالمغرب فقبائل لا يُلحق عددهم ولا يُوقف على آخرهم ، لكثرة بطونهم وتشعب أفخـاذهم وقبائلهم وتوغلهم في البراري وتبددهم في الصحاري ، وجميعهم من ولد جالوت إلا اليسير منهم ، وفيهم ملوك ورؤساء ومقدّمون في القبائل يطيعونهم فلا يعصونهم ويأمرونهم فلا يخالفونهم ، والمال فيهم من الماشية كثير غزير ومن المتعزبين الموغلـين في البراري صنهاجة اودَغست . وسمعت أبا اسحاق ابراهيم بن عبدالله المعروف بفَرَغَ شُغلُه وهو صاحب الدين والصكّ الذي قدّمتُ ذكره باودغست يقول : سمعتُ تنبروتان بن اسفيشر يقول وكان ملك صنهاجة اجمع أنـه يلي امرهم مذ عشرين سنة ، وانه لا يزال في كل سنة يرد عليـه قوم منهم زائرين له لم يعرفهم ولا سمع بهم ولا َمقلَهم ، قـال : ويكونون نحو ثلاثمائة الف بيت من بين نوّالة وخُصّ ، وكان المُلك في اهل هـذا الرجل لهذا القبيل مذ لم يزالوا ، وحدّثني ايضاً ابو اسحاق ابراهيم بن عبدالله أن قبيلة من قبائل البربر قصدت ناحية اودغست للايقاع بآل َتنـَبروتان ، في جمع كثيفٍ وعُدّةٍ قويّة وعِدّةٍ عظيمة تلتمس غِرّة وتهتبـل فرصة عن طوائل حدثت مع بعض صنهاجة ، وبلغ ذلك تنبروتان ملكهم هذا وأعيد عليه ذِكرُهم وحالُهم ومقصدُهم في طريقهم دفعاتٍ ، فلم يُعِـد جواباً فيه ودعا برُعاةٍ كانوا لأخته ، وكانت أيسر اهل قبيلتها وأكثرهم مالاً من حيث لا يعلم احدٌ ، وقال لهم : أنتم على مياه فلانة وفلانة وبنو فلان يردون ناحيتكم ليلة كذا وكذا ، فاذا كان في سُحرة تلك الليـلة فاعتمدوا َهيج الابل التي هناك بأجمعها على الشرف الفلاني ونفارها على

القوم ، واكتموا على ما أقوله عن انفسكم لتنالوا به مني خيراً ان شاء الله . وأتى القوم فنزلوا ونفّر الرعاة الإبل فصوّبت على المكان والجيش الذي به ، فأتت على جميع من كان منهم مع إبلهم وسلاحهم دوساً لهم ووطئاً عليهم حتى استفاض جميع من باودغست ومن بعُد عنهـــا من أعدائهم ، أنه لم يعرف لواحد منهم حلية ٌ بوجه من الوجوه ولا أثر لشيء مما كان معهم ، حتى جعلوه شِذَرَ مِذَرَ ، وكان رُعاتها هناك مائة ومع كل راع منهم مائة وخمسون جملاً ، وأصبحوا اليه يهنئونه وقد كفاهم الله شرّهم .

٥٦ — وملك اودغست هذا يخالط ملك غانه ، وغانه أيسر مَن على وجه الأرض من ملوكها بما لديه من الأموال والمدّخرة من التبر المثار على قديم الأيام للمتقدمين من ملوكهم وله ، ويهادي صاحب كوغه وليس كوغه بقريب من صاحب غانه في اليسار وحسن الحال ويهادونه ، وحاجتهم الى ملوك اودغست ماسّة من أجل الملح الخارج اليهم من ناحية الاسلام ، فإنه لا قوام لهم إلا به وربما بلغ الحمل الملح في دواخل بلد السودان وأقاصيه ما بين مائتين الى ثلاثمائة دينار .

٥٧ — وفيما بين اودغست وسجلماسه غير قبيلة من قبائل البربر متعزّبون لم يروا قط حاضرة ولا عرفوا غير البادية العازبة ، فمن ذلك شرطة وسمسطة وبنو مَسُوفَا قبيل عظيم من المقيمين بقلب البرّ على مياه غير طائلة ، لا يعرفون البُرّ ولا الشعير ولا الدقيق ، وفيهم من لم يسمع بهما إلاّ بالمثَل . وأقواتهم الألبان وفي بعض الاوقات اللحم ، وفيهم من الجلد والقوة ما ليس لغيرهم ، ولهم ملك يملكهم ويدبرهم تكبره صنهـاجة وسائر أهل تلك الديار ، لأنهم يملكون تلك الطريق . وفيهم البسالة والجرأة والفروسيّة على الإبل والخفّة في الجري والشدة والمعرفة بأوضاع البَرّ وأشكاله والهداية فيه ، والدلالة على مياهه بالصفة والمذاكرة ، ولهم الحسّ الذي لا يدانيه في الدِلالة إلا من قاربهم وسعى سعيهم . فإنه يُحكى عن أهل فرغانه واشروسنه واسبيجاب وخوارزم من الهداية والاستدلال في الظلام والليل البهيم بغير نجوم ، والنهـار المنطبق بالقتام

والركام وسقوط الثلج ، بحيث يُنكر المرء من لديه على خطوات ولا يراه للضباب ، وهم في ذلك يجرون ويسيرون وقد استوت فجاج الأرض وأوعارها وجبالها وأوديتها بما استولى عليها من الثلوج ، فصارت كالمستوية الأرجاء وهم غازون فيقول قائلهم : أين نحن وعلى أي أشجار نسير وبأي وادٍ وعلى أي قُتْرٍ من الجبل الفلانيّ أنتم ؟ فلا يخرم مجيبه فيما يجيبه به عن نفس الحقيقة والموضع الذي سأله عنه . ولقد قال أحدهم لمن سأله : نحن على الشجرة الفلانية من بلد كذا وكذا وما رآه سائله بل أنت عن تلقائها ؛ فوجد الأمر على قول المجيب . ورأيت من بعض هذا القبيل وقد أثيرت جِمالٌ أراد هذا الرجل بعضها وقد قعد على طريقها وهي نافرة شاردة ، وكانت بأجمعها فحولاً بُزّلاً فقبض على كُراعه وهو نافر وقد ساواها في العَدْو ، فمنعه الحركة الى أن ضرب به الأرض ونحره فكأنه نحر عنزاً أو قصد جدياً . ولهم خلق تامّ وحول وجلد عام في نسائهم وفي رجالهم ، ولم يُرَ لأحدهم ولا لصنهاجة مذ كانت من وجوههم غير عيونهم ، وذلك أنهم يتلثّمون وهم أطفالٌ وينشؤون على ذلك ، ويزعمون أن الفم سَوءةٌ تستحق الستر كالعورة لما يخرج منه إذ ما يخرج منه عندهم أنتن ممّا يخرج من العورة . ولهم لوازم على المجتازين عليهم بالتجارة من كل جَمَل وحِمْل ، ومن الراجعين بالتبر من بلد السودان وبذلك قوام بعض شؤونهم .

٥٨ — ومن بأداني سجلماسه والمغرب من البربر يأكلون البُرّ ويعرفونه والشعير ويزرعونه والتمور والطيّبات . وفي أعراضهم أصحاب البرانس المقيمون بين السوس واغمات وفاس ، ولهم لوازم على المجتازين من فاس الى سجلماسة يلزمونهم على ما معهم من التجارة ويخفرونهم . وفي كثير منهم الشراية والتدين القوي بها والتمسك بها . وفي بعضهم الاعتزال والعلم ومن بالسوس ونواحي دَرعـه شيعة ، وفي اخبارهم أن بعض شراتهم ركب في فِئة من قومه فلقي نفراً من اصحاب واصل بن عطاء بنواحي زنانة ، فبدر اليهم وقال : من أنتم ؟ وكان المسؤول لَسِناً جَدِلاً فقال : مشركون نحب ان نسمع كلام الله ، وكان يجب عليهم

لوازم فيما معهم من المتاع . فقال السائل : أريحوا وانزلوا على هـذا الماء «لتسمعوا وتبلغوا مأمنكم[١]» كما امر الله تعالى . فأنزلوهم وأضافوهم وعلفوهم وأكرموهم وبلّغوهم ولم يُلزموهم شيئاً وأجازوهم الى متوسط بلاد المغرب . وجميعهم يبيحون البلاد للمراعي والزرع والميـــاه لورود الابل والماشية . وفي كثير منهم ألوان حسنة ومحاسن فائقة في خلقهم وأبدان نقيّة ، حتى يأخذوا في جهة الجنوب فتستحيل ألوانهم وأبشارهم وفيهم اصحـاب ماشية وخيل وبغال ونتاج يقتنون الرَمَك ويستنتجون البغال وغيرها ، ومنهم من لا يقدر لعوز الماء على غير الابل واليسير من المعز ولنأي الماء عنه .

٥٩ — وبين المغرب والبلدان التي قدّمتُ ذكرها وبلد السودان مفاوز وبراري منقطعة قليلة الميـــاه متعذّرة المراعي ، لا تُسلك إلا في الشتاء وسالكها في حينه متصلُ السفر دائمُ الورود والصَدَر .

٦٠ — ومن بالسواحل من البربر بنواحي الهبط وأرض طنجـة وازيلي وفاس والسوس وتامدلت ، ففي خفضٍ من العيش وطيبة المآكل وخاصةً من بالهبط في ضمن عبدالله بن إدريس بن ادريس بن عبيـد الله بن ادريس ابن ادريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب ، صلوات الله عليهم اجمعين ، وفي غاية من الخصب ورخص الأسعار واللذيذ من الاغذية الحسنة وكانت حالهم فيما تقدّم أزيد من هذا الوقت صلاحاً ، وقد تغـيّر بعض ما أدركتُه في سني نيّف وثلاثين من حالهم .

٦١ — وفي وقتنا هذا فقـــد تدانت أحوالهم وصلحت امورهم وعمر طريقهم ، ولم يزل اهل هذا النسب منظوراً اليهم ، مرعيّة حقوقهم عنـد بني أميّة على سالف الدهر ، وأدركتُ عبدالرحمن أبا المطرّف بن محمّد ابن عبدالله بن محمـد بن عبدالرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان ، يحـافظ عليهم مرّةً ويسوقهم بالعصا مرة لما كان تظاهر به أبو العيش من قبح السيرة وخبث المعاملة لبني السبيل وكثرة الغيلة ؛ وذلك أن عبدالرحمن هذا وأهله يملكون الاندلس

١ — (لتسمعوا . . . مأمنكم) قابل سورة التوبة (٩) الآيتين ٥ و٦ .

ويحاذون هذه الناحية ، وبينهم أصل الخليج الخـــارج الى بلد الروم عن قرب مسافة ما بين العدوتين ، حتى أنهم ليرى بعضهم ماشية بعض وصور أشجارهم وزروعهم ، ويتبيّنون الأرض المفلوحـة من ارض البور وعرض الماء في ذلك يكون اثني عشر ميلا . وأما حكم اصحاب طنجة المذكورين عند المهديّ والقائم ومن تقدّم من ملوك المغرب فعلى سبيل الرعاية والصيانة، كانوا يفدون ويزورون ويكرمون ويبجّلون ويحملون ويوصلون ويصرفون على ما يحبّون .

٦٢ — وقد أعدت في غير موضع ما استكثرته من عـدد احياء البربر وقبائلهم الذين تجمعهم أبوّة جالوت ، وكأني ببعض المتصفّحين لكتابي هذا يستثقل ذلك ولا ينزله منزلتَه . وقد اعدتُ بهذه الصفحة وما يتلوهـــا ذكر ما وقع اليّ من اسماء قبائل صنهاجـة وبطونها وأفخاذها وعصبتهم وهم : انكيفو وبني ماركسن وبني كاردميت وبني سيغيت وبني صالح وبني مَسوفا ، وبني وارث وبني تُوتَك وسرطه وسططه وترجه ومداسه، وبني لموتونا ومغرسه وموصنه وفريّه ولمطـه ومَلوانه وانيكارت ، فهذه قبائل صنهاجة الخُلَّص ، وأما بني تاغاك ملوك تادمكه والقبائل المنسوبة اليهم فيقال أن اصلهم سودان ابيضّت أبشارهم وألوانهم، لقربهم الى الشمال وبعدهم عن ارض كُوكُو وهم لأُمّاتهم من ولد حام ، وهندزه ومكيته وكلماتّه وانكرياغن وكركه وايللغموتن ، وكطوطاوه وسكره وبلغلاغـه واندين وهاكته وانغزين وايزواغن، وكيلتموني وكيلمكزن وكيلفروك وفداله وكلساندت وكيل دفر ، وبني بزار وايكدرن وايكوفان وانككان وايسطافن وايفكرن . ويقول آخرون بل من صنهاجة انفسهم، واحتجّ ملحق بني تاغاك ببنوّة حام بقول الكنديّ ان البيضان اذا تناسلوا في بـــلد السودان سبعة ابطن عادوا في سحنتهم وبسوادهم ، واذا توالد السودان في بلد البيضان سبعة أبطن عادوا في صورتهم وخلقهم من البياض والنقاء، وليس بمثل هذه الدعوى يتكلم على الأنساب ويقرّ منكر بني تاغاك بأن بني تماكيزت منهم . ومساطه آل يوسف بن زيري بن مناد خليفة آل عبيد الله أصحاب المغرب على المغرب ، وبلكين يوسف بن زيرى بن مناد

هي صاحب المغرب يومنا هذا وملكه مذ يوم شخوص أبي تميم عنه ، ومن قبائل صنهاجة الخارجة [. . . . .][1] وبني عمر زيوى وقبيلته يسّوه وايفرين وايكيتن وايتوتين وايتروين وايوازين واسواله ، وبني كسيله وبني ورتاف وايزقارن وتلكاته ، وسيّد ملوك تادمكه في وقتنا هذا فسهر بن الفاره واليناو بن سبنزاك وهم الولاة وفيهم رياسة وعلم وفقه وسياسة الى علم بالسير واضطلاع بالأثر والخبر وهم بنو تانماك .

٦٣ – ومن قبائل البربر الخارجة عن صُلب زناتة : بنو مغراوه وبنو وتاجن وبنو يلوما وبنو يزلتن وبنو يزمونتا وبنو زاوين وبنو امندرين وزواوه ومكلاته ، وبنو ملنتيس وبنو واريتن ونزارته وبنو سنوس وبنو يانكانس ، واي سراوسن وبنو يوكسّن وبنو يوجين وبنو يوجلين وبنو تيكرت ، ومريطاطه وبنو يغمريتن وبنو يلغيل وبنو يلاسيكشن يويد قوم الله ، وبنو نفوريت ومنجصه ودانه وزواوه ونفزه وبنو واريفن وبنو يرنيان ، وبنو امزيور وبنو وارونيفن وبنو صندرين وبنو بطوى ، وبنو غرميست وكرنتـايه وفنزازه وبنو ورياغن وبنو مطكرداسن ، وبنو مومناسن وبنو مستيزين وبنو غمرت وبنو يسوكين ، وبنو طارق وبنو مومان وبنو احوب وبنو مستنيتن وبنو ورتيزان وبنو غليان ، وبنو ومانُوا وبنو وريليتس وبنو وفا وبنو يليان ، وبنو لُوه ورجمه وبنو ويسروكن وبنو تدرج وبنو وصين وبنو مصنان ، وبنو بوليت وبنو سبلين وبنو سيكرين وبنو غفاوسن ، وصدينه وبنو وكلادن وبنو وطوف وبنو غرزوات وبنو سغماز ، وبنو يزال وبنو تزارت وبنو زوراغ وبنو شلكان وبنو يُوراسن ويغمره . وهؤلاء عصبة زناتة من لواتة ومزاتة وهم بنو خطاب ملوك مزاتة وهم من مزاتة أنفسهم . وبنو يكدلين وبنو يزدرن وبنو عكاره ورماته ونجاسه . وسيّد بني خطاب اليوم أبو عبد الله مبارك بن عيسى بن خطاب بزويله مطاع

---

١ – [. . . . . . .] الظاهر أنه يفقد هنا بعض الكلمات في الأصل ولا يستبعد أن كان أول الفقرة المفقودة كلمتي (عن صلب) كما فيما بعد في مبتدأ ذكر قبائل زناته ثم اسم الجدّ الذي تنسب اليه القبائل التالية أسماؤها .

في أدانيه وأباعده ، ورهطه بنو مزليكش وفيهم المملكة وهم آل خطاب علية مزاته . وبلكاوه واسيله وفطناسه وسمتيسه وكلله وبنو درف ، وبنو مندره وبنو دوسين وبونيسه الأشرار الأنكاد الأقذار ، وبنو اجرفزان وباجايه وبنو سدوين وبنو غيلين وبنو يرمزيان ، وبنو الهكم وزهاته وبنو عبد الملك وبنو يفوكسن ونسيده ووروديغه ، وورزيفه وكرداسه ورهاوه وبنو ايكلان وورزيغه ، وبنو سفتلن وبنو يطوفه وبنو الاسوار وبنو عاصم وبنو يزتاسن ، وبنو مكسن وبنو ويان وبنو زعرور وبنو اسمعيل وبلاجه ، وعنزوره واكوده ومزوره وفرطيطه ومقرطه وبنو كملان ، ومن قبائل زناته ايضاً [....][1] وبنو يفرن قبيل يعلي بن محمد وهم وولديه في غاية البـلاء مع يوسف بن زيرى وقتنا هـذا . وبنو واسين ومَطاره وبنو واصل وبنو حمزة وبنو وابوط ومكناسه وبنو تيغرين ، ومسغونه وبنو ياكرين ، وملوك زنانة بنو ورزمار ، وكان منهم محمد بن الخير بن محمد بن خزر وعطيّة ومقاتل ولقمان وخزرون بن فلفل قاتل ابي عبدالله بن المعتزّ صاحب سجلماسه ، وكان ابو عبد الله بن المعتزّ قتل اخاه المنتصر وهم اثنا عشر رجلًا . فأما محمد بن الخير فانه قتل نفسه بيـده ، اذ بايته يوسف بن زيرى خوفاً من ان يأسره وكان أجمل قومه ، وكان محمد ابو عبد الله بن خزَرٍ وعطيّةُ فارسَى زنانة ومقاتل اخوهما بالسوس حيٌّ . وبنو ستاتة وبنو دركمون وبنو مسكن وبنو لنت وكورايه وسندراته ؛ وبنو زنداج وبنو ورسفيان ووورداجه وبنو دمر وبنو سنجاسن .

٦٤ ــ ولو قلتُ أني لم اصل الى علم كثير من قبائلهم لقلتُ حقاً ، اذ البلاد التي تجمعهم والنواحي التي تحيط بهم مسيرة شهور في شهور ، والعلماء بأنسابهم واخبارهم وآثارهم هلكوا ، وكنتُ قد اخذتُ عن بعضهم رسوماً أثبتُّها ولم ارجع منها الى غير ما قدّمتُه من ذكر قبائلهم .

---

١ ــ [....] لعله يفقد هنا بعض الاسماء من اسماء القبائل .

الأندلس

١ – فأما الاندلس فهي من نفائس جزائر البحر ومن الجلالة في القدر بما حوته واشتملت عليه بجال ٍ سآتي بأكثرها . ودخلتُها في اوّل سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ، والقيّم بها ابو المُطرّف عبدالرحمن بن محمـــد بن عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن بن الحكم بن هشام بن عبدالرحمن بن معوية ابن هشام بن عبدالملك بن مروان . وطولها شهر في عرض نيّف وعشرين يوماً . وفيها غامر واكثرها عامر مأهول ، ويغلب عليها الميـــاه الجارية والشجر والثمر والأنهار العذبة ، والرخص والسعة في جميع الاحوال الى نيل النعيم والتملّك الفاشي في الخاصة والعامة ، فينـال ذلك أهـل مهنهم وأرباب صنائعهم لقلة مؤنهم وصلاح بلادهم ، ويسار ملكهم بقلّة كُلَفه ولوازمه وسقوط شغله بشيء يحذره وحال تخيفه ، اذ لا رقبة عليه لأحد من أهل جزيرته ولا خشية له من عدوّ ينصب لمملكته ، مع عظم مرافقه وجباياته ووفور خزائنه وأمواله . ومما أدُلُّ بالقليل منه على كثيره وغزيره أن سكّة دار ضربه على الدنانير والدراهم ضمانُها في كل سنة مائتا ألف دينار ، ويكون عن صرف سبعة عشر بدينار ٍ ثلاثة آلاف ألف وأربع مائة الف درهم ؛ هذا الى صدقات البلد وجباياته وخراجاته وأعشاره وضماناته ومراصده وجواليه ، وما يقبض من الأموال الوافرة على المراكب الواردة اليهم والصادرة عنهم والرسوم على بيوع الأسواق ، ومن اعجب أحوال هذه الجزيرة بقاؤها على من هي في يده مع صغر احلام اهلهـــا وضعة نفوسهم ونقص عقولهم ، وبعـدهم من البأس والشجاعة والفروسية

والبسالة ولقاء الرجال ومراس الأنجاد والابطال، وعلم موالينا عليهم السلام بمحلّها في نفسها ومقدار جباياتها ومواقع نعمها ولذّاتها .

٢ ـ فأما مغرب هذه الجزيرة فمن مدخل خليج المغرب المذكور ومصبّ مائه على البحر المحيط من نواحي لبله وجبل العيون ، آخذاً على لب وشلب الى أن يتصل بشنتره والنهر الآخذ من سموره مدينة الجلالقة الى موضع مصبه من البحر المحيط ، وشمالها فمن شنتره ذاهباً على نواحي سموره وليون ويونه من بلاد جليقيه ، الى اقاصي بلد جليقيه ، ومشرقها فمن مشارق جليقيه الى الخليج المغربيّ على نواحي سرقصه وضواحي وشقه وطرطوشه وجميع بلاد الافرنجه من جهة البر ، وجنوبيّها الخليج المذكور من بجانه الى تُجاه جزيرة صِقليه على بلاد بلنسيه ومُرسِيه والمريّه ومالقه والجزيرة الى ركن البحر المحيط .

٣ ـ وأوّل ارضها المعمورة على الخليج الرومي، فمن أشبيليه ثم الجزيرة ويستمر على المريّه الى افرنجه ، ويعود على ارض جَليقيه الى شنترة الى اخشنبه على البحر المحيط . وأما حد تُدمُونه ومُرسيه وما صاقبها من ارض بلنسيه الى طُرطوشه وهي آخر المدن التي على البحر المتصل ببلد الافرنجه فهي ثغور تتصل من جهة البر ببلاد غَلجشكش، وهي بلاد حرب للروم، ثم تتصل ببلد بشكونس وهم ايضاً نصارى الجلالقة . فينتهي من الاندلس حدّان حدٌّ الى دار الكفر وحد الى البحر المحيط . وجميع ما ذكرتُه من المدن على البحر فمدن كبار عامرة مشحونة بالمرافق التي يفتخر بها اهل النواحي في بلادهم ومنابرهم ، ولم تزل الاندلس في أيدي بني مروان الى هذه الغاية .

٤ ـ ومن مشاهير مدنها القديمة : جِيان وطليطله ووادي الحجارة ، وجميع مدنها قديمة أزلية لم يُحدَث بها في الاسلام غير مدينة بُجانه، وهي المريّة وهي على حدود رستاق لبيرة وشنترين ايضاً على ظهر البحر المحيط مُحدثة .

٥ ـ وبالاندلس غير طرازٍ يرد الى مصر متاعُه وربما حمل منه شيء الى اقاصي خراسان وغيرها . ومن مشهور جهازهم الرقيق من الجواري

والغلمان الروقة من سبي افرنجه وجليقيه والخدم الصقالبة ، وجميع من على وجه الارض من الصقالبة الخِصيان فمن جَلَب الاندلس، لأنهم عند قربهم منها يُخصَون ويفعل ذلك بهم تُجار اليهود والصقالبة قبيل من ولد يافث، وبلدهم مستطيل واسع ولغُزاة خراسان من ناحية البُلغار بهم اتصال، فهم اذا سُبوا الى هنالك تُركوا فحولة على احوالهم مقرورين على صحّة أجسامهم، وذلك أن بلد الصقالبة طويل فسيح ، والخليج الآخذ من البحر المحيط بنواحي ياجوج وماجوج يشق بلدهم ويستمر مغرّباً الى نواحي اطرابزنده ثم الى القسطنطينية ويقطع ناحيتهم بنصفين: فنصف بلدهم بالطول يسبيه الخراسانيّون ويصلون، والنصف الشمالي يسبيه الاندلسيّون من جهة جليقية وافرنجة وانكبردة وقلورية، وبهذه الديار من سبيهم الكثير باق على حاله؛ وسأذكر جميع ما بها من المجالب في جملة ما يرد من المغرب من التجارة والجهاز .

٦ — ومن معاظم كور الاندلس ريه ومدينتها ارجذونه ؛ ومنها كان عمر بن حفصون الخارج على بني أميّة وفحص البلوط متصل بديار ابن حفصون وريه كورة واسعة خصبة . واسفقه رستاق أيضاً حسن ومدينته غافق . وبالاندلس غير ضيعة فيها الألوف من الناس لم تمدّن ، وهم على دين النصرانيّة رومٌ ، وربما عصَوا في بعض الأوقات ولجأ بعضهم الى حصن فطال جهادهم لأنهم في غاية العتوّ والتمرد ، واذا خلعوا رِبقة الطاعة صعب ردهم إلا باستئصالهم ، وذلك شيء يصعب ويطول . وماردة وطليطلة من أعظم مدن الاندلس وأشدها منعةً ، وثغور الجلالقة ماردة ونفزة ووادي الحجارة وطليطلة تلي مدينتي الجلالقة التي تعرف بسمورة وليون ، وليون مسكن سلطانهم وعدّتهم بعد سمورة ، واوبيط من كبار مدنهم وهي بعيدة عن بلد الاسلام . وليس في أصناف الكفر الذين يلون الاندلس أكثر عدداً من الافرنجة ، غير أن الذي يلي المسلمين منهم ضعيفة شوكتهم قليلة عِدّتهم وعُدّتهم ، وفيهم إذا ملكوا طاعة وحسن نصيحة ومحاسن كثيرة . واليهم يرغب أهل الاندلس عن الجلالقة بأولادهم ، والجلالقة أحسن وأصدق محاسن وأقل طاعة وأشد بأساً وقوة وبسالة ،

وفيهم غدر وهم في عرض طريق الافرنجه .

٧ – وأعظم مدينة بالاندلس قُرطُبه وليس بجميع المغرب لها شبيه ، ولا بالجزيرة والشام ومصر ما يدانيها في كثرة أهل وسعة رقعة وفسحة أسواق ونظافة محالّ ، وعمارة مساجد وكثرة حمّامات وفنادق ، ويزعم قوم من سافرتها الواصلين الى مدينة السلام أنها كأحد جانبي بغداد ، وذلك أن عبد الرحمن بن محمد صاحبها ابتنى في غربها مدينة وسماها بالزهراء في سفح جبل حجر أملس يعرف بجبل بطلش ، وخطّ فيها الأسواق وابتنى الحمّامات والخانات والقصور والمتنزهات ، واجتلب اليها العامّة بالرغبة وأمر مناديه بالنداء في جميع أقطار الاندلس : ألا من أراد أن يبتني داراً أو أن يتخذ مسكناً بجوار السلطان فله من المعونة أربع مائة درهم ؛ فتسارع الناس الى العمارة وتكاثفت الأبنية وتزايدت فيها الرغبة ، وكادت الأبنية أن تتصل بين قرطبه والزهراء ، ونقل اليها بيتَ ماله وديوانه ومحبَسَه وخزائنه وذخائره . وقد نُقل جميع ذلك وأعيد الى قرطبة تطيّراً منهم بها ، وتشاؤماً بموت رجالهم فيها ونهب سائر ذخائرهم .

٨ – وسمعتُ غير محصّل ثقة ممن يستبطن جبايات البلد وحاصل عبد الرحمن بن محمد أن لديه مما اتجه له جمعه من الأموال الى سنة أربعين وثلاثمائة ما لم ينقص من عشرين ألف ألف دينار إلا اليسيرَ القليل ، دون ما في خزائنه من المتاع والحلى المصوغ وآلة المراكب ، وما يتجمّل به الملوك من القنية المصوغة . ولما توفي عبد الرحمن بن محمد سنة خمسين وثلاثمائة صار الأمر الى ابنه أبي العاصي الحكم بن عبد الرحمن ، فصادر رجال أبيه وقبض نعم خدمه والوزراء الذين لم يزالوا في صحبته ، فكان الحاصل منهم عشرين ألف ألف دينار ، يتواطأ في علم ذلك أهل الخبرة بهم ويتساوون في معرفة وجوهه ، ولم يكن لهذا المال في وقته في بلد الاسلام شبه إلا ما كان في يد الغضنفر أبي تغلب بن الحسن بن عبد الله بن حمدان ، فإنه كان مما يتعامله خاصتهم بالجزيرة والعراق ، ومقداره يزيد على ذلك حتى قيل أنه كان خمسين ألف ألف دينار ، وأدال الله منه فأخرجه عن يده ومحقه وبدّده ؛ وكذلك عادة الله تعالى في كل ما

كسب من حرام واجتمع بالبغي والظلم والآثام . وصورة ما بالاندلس من المال الذي قدمت ذكره صورة ما للشقيّ بن الشقي ، وقد استحوذ عليه أبو عامر بن أبي عامر صاحب السكة بالاندلس وقتنا هذا ، فهو يلذ تفريقه وشقي به من جمعه وباء بإثمه من لم يحظ به .

٩ — وقرطبة وإن لم تكُ كأحد جانبي بغداد فهي قريبة من ذلك ولاحقة به ، وهي مدينة ذات سور من حجارة ومحال حسنة ورحاب فسيحة ، وفيها لم يزل ملك سلطانهم قديماً ومساكنُه وقصرُه من داخل سورها المحيط بها ، وأكثر أبواب قصره في داخل البلد من غير جهة ، ولها بابان يشرعان في نفس سور المدينة الى الطريق الآخذ على الوادي من الرصافة . والرصافة مساكن أعالي ربضها متصلة مبانيها بربضها الأسفل ، وأبنيتها مشتبكة مستديرة على البلد من شرقه وشماله وغربه . فأما الجنوب منه فهو الى واديه وعليه الطريق المعروف بالرصيف والأسواق والبيوع والخانات والحمّامات ومساكن العامة بربضها ، ومسجد جامعها جليل عظيم في نفس المدينة والحبس منه قريب . وقرطبه هذه بائنة بذاتهـــا عن مساكن أرباضها غير ملاصقة لها ، والمدينة قريبة الحال ودرتُ بسورها غير يوم في قدر ساعة ، وهي نفسها مستديرة حصينة السور وسورها من حجر . ولم تكن الزهراء بذات سور تام . وبها مسجد جامع حسن طيّب في نفسه دون جامع البلد في المحل والقدر والكبر . ولقرطبه سبعة أبواب حديد ، وهي فخمـة واسعة الحال بحسن الجدّة وكثرة المال والتصرف في وجوه التنعم بجيّد الثياب ، والكسى من ليّن الكتان وجيّد الخز والقز والمتعة بفاره المركوب والمأكول والمشروب .

١٠ — وليس لجيوشهم حلاوة في العين لسقوطهم عن اسباب الفروسيّة وقوانينها ، وإن شُجعت انفسُهم ومرنوا بالقتال فان اكثر حروبهم تتصرّف على الكيد والحيلة ، وما رأيتُ ولا رأى غيري بها إنساناً قطّ جرى على فرسٍ فارهٍ او برذَونٍ هجينٍ ورجلاه في الركابين ولا يستطيعون ذلك ، ولا بلغني عن احد منهم لخوفهم السقوط وبقاء الرجل في الركاب على قولهم . وهم يفرسون على الأعراء من الخيل وما أطبقت قط جريدةُ

عبد الرحمن بن محمد ولا من سبقه من آله وآبائه على خمسة آلاف فارس ممن يقبض رزقه ويختم عليه ديوانه ، لأنه مكفي المؤونة بأهل الثغور من أهل جزيرته ما ينوبه من كيد العدوّ ومن يجاوره من الروم، ولا عدوّ عليه سواهم وقلما يكترث بهم . وربما طرقه في بعض الأحايين مراكب الروس والترك البجناكيّة ، وقومٌ في جملتهم من الصقالبة والبلغار، فينكوا في اعماله وربما انصرفوا خاسرين خائبين .

١١ — وبالاندلس الزيبق والحديـد والرصاص ، ومن الصوف قِطع كأحسن مما يكون من الأرمنيّ المحفور الرفيع الثمن الى حُسن ما يُعمل بها من الأنماط . ولهم من الصوف والاصباغ فيه وفيما يعانون صِبغهُ بدائع بحشائشَ تختصّ بالأندلس، تُصبغ بها اللبود المغربيّة المرتفعة الثمينة والحرير وما يؤثرونه من ألوان الخزّ والقزّ ، ويُجلب منها الديباج ، ولم يساوهم في اعمال لبودهم اهل بلد على وجه الارض ، وربما عُمـل لسلطانهم لبود ثلاثينيّة يُقوّم اللبد منها بالخمسين والستين ديناراً ، غير انه قد جُعل عروضها خمسة وستة اشبار فهي من محاسن الفَرش . ويُعمل عندهم من الخزّ السَكَب والسفيق ما يزيد ما استعمِل منه للسلطان على ما بالعراق، ويكون منه المُشمَّع فيمنع المطر ان يصل الى لابسه . وأمـا أسعارهم فتضاهي النواحيَ الموصوفة بالرخص وكثرة الخير والسعة . وفواكههم مع طيبـةٍ فيها وسطة فكالمباحة التي لا ثمن لهـا . ويُعمل في اقطار بلدهم من الكتان الدني للكسوة ويُجلب الى غير مكان ، حتى ربما وصل الى مصر منها الكثير . فأما ارديتهم المعمولة ببجانه فتُحمل الى مصر ومكة واليمن وغيرها ، ويستعمَل عندهم للعامّة وللسلطان من الكتان ثياب لا يُقصر عن الديبقيّ ما كان منها صفيقاً ، ومن السلس الدقيق مـا يستحسنه من لبس الشَرب ويضاهي رفيعَ الشطوي الجيّد . وقلّ سوق بها يصير اليه اهله إلا على الفارِه من المركوب . ولا يعرف فيهم المهنة والمشي إلا اهل الصنائع والأرذال ، وتختص بالبغال الفُره وبها يتفاخرون ويتكاثرون . ولهم منها نتاج ليس كمثله في معادن البغال المذكورة وأصقاعها المشهورة من ارمينيه والران وباب الابواب وتفليس وشروان ، لأنها تَبـدُنُ. وتصنع وتُنجب

و'يجلَبُ اليهم منها شيءٌ حسن الشيَةِ عظيم الخلق كثير الثمن من جزيرة ميرقه ، وهي جزيرة لعبد الرحمن بن محمد فيها المسلمون منقطعة ، تلي ناحية افرنجه واسعة الخير كثيرة الثار رخيصة الماشية لكثرة المراعي ، غزيرة النتاج والمواشي معدومة الجوائح قليلة الآفة ، وليس بها عاهة ولا وحش يؤذيهم في سائمتهم . ورأيت منها غير بغل بيع بخمس مائة دينار واليها يرغب ملوكهم بمراكبهم وإياها يستوطئون ويؤثرون فيما يركبون . فأما ما يبلغ منها المائة والمائتي دينار فأكثر من أن يحصى ، وليس ذلك لأنها أزيد على البغال الموصوفة بحسن السير وسرعة المشي فقط ، بل جمعت مع ذلك عظم الخلق وحسن الشية الى اختلاف الألوان الصافية والشعور الدهينة المشرقة والصحة على مرّ الأيام ، مع الصبر على الكدّ والعَسْف .

١٢ — ذكر المسافات بها ، فمن قرطبه الى مراد مرحلة ، ومن مراد الى غرغيره مرحلة ، ومن غرغيره الى اشبيليه يومان وهي مدينة كثيرة الخير والفواكه والكروم والتين خاصة . وهي على وادي قرطبه ومن اشبيليه الى لبله يومان وهي مدينة قديمة أزلية كثيرة الخير صالحة القدر عليها سور ، ومنها الى جبل العيون يومان وهي أيضاً قديمة أزلية كثيرة الخير ، ومن جبل العيون الى لب ثلاثة أيام وهي مدينة قديمة ذات سور ، ومن لب الى اخشنبه مدينة مشهورة عظيمة غزيرة الخير كثيرته أربعة أيام ، ومن اخشنبه الى مدينة شلب ستة أيام ، ومن شلب الى قصر بني ورداسن خمسة أيام وهي أيضاً مدينة حصينة ، ومنها الى المعدن وهو فم النهر ثلاثة أيام وهي في نفسها صالحة القدر ، ومن فم النهر الى لشبونه يوم ، ومن لشبونه الى شنتره يومان ، ومن شنتره الى شنترين يومان ، ومن شنترين الى بيزه أربعة أيام ، ومن بيزه الى جل مانيه يومان ، ومن جل مانيه الى البش يوم ، ومن البش الى بطليوس يعبر النهر يوم ، ومن بطليوس الى قنطرة السيف أربعة أيام ، ومن قنطرة السيف الى مارده يوم ، ومن مارده الى مدلّين يومان ، ومن مدلين الى ترجيله يومان ، ومن ترجيله الى قصراش يومان ، ومن قصراش الى مكناسه يومان ، ومن مكناسه الى مخاضة البلاط يوم ، ومن المخاضة الى طلبيره خمسة أيام ، ومن

طلبيره الى طليطله ثلاثة أيام ، ومن قرطبه الى بطليوس على الجادة ست مراحل ، ومن قرطبه الى بلنسيه اثنتا عشرة مرحلة ، ومن قرطبـــه الى المريّه فرضة بجانة سبعة أيام ، ومن المريّه الى مرسيه خمسة أيام .

١٣ — وجميع هذه المدن المذكورة مشهورة بالغلاّت والتجارات والكروم والعمارات والأسواق والبيوع والحمّامات والخـانات ، والمساجد الحسنة يقام فيها جميع الصلوات وليس بجميع الاندلس مسجد خراب . وفيها مدن يزيد بعضها على بعض في المحلّ والجباية والارتفاع والولاة والقضاة والمخلّفين على رفع الأخبار ، ويقال لأحدهم مخلّف ، وليس بهـا مدينة غير معمورة ذات رستاق فسيح الى كورة فيها ضياع عداد وأكرة وسِعة وماشية وسائمة وعدّة وعتاد وكراع ، وزروعهم فإما بخوس حسنة الرَيع كثيرة الدخل أو أسقاء على غاية الكمال وحسن الحال .

١٤ — ومن قرطبه الى كركويه المدينة وفيها منبر وأسواق وحمّامات وفنادق أربعـة أيام ، والمنزل في كل ليلة بقرية آهلة ، ومن كركويه الى قلعة رباح مدينة كبيرة ذات سور من حجارة وهي على وادٍ لها كبير منه شربِ أهلهـا ويزرعون عليه وبها أسواق وحمّامات ومتاجر مرحلة ، والطريق على قرى ذات عمارة ومن قلعة رباح الى ملقون مدينة على نهر لها سور من تراب ، وهي دون قلعة رباح في الكبر ونهرها يعرف باسمها ، ومنه شرب أهلها مرحلة . ومنها الى ابنش قرية فيهـــا فندق وعين منها شربهم كثيرة الأهل مرحلة ، ومن ابنش الى طليطله مرحلة وهي مدينـة كبيرة جليلة مشهورة أكبر من بجانه ذات سور منيـع ، وهي على وادي تاجو وعليه قنطرة عظيمة طولها خمسون باعاً ، ويصير واديها الى الوادي المنصبّ الى شنتره :

ومن طليطله الى مُغام قرية كبيرة وبها معدن الطفل الاندلسي مرحلة ، ومن مغام الى الغَبرّاء مدينة كبيرة ذات اسواق ومحـالّ ويكون نحو وادياش مرحلة . ومنها الى وادي الحجارة مدينة كبيرة وثغر مشهور الحال مسوّر بحجارة ذات اسواق وفنادق وحمّامات وحاكمٍ ومخلّف ، وبها يسكن ولاة الثغور كأحمد بن يعلي وغالب وعليها اكثر جهاد جليقيه . ومنها الى

شعراء القوارير وفيها منهل تنزله الرفاق مرحلة ، ومنها الى مدينـــة سالم مرحلة ، ومنها غالب بن عبدالرحمن صاحب الجيش ولها سور عظيم ورستاق وإقليم واسع وناحية كثيرة الماشية ، رفهة في جميع اسبابها فائضة الخـــير واسعته ، وهي اكثر الاندلس حرباً وغزواً؛ فهذه جملة من أخبار جزيرة الاندلس .

صقلية

١ — ويلحق بها في حسن الحال مما هو بيد اهل الاسلام صقليّة، وهي جزيرة على شكل مثلث متساوي الساقين زاويته الحادّة من غربي الجزيرة، طولها سبعة ايام في اربعة ايام . وهي في شرقي الاندلس في لجّ البحر وتحاذيها من بلاد المغرب بلاد افريقية وباجة وطبرقه الى مرسى الخرز، وغربيها في البحر جزيرة قرشقه[1] ومن جنوب صقلّية جزيرة قوسره[2]، وعلى ساحل البحر شرقيها من البر الأعظم الذي عليه قسطنطينيّة مدينة ريو ثم نواحي قلوريه، والغالب عليها الجبال والقلاع والحصون وأكثر أرضها مسكونة مزروعة، وليس لها مدينة مشهورة معروفة غير المدينة المعروفة ببلرم، قصبة صقلية، وهي على نحر البحر وهي خمس حارات متجاورة غير متباينة ببعيد مسافة، وإن كانت حدودها ظاهرة بيّنة .

٢ — ومنها المدينة الكبرى المسماة بُلرم وعليها سور عظيم من حجارة شامخ منيع، يسكنها التجار وفيها مسجد الجامع الاكبر وكان بيعة للروم قُبيل فتحها . وفيه هيكل عظيم ويقول بعض المنطقيين ان حكيم يونان يعني ارسطوطالِس في خشبة معلق في هذا الهيكل الذي قد اتخذه المسلمون مسجداً، وان النصارى كانت تعظّم قبره وتستشفي به لما شاهدت يونان عليه من إكباره وإعظامه؛ قال: والسبب في تعليقه بين السماء والارض

---

١ — (قرشقه) — في معجم البلدان (قرشق) .

٢ — قوسره : — في معجم البلدان (قوصرة) .

ما كان الناس يلاقونه عند الاستسقاء والاستشفاء والأمور المهمة التي توجب الفزعة الى الله تعالى والتقرب اليه في حين الشدة وخوف الهلكة ، وعند وطىء بعضهم لبعض ، وقد رأيت خشبة يوشك أن يكون هذا القبر فيها .

٣ ــ وتجاهها مدينة تُعرف بالخالصة ذات سور من حجارة . وليس كسور بلرم يسكنها السلطان وأتباعه ، وفيها حمّامان ولا أسواق فيها ولا فنادق ، وفيها مسجد جامع صغير مقتصد ، وبها جيش للسلطان ودار صناعة للبحر والديوان ، ولها أربعة أبواب من قَبولها ودَبورها وغربها وشرقيّها البحر وسور لا باب له . وحارة تعرف بحارة الصقالبة وهي أعمر من المدينتين اللتين ذكرتهما وأجلّ ، ومرسى البحر بها وبها عيون جارية بينها وبين صقلّية ومياه كالحدّ بينهما . وحارة تعرف بحارة المسجد المعروف بابن سقلاب وهي كبيرة ايضاً ، وليس بها مياه جارية وشرب أهلها من الآبار وعلى طرفها الوادي المعروف بوادي عباس ، وهو عظيم كبير ومطاحنهم عليه كثيرة وبساتينهم وأجنتهم غير منتفعة به . والحارة الجديدة وهي كبيرة تقارب حارة المسجد ، وليس بينهما فرق ولا فاصلة ولا عليها ولا على حارة الصقالبة سور . وأكثر الأسواق فيما بين مسجد ابن سقلاب والحارة الجديدة : كسوق الزّياتين بأجمعهم والدّقاقين والصيارفة والصيادنة والحدّادين والصياقلة ، وأسواق القمح والطرازيّين والسّماكين والأبزاريّين ، وطائفة من القصّابين وباعة البقل وأصحاب الفاكهة والريحانيين والجرّارين والخبّازين والجدّالين ، وطائفة من العطّارين والجزّارين والأساكفة والدّباغين والنجّارين والغضائريّين والخشّابين خارج المدينة ، وببلرم طائفة من القصّابين والجرّارين والأساكفة وبها للقصّابين دون المائتي حانوت لبيع اللحم ، والقليل منهم في المدينة برأس السماط ويجاورهم القطّانون والحلاّجون والحذّاؤون وبها غير سوق صالح . ويدلّ على قدرهم وعددهم صفة مسجد جامعهم ببلرم ، وذلك أني حزرت المجتمع فيه إذا غصّ بأهله بلغ سبعة آلاف رجل ونيّفاً لأنه لا يقوم فيه أكثر من ستة وثلاثين صفاً للصلاة وكل صف منها لا يزيد على مائتي رجل .

٤ – وبصقلية من المساجد في مدينة بلرم والمدينـة المعروفة بالخالصة والحارات المحيطة بها من وراء سوريها عامرة ، أكثرها قائمة على عروشها بحيطانها وابوابها نيّف وثلاثمائة مسجد ، يتواطأ أهل الخبرة منهم في علمها ويتساوون في معرفتها وعددهـــا ، وبظاهرها مما حف بها ولاصقها وبين أجنّتها وأبراجها ، ومحالّ كانت متصلة بالأقرب فالأقرب منها على الوادي المعروف بوادي عباس ، ومجاورة المكان المعروف بالمعسكر في ضمن البلد متبددة في فحص عباس ، وبعضها في أثر بعض الى المنزل المعروف بالبيضاء ، قرية تشرف على المدينة ، وبينهما نحو نصف فرسخ وقد خربت ؛ هلك أربابها بما دار عليهم من الفتن ، يعرف ذلك جميعهم غير مختلفين في مقدارها ، وإنها تزيد على مائتي مسجد . ولم أر لهذه العدّة من المساجد بمكان ولا بلد من البلدان الكبار التي تستولي على ضعف مساحتها شبهاً ، ولا سمعت من يدّعيه إلا ما يتذاكره أهل قرطبة من أن بها خمس مائة مسجد ، ولم أقف على حقيقة ذلك من قرطبه وذكرته في موضعه على شك مني فيه ، وأنا محققه بصقلّية لأني شاهدت أكثره ، ولقد كنت واقفاً ذات يوم بها في جوار دار أبي محمد عبد الواحد بن محمد المعروف بالقفصي الفقيه الوثائقي ، فرأيت من مسجده في مقدار رمية سهم نحو عشرة مساجد يدركها بصري ، ومنها شيء تجاه شيء ، وبينهما عرض الطريق فقط ، وسألت عن ذلك فأخبرت أن القوم لشدة انتفاخ رؤوسهم ، كان يحب كل واحد منهم أن يكون له مسجد مقصور عليه ، لا يشركه فيه غير أهله وغاشيته ، وربما كانا اخوان منهم متلاصقة داراهما متصاقبة الحيطان ، وقد عمل كل واحد منهما مسجداً لنفسه ليكون جلوسه فيه وحده . وفي جملة هذه العشرة المساجد التي ذكرتها مسجد يصلي فيه ابو محمد بن القفصي هذا ، وبينه وبين دار ولدٍ له يتفقه دون الاربعين خطوة ، وقد ابتنى ابنه مسجداً الى جانب داره وهو أحد حدودها الأول جديداً مُغلَّقَ البـاب أبداً ، ويحضر اوقات الصلاة وهو جالس في دهليز داره المجاورة الملاصقة لمسجده ، فلا يصلي فيه . وكأن رغبته كانت في ابتنائه ان يقال مسجد الفقيه بن الفقيه ، وهو حدثٌ له من نفسه محل عظيم وخطر جسيم ، وكأنه لعظم خطره عنده

أنه يُظن ابو ابيه او أنه بغير اب لِبأوه وصَلفِه وحسن ركبته وزيّه . وفي هذه الاربعين خطوة التي ذكرت بين مسجده ومسجد ابيه مسجدٌ آخر مُعلّق له إمام وفيه مكتب .

٥ ـ وبها رباطات كثيرة على ساحل البحر مشحونة بالرياء والنفاق والبطّالين والفسّاق متمرّدين ، شيوخٌ وأحداث اغثاث رِثاث قد عملوا السجادات منتصبين لأخذ الصدقات وقذف المحصنات ، نِقَمٌ مُنزلة وبلايا شاملة وحتوف مصبوبة منصوبة ، وأكثرهم يقودون ومنهم من لا يرى ذلك لشدة الرياء والسُمعة، واكثرهم بالزور تطوعاً يشهدون مع جهل لا يفرّق فيه بين فرض الوضوّ وسُنّته، ويقصدهم من اعوزه المكان لبطالته والموضع لعيارته فيَؤونه وربما شاركوه بتافه من المأكول على أحوال يقبُح ذكرها ، وليس هذا الكتاب مما يذكر فيه مثلها . واحسِب تأسيسها كان على غير التقوى حسب ما أسست عليه المساجد المتقدّم ذكرها ، فهارت وباد اهلها بما جنَوه من الفتن والعصيان وشق عصا السلطان ، والله اعلم .

٦ ـ وكنتُ ذكرت احوال الخالصة وابوابها وما فيها ، ولم اذكر بلرم وهي المدينة القديمة، وأشهر ابوابها باب البحر وسمي بذلك لقربه من البحر ، ويليه باب احدثه ابو الحسين احمد بن الحسن بن ابي الحسين لشكوى اهل هذه الناحية بُعدَ مخرجهم، فعمله على نشز مطل على نهر وعين تدعى عين شفاء ، وبها يُعرف هذا الباب وقتنا هذا ولمن قرب منه مرفق بهذه العين . ثم باب يُعرف بشنتغاث وهو باب قديم واليه باب يُعرف بباب رُوطه، وروطه نهر كبير يهبط من هذا الباب اليه، وأصله تحت هذا الباب وفيه ماء صالح عليه ارحية كثيرة متقاطرة . ثم باب الرياض وهو ايضاً مُحدَث استحدثه ابو الحسين احمد بن الحسن ، وكان بجواره باب يُعرف بابن قرهب في موضع غير حصين، وكانت المدينة قوتلت عليه قديماً فدخل على اهلها منه معرّة وضرر جسيم ، فسدّه ابو الحسين وأزاله . وبجواره باب الأنباء وهو اقدم ابوابها ، واليه باب السودان تجاه الحدّادين ثم باب الحديد ومنه المخرج الى حارة اليهود ، واليه باب استحدثه ابو الحسين ايضاً ولم يُسمّ باسمٍ ويُخرج منه الى حارة ابي جمين ، وجميعها تسعة أبواب .

وهذه المدينة مستطيلة ذات سوق قد اخذ من شرقها الى غربها يُعرف بالسماط مفروش بالحجارة ، عامر من اوّله الى آخره بضروب التجارة ، ويُطيف بها عيون كثيرة منصبّة من غربها الى شرقها ، ويكون مقدارها ما يدير رَحىً وعلى مائها غير رحىً تطحن في غير مكان ، ويجاور مصب ماء هذه العيون من حيث بدؤ مسيلها الى حيث مصبها في البحر اراضٍ كثيرة ، تغلب عليها السباخ وآجام فيها قصبٌ فارسي ، وبحائر ومقاثٍ صالحة . وفي خلال اراضيها بقاعٌ قد غلب عليها البربيرُ وهو البردي المعمول منه الطوامير ، ولا اعلم لما بمصر من هذا البرّبير نظيراً على وجه الارض ، إلا ما بصقلّية منه وأكثره يفتَل حبالاً لمراسي المراكب ، وأقلّه يُعمل للسلطان منه طوامير القراطيس ولن يزيد على قلّة كفايته .

٧ — وشرب اهل المدينة وهم المجاورون لسورها من نحو باب الرياض الى نحو عين شفاء من مياه هذه العيون ، وباقي اهلها واهل الخالصة وجميع أهل الحارات شربهم من أبار دورهم خفيفاً كان او ثقيلاً من الماء ، ويلذّ لهم على كثرة المياه العذبة الجارية عندهم ، وذلك لكثر أكلهم البصل . وشرب اهل المعسكر فمن العين المعروفة بالغربال وماؤها صالح . وبالمعسكر عين تُعرف بعين التسع دون الغربال في كثرة الماء ، وعين تعرف بعين أبي سعيد دونها ، وعين تُعرف بعين ابي عليّ ، وكان من بعض ولاتهم ، فهي مضافة اليه . وشرب الناحية المعروفة بالغربية ، فمن العين المعروفة بعين الحديد وهناك معدن للسلطان من الحديد يصرف ما يُستثار منه لحاجته في مراكبه وقرسطياته ، وكان هذا المعدن لبني الأغلب يُجدي عليهم الكثيرَ ، وهو بقرب قرية تعرف ببلهرا ، وفيها عيون وانهار تتفجّر منها وهي تمد وادي عبّاس وتقوّيه وهي كثيرة البساتين والكروم . ويحيط بالبلد عيون غير مشهورة وينتفع بمياهها كالقادوس في ناحية القبلة ، وبها الفوّارة الصغيرة والفوارة الكبيرة على انف الجبل من البلد ، وهي اغزر عيونهم ماءً وتنصرف هذه المياه الى أجنّتهم . ولقرية البيضاء عين حسنة تُعرف بالبيضاء وتصاقب الغربال والغربية ، وشرب الناحية المعروفة ببرج البطّال من العين المعروفة بعين ابي مالك ، واكثر مياه الدبور من اراضي

المدينة لأجنّتهم فبالسواني . ولهم اجنّة كثيرة الخير وبساتين اعذاء بخوسٌ لا تُسقى كالشأم ، وأكثر مياه البلد والحارات من الأبار ثقيلة غير مرئة ، وإنما صرفهم الى شُربها رغبةٌ عن شرب الماء الجاري العذب قلّة مروآتهم وكثرة أكلهم للبصل ، وفساد حواسّهم بكثرة تغذّيهم بالنيّ منه وما فيهم من لا يأكله كل يوم او يؤكل في داره صباحَ مساه من سائر طبقاتهم ، وهو الذي افسد تخيّلهم وضرّ ادمغتهم وحيّر حواسهم وغيّر عقولهم ونقص افهامهم وبلّد معارفهم ، وافسد سحنة وجوههم وأحال امزجتهم حتى رأوا الأشياء او اكثرها على خلاف ما هي به .

٨ — ومما يؤيد قولي ويشهد ببرهانه ما حكاه يوسف بن ابراهيم الكاتب في كتاب أخبار الاطباء ، عند نزوله بدمشق على عيسى بن الحكم وهو المسيح المتطبّب ، قال ذاكرتُه بالبصل فلم يزل في ذمّه ووصف معائبه ، وكان عيسى وسلمُويه بن بيان يسلكان طريق الرهبان ولا يحمدان شيئاً يزيد في الباءة ويقولان ان ذلك يُتلف الابدان ويُذهب الانفس ، فلم استحسن الاحتجاج عليه بزيادة البصل في الباءة فقلتُ قد رأيتُ منه في سفري هذا منفعةً ، فسأل عنها فقلتُ اني كنت اذوق الماء في بعض المناهل فأجده كريهاً ، فآكل البصل وأعاود شُربَه فأجد حاله قد نقصت ، وكان عيسى قليل الضحك فاستضحك من قولي ثم استرجع بجزعٍ منه وقال : يعزز عليّ ان يغلط مثلُك هذا الغلط لأنك صرتَ الى أسمج نُكتةٍ في البصل ، فجعلتَها منقبةً يا هذا ، أليس متى حدث بالدماغ فساد فسدت الحواس حتى ينقص حس الشم وحس الذوق والسمع والبصر ? فقلتُ : أجل . فقال : إن خاصّية البصل إحداث فسادٍ في الدماغ ، وإنما قلّل حسّك لملوحة الماء ولكراهيته ما احدثه البصل في دماغك من الفساد . وهذه قضيّة عقليّة ، فأما نتيجتها فليس بالبلد عاقل ولا فاضل ولا عالم بالحقيقة بفنّ من فنون العلم ، ولا ذو مروؤةٍ ولا متديّن والغالب عليه الرّعاع ، واكثر اهله سُقّاط اوضاع لا عقول لهم ولا دينٌ كاملٌ ، وأكثرهم برقيجانه وموالٍ يدّعون ولاء قومٍ افتتحوها وقد هلكوا .

٩ — وحدّثني غير إنسان منهم أن عثمان بن الخرّاز وليَ قضاءهم ،

وكان وَرِعاً قد ركنَ الى قوم منهم في العدالة والشهادة، ووقف آخرين عن قبولهم فرفعت اليه امرأة اعتورتها مطالبةٌ في دار لها باطلةٌ، فسألها البيّنة وادّعت مِلكَ اليد الى شهودٍ وشهاداتٍ معها وأحضرتهم عنده، فاستزادها شهوداً وكان يسكن الى شهادة ابي ابراهيم اسحاق بن الماجليّ المعلّم، وكان له بأمرها علم وسألته اقامة الشهادة وهو ينكل عنها، الى أن ضمنت له رِشوةً رباعيّات على إدائها، فشهد لها بذلك واتفق أن عثمان بادر بامضاء تنفيذ الحكم بشهادة اسحاق وعمل على التسجيل لها بذلك، وطلب اسحاق ما ضمنته المرأة له فدفعته وأبت أن تُعطيَه ما ضمنته له ظناً بحقها، وثقةً أن الشهادة قد قامت وأنها لا تحتاج الى اسحاق ولا غيره، وأحضر الحاكمُ اسحاق ليبدأ بشهادته على نفسه بانفاذ الحُكم للمرأة بشهادته فقال: أعزّ الله الحاكم هذه الشهادة أنا راجعٌ عنها لامور قد أشكلت عليّ منها، وكان الحاكم قد حفظ على اسحاق في الشهادة ما لا يجوز معه الرجوع، فاستراب قصّته وكشف عنها بالفحص الشديد فظهرت له القصة على وجهها، فكان لا يقبل شهادته ولا شهادة غيره وخرّج جماعتَهم وأسقط شهادتهم. وصارت اكثر احكامه جاريةً على الصلح وشكّ فيهم فلم تُثنه اليهم رغبةٌ ولا رهبة الى ان هلك بينهم وحضرته المنيّة فقال: ليس بجميع البلد من يُوصَى اليه؛ ودفع ديوانه الى رجل كان بها من الغرباء يعرف بالغضائري من اهل القيروان، وكان يزكّيه وظهرت هذه القصة لاهل البلد فكانت احدى وسائل ابن الماجلي في إجلابهم واختيارهم له وتصييره حاكماً عليهم وخطيباً لهم، رغبةً من بعضهم في مظاهرته على ما يرجوه من الخيانة. وكان اسحاق على قولهم خفيف الوزن شديد الجهل كثير الاعجاب بتخلّفه، غيرَ ركينٍ ولا مهيب ولا في سمت القضاة، وحسبك بعلم برقجاني جُعل قاضياً!

١٠ — وحدّثني رَجل من المقيمين بها يُعرف بأبي الحارث فحل بن فلاح اللهيصيّ ثم الكتامي، ورأيته يُخبر كثيراً من اخبار البلد أنه كان ورجل سمّاه بين يدي اسحاق بن الماجلي بعد ان ولي الحكم بها يوماً وهو في محراب الجامع جالساً وبيده قضيّة لهما في مَهر وهو مُقبل على قراءتها،

فكلما مرّ له فصل داوم على تقريظه لحُسن ما تأتي له من المعاني الجيّدة والشروط البديعة واستيفاء اسباب البلاغة ، وهما سكوت وهو مع كل فصل يفعل ذلك الى ان قام من المحراب وكان فيه متصدّراً كالقضاة ، فجلس بين ايديهما ولم يزل يقرأه ويُعيد وصفَه ويقول: ما اراكما تسمعان هذه الحكومة التي ما حكم بمثلها والله احد على وجه الارض ، وأعاد قراءتها ثم رجع الى مكانه من المحراب ؛ قال : وكان ربما مدّ يده الى الخصوم بالضرب . وأخبرني جماعة منهم أن رجلًا تقدّم اليه بخصم له فراجعه في مناظرته ، وكان بين يديه مِقصّ كبير فأخذه واومأ به الى الرجل ليضربه في وجهه ، فأقبل الرجل على نعل اسحاق وكانت بين يديه فتناولها فقال : ولِمَ مسست نعلي لتضربني بها ؟ فقال : لا ولكن خَشيةَ أن تقصِد بالمقص وجهي لأتقيَ بها منك . وله اخبار كثيرة في انواعٍ من الجنون والخُباط ، كان من مجانين المعلمين وحُمقاهم وكان من كبارهم وعِليتهم .

١١ — والغالب على البلد المعلمون ، والمكاتب به في كل مكان وهم فيه على طبقات مختلفة ومنازل شتّى متباينة من الصُراع والخُباط على ما يفوق جنونَ معلمي كل بلد وحمق كل ناحية ، حتى أنهم المتكلمون على السلطان في سَيره واختباراته والاطلاق بالقبائح من ألسنتهم بمعائبه وإضافة محاسنه الى قبائحه . وبالبلد منهم ما يقارب ثلاثمائة مُعلم ولم ينقص من ذلك إلا القليل ، وليس كهذه العدّة بمكان من الاماكن ولا في بلد من البلدان ، وإنما توافرت عدّتهم مع قلّة منفعتهم لفرارهم من الغزو ورغبتهم عن الجهاد . وذلك أن بلدهم ثغر من ثغور الروم وناحية تُحادّ العدوّ والجهادُ فيهم لم يزل قائماً والنفير دائماً منذ فتحت صقلية ، وولاتهم لا يفترونه واذا نفروا لم يفتروا بالبلد احداً إلا من بذل الفدية عن نفسه او اقام العذر في تخلّفه مع رابطة السلطان ، وكان قد سبق الرسم باعفاء المعلمين قديماً بينهم من النوائب وحُملت عليهم المغارم ، ففزع الى التعليم بُلههم وحسّنه لديهم جهلُهم مع قلة الانتفاع به والجدوى منه ؛ فإن فيهم الكثير تمرّ به السَنة فلا يُصيب من جميع صبيانه وهم كثير عشرة دنانير ، فأيّ منزلة أقبحُ وصورة اخسّ وأوتحُ من رجل باع ما اوجب الله تعالى عليه من

الجهاد وشرفه والغزو وعزّه بأخس منزلة واوضح حِرفة واسقط صنيعة ؟ على أنها في اعيان البلاد مع تخريج اولاد السَراة واهل الامكان عنصرُ الخذلان ومظانّ الحرمان ، وبالاجماع منهم ومن كل انسان أن المعلم احمق محكوم عليه بالنقص والجهل والخفّة وقلة العقل . ومن اعظم الرزيّة وأشد البليّة وأقطع النازلة أن جميع اهل صقلّية ، لِصغر احلامهم ونقص درايتهم وبعد أفهامهم ، يعتقدون ان هذه الطائفة اعيانهم وُلبابهم وفقهاؤهم ومحصّلوهم وأرباب فتاويهم وعدولهم ، وبهم عندهم يقوم الحلال والحرام وتعقد الاحكام وتنفذ الشهادات وهم الادباء الخطباء . ولقد رأيتُ ولداً كان لاسحاق بن الماجلي المعلم القاضي المتقدم ذكره يخطبهم نحو حولين ، يجزم الاسماء مع الصلة ويجُرّ الافعال من اول خطبته الى آخرها . وخاطبتُ اديباً كان من اهلها يسعى ويدّعي الدراية بجميع الاحوال ، وقد نصب هذا الخطيب ما لم يسمّ فاعله او رفع منصوباً ، واظنه كان مفعولاً به فقلتُ : اما سمعتَ الخطيب وما كان منه ؟ وذكرتُه له وقد ذهب عني اللفظ فقال : كأنه والله يا سيّدي كما تقول غير انّا نحن لا نأبه لمثل هذا .

١٢ — ومن كبائر المذكورين من المعلمين بها في السير والعدالة ، وهو بالضدّ للغَباء والجهالة وأشدّهم تقدّماً عندهم ابو عبد الله محمد بن عيسى بن مطر ، المعلم في مسجد الزُهري بالسماط وقد سافر يشرّق ودخل المشرق وكتب الحديث . وأبو الحسن عليّ بن بانة المعروف بابن ألف سَوط وهو اليه في العدالة ، ويراه قوم منهم فوقه في العلم والفقه وظلف النفس ، وكلاهما غبيّ عمٍ ناقص رزيُّ المنظر والمخبر . وحدثني ابو عبدالله محمد بن عيسى المعروف بالناشىء القروي المتكلم وكنا معاً بصقلية قال : بينا انا واقفاً بالسماط بقرب مكتب ابن مطرٍ أُحادث إخواناً لي إذ وقف بهم ابن مطر ، فسلموا عليه وسلم عليّ فرددتُ عليه وأخذ في صفتي وما أعتقده باقبح عبارةٍ وأبشع لفظٍ وإشارةٍ ، وقال في خلال قوله لي : يعزز عليّ بعدك عن الحق ! فقلت : لعن الله أبعدنا عن الحق ، وأقلنا علماً به ! فالتاث لونه وتغير فقال له القوم : قد انصفك لأنه إنما لعن الابعد من

الحق ولم يقصد إلا الاقل علماً بالله فقال : الست عراقيّ المذهب ؟ فقلت : لا ، وذلك أن أهل العراق يُدّعون مرجئة وإنما وُسموا بذلك لتركهم القطع على اهل الكبائر بالخلود ، واخذت اصف المسئلة بيننا وبينهم فقال : ما أرى قولكم إلا قريباً من قولنا . فقلت : يا هذا إنما أصف لك رأي اهل العراق المذموم عندي وانا ضدهم . فقال : وكيف ؟ فقلت : نحن نقطع على تخليد اهل الكبائر في النار . فقال : ما ظننت يقول بهذا غير اهل العراق . وهو بجهله صباحَ مساء يكفرهم في كل مقعد ومشهد ويكفر المعتزلة ولا يعلم اعتقادها بين الفرقتين التي هي اشهر اهل المذاهب ، ويطلق اللعن عليهما وهو لا يفرق بين الوعيدي من المرجىء ، وهذه المنزلة اعلى منازل البله . ورحم الله ناقلا فلقد ظلمَهُ نَقَلَهُ الاخبار بقطعهم عليه بالانفراد بالجهل . وكنت جالساً بصقلية يوم الجمعة لعشر خلون من رجب سنة اثنتين وستين على دكان المعروف بابن الانطاكي في سماط بُلرم ، وكان يوماً مَطيراً في الساعة السادسة وعلي القيام الى الجامع وابن الانطاكي معاً والجامع منّا على غلوةٍ ، إذ أقبل ابن الف سوط من نحو الجامع ومنزله بالقرب منه فقلنا : الى اين ؟ فقال : قد صلى النـاس وانا امضي اتقدم لاشهد جنازة الخطيب . وكان ابن الماجلي الخطيب الذي قدمت ذكر تخلفه توفي ليلة الجمعة هذه ومضى يريد باب البحر واطـال ، ثم رجع وقد أئسنا من الصلاة . فقلنا : الى اين ؟ فقال : بلغني أنهم ما صلوا بعد فعدت لعلي الحق الصلاة . ومضى فبقينا حيارى في امره نتعاود قلة تحصيله وما يُدفَع الناس اليه في شهادة مثله إذ اقبل فقلنا : هِيهِ ! فقال : قد صلّوا وأنا ماضٍ لأصلّي في المُصلّى ! وهذا الرجل عنـدهم أثبت القوم عدالةً وأشفّهم منزلةً وهذه صورته .

١٣ – وأكثرتُ عنه وعن ابن مطرٍ وجماعتهم واصفاً قلّة فِطَنهم وكلالَ أفهامهم وحدّة جهلهم وسرعة طيشهم ، وموت يقظتهم وبراعة لؤمهم مع دوام غفلتهم وبشاعةَ تعاطيهم وكثرةَ معائبهم وسُخفَ اغذيتهم المؤكّدة جهلَهم ، وسوء تخلّيهم في كتاب جعلتُه ابواباً عشرة ، بدأت منها بذكر ما يتفاخر به اهل الأمصار والقبائل والبلدان ، وما يلحقهم من

الفضائل وكيفيّة لحاقها بالكور والمدن والرذائل المقصرة ببعضها عن الفخر والطيب والحُسن، ووسمتُه بكتاب صقلّيه ولم اترك لهم من فضيلةٍ ورذيلة الى جميع ما خُصّوا به ومُنِعوه وأعطوه ومـا حُرِموه ، الى غلَظ طباعهم وسوء اخلاقهم وما انفردوا به من المطاعم المنتنة والأعراض القذرة الدرِنة ، وغلبة كثرة الجفاء وطول المراء، وسمّيتُ جميع معلّميهم الى ما وصل اليّ من اخبارهم ومحلّهم في الرقاعة وخلعهم على مرّ الأيام للسلطان والطاعة ، وحال الفرقة التي ليست كفرقة من فرق الاسلام ولا نحلة من النحل ، ولا في بلد من البلدان ولا بدعة من البدع ولا مشاكلةٍ لنحلة في دين من الأديان . وهم المشعمِذون اكثر اهل حصونهم وباديتهم وضياعهم ، رأيهم التزويج الى النصارى على ان ما كان بينهم من ولدٍ ذكر لحق بأبيه من المشعمذين وما كانت من انثى فنصرانيّة مع امها، لا يصلّون ولا يتطهّرون ولا يزكّون ولا يحجّون . وفيهم من يصوم شهر رمضان ويغتسلون اذا صاموا من الجنابة ، وهذه منقبةٌ لا يشركهم فيها احدٌ وفضيلةٌ دون جميع الخلق ، احرزوا بها في الجهل قصَب السبق . ولقد أعددتُ كتابي هذا بذكرهم فيه ولكن نفوس اهل النُبل وقلوب اهل الفضل متطلّعة الى علم الكل ، ولذكرها في الخزائن منزلة ليست على ما هي به في الحقيقة .

١٤ ــ ومن أرثّ ما رأيتُه بها وأغثّه خمسة معلمين في مكتبٍ واحد يعلّمون فيه الصبيان، شركاء متشاكسون على باب عين شفاء يرؤسهم شيخ يعرف بالمِلطاط : جِبسٌ ضِبسٌ اشقر ازرق من اقدم النـاس على شهادة زور ، وولَدانِ له ورجـلٌ يُعرف بابن الوَداني ، وآخر يُدعى بأخي رَجاء على مراتب في شِركتهم . وخرجتُ من صقلّيه وقد مـات ابن الوداني فلو شاهدهم اكثر الناس حزناً واشدّهم إخباتاً وسَمتاً عند وفاته ، وتفجّعَهم له وحنينَهم عليه وتساكرهم في بُكائهم عند عزائهم، لقهقه وضحك او ابلس لجهلهم كالمرتبك .

١٥ ــ وأما حال يسارهم فانهم مع قلّة مؤنهم ونزور نفقاتهم وكثرة غلأتهم ليس فيهم رجل ملك بَدرَةَ عين ، ولا رآها قط إلا عند سلطان

ان كان ممن يدخل اليه ومحلّه محل من يؤذن له عليه . وبالاموال والجبايات واليسار يعتبر احوال اهل المدن والكور والأقاليم، وكذلك النبل والفضل الى غير ذلك مع أن مال جزيرة صقلية وقتنا هذا وهو اجلّ اوقاتها واكثره واغزره بأجمعه من سائر وجوهه وقوانينه خُمسها ومستغلاّتها، ومال اللطف والجوالي المرسومة على الجماجم ومال البحر والهدية الواجبة في كل سنة على اهل قلوريه وقبالة الصيود، وجميع المرافق وجهاتها وهذه جملة ارتفاعها ......[1]، فأما غلاّتها وخصبها وما هي عليه في اسباب المآكل والمشارب فكالمواضع المشار اليها في صدر الكتاب بالخصب والسعة قديماً وفيما مضى، ودخلتُها وقد استحالت جميع امورها من الخصب الى الجذب، وُخلق اربابها من اهل باديتها فكأرباب الجزائر العُجم الغُتْم الصُم البكم، وسكّانها الذين لم يصفهم الأسفار من وراء بهيميّةٍ غامرةٍ لألبابهم وغفلةٍ عن الحقوق والمواجب ظاهرةٍ في معاملاتهم، وقول من الحقّ بعيد وشنآن للغريب والطارئ عليهم عظيم شديد، لا يألفون ولا يُؤلفون آخذين لذلك عن حاضرتهم لأنهم ايضاً في بُغض التجار والغرباء المجهّزين بمنزلةٍ ليست لجيل من اجيال العالم الجُفاة، ولا في اهل الجبال الاجلاف الجُساة مع قوام مصالحهم بالجلاّبين وفقرهم وفاقتهم الى المسافرين، لأنها جزيرة لم تختص بوجه من فضائل البلدان غير القمح والصوف والشَعر والخمر وصُبابة من القند، الى شيء من ثياب الكتّان . والحق فيها احق ان يُتتّبع فإنه لا نظير لها جودةً ورُخصاً، ويباع مستعملها مما يُقطع قطعين من الخمسين رباعيّاً الى ستين رباعياً، فيزيد على ما يُشترى من امثاله بمصر بالخمسين والستين ديناراً كثيراً . وجميع ما تقع اليه الضرورات وتدفع الحاجة اليه من سائر الطلبات مجلوب الى بلدهم ومحمول الى جزيرتهم . وقد جمعتُ مع فساد عقول اهلها وأديانهم فساد التربة والقمح والحبوب، ولا يحول الحَول عليها عندهم إلا وقد فسدَت وربما ساست في الأنادر قبل دخول المطامير والأهراء، وليس يشبه وسخهم في دورهم وسخَ اقذار اليهود ولا ظُلمةُ

---

١ — ...... يوجد هنا في الاصل سطر خال لإدراج مبلغ الارتفاع .

منازلهم وسوادُها سوادَ الأتاتين والافران، وأجلُّهم منزلةً يسرح الدجاجُ على مقعده وتذرق الطيور على مصلّاه ومخدّته .

١٦ — وهذه جُملٌ من اوصاف المغرب وما استقلّ به مما يُضاف اليه ويقع في جملته .

مصـــر

١ — فأما مصر فلها حدّ يأخذ من بحر الروم من الاسكندرية، ويزعم قوم من بَرقه في البريّة ، حتى ينتهي الى ظهر الواحات ويمتـدّ الى بلد النوبة ثم يعطف على حدود النوبة من حد اسوان على ارض البجـــة في قبليّ أسوان ، حتى ينتهي الى بحر القلزم ثم يمتد على بحر القلزم ويجـاوز القلزم الى طور سِينا ويعطف على تيه بني اسرائيل مـارًّا الى بحر الروم في الجِفار خلف العريش ورفح ، ويرجع على الساحل مارًّا على بحر الروم الى الاسكندريّة ويتصل بالحد الذي قدّمتُ ذكره من نواحي بَرقة .

٢ — وما في بطن هذه الصفحة صورة مِصرَ .

...

إيضاح ما يوجد في القسم الاول من صورة مصر من الأسماء والنصوص :

قد صور بحر القلزم موازياً لطرف الصورة الفوقاني وعلى هذا البحر من طرفه الايسر مدينة القلزم . ثم كتب تحت خط الساحل : هذه الديار للبجه ونزلت عليهم أحيـــاء ربيعة ومضر ، وصاهر رؤساء ربيعة أكابر البجه وخالطوهم فهي مشحونة بقبائل الجميع ، وأعز القوم ربيعة. وعن يمين هذا النص : مدينة العلاقي ، ثم تحت الكتابة المذكورة وموازيــاً لسلسلة الجبل : هذا جبل المقطم ، ويمتد الى بلد الحبشة ويقطع بلد النوبه في عمارات دنقله وعلوه . ومن أسفل الجبل مع خطه بهذه الناحية رمل أحمر وأبيض غزير كثير يتصل برمل الجفار ويشقه النيل ، فيتصل من غربي النيل برمال نفزاوه ويمر بظاهر سجلماسه الى اودغست ، ثم تحت ذلك نواحي اهريت وشرونه وبياض وصول والبرنيل .

وصور نهر النيل في وسط الصفحة وكتب على كل واحد من جانبيه الصعيد ، تربط الكتابتان بكلمة بلد الصعيد . وذكر على جانب النيل الاعلى من المدن ابتداء من اليمين ؛ اسوان، المحدثة، قوص ، اخميم ، انصنا ، اتفيح ، اسكر ، الحي ، الحرس ، حلوان ، الفسطاط ، ثم شكلا

مدينتين لا اسم فيهما . وعلى جانب النيل المقابل : قريه ، اتفو ، اسنا ، ارمنت ، هو ، البلينا ، بوتيج ، اسيوط ، منساره ، الاشمونين ، طحا ، القيس ، سمسطا ، دلاص ، اهناس ، اطواب ، الجيزة ، وبين الفسطاط والجيزة في النيل الجزيرة ، وعند الجيزة مثلثان مكتوب فيهما هذان الهرمان . وعلى شاطىء خليج النيل الذي يتشعب بين منساره والاشمونين راجعاً الى النيل بين اهنـــاس واطواب من المدن طوفه ، البهنسه ، اللاهون ، بوصير قوريدس . ويتشعب من هذا الخليج عند اللاهون شعبة على جانبيها الفيوم ، وكتب بين الفيوم والهرمين ، هذه بحيرة اقني وتنهمت ، وتمتد مسيرة يومين في وسط جبال رمل اصفر وبها من الطير في الشتاء ما ليس بمكان ما يدانيه ولا يقاربه ؛

ثم من اسفل النيـــل في يمين الصورة : ناحية الواحات ، وتحت ذلك مساكن بني هلال . وكتب تحت السلسلة الجبلية الموازية لطرف الصورة التحتاني : هذا جبل الواحات يمتد من بحيرة أقني على النيل الى ان يصل الى جبل القمر وجُله عامر .

٤٠ ظ

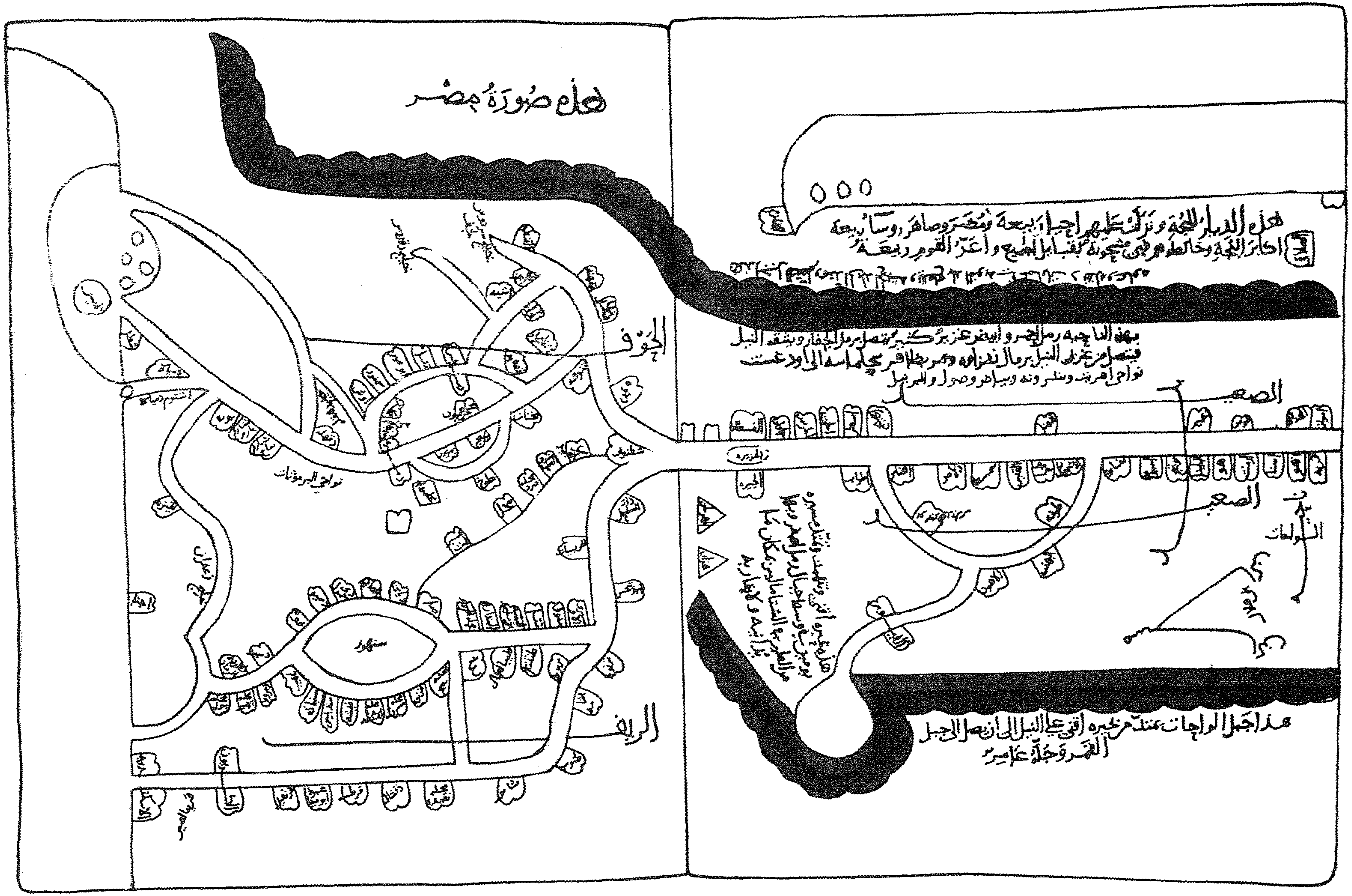
ايضاح ما يوجد في القسم الثاني من صورة مصر من الاسماء والنصوص : يقرأ في طرف الصورة الفوقاني : هذه صورة مصر وينطبق ذلك أيضاً على القسم الاول من الصورة . وكتب في النصف الاعلى من الصورة : الحوف ، وفي النصف الاسفل : الريف .

ويتشعب النيل وسط طرف الصورة الايمن شعبتين وبينهما مدينة شطنوف ، وعلى الجانب الايمن من الذراع الآخذة الى الأعلى من المدن دجوه ، بنها العسل ، تفهنه ، القنطرة . وكتب عند منتهاها : خليج سردوس يجف ، وتاخذ من هذه الذراع شعبتان الى الايسر تبدأ الاولى من عند تنوهه والاخرى من عند صهرجت ، وبين هاتين الشعبتين من المدن : زفتا جواد ، سند بسط ، تطـايه . وعن يسار صهرجت على شعبتها اشيه وعند منتهى الشعبة الآخذة من اشيه الى اليسار كتب : خليج دقدوس ، وعن يسار تنوهه على شعبتها مدينة مخنان . وتاخذ تجاه مخنان شعبة عليها اولا تطايه المتقدم ذكرها ثم دمسيس من جانبيها ثم في الجانب الاعلى ، تتا ، ابو صير ، سمنود ، اوش . وفي الجانب الاسفل طلخا ، قجنجيمه ، دميره . وأول اسم دميره في الجانب الآخر من ذراع تنوهه، وبين مخنان ودميره في الجانب الاعلى محلة شرقيون وفي الجانب المقابل: مليج ، زمزور . وعلى ظهر الشعبة المحيطة بهذين البلدين من الاسفل : طوخ ، محلة روح . وتأخذ تجاه دميره شعبة الى اليسار فتجتمع مع شعبة اخرى تبدأ من عند دقهله على العمود ، وكُتب بين الشعبتين : خليج دقهله ، وبحذاء دقهله كُتب من اسفل العمود : نواحي البرمونات وعن يسار ذلك من المدن ، شارم ساح ، شارم بازم ، بوره ، ثم تأخذ من العمود شعبتان إحداهما الى الأسفل الى نقيزه . وكُتب عند هذه الشعبة : خليج زعفران ، والاخرى كتب عندها : اشتوم دمياط . وبينها وبين العمود دمياط ثم على البحر شطا ، وعند شطا في البحر جزيرة تتيس .

وعن يمين الذراع الآخذة من شطنوف الى الاسفل من المدن : ذات الساحل ، ابو يحنس ، ترنوط تقابلها ترنوط مرّة ثانية ثم بستامه ، طنوب . ثم بعد عطف الذراع الى اليسار : شابور ، محلّة نقيده ، دنشال ، قرطسا ، شبروا ابو مينا ، قرنفيل ، الكريون وهي من جانبي الذراع ثم قرية الصير ، الاسكندرية وهي من الجانبين ، وفوق الأسكندرية على ساحل البحر : اجنا ، ودون شطنوف عن يسار هذه الذراع الجريسيات . وبعد الجريسيات تأخذ شعبه الى اليسار وعلى جانبها الأعلى من المدن : شبرو الاو ، منوف ، تتا ، فيشة بني سليم ، البنداريه ، محلة المحروم ، صا ، دياي ، الصافية ، دمى جمول ، سنديون ، فوه ، دسيو ، نطويه الرمان . وعلى الطريق من شطنوف الى صا من المدن : سبك العبيد ، منوف العليا ، محلة صرد ، صخا ، شبرلمنه ، ثم من اسفل الشعبة الآخذة من عند شبرو الاو طنتتا ، قليب العبال ، ببيج ، وتليها شعبة الى الأسفل ثم محلة ببيج ، فرنوه ، محلة مسروق ، محلة ابي خراشه ، فيشه ، سندبيس ، سنباذة ، بلهيب ، ديروط ، محلة الامير ، محلة بوله ، وكتب في الجزيرة بين شعبتي صا ومحلة ببيج : سنهور .

لم اجد سبيلًا الى إيراد صورة مصر في صفحة واحدة فأثبتُّها في صفحتين والصورة الاولى صورة الصعيد من اسوان الى الفسطاط وشطنوف عند انفصال النيل منها ، والثانية من انفصال النيل في خليجين احدهما يأخذ من شرقيّ شطنوف الى تنّيس وأعمال دمياط ، والآخر عن غربيّ شطنوف آخذاً الى رشيد من ساحل الاسكندريّة .

٣ — مصر اسم للاقليم وقد ذكرت حدوده . وهو قديم جليل عظيم جسيم العائدة في سالف الزمان ، وإن قصر عن ذلك في آنفه فلوجوهٍ منها انه كان قديماً مُعْتَدَ الملك يسكنه عظام الفراعنة وكبار الجبابرة : كمصعب بن الوليد فرعون موسى ، الوليد بن مُصعب فرعون يوسف ، ومن كان بين عصريهما من اكابر الفراعنة. ووجدت بخط ابي النمر الوراق في اخبار أبي الحسين الخصيبي قال : حدثني أبو خازم القاضي قال قال لي أبو الحسن بن المدبر : لو عمرت مصر كلها لوفَت باعمال الدنيا . وقال : تحتاج مصر الى ثمانية وعشرين الف الف فدان ، وإنما يعمر منها الفا الف فدان . قال : وقال له أنه كان يتقلد الدواوين بالعراق ؛ يريد ديوان المشرق والمغرب . قال : ولم أبِت قط ليلة من الليالي وعليّ عمل او بقية منه . وتقلدت مصر فكنت ربما بتُّ وقد بقي عليّ شيء من



هذه صورة مصر
الحوف
الريف
الصعيد
الصعيد
الجيزة
هذه الديار البجة ونزلت عليهم احيا ربيعة من مضر وصاهروا وسا ربيعة
اكابر البجة وخالطوهم وهي مشحونة بقبائل العرب واعز القوم ربيعة

العمل فأستتمّه اذا اصبحت . قال : وقال له ابو خازم القاضي : جبا عمرو ابن العاص مصر لعمر بن الخطاب رضي الله عنه اثني عشر الف الف دينار، فصرفه عنها عثمان بعبدالله بن أبي سَرْح فجباها اربعة عشر الف الف دينار فقال عثمان لعمرو : أَبا عبدالله علمتَ أنّ اللقحة درّت بعدك . فقال : نعم ولكنها أجاعت أولادها . وقال ابو خازم : إنّ هذا الذي جباها عمرو وعبدالله بن ابي سَرْح إنما كان من الجماجم خاصةً دون الخراج وغيره . قال : فاستثبتّه في ذلك فقال : هـذا الصحيح عندنا . وبها الهرمان اللذان ليس على وجه الأرض لهما نظير في مُلْك مسلمٍ ولا كافرٍ ولا عمِل ولا يُعمل كهما . وقرأ بعض بني العبّاس على أحدهما : إني قد بنيتهما فمن كان يدّعي قوّةً في مُلكِهِ فليهدمهما فالهَدْم أيسر من البناء . فهمّ بذلك وأظنّه المأمون او المعتصم فإذا خراج مصرَ لا يقوم به يومئذٍ، وكان خراجها على عهده بالانصاف في الجباية وتوخّي الرفق بالرعيّة والمعدِلة إذا بلغ النيل سبع عشرة ذراعاً وعشر أصابع أربعة آلاف ألف دينـار، ومائتي ألف وسبعة وخمسين ألف دينـار، والمقبوض على الفدّان دينارين بعين ابين فأعرض عن ذلك ولم يعد فيه شيئاً .

٤ — ولمصر عادة وسُنّة لم تزل مُذ عهد فراعنتها في استخراج خراجها وجباية أموالها واجتلاب قوانينها، وذلك انه لا يستتمّ استيفاء الخراج من أَهلها إلا عند تمام الماء وافتراشه على سائر أَرضها وتطبيقها، ويقع إتمامه في شهر توتٍ . فإذا كان ذلك وربما كانت زيادة على ذلك أُطلق الماء في جميع نواحيها من ترعها، ثم لا يزال يترجّح في الزيادة والنقصان الى حين طلوع الفجر بالسماك، وهو لثمان تخـلو من شهر بابه، فإذا انحسر الماء وقعت باكورة البذور بالاقراط والكتان والحبوب والقُرط الرُطبَـــة . وببابه يتكامل ريّ الارض عند ثمانٍ تخلو منه، وقد لا يستتمّ الماء فيه فيعجز بعض الارض عن ان يركبها الماء فيرزح الخراج عن الكمال . وبهاتور يبتدأ في الحرث ويحصد الارزّ ويكون الزرع البذريّ في أكثر نواحيهم وضياعهم . وبكيهك يُزرع فيه من أوله الى آخره الزروع المتأخرة، ولا يزرع بعده في شيء من أرض مصر غير السمسم والمقاثي والعُطب . وبطوبه

يطالب الناس بافتتاح الخراج ومحاسبة المتقبلين على الثُمن من السجلاَّت من جميع ما بأيديهم من المحلول والمعقود . وبأمشير يؤخذ الناس فيه بإتمام ربع الخراج من السجلات . وببرمهات يطلب الناس فيه بالربع الثاني والثُمن من الخراج ويزرع قصب السكر وما يشبهه . وببرموده تقع المساحة على أَهل الاعمال ، ويطالب الناس باغلاق نصف الخراج عن سجلاتهم ويحصد بذري الزرع . وببشنس تقرر المساحة ويطالب الناس بما يضاف الى المساحة من ابواب وجوه المال : كالصَّرف والجهبذة وحق المراعي والقُرط والكتَّان على رسوم كل ناحية ، ويستخرج فيه إتمام الربع مما تقرّرت عليه العقود والمساحة ويطلق الحصاد لجميع الناس . وبُونَه يُستخرج فيه بتمام نصف الخراج مما بقي ولم يوزن بعد المساحة . وبابيب يُستتم فيه ثلاثة ارباع الخراج ، وهو اصل زيادة ماء النيل ويكون ضعيفاً ، وفيه يُزرع الارز بالفيّوم ويُحصد في هاتور وكيهك . ومَسرى يُغلق فيه الخراج وفيه جمهور زيادة ماء النيل ، وفي ذين المُشتهرين تتأخر البقايا على دق الكتان لانه يُسلُّ في توت ويُدق في بابه ، واذا أُطلق ماء النيل شرب منه من بمشارق الفرما من ناحية جرجير وفاقوس من خليج تنيس ومغائضه ، وشرب من خليج الاسكندرية وما يفيض منه من بناحية النقيدية وارسنيس ، وزرع عليه اهل الباطن واهل البحيرة في فجاج وأودية ، فيكون ذلك لماصلة قبيل من زناته ورجانة وبني بزال وقبائل البربر واستوفي منهم الخراج . وبين المكانين مسيرة شهرٍ عمرانٌ في محلول ومعقود ، وليس كهذه الحال تجري احوال الخراجات بسائر اصقاع الارض ، لان النيل إنما يأتيهم اذا حصلت الشمس في الجوزاء والسرطان بإمطار بلد السودان في بلد الجنوب على مسافة شهور من ارض مصر ، واكثر ما يصل اهل مصر بعضهم الى بعض عند زيادة النيل في المراكب ، لان الماء يحجب بإحاطته اكثر مدنها وضياعها ويستولي عليها في جميع اراضيها ، فطرقات بعضهم الى بعض في الماء بالمراكب .

٥ — وللفسطاط طريق على الظهر في البر الى الاسكندرية من جانب الصحراء وقد ذكرته في صفة المغرب ومراحله على ذات الساحل الى ترنوط ،

ولها طريق آخر اذا نضب الماء يأخذ بين المدائن والضياع وينزل في كرائم المدن ، وذلك اذا اخذتَ من شطنوف الى سُبك العبيد فهو منزل فيه منبر لطيف وبينهما اثنا عشر سقساً ، ومن سبك العبيد الى مدينة منوف وهي كبيرة فيها حمّامات واسواق وبها قوم تُنّاءُ ، وفيهم يسار ووجوه من الناس منهم جابر المنوفي لا رضي الله عنه ! ولها إقليم عظيم وعمل يليه عامل جسيم وبينهما ستة عشر سقساً . ومن منوف الى محلة صُرَد منبر فيه حمّام وفنادق وسوق صالح ستة عشر سقساً . ومن محلة صرد الى صَخا مدينة كبيرة ذات حمّامات وأسواق وعمل واسع وإقليم جليل ، له عامل بعسكر وجند وكثرة اصحاب وله غلاّت ، وبه الكتّان الكثير وزيت الفُجل الى قُموح عظيمة ستة عشر سقساً . ومن صخا الى شبرلمنه مدينة كبيرة بها جامع واسواق صالحة ستة عشر سقساً ومن شبرلمنه الى مسير مدينة لها جامع واسواق كثيرة القمح وفنون الغلاّت ، وبها عامل عليها للماء وقسمته ستة عشر سقساً . ومن مسير الى سنهور مدينة ذات اقليم كبير ولها حمامات واسواق وعامل كبير في نفسه ، وكانت بها من النعم للكُتّاب والدهاقين في ضروب الكتان والقموح وقصب السكر وغير ذلك ما بلغني انه قد تناقصت وقتنا هذا حالُها فيما ذكرتُه وأذكره من سائر مدنها ستة عشر سقساً . ومن سنهور الى البُجوم إقليم مدينته باسمه عظيمة بها عامل عليها وعسكر وجامع وحمامات وفنادق واسواق واسعة ستة عشر سقساً . ومن البُجوم الى نستراوه مدينة كانت حسنة ، وهي على بحيرة البشمور ويحيط بها المياه كثيرة الصيود من السموك ، وعليها قبالة كبيرة للسلطان ، وكان بها قوم مياسير ويوصل اليها بالمعدّيات اذا زاد الماء ، واذا نضب وُصِل اليها بالجسور عشرون سقساً . ومن نستراوه الى البرلّس مدينة كثيرة الصيد ايضاً من هذه البحيرة ، وبها حمامات وهي مدينة جميلة الأمر عشر سقسات . ومن البرلّس الى اجنا حصن على شط البحر المالح ، فيه منبر وخلق كثير واسواق ورجال وصيّادون للصير به حمّام عشر سقسات . ومن اجنا الى رشيد مدينة على النيل قريبة من مصب فُوّهته الى البحر ، ويُعرف هذه الفوّهة وهي المدخل من البحر بالاشتوم ثلاثون

سقساً ، وكانت بها اسواق صالحة وحمام ولها نخيل كثيرة وارتفاع واسع ، وضريبة على ما يُحمل من الاسكندرية ويُحمل اليها من متاع البحر الى سائر اسباب التجارة . وهذا الطريق الآخذ من شطنوف الى رشيد ربما امتنع سلوكه عند زيادة النيل ، لغلبة الماء وكثرته على وجه الارض فربما اخذ بعض الطريق على الظهر وبعضه في المراكب والماء ، وربما سُلِك من جهة البر على ما قدّمتُ ذكره ووصفه فيما ابتدأتُ به في صفة طريق المغرب من الفسطاط .

٦ — وقد ذكرت أن الماء الآخذ من شطنوف مغرّباً عن الماء الآخذ الى دمياط وتنيس يشرع الى ضيعة تعرف بالجريسيات ، وهي مع شطنوف في بر واحد ذات منبر وبها سوق صالح وبينهما ستة سقسات . ومن الجريسيّات الى ابي يحنس قرية ينفصل من دونها الماء في خليجين آخرين ايضاً عشر سقسات ، فيجري احدهما مغرّباً الى الاسكندرية ويشرع على ترنوط ، وهي جانبان متحاذيان على الخليج وبها منبر في الجانب البحري منها وبيع كثيرة ، وقسيسون ورهبان واسواق عامرة وحمّام ، ولها عامل بعسكر ذي عدّة وغلاّت واسعة وبينهما عشر سقسات ، ويشرع ايضاً هذا الماء على بستامه ضيعة عظيمة ذات منبر واسواق كثيرة وبادية ، تزيد على الفي رجُل وغلاّتهم واسعة وبينهما اثنا عشر سقساً . ثم يمضي الماء منها الى شابور مدينة كثيرة العبيد والمقاتلة واسعة الغلاّت ، فيها حمّام وعامل تحته خيل للحماية ستة عشر سقساً . ومنها الى محلة نقِيده وهي ضيعة كبيرة عامرة بها منبر وعامل عليها ولها حمّام وناحية كبيرة وغلاّت غزيرة وضياع برسمها ، وفي ضِمنها جليلة ستة عشر سقساً . ومن محلة نقيده الى دنشال بلد عامر فيه جامع وحمّام وكروم كثيرة ، وبرسمه ضياع جليلة وعمل مضاف اليها ستة عشر سقساً . ومن دنشال الى قرطسا وهو بلد كبير فيه حمّام ومنبر وبرسمه ناحية وضياع وافرة غزيرة ، فوق ما تقدّم ذكره مما بالمدن المضافة اليها الكور والضياع ، وبقرطسا كروم وفواكه غزيرة عظيمة ويجلّب منها ستة عشر سقساً . ومن قرطسا الى شبرو ابومينا ضيعة كبيرة بها جامع وخلق كثير وبادية ومزارع وغلاّت واسعة اثنا عشر سقساً .

ومن شبرو ابومينا الى قرنفيل ضيعة بها جامع وعمارة آهلة غنّاء اثنا عشر سقساً، ولها وبرسمها ضياع تُعرف بالجابريّة تدخل في صفقتها . ومن قرنفيل الى برسيق ضيعة بها منبر وبيع واسواق ولها كورة كبيرة اثنا عشر سقساً .
ومن برسيق الى الكريون مدينة كبيرة حسنة فيها جامع وحمّام وفنادق وكروم تُجلَب أعنابها الى الاماكن، وبرسمها كورة ذات ضياع وهي جانبان على خليج الاسكندرية، ومنها تركب التجار في الصيف عند زيادة النيل الى مصرَ، ولها عامل عليها ومعه خيل ورجل ستة عشر سقساً .
ومن الكريون الى قرية الصير منهل فيه صيادون للصير ثمانية سقسات .
ومن قرية الصير الى الاسكندرية ثمانية سقسات، وهذه مسافات على خليج الاسكندرية .

٧ — واما الشعبة الخارجة تجاه ترنوط مشرقةً فتشرع الى شبرو الاو، وهي ضيعة ذات ثلاث حارات كبارٍ، كثيرة الاهل غزيرة السكان بها حمّام وجامع وقاضٍ وعامل، ولها كورة جليلة واسعة، ومن أبي يحنس اليها ستة سقسات . ومن شبرو الاو الى منوف مدينة كبيرة عظيمة واسعة الغلات والخيرات والكتان، وبها والٍ عليها وبها حاكم وحمّامات وجامع واسواق كثيرة حسنة وكور عدة برسمها واسعة ستة عشر سقساً .
ومن منوف الى طنتتا ضيعة جليلة حسنة عظيمة الاهل، بها جامع وحمّام ولها ضياع برسمها وعامل ذو عـدّةٍ وعتادٍ، وفيها أسواق وجامع لطيف ولها موعد لسوق يقف بها في كل جُمعة أربعة عشر سقساً . ومن طَنتتا الى فيشة بني سُليم ضيعة، فيها حمّام وسوق وجامع وكورة مضافة اليها اثنا عشر سقساً . ومن فيشة بني سُليم الى البندارية ضيعة فيها جامع وأسواق وبرسمها ضياع، ولها عامل وفيها حمّام طيّب عشرة سقسات . ومن البندارية الى محلة المحروم مدينة بها سلطان وشِحنة لها وقاضٍ وخيل ورَجْل وجامع وحمّام وأسواق عشرة سقسات . ومن محلة المحروم الى قَليب العمال وهي من الجانب الغربيّ عن الخليج مدينة فيها جامع وحمّام، ولها كورة ذات ضياع وأسواق، وبها حاكم وبها سلطان عشرة سقسات . ومن قليب العمال الى ببيج مدينة كبيرة، فيها جامع وبيع كثيرة عامرة ودهاقين تُجتَبى

جماجمهم ، وبها جامع وحاكم وسلطان وبرسمها ضياع كثيرة غزيرة عشرة سقسات . وبين ببيج ومحلة ببيج الخليج الآخذ من بين شابور ومحلة نقيده، وهما جانبان أيضاً وينفصل هذا الخليج ايضاً قطعتين، فيشرع إحداهنّ الى فرنوه مغرّبةً من ناحية ببيج ومحلة ببيج ، والأخرى مشرّقةً الى صا ، وصا هذه مدينة فيها جامع وبيع كثيرة وحاكم وسلطان وأسواق وحمّام، وبها العين المعروفة بعين موسى عليه السلام ويقال أنه سُجِن بها ستة سقسات . ومن صا الى ديّاي ضيعة كبيرة فيها جامع ، وبرسمها كورة ذات ضياع وعامل وحاكم وبيع ، واحوالها متقاربة في الزجاء عشرة سقسات . ومن دياي الى الصافية ضيعة كبيرة كثيرة قصب السكر وبها غير معصرة للسكر ، وبها جامع وبيع وحاكم وعامل واسواق حسنة عشرة سقسات . ومن الصافية الى دمى جمول ضيعة كبيرة أيضاً كثيرة قصب السكر والمعاصر ، وعُمل السُكر بها والقند ولها منبر وسوق وحاكم ستة سقسات . ومن دمى جمول الى سنديون ضيعة آهلة واسعة الغلات ، وبها جامع وبيع وسوق وحاكم ثمانية سقسات او تزيد قليلًا . ومن سنديون الى بُلهيب ستة سقسات . واما الشعبة الآخذة من ببيج ومحلة ببيج الى فرنوه ، فإن فرنوه منها على نحر الماء وفي غربيه ، وهي مدينة كثيرة البادية وهي الغالبة عليها ، وبها جامع وسلطان وحاكم وبيع عداد وأسواق لا بأس بها، وبينهما اثنا عشر سقساً . ومن فرنوه الى محلة مسروق مدينة لها كورة عظيمة ، فيها الموز الحسن الكثير والفواكه الواسعة وتجلب فواكهها الى الفسطاط ، وبها حمّام وجامع وبيع وحاكم وصاحب معونة خمسة عشر سقساً . ومن محلة مسروقٍ الى محلة أبي خراشة مدينة كثيرة الاسواق ، وبها جامع وحمّام وحاكم وصاحب معونة في عسكر صالح ، ولها كورة ذات غلاّت كثيرة ستة سقسات . ومن محلة أبي خراشة الى فيشة ضيعة فيها منبر ولها بادية لا بأس بها اثنا عشر سقساً . ومنها الى سندبيس ضيعة فسيحة كثيرة الدهاقين والبيع والخنازير صالحة الارتفاع خمسة عشر سقساً . ومن سندبيس الى سنباذة ضيعة تشاكل سندبيس خمسة عشر سقساً . ومنها الى بلهيب نحو عشرة سقسات . ويجتمع ببلهيب الخليجان

المتشعبّان من ببيج : أحدهما آخذاً على فرنوه ، والآخر على صا ُقدّام بلهيب ، وهي مدينة كبيرة بها جامع ، وهي على ساحل الاسكندرية في الربيع ، وبها حاكم وصاحب معونة وجامع واسواق ولا حمّام بها ، وجميع ما على شطّي النيل من بلهيب الى رشيد ضياع لا منابر فيها ويطول ذكرها .

٨ – ولمِصر وأعمالها غير كتابٍ مؤلّفٍ مستوفىً بصفات ضياعها وجباياتها وخواصّها ، وقد تغيّرت مذ وقت دخل المغاربة ارضها ورزحت من جميع اسبابها ، وبقيت منها رسوم وبقايا دِمنٍ خاليةٍ تشهد بما سلف فيها من الامور الرفيعة العالية ؛ فلذلك حرّرتُ اوصافها ولم استقص حالها .

٩ – واما الشعبة الآخذة من شطنوف مشرّقة الى دِمياطَ وتِنّيس فقد ذكرتُ بين اشكال مدنها مسافاتها ، ويُستغنى بذلك عن إعادة لفظٍ فيه وتكرير قول منه ، ولو امكن مثل ذلك في جميع هذه الخلجان لكان أجمل واحسن ولمّا تعذّر ، ولم يمكن فيه اعادة ذكره بالكلّية اقتصرتُ على المشهور المعروف حسب ما توخّيتُه من ذكر سواد كل بلد وريف كل ناحية ، ووصفها جملةً غير مفصّلةٍ بعد تصوير مدنها وبقاعها وطرقها مُوَصّلةً ومُفصّلة ، اذ كان ذلك القصدَ والبغية . ولمّا كان العلم بكلّيته بإزاء قُوى ابناء البشر بكلّيتهم فلن يبلغَ الانسانُ الواحد منه بجزئيّة إلا قدرَ ما اقتضته سعادته .

١٠ – فأما ما يحيط بجميع مصر من الحد المشتمل عليها فقد تقدم ذكره في غير مكان ، ومن القُلزُم الى ان تعطف على التيه بساحل البحر ست مراحل ، ومن حد التيه الى ان تتصل ببحر الروم نحو ثماني مراحل ، ويمتد الحد على البحر الى اول الحد الذي ذكرتُه نحو اثنتي عشرة مرحلة .

١١ – ومن الرَملة الى مدينة الفُسطاط إحدى عشرة مرحلة، فمن ذلك ان تخرج من الرملة الى ابنى مدينة نصف مرحلة، ومنها الى يزدودَ مدينة ايضاً قَصِدة تمامُ مرحلة ، ومن يَزدُود الى غزّة مدينة حسنة كثيرة الخير ولها ربض مرحلة ، ومنها الى رفح مدينة صالحة وجامع حسن مرحلة . ومن رفح الى العريش مدينة ذات جامعين مفترقة المباني والغالب عليها

الرمل ، وهي قريبة من الساحل ولها فواكه وثمار حسنة مرحلة . وذكر عبد الله بن عبد الحكم الفقيه ، صاحب الكتب المؤلّفة ، أن الجفار بأجمعه كان أيام مُصعَب بن الوليد فرعون موسى في غاية العمارة بالمياه والقرى والسكان ، وأن قول الله تعالى : « ودمّرنا ما كان يصنعُ فرعونُ وقومُه وما كانوا يعرِشون »[1] عن هذه المواضع ، وأن العمارة كانت متصلة منه الى اليمن ؛ قال : ولذلك سمّيت العريشُ عريشاً . ومن العريش الى الوَرّادة منزل قريب الحال مرحلة ، ومن الورادة الى البَقّارة قرية مرحلة . ومن البقّارة الى الفَرما مدينة صالحة على نحر بحر الروم ، كثيرة النخيل والرطب والسمك غير طيّبة الماء ، يردها التجار في البر والبحر ليلًا ونهاراً من الفسطاط والشأم لانها على الطريق مرحلة ، وسابلتُها غير منقطعين ، ومن الفرما الى جرجير مرحلة وهي مدينة ومن جرجير الى فاقوس مدينة صالحة ايضاً مرحلة ، وربما لم يمكن السائرَ الى جرجير السيرُ من فاقوس فسار من الفرما الى الهامة الى بلبيس ، وبلبيس مدينــــة ايضاً مرحلة . ومنها الى الفسطاط مرحلة .

١٢ – وطول ارض مصر من اسْوان الى بحر الروم نحو عشرين مرحلة ؛ فمن ذلك أن من اسوان الى اتفوا اربعـة أبرُدٍ ونصف ، ومن اتفوا الى اسنى بريدان ومن اسنى الى ارمنت بريدان ، ومن ارمنت الى قوص بريد ونصف ، ومن قوص الى البلينا اربعـة أبردٍ ونصف ، ومن البلينا الى اخميم بريد ونصف ، ومن اخميم الى قاو بريدان ، ومن قاو الى اسيوط بريـــد ، ومن اسيوط الى مَنسارة بريدان ، ومن منسارة الى الاشمونين بريدان ، وهي تجاه انصنى ؛ ومن الاشمونين الى طحا بريدان في الحاجر ، ومن طحا الى مصر عشرة أبرد . ثم تركب في السفينة الى ايّ موضع وبلدة تريد فإن طرقاتهم في الماء بالمراكب .

١٣ – وعلى النيل مضيقان بين جبلين قد قطع كلٌّ واحد منهما ليستمر الماء في طريقه : احدهما بين اسنى وارمنت لصيق القرية المدعوّة قرية القَس

١ – « ودمرنا .... يعرشون » ، سورة الأعراف (٧) الآية ١٣٣ .

وقد خربت ، والمضيق الثاني ُيعرف بالخنس على ثلاثة أبرد من اسوان الى اسفل منها وبينه وبين اتفوا بريد ونصف . وبالنيل موضعان ُيعرفـــان بالجنادل : احدهما فوق اسوان بثلاثة اميال في حد الاسلام ، وهو جبل قُطِـعَ ايضاً لطريق الماء وُترك ما قُطع منـــه على غاية الوعورة ، فالماء يتسرّب فيه بين احجار عظام لا تقدر المراكب ان تسير فيه لوعورته ، واذا جاءته حملت في البرّ متاعها الى ان تلحق بمسيل الماء المستقيم ومقداره رميتا سهم ، وبينه وبين آخر حد الاسلام ثلاثة اميال وكأنه ُترك ردءًا لمن قصد بلد العدوّ او ردءًا لمن اراد مصر من ناحية العدوّ ، والجنادل الثاني بالقرب من دنقله وُيسمع صوت الماء وجريه فيها ليلًا ونهـــاراً على اميال كثيرة .

١٤ – ومن صفات مدنها وبقاعها أن مدينتها العظمى تسمى الفُسطاطَ ، وهي على شمال النيل لانه يجري في نحوهـا بين المشرق والجنوب ، وهي مدينة حسنة ينقسم لديها النيل قسمين ، فيُعدى من الفُسطاط الى عـدوةٍ أولى ، فيها ابنية حسنة ومساكن جليلة ُتعرف بالجزيرة وُيعبرُ اليها بجسر فيه نحو ثلاثين سفينة ، ويعبر من هذه الجزيرة على جسر آخر الى القسم الثاني كالجسر الاول الى ابنية جليلة ومساكن على الشط الثالث ُتعرف بالجيزة . والفُسطاطُ مدينة كبيرة نحو ثلث بغداد ، ومقدارها نحو فرسخ على غاية العمارة والخِصب والطيبة واللذّة ، ذات رحاب في محالّها واسواق عظام ومتاجر فخام ، وممالك جسام الى ظاهر انيق وهواء رقيق وبساتين نضرة ومتنزهات على مرّ الأيام خضِرة . وبالفسطاط قبائل وخِطط للعرب تنسب اليها محالّهم كالكوفة والبصرة ، إلا أنها اقل من ذلك في وقتنا هذا وقد باد اكثرها بظاهر المعافر وهي سبخة الارض غير نقيّة التربة . والدار تكون بها طبقات سبعاً وستاً وخمس طبقات ، وربما سكن في الدار المائتان من الناس . وبالفسطاط دار تعرّف بدار عبدالعزيز بن مروان ، وكان يسكنها ويصبّ فيها لمن فيها في كل يوم عهدنا هذا اربع مائة راوية ماء ، وفيها خمسة مساجد وحمّامان وغير فرن لخبز عجين اهلها . ومعظم بنيانهم بالطوب واكثر سِفل دورهم غير مسكون . وبها مسجدان لصلاة الجمعة : بنى احدهما

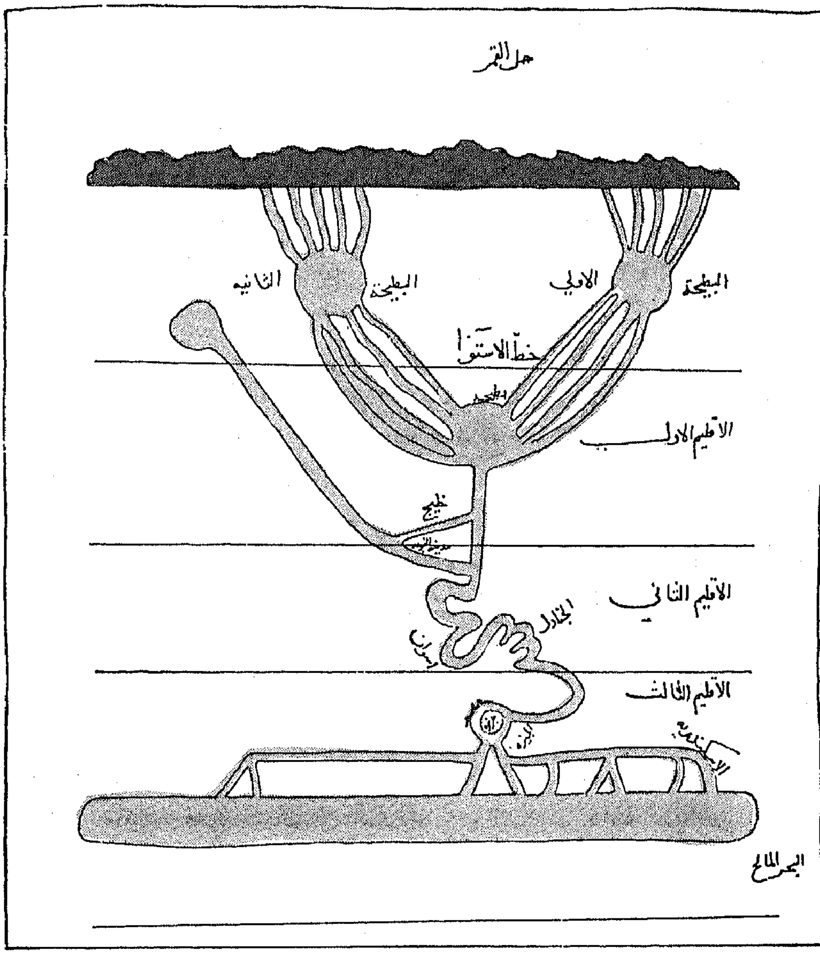
عمرو بن العاص في وسط الأسواق، والآخر بأعلى الموقف بناه ابو العباس احمد بن طولون . وكان خارج مصر ابنية بناها احمد بن طولون مساحتها ميل في مثله ، يسكنها جنده تعرَف بالقطائع كبناء بني الاغلب خارج القيروان لرقّادة ، وقد خربا جميعاً في وقتنا هذا ورقّادة اشد تماسكاً وصلاحاً . وقد استحدثت المغاربة بظاهر مصرَ مدينة سمَّتها القاهرة استحدثها جوهر صاحب اهل المغرب عند دخوله الى مصر لجيشه وشمله وحاشيته ، وقد ضمَّت من المحالّ والاسواق وحوت من اسباب القنية والارتفاق بالحمّامات والفنادق الى قصور مشيدة ونعم عتيدة ، وقد أحدق بها سور منيع رفيع يزيد على ثلاثة أضعاف ما بنى بها ، وهي خالية كأنها تُركت محالاً للسائمة عند حصول خوف . وبها ديوان مصر ومسجد جامع حسن نظيف غزير القوّام والمؤذّنين ، وقد ابتنت بعض نساء أهل المغرب جامعاً آخر بالقرافة موضع بظاهر مصر ، كان مساكن لقبائل اليمن ومن اختطّ بها هناك قديماً عند فتحها ، وهو من الجوامع الفسيحة الفضاء الرائعة البناء أنيق السقوف بهيّ المنظر . وبالجزيرة والجيزة أيضاً جامعان آخران دون جامع القرافة في نبله وحسنه .

١٥ — وبمصر نخيل كثيرة وبساتين وأجنّة صالحة وتمتد زروعهم بماء النيل من حدّ اسوان الى حدّ الاسكندرية والباطن ، ويقيم الماء في أرضهم بالريف والحوف منذ امتداد الحر الى الخريف ، وينضب على ما قدمت ذكره فيزرع ولا يحتاج الى سقي ولا مطر من بعد ذلك . وأرض مصر لا تمطر ولا تثلج . وليس بأرض مصر مدينة يجري فيها الماء من غير حاجة الى زيادة النيل إلا الفيّوم . والفيوم اسم الاقليم ، وبالفيوم مدينة وسطة ذات جانبين تُعرف بالفيّوم . ويقال أن يوسف النبي عليه السلام اتخذ لهم مجرى وزنه ليدوم لهم دخول الماء فيه ، وقوّمه بالحجارة المنضّدة وسمّاه اللاهون .

١٦ — وماء النيل فلا يعلم أحد مبتدأه ، وذلك أنه يخرج من مفاوز وراء أرض الزنج لا تسلك حتى ينتهي الى حد الزنج ، ويقطع في مفاوز النوبة وعماراتهم فيجري لهم في عمارات متصلة الى أن يقع في أرض مصر.

قال كاتب هذه الاحرف : زعم مؤلف الكتاب أن النيل لا يعلم احد مبتداه وأنه يخرج من مفاوز وراء بلاد الزنج ، وقد رأيت في رسالة جغرافية أن مبدأ النيل بطيحتان مدورتان يصب الى كل واحدة خمسة انهار من جبل القمر ، ويخرج من هاتين البطيحتين من كل واحدة اربعة أنهار الى بطيحة مدورة في الاقليم الاول ، قطرها جزآن ومركزها عند طول نج والعرض من الاقليم الاول ب لآ ثم يخرج من هذه البطيحة نهر هو نيل مصر ، ويصب اليه نهر يجري من عين يخرج من خط الاستواء عند طول نط لآ ويأتي الى قرب من بلد النوبة ، فينقسم قسمين يصب احدهما الى النيل عند طول نج لا والعرض عند يو لا في الاقليم الاول ، والثاني مصبه في الاقليم الثاني عند طول نج لا وعرض يح لا ثم يمتد ولا يزال ينعطف انعطافات كثيرة ليس هذا موضع شرحها ، حتى يأتي الى اسوان ثم يمر الى مصر مماساً لها عند طول ند لا والعرض كط لا ثم يتفرق من مصر في سبعة خلجان الى البحر : الاول الى الاسكندرية عند طول نآ م والآخر عند طول نج لا والثالث عند طول نج ل والرابع عند طول نج م والخامس عند نج نه والسادس عند طول ند ك والسابع عند طول ند ل كما نصوره في الصفحة الاخرى من هذه الورقة ، والله الموفق .

وهو نهر يكون عند امتداده أكبر من دجلة والفرات إذا اجتمعا ، وماؤه أشد عذوبة وحلاوة وبياضاً من سائر أنهار الاسلام ، وهو متصل بالبرية التي لا تُسلك لجنّها . وذكره بطلميوس في كتاب جغرافيا فلم يعزُ أَصله الى مكان . ويكون فيه التماسيح والسقنقور وسمكة تعرف بالرعادة لا يستطيع أحد أن يقبض عليها ، وهي حيّة حتى ترتعش يده وتسقط منها فاذا ماتت فهي كسائر السمك . والتمساح دابّة من دواب الماء مستطيل الذنب والرأس ، ورأسه نحو نصف طول ذنبه ، وله أنياب لا تقبض بها على دابة ما كانت من سبُع او جَمَل إلا مده في الماء ، وله على كل شيء سلطان إلا الجاموس فانه لا قوام له بالكبير منها ، ويخرج من الماء فيمشي في البرّ ويقيم فيه خارج الماء اليوم والليلة ونحو ذلك ، وليس سلطانه في البر كسلطانه في الماء ، وقد يتضرّى بعضها في البر على الناس فيكون من جاوره معه في أذيّة حتى يُحتال في قتله . وله جلد لا يعمل فيه شيءٌ من السلاح إلا تحت إبطَيه وباطنَ فخذيه . والسقنقور صنف يتولّد منه ومن السمك فلا يشاكل السمك لان له يدين ورجلين ، ولا التمساحَ لان ذنبه اجرد أملس غير مضرّس ، وذنب التمساح مسيَّف مضرّس ويتعالج بشحم السقنقور للجماع ، ولا يكون بمكان إلا في النيل



إيضاح ما يوجد من الاسماء والنصوص في صورة النيل قد رُسم في اعلى الصورة جبل القمر ومن اسفله البطيحة الاولى والبطيحة الثانية ، ثم تحت البطيحتين خط مستقيم افقي كُتب عنده خط الاستواء . وفي الساحة تحت هذا الخط كُتب الاقليم الاول ، وفيه كلمتا بطيحة وخليج . ويلي ذلك الى الاسفل خط ثان كُتب عليه مدينة النوبة وفي الساحة تحت هذا الخط الاقليم الثاني، وفيه من الاسماء الجنادل واسوان ، ومن اسفل ذلك خط ثالث كُتب في الساحة تحتـه الاقليم الثالث ، وفيه من الاسماء : مصر ، جزيرة ، الجـيزة ، الاسكندريه ، وفي اسفل الصورة في الزاوية اليمنى البحر المالح .

من حد اسوان او بنهر مهران من ارض الهند والسند وكذلك التمساح. وكانت مدينة اسوان ثغراً على النوبة قديماً إلا أنهم اليوم مهادنون .

١٧ – وبصعيد مصر من جنوب النيل معدن الزبرجد في برّية منقطعة عن العمارة ، ويكون من حد جزائر بني حدان الى نواحي عيذاب وهي ناحية للبُجة وقوم من العرب من ربيعة ، وليس بجميع الارض معدن للزمرّد غيره . وفي شمال النيل جبل يمتد عليه الى الفسطاط يعرَف بالمُقطّم فيه وفي نواحيه حجر الخماهن وشيء من البلّار وتحادّه ناحية الزُمُرُّد، ويمتد هذا الجبل الى اقاصي بلد السودان وفيه بنواحيِ مصرَ قبر محمد بن ادريس الشافعي الفقيه رحمه الله في جملة المقابر التي في سفحه لأهل مصر . ويقال انه دُفن بها من الانبياء : يوسف ويعقوب والاسباط وموسى وهرون وبها وُلِدَ عيسى عليه وعليهم السلام بكورة اهناس ، ولم تزل نخلة مريمَ تُعرَف باهناس الى آخر أيام بني أميّة .

١٨ – ومن مشاهير مدنها وعجيب آثارها الاسكندرية ، وهي مدينة على نحر بحر الروم رسومها بيّنة وآثار اهلها ظاهرة ، تنطق عن ملكٍ وقدرة وتُعرف عن تمكنٍ في البلاد وسمو ونصرة وتفصح عن عظة وعبرة كبيرة الحجارة جليلة العمارة ، وبها من العمد العظام وأنواع الاحجار الرخام الذي لا تقلّ القطعة منه إلا بألوف ناس ، قد عُلِقت بين السماء والارض على فوق المائة ذراع مما يكون الحجر منها فوق رؤوس أساطين دائر الأسطوان، منها ما بين الخمس عشرة ذراعاً الى عشرين ذراعاً ، والحجر فوقه عشر أذرع في عشر أذرع في سمْك عشر أذرع بغرائب الألوان وبدائع الأصباغ.

فلو سئِلتْ عن أهلها لرأيتها   مخبّرة من حالهم بالعظائم

ولها طرقات مفروشة بأنواع الرخام والحجر الملون ، وفي بيعها عمد لصفاء صقاله وحسن ألوانه يبين كالزمرّد الأخضر وكالجزع الأصفر منه والأحمر ، وجُل أبنيتها بالعمد المسمّر ومنه شيء على قضبان نحاس قد دُبر بأنواع أخلاط لئلا يغيره الزمان ، وتحت الاسطوانة منه الثلاثة سرطانات نحاس وأربعة ، والاسطوانة في الهواء عليها ضروب الصور

المعروفة والمجهولة ، وفيها المنارة المشهورة المبنية بالحجارة المركبة المضببة بالرصاص . وليس بجميع الارض لمنارتها نظير يدانيها أو يقاربها في أشكالها ومبانيها وعجائبها ، ومعانيهـــا تشتمل على آية بيّنة ويُستدل بها على مملكة كانت قاهرة لملك عظيم ذي حال جسيم وسلطان عقيم . وهي المنارة المشهورة في جمهور الارض أخبارها التي جميع العامة والخاصة من أهل الدراية مجمعون على أن مؤسسها اخترعها لرصد الفلك ، وأدرك ما أدركه من علم الهيئة بها وفيها ؛ وجميع ما أُخبر به من حال الفلك ، فإنما حصل له ولمن خلفه بانكشاف فضائها وسعة سمائها وقلة أبخرة صحرائها ، لأن لكلّ أرضٍ سراباً على مقدارها وليس لهـــا سراب ، وسمكها كان يزيد على ثلاثمائة ذراعٍ فوقعت منه قُبّة عظيمة كانت رأس المنارة لطول العهد ، لا كما يدّعي المحاليُّون في حماقاتٍ ورقاعاتٍ مصنّفةٍ انهـا بُنيت لمرآة كانت فيها ، يُرى سائر ما يدخل الى بحر الروم من درمُون حمّال الى شلندى مستعدٍ للقتـال . ويزعم قوم انّ بانيهـا وباني الهرمين مَلِك واحد ويروي آخرون غير ذلك .

١٩ — ومن حدّ الفسطاط في غربيّ النيل أبنيـــة عظام يكثر عددها مفترشة في سائر الصعيد يُدعى الاهرام ، وليست كالهرمين اللذين تجـــاه الفسطاط ، وعلى فرسخين منها ارتفاع كل واحدٍ منهما أربع مائة ذراع وعرضه كارتفاعه مبنيّ بحجارة الكذّان التي سمك الحجر وطوله وعرضه من العشر الأذرع الى الثمان ، حسب ما دعت الحاجة الى وضعه في زيادته ونقصه وأوجبته الهندسة عندهم ، لانهما كلما ارتفعا في البناء ضاقا حتى يصير أعلاهما من كل واحد مثل مَبرَك جملٍ ، وقد مُلئت حيطانهما بالكتابة اليونانية . وفي داخل كل واحد منهما طريق كان يسير فيه الناس رجّالة الى أعلاه ، وفي ذين الهرمين مخترق في باطن الارض واضح من أحدهما الى الآخر ، وقد ذكر قوم انهما قبران وليسا كذلك وإنما حدا صاحبهما ان عملهما انه قضى بالطوفان وهلاك جميع ما على وجـه الارض إلا ما حصّن في مثلهما فخزن ذخائره وأمواله فيهما وأتى الطوفان ثمّ نضبَ فصار ما كان فيهما الى بيصر بن نوح ، وقد خزن فيهما بعض الملوك المتأخرين أهراءه .

٢٠ — ومن جليل مدنها وفاخر خواصّها ما خُصَّت به تنّيس ودمياط وهما جزيرتان بين الماء المالح والعذب أكثر السنة في وجه النيل لا زرع فيها ولا ضرع بها ، وفيها يُتّخذ ويُعمل رفيع الكتّان وثياب الشرب والدبيقيّ ، والمصبّغات من الحُلل التنيسية التي ليس في جميع الارض ما يدانيها في القيمة والحُسن والنعمة والترف والرقة والدقة، وربما بلغت الحُلّة من ثيابها مائتين دنانير اذا كان فيها ذهب ، وقد يبلغ ما لا ذهب فيه منها مائة دينار وزائداً وناقصاً . وجميع ما يُعمل بها من الكتان فربما بلغ مثقال غزلٍ من غزولها دنانير، وان كانت شطا ودبقوا ودميره وتونه وما قاربهم بتلك الجزائر يُعمل بها الرفيع من هذه الاجناس ، فليس ذلك يقارب للتنيسيّ والدمياطي والشطوي بما كان الحمل على عهدنا يبلغ من عشرين الف دينار الى ثلاثين الف دينار لجهاز العراق ، فانقطع بالمغاربة وخصّ بقطعه اللعين ابو الفرج بن كِلّس وزير العزيز ، فإنه استأصل ذلك بالنوائب والكُلَف والمغارم والسُخَر الدائمة للصنّاع ، حتى لجعل جزيةً على جميع الداخلين والخارجين الى تنيس . وبمصر غير طراز رفيع وسآتي على ذكره .

٢١ — وأما النيل فأكثر جريه الى الشمال وكذلك جري نهر الاردن، وعرض العمارة عليه بجنبتيه من حد اسوان ما بين نصف مرحلة الى يوم الى ان ينتهي الى الفسطاط ، فتعرض العمارة على وجه الارض فيصير عرضها من حد الاسكندرية الى الحَوف الذي يتصل بعمارة القُلزم نحو ثمانية أيام واكثر، ولم يكن في ارض مصر سيّما ما جاور النيل قفار غير معمورة بل كانت آهلة قبل فتح الاسلام فلم يبق بها ديّار ولا مخبر .

٢٢ — وأما الواحاتُ فإنها بلاد كانت معمورة بالمياه والأشجار والقرى والروم قبل فتحها ، وكان يُسلك من ظهرها الى بلاد السودان بالمغرب على الطريق الذي كان يؤخذ ويُسلك قديماً من مصر الى غانه فانقطع ، ولا يخلو هذا الطريق من جزائر النخيل وآثار الناس ، وبها الى يومنا هذا ثمار كثيرة وغنم وجمال قد توحّشت فهي تتوارى . والواحات من صعيد مصر اليها في حد النوبة نحو ثلاثة أيام في مفازة حد، ولم تزل سافرتهم وسافرة

أهل مصر على غير طريق تتصرّف الى المغرب وبلد السودان في براري ، ولم ينقطع ذلك الى حين ايام دولة ابي العبّاس احمد بن طولون . وكان لهم طريق الى فزان والى برقة فانقطع بما دار على الرفاق في غير سنة بسافية الريح للرمل على الرفاق حتى هلكت غير رفقة ، فأمر ابوالعباس بقطع الطريق ومنع ان يخرج عليه احد .

٢٣ — وبلد الواحات ناحيتان ويقال لهما الداخلة والخارجة ، وبين الداخلة والخارجة ثلاث مراحل وأجلّهما الناحية الداخلة ، وهي واسطة البلد وقرار آل عبدون ملوكها وأصحابها ، وفيها مساكنهم واموالهم وعُدّتهم وذخائرهم . وهما حارتان بينهما نصف بريد وبكلّ حارة منهما قصر الى جانبه مساكن لحاشية من ينزله وخاصّته واصحابه واضيافه وفيهما حرمهم . وتُعرف إحدى الحارتين بالقلمون والاخرى بالقصر . والناحية الخارجة تُعرف ببيريس وببخيط وهما خمسة اصقاع ، ويشتمل كل صُقع منها على منابر تتقارب في المنزلة والحال . ولم تزل مذ اول ما فتحها المسلمون في ايدي آل عبدون ، ومرجعهم الى حي من لواتة قبيل من البربر ملوك هذه الناحية ، يرجعون الى مروؤة فاشية ومظاهرة بالحرّية ورغبة في القاصدين ومحبّة للمنتجعين على جميع ضروب القصد ، مكرمين للتجّار نازلين على احكامهم في الارباح . وكان من احرصهم على هذه الوتيرة يتقبل المحاسن ويحب حسن الاحدوثة والشكر ، ويرغب في جميل الذكر ابو الحسن مكبّر بن عبد الصمد بن عبدون ، رحمه الله ، بكبر نفسه وسعة قلبه وكثرة طَوله وفاشي مروؤته يزيد على من سلف له من اهله في جميع المقاصد الكريمة ، ويركب منها الطرقات الصعبة الجسيمة . ولما مضى قام مكانه وعمر موضعه عبدون بن محمد بن عبدون في ضمن عبدٍ له يُعرف بمصبح بن ميمون مغربي الاصل مولّد بالواحات ، وهو رجل نَدبٌ وشيخ شهمٌ . ونواحيهم كثيرة المياه والاشجار والغياض والعيون الجارية العذبة متصرفة في نخيلهم وزروعهم وأجنّتهم ، واكثر غلاّتهم بعد القمح والشعير الارز ولديهم من العنّاب الكثير والفوّة الواسعة الغزيرة ما يُغدق به الى كثير من النواحي ، وهي كالناحية المعتزلة في مركز دائرة من النيل ومن اي نحوٍ قصدتَ الواحات

من انحائها كان الوصول اليها من ثلاث مراحل الى اربع مراحل . والناحية الخارجة منها المعروفة ببيخيط وبيريس اقرب الى النيل ، ومن قصدها من ناحية النوبة ويبرين واعمالهم اجتاز بعين النخلة بماء عدٍّ لا ساكن عنده ولا يجد الماء الى بيريسَ . ومن اجتاز بها من ارض مصر وقصدها من اسنى وارمنت تزوّد ماء النيل الى بيريس . ومن قصدها من البُلينا واخميم واسيوط والاشمون من اسافل الصعيد كان وصوية الى بيخيط وتزوّد ماءَ النيل . ومن قصدها من اسوان وأعلى الصعيد اجتاز بدنقل بماءِ عدٍّ في أحساء تُحفرُ باليد، وعليه نخيل كثيرة بغير ساكن وتزوّد الماءَ الى بيريس، ومسيرة كل طريق مما ذكرتُه اليها ثلاث مراحل ، واكثر هذه الطرق في عِقاب وأودية ، وجميع من قصدها من هذه الاربع نواحي يقطع الوادي المعروف بدواي وأحساء بني فضالة ؛ ومن قصد الواح الداخلة وهي دار مملكة آل عبدون من ناحية القيس والبهنسة، كان وصوله الى بهنسة الواح إذ بها ناحية تُعرف بالبهنسه ايضاً ، وبينها وبين الفرفرون مرحلة والفرفرون قرية ذات قصور . وبين بهنسة مِصر والقيس وبهنسة الواح اربع مراحل، وهي في جملة الواح الداخلة وتُصيب المـاء في هذا الطريق بموضع يُعرف بماء النخلة وفيه نخلة . والغـــالب على اهل الفرفرون القبط النصارى . وبالفرفرون والبهنسة قصران لآل عبدون يليهما مساكن كمساكن القلمون، ولا حُرمَ فيهما ولا ذخيرة بل هي عُدّة لنزول اهلها بها عند تُنزّهِهم ، ويليهما مساكن الأكَرة . وبالبهنسة وبيخيط وبيريس قرىً ظاهرة وباطنة وأمم عليهم لوازم للسلطان وجزية ، ولا يمدّ آلُ عبدون وخدمهم ايديهم في شيءٍ من الجبـــاية سوى الخراج والجزية من النصارى ، وليس بجميع الواحات يهودي واحد فما فوقه . وبالواحات من بني هـلال عِدّة غزيرة وأمّة كثيرة وهي مصيفهم وقت الغلّة وميرتهم منها، وليس بجميع الواحات حمّام ولا فندق يسكنه الطارىء والقادم اليها . واذا قَدم التجار والزوار على آل عبـدون أنزلوهم اين كانوا من قرارهم ، ولزمتهم الأنزال ودرّت عليهم الضيافات الى حين رحيلهم ، وعندهم بجميع نواحيهم المطاحن بالابل والبقر ، وقلّما يُمطرون ومياه عيونهم حارة فهي تقوم لهم مقام الحمامات .

وقد يُقصد الواحات من ناحية المغرب ومن جزيرة فيها نخيل وسكّان من البربر تُعرف بسنتريّة ، فيكون اول وصولهم منها الى ناحية بهنستها . وبجميع الواحات بِيَع قديمة ازليّة معمورة لان البلد كان نصراني الاصل قديماً ، وكان غزير الدخل كثير المال فشاب وشمِط بجور السلطان . وقد استحدث المسلمون بهذه النواحي الخمس نحو خمسة عشر منبراً ، ولكل قرية من قرى هذه الخمس نواحي مساجد معمورة بالصلوات الخمس . وجميع من بها من القِبط في ولاء آل عبدون عتاقة وغلاّت البلد فوق حاجتهم ، وبه من القموح والتمور الجليلة الكبار الحب والعنّاب والقطاني الى جميع الفاكهة والبقول ما يزيد على حاجتهم وينيف على فاقتهم وإرادتهم ، وبين آل عبدون والنوبة هدنة بعد حروب جرت وغارات دامت واتصلت وهذه جملة من خبرها وأوصافها .

٢٤ — واما البحيرة التي هي بارض مصر وفي شمال الفَرما وتتصل ببحر الروم تعرف ببحيرة تنيس ، فهي بحيرة اذا امتد النيل في الصيف عذُب ماؤها وإذا جزر في الشتاء الى اوان الحر غلب ماء البحر عليها فملُحَ ماؤها ، وغاص فيها ماء النيل . وفيها مدن كالجزائر فيها يطيف ماء البحيرة بها ولا طريق اليها إلا في السفن . من أجلّ جزائرها تنيس ودمياط ودميره ودبقوا وشطا وتونه . وهي قليلة العمق يسار في اكثرها بالمرادى وتلتقي السفينتان تحك إحداهما الاخرى ، هذه صاعدة وهذه نازلة بريح واحدة مملأة شرعهما بالريح متساوية في سرعة السير . وبهذه البحيرة سمكة تعرف بالدُلفين في خِلقة الزق الكبير ، وتكثر في مياه بحر الروم في منحدر الماء العذب من البحر . وذكر قوم في مؤلفات حماقات رقاعاتهم أن لها خاصية مشهورة ، وذلك أنها لا تزال تدفع الغريق عند غرقه وهو يجود بنفسه وتَغثّه بارهاقه ودفعه مرة وشيله ورفعه تارة الى الساحل او الماء الرقيق ، والناس يكذبون لما كانت ذوات الاربع لا تنطق. وذكر هذا المؤلف في بعض كتبه وغيره انّ بالاسكندرية سمكةً تُعرف بالعروس حسنة المنظر نقِشةً لذيذةَ الطعم ، إذا اكله الانسان رأى في منامه كأنه يؤتى إن لم يتناول عليها الشراب أو يكثر من أكل العسل ، بل يرى ان

كثيراً من السودان يفعلون به ، ورأيتُها وأكلتُها أنا وجماعة من ذوي التحصيل فشهدوا بكذب هذه الحكاية .

٢٥ ــ ومن حدّ هذه البحيرة الى حدّ فلسطين والشأم أرض رمال كلها متصلة حسنة اللون تسمى الجفار ، بها نخيل ومنازل ومياه مفترشة الرمل غير منفصلة ، ويتصل هذا الرمل برمل نفزاوه من ارض المغرب ورمل سجلماسه ، ويأخذ الى ارض أودغست وذلك أنه يأخذ من الجفار مغرّباً عنها مع جبل المقطّم ، ويمتد على ساحل النيل من شرقه وغربه وحيتانه . والنيل يشقّه بنواحٍ كثيرة فمنها : باهريت وشرونه وبياض وصول والبرنيل واتفيح واسكُر والحي الى نواحي بُوصير قوريدس ، واهناس ودلاص وسمسطا والقيس وطحا والاشمونين ، فيأخذ على ارض الفيّوم وبحيرة اقنى وتنهمت والبحيرة في وسطه وتحت جبال منه ، فيمضي على بلد الشنوف ويستبطن طريق الباطن ويأخذ على غربي عقبة برقة مارًّا على الطريق الأعلى ، وخلف طريق الجادّة ويقع شيء منه الى ساحل بحر برقة وينقطع ، ولا ينقطع ما على الطريق الأعلى منه حتى يرد قبلة اجدابيه ، وسُرت فيكون في وسطه ، ويأخذ عن الطريق مغرّباً الى صحارى جبل نفوسه ونفزاوه ، ويرتفع الى لمطه ورمال سجلماسه ويتصل برمل اودغست المتصل بالبحر المحيط . ويتصل رمل الجفار من ناحية القبلة في نفس البرّ الى آيلة ورمال القُلزم ، ويفترش بالساحل وطريق جادّة مِصر ويمضي الى مدينة يثرب ممتداً على ما جاور ارض لخم وجُذامَ وجُهينة وبليٍّ ، وما دنا من ارض تبوك ويجتاز بوادي القرى ماراً بديار ثَمودَ مشرّقاً الى جبلي طيّء ، ويتصل برمل الهبير ورمل الهبير متصل برمل البحرين ورمال بادية البصرة وعُمانَ الى ارض الشِحر ومَهرَة ، وجميع ارض الشحر ومهرة رمل من البحر الى الجبل ويعبر البحر فيكون تجاه الشحر ومهرة من بلاد الزنج رمل كهيئة رمل الشحر ، ويحاذي رأسَ الجُمجمة من نواحي حصن ابن عمارة وارض هرموز ؛ فيمر شمالاً الى اقاصي خراسان على اعمال الطبسين وهراة ورمال مرو وسرَخس ، ويشرّق بعضه الى اعمال السِند والديبل وسوبارة وسندان وصَيمور ماراً في براري الهند الى التبت

وبلاد الصين ، فيشرع في البحر المحيط . وجميع الرمل الذي على وجه الارض متصل متناسب لا اعرف فيه بلداً رملُه ذو فصل إلا القليل . وكذلك جبال الارض كلها متناسبة متصلة إلا القليل اليسير منها . ويتصل حد الجفار ببحر الروم، وحد بالتيه وحد بأرض فلسطين من الشأم وحد ببحيرة تنّيس، وما اتصل به من ـَحوف مصر الى حدود القلزم . وبالجفار حيّات ِشبريّة تثب من الرمل الى المحامل والركاب على الدواب فربما لسبتهم وآذتهم .

٢٦ ــ وأما ِتيه بني اسرائيل فيقال : إن طوله نحو اربعين فرسخاً وعرضه قريباً منه . وهو ارض فيها رمال وبعضه جلد وبه عيون ونخيل مفترشة قليلة ، ويتصل حد له بالجفار وحد له بجبل طور سيناءَ وما اتصل به ، وحد له بأراضي بيت المقدس وما اتصل بها من ِفلسطين ، وحد له ينتهي الى ظهر ـَحوف مصر الى حد القلزم .

٢٧ ــ ومدينة الاشمونين وإن كانت صغيرةً فهي عامرة ِ ذات نخيل وزروع ، ويرتفع منها من الكتان وثياب منه يجّهز كثير الى مصر وغيرها . وتجاهها من شمال النيل مدينة ُبوصير ، وبها ُقتل مروان بن محمد الجعدي ويقال أن َسحرة فرعون الذين حشرهم يوم موسى من ُبوصير .

٢٨ ــ ومدينة اسوان كثيرة النخيل غزيرة الغلاّت من التمور قليلة الزروع وهي اكبر مدن الصعيد ، والبُلينا وأَخميم مدينتان متقاربتان في العمارة ، صغيرتان عامرتان بالنخل والزرع وذو النون المصري من اهل اخميم ، وكان بغاية النُسك والورع ، ولها جهاز من الكتان المعمول شقّة ومناديل الى الحجاز ومصر . وبها برباً من اعظم البرابي وأطرفها ، وهو مخزن لذخائر القوم الذين قضوا من اهل مصر بالطوفان قبل وقته بقرانين، واختلفوا في مائيته فقال بعضهم : يكون ناراً فتحرق جميعَ ما على وجه الارض ، وقال آخرون : بل يكون ماء . وعملوا هذه البرابي قبل الطوفان، ومنها بمصر وفي ارضها وصعيدها خاصة ما لم ار على وجه الارض لشيء من ابنيتها ِشبه رصانة في الاحجار وإحكام في التركيب ، وهندسة في الاركان وعلوّاً في السَمك ، الى تصاوير تزيد على العجب من انواع لم ُير قط لها شَبهٌ في نفس احجارها قد ُبثت في صخرها وعمدها .

٢٩ — وبالفيّوم مدن كبار جليلة وطرز مشهورة وكور عظام للسلطان والعامة . وفيها من الامتعة للجلب ما يُستغنى بشهرته عن اعادته كالبهنسة المعمول بها الستور والاستبرقات ، والشُرع والخيـــام والأجلّة والستائر والبُسط والمضارب والفساطيط العظام بالصوف والكتان بأصباغ لا تستحيل، والوان تثبت فيها من صورة البقة الى الفيل . ولم يزل لاصحـاب الطرز من خدم السلطان بها الخلفاء والأُمناء ، وللتجار من اقطـــار الارض في استعمال اغراضهم بها من الستور الطوال الثمينة التي طول الستر من ثلاثين ذراعاً الى ما زاد ونقص، مما قيمة الزوج منها ثلاثمائة دينار وناقص وزائد . وَطحا مدينة ايضاً فيها غير طراز، ومنها ابوجعفر الطحاوي الفقيه العراقي، صاحب كتاب اختلاف فقهاء الامصار . والفيوم نفسها مدينة ذات جانبين على وادي اللاهون ، طيّبة في نفسها كثيرة الفواكه والخيرات غير صحيحة الهواء ، ولا موافقة للطارىء عليها ولا للغريب النازل بها . واكثر غلاّتها الأرز وإن كانت لا تعدم من اصناف الغلاّت شيئاً، وبظاهرها آثار حسنة والناحية مسمّاة باسمها . والفيوم ناحية كانت في قديم الايام وسالف الزمان عليها سور يشتمل على جميع اعمالها ، ويحيط بسائر مدنهـا وبقاعها ورأيت اكثره من جانب البرّية بيّنة ابراجُه ، وقد غلب على اكثرها الرمل فطمّ منها ومنه ، وسقطت الحاجة اليه بالاسلام ودخول دولته على اهله . وهذا السور يُعرف بحائط العجوز وليس هو مختصاً بعمل الفيوم دون اعمال النيل الى آخر عمل النوبة ، بل يحيط بالنيـل من نواحي مصر على جنبتي النيل جميعاً الى اعمال النوبة .

٣٠ — والفرَما مدينة على شط بحيرة تنّيس وهي مدينـة خصبة وقد مرّ شيءٌ من ذكرها ، وبها قبر جالينوس اليوناني . ومن الفرما الى تنيس في البحيرة دون الثلاثة فراسخ وهي مدينة كثيرة الرطب جيّدته صالحـة الفاكهة كثيرتهـا . وبتنّيس تلاّن عظيمان مبنيان بالأموات منضدين بعضهم على بعض ، ويسمّى هـــذان التلاّن بُوتُومَ ويُشبه ان يكون ذلك من قبل أيام موسى عليه السلام وبعثه ، لان اهل مصر في ايام موسى كان في شريعتهم الدفن ثم صارت للنصارى ودينهم ايضاً الـــدفن ثم صارت

للاسلام . وعليهم اكفان من خشن الخيش وعظامهم وجماجمهم فيها صلابة الى يومنا هذا .

٣١ – وبالفسطاط قرية تُعرف بعين شمس عن شمال الفُسطاط ومنف في جنوبي الفسطاط واحدة تجاه الاخرى ويقال كانا مسكنين لفرعون . وبها آثار عجيبة يتنزّه فيها . وعلى رأس جبل المقطّم في قُلّته مكان يُعرف بتنّور فرعون يسع خمس مائة كُرّ حنطة، وهذا من نوع الخرافة . ويقال أن فرعون كان اذا خرج من احد المتنزهين أصعد في المكان الآخر من يعادله، ليعاين شخصُه بالوهم ولا تُفقد هيئتُه . وفي نيل مصر مواضع لا يضر فيها التمساح : كعدوة بُوصير والفسطاط . ولعين شمس الى ناحية الفسطاط نبتٌ يُزرع كالقضبان يُسمّى البلسم، يُتخذ منه دُهن البَلَسان لا يُعرف بمكان من الارض إلا هناك، ويؤكل لحاء هذه القضبان فيكون له طعم صالح وفيه حرارة وحروفه لذيذة . وشبروا ضيعة في وقتنا هذا جليلة، في محل مدينة يُعمل فيها شراب العسل عند زيادة النيل، فلا يخالط العسلَ والماءَ ثالثٌ من خلط، وهذا الشراب مشهور في جميع الارض لذّته ومحل نشوته وخمر رائحته . والى جانبها قرية تعرف بدمنهور ويُعمل بها بعض ما يُعمل بشبروا وجميع مالِها للسلطان . وفاقوس وجرجير مدينتان من ارض الحَوف، والحوف ما كان من النيل اسفل الفسطاط، وما كان من النيل جنوبيّه يُعرف بالريف . ومُعظم رساتيق مصر وقراها في الحوف والريف .

٣٢ – وأهلها نصارى قبط، ولهم البيَع الكثيرة الغزيرة الواسعة وقد خرب منها الكثير العظيم، وفيهم قلّة شر إلا مع عُمّالهم والمتقبّلين لنواحيهم . وكان فيهم اهل يسار وذخائر واموال واسعة وصدقاتٍ ومعروف، وأدركتُ من اليسار فيهم والمعروف منهم على المسلمين ما يطول شرحه، ولم يك بشيء من البلدان ما يقاربه او يدانيه . ومن اولاد القبط غيلانُ ابو مروان رئيس الغيلانية، فرقةٍ من الشيعة، وآسية بنت مُزاحم ومارية ام إبراهيم ابن نبيّنا عليه السلام وهاجرُ ام اسماعيل ابن ابراهيم عليهما السلام . وربما ولدت المرأة القبطيـــة الولدين والثلاثة

والاربعة في بطن واحد بحمل واحد، وليس ذلك بمكان ولا في شيء من البلدان ولا ذلك بالخصوص، بل ربما جرى في السنة دفعات، وذلك أن ماءهم على قولهم أنيث يريدون ماء النيل وفيه خاصية لذلك على قولهم . ومما يقارب ذلك وليس بالمنتشر العلم ولا في جميع الاقطار ان غنم تركُستان تلد الشاةُ في السنة ستةً وسبعة رؤوس من الحُملان والمَعز كما تلد الكلبة، واكثر اهل تركستان وبلاد خوارزم يذبحون ما زاد على الاثنين من اولاد الغنم وينتفعون بجلودها، وذلك أن جلودها حمر قانئة الصبغ يباع الجلد منها من ربع دينار الى دينارين واكثر وأقل حسب صِبغته، ويكون فيها ايضاً جلود سود فيبلغ الجلد لنقائه وحلوكته وحسنه الدنانير الكثيرة، وربما كان فيما ابيض من جلودها ما يعمل منه اغشية للسروج في غاية البياض، وله ايضاً ثمن صالح ومنها مقاربة يُباع عشرة جلود بدرهم . وسألتُ عن علة ذلك ابا اسحاق ابراهيم بن البتكين الحاجب فقال: إن اغنامهم ترعى نهاراً وتنفش ليلًا فقواها زيادة وما ترعاه صحيح ملائم لها، وهذا كما يذكره الخراسانيون أن هواءهم يغذو حيوانهم ويزيد في صحتهم ويُنقي ابشارهم، ويدفع عنهم الأمراض والأعلال صحة مياههم وهذا ما لا يحتاجون معه الى دليل غير المشاهدة، فإنها تُعرب عن صدقهم ويشهدُ لهم العيان بذلك .

٣٣ — ومعادن الذهب في حدود البُجة ومستحق المكان من الإقليم الثاني من قسمة الفلك، وكذلك التبر في جميع الارض فهو بالإقليم الاول والثاني إلا ما بالجوزجان منه، فإنه شيء تافه يسير ولا اعرف العلة فيه . ويقال أن ارض عيذاب من البجة وهي من مدن الحبشة وارض المعدن مبسوطة لا جبل فيها، وهي رمال ورضراض ومجمع تجارات اهل المعدن بالعلاقي، وليس للبُجة قرىً ولا خِصب . وهم بادية يقتنون النجب وليس في النجب اسيرُ من نجبهم، ورقيقُهم ونجبُهم وسائر ما بأرضهم يقع الى مصر في جملة التجار المِصريين او ما قدم به بعضهم .

٣٤ — وبمصر بغال وحمير لا يُعرف في شيء من بلدان الاسلام والكُفر أسيرُ منها ولا أحسن ولا اثمن، غير انها مُخطفة الخلق غير عبلة

الأبدان ولا رَطبة الجسوم، وقد تجلب الى بعض الاماكن فتتغير وتمتلىء ابدانها وهي الغاية في سرعة السير وحسن المشي والوطأة . ولهم من وراء اسوان حمير صغار في مقدار الكبـاش الكبار مُلمَّعة الجلود يُشبه تلميعها جلود البقر، وقد يكون منها الاصفر المدنّـر والاشهب المدنر فتكون في غاية الحسن، واذا أُخرجت من مواضعها وبلادهـــا لم تعش . ولهم حمير تُعرف بالسفلاقيّـة وكانت فرش الصعيد وأرض مصر والبُجة فقلَّت، زعموا انّ أحد أبويها وحشيّ والآخر أهليّ فهي أسير حميرهم .

٣٥ – فأما ارتفاع مصر وقتنا هذا وما صارت اليه جباياتها ودخلهـا فسآتي به، وقد ذكرتُ ذلك فيما سلف ووقتنا هذا كأرزح الأوقات جبايةً، فإنه على غاية الصون من دخول المطامع عليه وحذف ما كان يرتفق به الجباة والمقاطعون، وقد جُبِيَت سنة تسع وخمسين وثلاثمائة على يد أبي الحسن جوهر صاحب أهل المغرب، وهي السنة الثانية من دخوله اليها ثلاثة آلاف ألف دينار وفوق أربع مائة ألف دينار . وذلك انهم كانوا فيما سلف من الزمان يؤدّون عن الفدّان ثلاثة دنانير ونصفاً وزائداً عن ذلك القليل الى نقص يسير، فقبض منهم في هذه السنة المذكورة عن الفدان سبعة دنانير ولذلك ما انعقد هذا المال بهذا الوفور . وأما أخرجة مصر فقبالةٌ تقع على كل فدّان مقاطعة، ويُعطى الأكرةُ على ذلـك مناشير ووثائق لكل ناحيـة على المساحة والفدان بشيء معلوم، ويؤدّون ذلك نحو ما على ما قدّمتُ ذكره من الثُمن أوّلاً ثم إتمام الرُبع ثانياً ثم مطالبة بالثُمن الثالث، واستيفاء من بعد تمام النصف من مال الخراج في شهر برمَوده ومطالباتهم بالنجوم ليرتفقوا في المعاملة بجميـل السيرة، ولا يلحقهم عنف ولا ينالهم مضايقة ولا رهق من الأذيّة عن سائر ما يزرعونه وليس هذه سنن إسلاميّة بل هي أوضاع توخّتها الفراعنة ليؤدّي الأكرة من الأرزّ في الحنطة والشعير، ومن الحنطة والشعير في القصب والكتان.

الشـام

١ ـ وأمّا الشأم فإنّ غربيّهـا بحر الروم ، وشرقيّها البادية من أيلة الى الفرات ثم من الفرات الى حدّ الروم ، وشماليّها بلاد الروم وجنوبيّها مصر وتيه بني إسرائيل ، وآخر حدودها مما يلي مصر رفح ومما يلي الروم الثغور المعروفة . كانت قديماً بثغور الجزيرة وهي : ملطيه والحَدث ومرعش والهارونية والكنيسة وعين زربة والمصّيصة وأذانــه وطرسوس [هذا في زمانه ، وأما في زماننا هذا فان شماليّها الى طرف بحر طرابزون والخزر بيد المسلمين قد افتتح الكثير منها في تأريخ ثمانين وخمس مائة والحمد لله رب العالمين] . والذي يـلي المشرقيّ والمغربي فالنواحي التي قدّمتُ ذكرها في تصوير الشأم وفي اعادتها تطويل .

٢ ـ وهذه الصورة التي في باطن هذه الصفحة صورة الشأم .

إيضاح ما يوجد في صورة الشأم من الأسماء والنصوص :

قد كتب في النصف الأيمن من الصورة موازياً لساحل بحر الروم الساحل وعليه من المـدن ابتداء من الاعلى : الفرما ، ميماس ، تيدا ، عسقلان ، الماحوز ، يافا ، قيساريه ، عـكا ، اسكندريه ، صور ، عذنون ، صرفنده ، صيدا ، الجيه ، الناعمه ، بيروت ، جونيه ، الماحوز ، جبيل ، بترون ، انفه ، القلمون ، اطرابلس ، انطرطوس ، مراقيه ، بلنياس ، جبله ، اللاذقيه ، فاسره ، السويديه ، الصخره ، الاسكندرونه ، بيـاس . وفي اسفل الصورة ينصبّ في البحر ثلاثة انهار عليها من المدن : كفربيا ، المصيصه ، عين زربه ، اذنه ، طرسوس . ورُسمت في البحر ثلاث مدن وهي : الكنيسه ، ارسوف ، نسدين . وكتب في الـبرّ عن يسار : قيساريه وعكا وبينهما حيفه والقصور المضافة الى حيفه . وتوازي الساحل سلسلة جبلية وكتب في أعلى الساحة التي بينها وبين البحر : نواحي مصر ومغرب الشام وبلد فلسطين . وفي هذا القسم مدينتا :

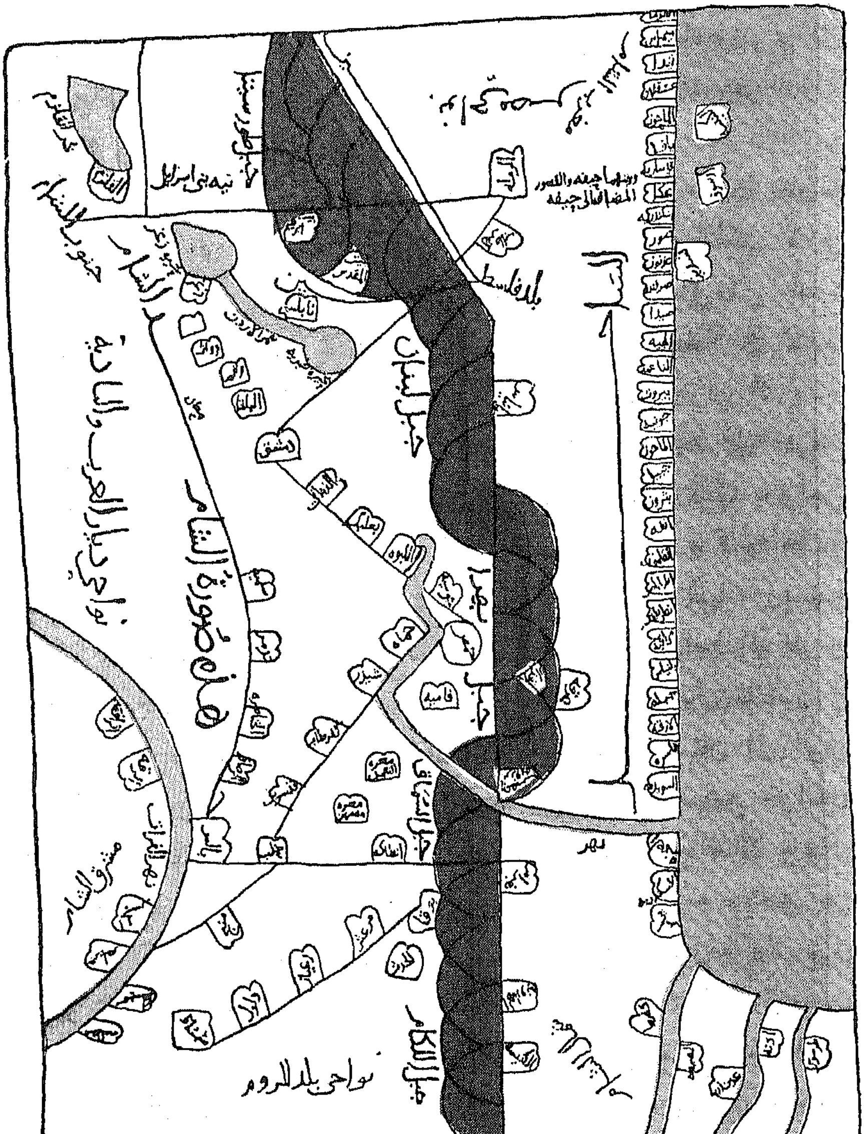
الرمله وكفرسابا . ثم يليها الى الأسفل اتصالا للجبل : بانياس ، اقذار ، عرقـه ، حصن برزويه ، بغراس ، الهارونيه، الكنيسه . وبين حصن برزويه والصخرة نهر وكتب في اسفل هذا القسم شمال الشام .

وكتب في الجانب الأيسر من الجبل عند اعلاه جبل طور سينا ، وعن يسار ذلك تيـه بني اسرائيل ، وعن يسار ذلك مدينة القلزم وبحر القلزم ، ومن اسفل ذلك جنوب الشام . وكتب من طرفي هذا القسم الأعلى من الجبل آخر مخطوط فلسطين ، وفيه مدينتا بيت ابراهيم وبيت المقدس ومن اسفلها نابلس . ثم بحيرة طبريه ونهر الاردن الذي يفضى الى بحيرة زغر وعليها مدينة زغر. وكتب عند الجبل فيا يسامت بانياس جبل لبنان . وتقابله في البر مدينـة دمشق وبين دمشق وزغر من المدن : البلقا ، رقم ، رواث .

وكتب عند القسم الأوسط من الجبل جبل بهرا . وهنا مدينة حمص وبين حمص ودمشق طريق عليه من المدن : جوسيه ، اللبوه ، بعلبك ، الزبداني . ومن اسفل حمص مدينة فاميه ، ثم كتب عند القسم الثاني من الجبل جبل السماق ، وقرب ذلك مدينة انطاكيه ويأخذ منها طريق الى حلب ثم الى بالس على نهر الفرات . وعلى الطريق من حلب الى حمص من المدن : قنسرين ، كفرطاب ، شيزر ، حماه . وبين شيزر وانطاكيه مدينتـا معرّة النعمان ومعرّة مصرين ، وكتب على خط مستطيل من بالس الى القلزم حد الشام وعليه من المدن : الرصافه ، الخناصره ، تدمر ، سلميه ، معان . وتحت الخط هـذه صورة الشام وذلك عنوان الصورة وعن يسار ذلك نواحي ديار العرب والبادية .

وعلى نهر الفرات من جانبه الايسر : الرافقـه ، الرقه ، الجسر ، جربلص . وكتب وراء ذلك مشرق الشام . وبين حلب وجربلص مدينة منبج ثم على ضفة الفرات من هـذا الجانب : سميساط ، ملطيه ، وعن يمينها شمشاط . ويأخذ من شمشاط طريق الى الجبـل وعليه : دلوك ، رعبان ، مرعش ، بوقا وأسفل بوقا مدينة الحدث . واسم الجبل في هذا القسم جبـل اللكام ثم كتب في اسفل الصورة نواحي بلد الروم .

٣ — قـد جمعتُ الثغور الى الشأم وبعض الثغور كانت تُعرف بثغور الشأم ، وبعضها تعرف بثغور الجزيرة وكلها من الشأم . وذلك انّ كلما كان وراء الفرات فمن الشأم وإنما سمّي من ملَطيه الى مَرعَش ثغور الجزيرة لأنّ أهل الجزيرة بها كانوا يرابطون ويغزون ، لا انها من الجزيرة وأعمالهـا . وكور الشأم فهي جندُ فلسطين وجند الأُردن وجنـد دمشق وجند حمصٍ وجند قِنَّسرين والعواصم والثغور . وبين ثغور الشأم وثغور الجزيرة جبل اللكام وهو الفاصل بينهما ، وجبل اللكام جبل داخل في بلد الروم ومتصل بجميع جبال بلاد الروم . ويقال انه ينتهي الى حدّ مائتي


نواحي بلد الروم
نواحي ديار العرب والبادية
مشرق الشام
جنوب الشام
تيه بني اسرائيل
بلد فلسطين
جبل لبنان
دمشق
بعلبك
حماه
شيزر
فامية
انطاكية
نابلس
القدس

صورة الشأم

فرسخ ويظهر في الاسلام ما ظهر منه بين مرعش والهارونيّة وعين زربة ، فيسمَّى اللكام الى أن يجاوز اللاذقية ثم يسمَّى جبل بهراء وتنوخ الى حمص ، ثم يسمَّى جبل لبنان ثم يمتدّ على الشأم حتى ينتهي الى بحر القُلزُم من جهة ويتصل بالمقطّم من أخرى .

٤ — وهو جبل على وجه الأرض أوّله بالمشرق من بلد الصين خارجاً من البحر المحيط على وخان من نواحي خُمدان ، فيقطع بلاد التُبّت لا في وسطها بل على مغاربها ومشارق بلاد الخرخيّة الى ان يأتي من حدود الاسلام فَرْغانه فتمرّ منه قطعة الى الجنوب من فرغانه وقطعة الى الشمال ويمرّ صدر هذا الجبل على فرغانه الى جبال البتم ، وعلى جنوب اشروسنه فتكون جبال البتم منه وشرب سمرقند ومياهها منه ، ثمّ يأخذ الى سمرقند من جنوبها ايضاً فيمرّ الى نسف على شمال السُغْد الى كش ونسف ونواحي زم فيقطعه نهر جيحون ، ويمضي في وسطه بين شعبتين منه وكأنه قُطِعَ ليستَمرّ الماء في وسطه ويجتاز على البلاد التي هُندِسَ مُضيُّه اليها ، ويستمر الجبل الى الجُوزَجان ويأخذ على الطالقان الى أعمال مَرْو الرُوذ الى طوس فيكون جميع مدن طُوس فيه ومنه الى نيسابور ، ويكون نيسابور في سفحه على غربه وهو شرقها ويتصل به جبال جرجان وطبرستان الى الريّ من شماله ، وهو آخذ من نيسابور الى الريّ عن يمين القاصد من خراسان الري ، فيكون الريّ في سفحه ومن غربيّه ، ويتصل من هناك بجبال الجيل والديلم وبجبال اذربيجان والقبق واللاّن وبلد الروم ، ويتصل من جنوبه بجبال اصبهان وشيراز الى أن يصل الى بحر فارس ، ولا يزال يساير الطالب من الرَيّ العراقَ عن يمينه الى حُلوان على همذان وقرميسين وحُلوان أول حدود العراق ، وينعطف هذا الجبل عن فرسخ من حلوان عن طريق العراق عادلاً عن سَمت المغرب الى الشمال ، فيمضي على سهروَرْد وشهرزُور الى أن يأتي الى دِجلة بنواحي تكريت ، فيكون منه جبل بارمّا الذي عن شرقيّ دجلة وجبل الشقوق الذي عن غربيّها ، ويصعد من ناحية بارَمّا فيكون منه جبلا زينا وزامر اللذان في شرقيّ حديثة الموصِل ، ويمر على حياله يساير دجلة فمرّةً يقرب وتارة يبعد الى الجبل المعروف من

فيشابور بجبل ثمنين الى جبل الجودي ، ماراً الى آمد وينشعب منه جبال الداسن وجبال ارمينيه الخارجة المتصلة بجبال ارمينيه الداخلة التي اتصلت بجبال اذربيجان وطبرستان، وهي جبال تتصل بجبل القبق من باب الابواب في شمال بحيرة الخزر الى بلاد ياجوج وماجوج . ولا يزال هــذا الجبل يستمر من اعمال آمد [وميّافارقين] ونواحي دجلة الى الفرات ، فيكون سميساط فيه ويتصل بحدود مرعش التي ما ابتدأتُ ذكرَه منها الى ان وصّلتُه الى بيت المقدس من جبل لُبنــان . ثم يمر على يسار الذاهب من الرملة الى الفُسطاط الى المقطّم، ولا يزال الى آخر الصعيد الاعلى ويتصل بجبال النوبة من جنبتي النيل الى قلعيب من جانب النيــل الشرقي ، والى جبل القمر من جانب النيل الغربي ويقطع النيل شعبتين منه بنواحي الفيُّوم ، وليست بمضيق كالمضيقين اللذين ذكرتُهما للنيل بأعلى الصعيد تجــاه بحيرة اقنى وتنهمت ، فيمضي الشعبة الغربية بين الباطن وظاهر الشنوف الى جبل برقة ، وتكون عقبة برقة التي في مغرب رمادة منــه ، ولا يزال ماضياً في وسط البر يراه من اخذ الطريق العالية الى قبلة برقة ، ويمتد على حاجز اعمال اجدابيه وسُرت على صدر جبل نفوسه ، فيصير عند بلوغــه الى نفزاوه جبالَ رمالٍ سامقة شاهقة لا تتوقل ولا تُصعد إلا بشدّة ، ويضرب عرق منه من جبــل برقة في باطن البر الى فزان وعلى زويله راجعاً الى القبلة . ثم لا يزال هــذا الجبل يظهر في مواضع مستحجراً وفي مواضع جبال رملٍ ودهس الى سجلماسه ، ويغوص في تلك البراري على ما ذكر سالكوها الى اودغست والبحر المحيط ، وأظنــه كقولهم ولم أُشاهده بكلّيته وشاهدتُ البعض منه كما يوجبه ما تواطأت عليه الأخبــار من ثقات اهل الناحية ورؤساء الأدلاّء بها وفيها ، وسائر مــا وصلتُه من أخباره وقصصتُه من انبائه وآثاره فبالمشاهدة مني لذلك والمعاينة لأشكالها .

٥ — وأما جند فلسطين وهو أول أجناد الشأم مما يلي المغرب ، فإنه تكون مسافته للراكب طول يومين من رفح الى حد اللجون وعرضه من يافا الى ريحا مسيرة يومين . ونواحي زغر وديار قوم لوط والشراة والجبال فمضمومة الى هذا الجند ، وهي منها في العمل الى ايلة . وديار قوم لوط

والبحيرة الميّتة وزغر الى بيسان وطبريّة يسمّى الغور لانهـا بين جبلين ، وسائر مياه بلاد الشام يقع اليها وبعضها من الاردن وبعضها من فلسطين . ونفس فلسطين هو ما ذكرتُه ومياه فلسطين من الأمطار والطل ، وأشجارها وزروعها أعذاءٌ بخوس لا سقيَ فيها إلا نابلس فيها مياه جارية . وفلسطين ازكى بلدان الشام ريوعاً ومدينتها العظمى الرملة ، وبيت المقـدس تليها في الكبر ، وهي مدينة مرتفعة على جبال يُصعد اليها من كل مكان يقصدها القاصد من فلسطين . وببيت المقدس مسجدٌ ليس في الاسلام مسجد اكبر منه ، وله بناء في قبلته مُسقّف في زاوية من غربي المسجد ، ويمتد هـذا التسقيف على نصف عرض المسجد والباقي من المسجد خالٍ لا بناء فيه إلا موضعَ الصخرة ، فان هناك حجراً مرتفعاً كالدكة عظيم كبير غير مستوٍ ، وعلى الصخرة قبة عالية مستديرة الرأس قد غُشيت بالرصاص الغليظ السمك ، وارتفاع هذه الصخرة من الارض التي تعرف بصخرة موسى تحت هـذه القبة الى صدر القائم وطولها وعرضها متقارب ، وعليها حصار حائط ملوّح ويكون نصف قامة ، ومساحة الحجر بضعَ عشرةَ ذراعاً في مثلها ، ويُنزل الى باطن هذه الصخرة بمراق من باب يُشبه السَرداب الى بيت يكون طوله نحو خمس اذرع في عشر ، لا بالمرتفع ولا بالمستدير ولا بالمربـع وسمكه فوق القامة . وليس ببيت المقدس ماء جارٍ سوى عيون لا ينتفع الزروع بها ، وعليها شُجيرات وهي من اخصب بلاد فلسطين على مر الأوقات . وفي سورها موضع يُعرف بمحراب داؤود النبي عليه السلام ، وهو بنية مرتفعة ارتفاعها نحو خمسين ذراعاً من حجـارة ، وعرضها نحو ثلاثين ذراعاً بالحزر ، وبأعلاه بناء كالحُجرة وهو المحراب الذي ذكره الله تعالى بقوله : «وهل اتاك نبأُ الخصم اذ تسوّروا المحراب(١)» واذا وصلتَ الى بيت المقدس من الرملة فهو اول ما يلقـاك وتراه من بيت المقدس وبمسجدها لعامة الأنبياء آثار ومحاريب معروفة . ولبيت المقدس بناحيـة الجنوب منه على ستة اميال قرية تعرف ببيت لحم ، وبها مولد عيسى عليه

---

١ ــ (وهل ... المحراب) سورة ص (٣٨) الآية ٢٠ .

السلام ، ويقال أن في بيعة منها بعض النخلة التي اكلت منها مريم ، وهي مرفوعة عندهم يصونونها . ومن بيت لحم على سمته ايضاً في الجنوب مدينة صغيرة كالقرية تعرف بمسجد ابراهيم عليه السلام ، وبمسجدها المجتمع فيه للجمعة قبر ابراهيم وإسحاقٌ ويعقوب عليهم السلام صفّاً ، وكل قبر من قبورهم تجاهه قبر امرأة صاحبه ، وهذه المدينة والناحية في وهدة بين جبال كثيفة الاشجار . وأشجار هذه الجبال واكثر جبال فلسطين زيتون وتين وجميز الى سائر الفواكه ، والفواكه أقلها ويرى اهل مصر أنها مضافة اليهم . ونابلس مدينة السامرية ، ويزعم اهل بيت المقدس ان ليس بمكان من الارض سامري إلا منها اصله ، وبالرملة منهم نحو خمس مائة مجزيٍّ . وآخر مدن فلسطين مما يلي جفار مصر مدينة يقال لها غزّة ، وبها قبر ابي نضلة هاشم بن عبد مناف سيّد قريش أجمع ، وبها مولد محمد بن ادريس الشافعي ابي عبد الله الفقيه النبيل رحمه الله وقبره بالفسطاط . ومنها ايسر عمر بن الخطّاب في الجاهلية لأنها كانت مستطرقاً لأهل الحجاز وكان عمر بها مُبرطساً . وبفلسطين نحو عشرين منبراً على صغر موقعها ولا أحيط بأجمعها ، وهي من اخصب البلاد واليها اشار الله تعالى اسمه بقوله في البركة : « سُبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله »[1] .

٦ — والذي ادركتُ عليه عقودَ فلسطين والاردن ، ايام ابي المسك كافور رحمه الله ، والمتّلي لها من قِبَلِه في سني سبع وثمان وتسع وثلاثين الى سني ثمان وتسع وأربعين حيناً محلولة وحيناً معقودة ابو منصور احمد ابن العباس بن احمد وابو عبدالله بن مقاتل وابو اسحاق ابراهيم بن اسحاق ، وقد عُقدت على خزرون حيناً بخمس مائة الف دينار . وكذلك جند دمشق فعُقدت على خزرون وعلى ابي الحسن علي بن محمد بن جاني وعلى ابن مالك ، فكانت تكون في يد كل واحد منهم سنين بخمسمائة الف دينار . وكان كافور له في تغطرسه منزلةٌ لا يزيد عليها ، وهو أن اذا

---

١ — (سُبحان ... حوله) سورة الإسراء (١٧) الآية .

عقد على بعض عمّاله او ألجأ عليه شيئاً من اعماله طالبه قبل وجوب المال عليه بشيء منه على طريق القرض منه ، وكانوا بحسن نظره لهم اغنياء أملياء ويحتسب بذلك لهم مما تحت ايديهم ويجب عليهم . ولم يُعقد بمصر في وقته على أحدٍ من اوليائه عقدُ تدبيرٍ إلا وربح فيه مثلَه من حيث يعلمُه ويتقرّره ويقول : اذا لم يُختصّ الأولياء بالنعم صارت الى الأعداء عند الأخذ بالكظم فهم صنائعي واولادي .

٧ — والجبال والشراةُ فناحيتان متميزتان ، اما الشراة فمدينتها اذرح والجَبال مدينتها رواث ، وهما بلدان في غاية الخصب والسعة وعامة سكانهما العرب متغلِبون عليها .

٨ — وأما الاردن فمدينتها الكبرى طبرية وهي على بحيرة عذبة الماء ، طولها اثنا عشر فرسخاً في عرض فرسخين أو ثلاثة وبها عيون جارية حارّة ومستنبطُها على نحو فرسخين من المدينة ، فاذا انتهى المــاء الى المدينة على ما دخله من الفتور بطول السير اذا طُرحت فيه الجلود تمعّطت لشدّة حرّه ، ولا يمكن استعماله إلا بمزاج ويعُم هذا الماء حمّاماتهم وحياضهم . والغَورُ مع اول هذه البحيرة ثم يمتد على بيسان حتى ينتهي الى زغر ويرد البحيرة الميتة والغور ما بين جبلين غائرٌ في الارض جداً ، وبه فاكهة وأبٌ ونخيل وعيون وانهار ، ولا يسقط به الثلوج وبعض الغور من حد الاردن الى ان يجاوز بيسان ، فاذا جاوزه كان من حد فلسطين وهذا البطن اذا امتد فيه السائر ادّاه الى أيلَة . وكأن الغَور من بين البلاد لحُسنه وتبدّد نخيله وطيبه ناحيةٌ من نواحي العراق الحسنة الجليلة . ومدينة صور من احصن الحصون التي على شط البحر عــامرة خصبة ، ويقال إنه اقدم بلد بالساحل وإنّ عامة حكماء اليونانية منها . وبالأردن كان مسكن يعقوب النبي عليه السلام وجبّ يوسف على اثني عشر ميلاً من طبرية مما يلي دمشق ، وجميع مياه طبرية فمن بحيرتها .

٩ — وأما جند دمشق فقصبتها دمشق وهي اجلّ مدينــة بالشأم في ارض مستوية ، قد دُحيت بين جبال تحتف بها الى ميــاه كثيرة وأشجار وزروع قد احاطت بها متصلة ، وتُعرف تلك البقعة بالغوطة عرضها مرحلة

في مرحلتين ، وليس بالشأم مكان انزه منها ومخرج مائها من تحت بيعة تُعرف بالفيجة ، مع ما يأتي اليه من عين بردى من جبل سنير ، وهو اول ما يخرج مقدار ارتفاع ذراع في عرض باع ثم يجري في شعب تتفجّر فيه العيون ، فيأخذ منه نهر عظيم اجراه يزيد بن معاوية يغوص الرجل فيه عمقاً ثم ينبسط منه نهر المزة ونهر القناة ، ويظهر عند الخروج من الشعب بموضع يقال له النيرب ، ويقال أنه المكان الذي عناه الله تعالى بقوله : «وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين»[١] ثم ينقل من هذا الماء عمود النهر المسمى بردا ، وعليه قنطرة في وسط مدينة دمشق لا يعبره الراكب غُزرَ ماء وكثرة ، فيُفضي الى قرى الغوطة ويجري الماء في عامة دورهم وسككهم وحمّاماتهم . وبها مسجد ليس في الاسلام احسن منه ولا اقين بقعة ، فأما الجدار والقبّة التي فوق المحراب عند المقصورة فمن ابنية الصابئين ، وكان مصلاّهم ثم صار في ايدي اليونانيين وكانوا يعظّمون فيه دينهم ، ثم صار لليهود وملوك من عبدة الاصنام والاوثان ، وقُتل في ذلك الزمان يحيى بن زكرياء عليهما السلام ، فنصب رأسه على باب هذا المسجد المسمى باب جيرون ، ثم تغلّبت عليه النصارى فصارت في ايديهم بيعةً لهم يعظّمون فيها دينهم ، حتى جاء الاسلام فصار المكان للمسلمين واتخذوه مسجداً . وعلى باب جيرون نُصِب رأس الحسين بن علي بالموضع الذي نصب فيه رأس يحيى بن زكرياء عليهم اجمعين السلام . فلما كان في ايام الوليد بن عبد الملك عمره فجعل ارضه رخاماً مفروشاً ، وجعل وجه جدرانه رخاماً مجزّعاً وأساطينه رُخاماً موشّى ومعاقد رؤوس أساطينه ذهباً ، ومحرابه مذهّب الجملة مرصّعاً بالجواهر . ودَورُ السقف كله ذهب مُكتّبٌ كما يطوّق ترابيع جدار المسجد . ويقال : إنه انفق فيه وحده خراج الشأم سنين . وسطحه رصاص فاذا ارادوا غُسله بثقوا الماء اليه ، فدار على رقعة المسجد بأجمعه حتى اذا فُجر منه انبسط عنه وعن جميع الأركان بالسوية . وكان خراج الشأم على عهد بني مروان

١ ـ (وآويناهما ... ومعين) سورة المؤمنين (٥٢) الآية ٢٣ .

الف الف دينار وفوق ثمان مائة الف دينار . ومن حد دمشق بعلبك وهي مدينة على جبل ، وعامّة ابنيتها من حجارة وبها قصور من حجارة قد بنيت على أساطين شاهقة، وليس بأرض الشأم ابنية حجارة أعجب ولا أكبر منها . وهي مدينة كثيرة الخير والغلاّت والفواكه الجيّدة ، بيّنة الخصب والرخص وهي قريبة من مدينة بيروت التي على ساحل بحر الروم، وهي فُرضتها وساحلها وبها يرابط اهل دمشق وسائر جندها ، وينفرون اليهم عند استنفارهم ، وليسوا كأهل دمشق في جساء الاخلاق وغلظ الطباع، وفيهم من اذا دُعي الى الخير اجاب واصغى، واذا ايقظه الداعي أناب . ولنفس دمشق خاصيةٌ بطالعها المحيل بطاعتها الى الخلاف، وسمعتُ عبد الله بن محمد القلم يقول : في برج الأسد فساد باعوجاج في درج منه مع شرفه ومحلّه . وقلما كان به من بلد او أوجبَ له من تربيع ومقابلة لتلك الدرج سببٌ بنحسٍ وحكم ، فصفت طاعتُه واستقامت . وذكر أشياء في حكم سمرقند وأردبيل ومكّة ودمشق وصقلّية وقال : لا تصلح لسلاطينها ولا تستقيم لملوكها إلا بالسيف ، واكثر اهل هذه المدن فالغدر أثبت في نفوسهم والشر اشمل الاحوال عليهم . وببيروت هذه كان مقام الأوزاعي وبها من النخيل وقصب السكر والغلاّت المتوافرة وتجارات البحر عليها دارّة واردة وصادرة ، وهي مع حِصنها حصينة منيعة السور جيّدة الأهل مع منعة فيهم من عدوّهم وصلاح في عامة أمورهم .

١٠ — وأما جند حمصٍ فإن مدينتها حمص وهي في مستواة خصبة أيضاً ، وكانت أيام عمارتها صحيحة الهواء من اصح بلدان الاسلام تربة . وكان في اهلها خبال ويسار فدخلها الروم غير دفعة فأحالوها ، وليس بها عقارب ولا حيّات، واذا أُدخِلت الحيّة والعقرب اليها ماتت . ولها مياه وأشجار ، وكانت كثيرة الزرع والضرع وكانت اكثر زروع رساتيقها بخوساً اعذاء . وبها بيعة بعضها مسجد الجامع وشطرها للنصارى، فيه هيكلهم ومذبحهم وبيعتهم من أعظم بيع الشأم . ودخلها الروم وقتنا هذا فأتوا على سوادها وأخربوها . وجميعُ طرق حمص من اسواقها وسككها مفروشة بالحجارة مبلّطة ، وقد زاد اختلالها بعد دخول الروم اليها

وانصراف سلطانها عنها ثم ان قوماً استوطنوا بمن سلم من الروم ، وقد أتت البادية على ظاهرها ورساتيقها وما أظن الروم تركت بها رمقــاً لما بعدُ . وانطرطوس حصن على البحر ثَغر لأهل حمص فيـه مصحف عثمان ابن عفّان ، وعليه سور من حجارة يمنع اهلهـا من بادية ، وقصدها من الروم استباحة وقد نجوا غير مرّة من الروم لقلّة اكتراثهم بمـا في البلد ورزوح حال اهله ، ولم يقف نقفور عليه لهذا من سبب . وشيزرُ وحماةُ مدينتان صغيرتان نزهتان كثيرتا المياه والشجر والزرع والفواكه والخُضَر ، حصينتان في ذاتهما لذاتهما .

١١ — وجند قنّسرين فمدينتها حلب وكانت عامرةً غاصّة بأهلها كثيرة الخيرات على مَدرج طريق العراق الى الثغور وسائر الشأمات ، وافتتحهـا الروم — وكان الروم قد افتتحها في تأريخ ثلاثمائة ونيف وسبعين — مع سورٍ عليهـا حصين من حجارةٍ لم يُغن عنهم من العدوّ شيئاً ، بسوء تدبير سيف الدولة وما كان به العلّة فأخرب جامعها وسبي ذراريّ اهلهـــا واحرقها . ولها قلعة غير طائلة وقد عمرت وقتنا هذا ولجأ اليها في وقت فتح حلب قوم فنجوا . وهلك بحلب وقت فتحها من المتاع والجهاز للغرباء وأهـل البلد ، وسُبي منها وقُتل من اهل سوادها ما في إعادتـه على وجهه إرماض لمن سمعه ووهن على الاسلام وأهله . وكان لها اسواق حسنة وحمامات وفنادق كثيرة ومحال وعِراص فسيحة ومشائخ وأهل جلّة . وهي الآن في زماننا ، وهو تأريخ نيّف وسبعين وخمسمائة للهجرة ، احسن مما كانت قديماً واكثر عمـارة ، مأهولة بالمشائخ والرؤساء وأما قلعتها فهي حصينة منيعة في غاية الإحكام لا يقدر عليها . وهي الآن بخسّة اميرها ودناءة نفسه مملوكة من جهتين : إحداهن أنها في قبضة الروم بجزيّة يؤدّي كل انسان عن داره ودكّانه جزيةً ، والثانية ان اميرهـا اذا وردها متاع من خسيس ونفيس اشتراه من جالبه وباعه هو لأهلهـا على أقبح صورة وأخسّ جهة ، وما يُستثار بها من خَل وصابون فهو يعمله ويبيعه ، وليس بها مَبيع ولا مُشترىً إلا وله فيه مدخل قبيح . وشرب أهلها من نهرٍ بها يُعرف بأبي الحَسن فُويق وفيه قليل طفس ، ولم تزل أسعارها في الأغذية قديماً وجميع المآكل والمشارب واسعة رخيصة ، وعليهم

الآن للروم في كل سنة قانون يؤدّونه وضريبة تستخرج من كل دار وضيعة معلومة . وكأن الهُدنة التي هم فيها مع الروم محلولة معقودة لان الأمر في حلها وعقدها الى الروم ، وإن كانت احوالها كالمتماسكة والامور التي تجري معهم كالراخية فليست في جزء من عشرين جزءاً مما كانت عليه وفيه في قديم اوقاتها وسالف أيامها . وقنّسرين مدينة تنسب الكورة اليها ، وهي من اضيق تلك النواحي بناءً وان كانت نزهة الظاهر مغوثةً في موضعها بما بها من الرخص والسعة في الخيرات والمياه، فاكتسحتها الروم فكأنها لم تكن إلا بقايا دِمَن فديتُها من دِمن ومعرّة النُعمان مدينة هي وما حولها من القرى اعذاء ، ليس بجميع نواحيها ماء جار ولا عين ، وكذلك جميع جند قنّسرين اعذاء وشربهم من ماء السماء . وهي مدينة كثيرة الخير والسعة في التين والفستق وما شاكل ذلك من الكروم والأزبّة . وبينها وبين جبلة المدينة التي كانت على ساحل بحر الروم [....[1]] وكان رؤساؤها بني وزير فافتتحها نقفور وسبى منها خمسة وثلاثين الف مرأة وصبيّ ورجل بالغ بلقاء العدوّ ويمانع عن نفسه . وحصن برزَوَيه وهو حصن حصين وحجر منيع ، وقف عليه الروم غير وقتٍ فاستحسنوه ولم يتعرّضوه، ثم هادنوا اهله خوفاً مما عَلِق ببلاد المسلمين من الخذلان وهلاك السلطان وقلّة الايمان ، وان بقيت الحالة على ما نحن به فالامر سهل والمخوف المتوقّع اعظم وأجل، وكأنّ الناس وقتنا هذا في شُغل بأحزانهم عن ذكر سلطانهم وهلاك أديانهم ، وخراب اوطانهم وفساد شأنهم عن برزَوَيه وحصنه ، وقد ملكه الروم وقتنا هذا وكأننا بآمد وقد قيل أسلمه اهله . وكانت جزيرة قبرس تحاذي جبلة في وسط البحر الرومي وبينها مجرى يوم وليلة ، وكانت للروم والمسلمين فاستخلصها الروم واستصفوها بأمور أكثرُ ضَرَرها من المسلمين جرى وعن تفريطهم حدث . والخناصِرة وهي حصن يحاذي قنّسرين الى ناحية البادية وعلى شفيرها وسيفها

١ ـــ يفقد هنا بعض الكلمات ، ولعلها اسماء بعض المدن التي بين معرة النعمان وجبلة ، وهي : فامية ، وعرقة ، واقذار .

كان يسكنه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، وكانت صالحةً في قدرها مغوثة للمجتازين عليها في وقتنا ، لأن الطريق انقطع في غير وقت من بطن الشأم على التجار باعتراض السلطان عليهم وبما سرح الروم بالشأم في غير وقت، فلجؤوا الى طريق البادية لبوار السلطان واستيلاء الأعراب على الولاة وخفروا وساروا بالأدلاّء، وعن قريب يكفّ التجارَ فقرُهم وتنقطع سابلتهم وطرقهم له

١٢ — والعَواصم اسم الناحية وليس بمدينة تسمّى بذلك وقصبَتها انطاكية ، وكانت بعد دمشق أنزه بلاد الشأم وعليها الى هذه الغاية سور من صخر يحيط بها وبجبل مشرف عليها ، فيه لهم مزارع ومراع وأشجار وأرحية وما يستقلّ به أهلها من مرافقها، ويقال أن دَور السور الراكب يوم . ولهم مياه تجري في اسواقهم ودورهم وسككهم ومسجد جامعهم ، وكان لها ضياع وقرى ونواح خصبة حسنة ، فاستولى عليها العدوّ وملكها وقد كانت اختلّت قُبيلَ افتتاحها في ايدي المسلمين . وهي الآن أشد اختلالاً ورزوحاً وفتحها الروم في اول سنة تسع وخمسين ، فما اضطرب فيها من قطعَ شعرةً للروم ولا توصّلَ في نُصرتها برأي صحيح ولا مشاوم ، وبجوارها من السلاطين والبوادي والقروم والملوك من قد أشغله يومُه عن غده ، وحرامه وحطامه عمّا اوجب الله تعالى والسياسة والرياسة عليه، فهو يلاحظ ما في ايدي تجار بلده ويشتمل عليه ملك رعيّته ليوقع الحيلة على اخذه والشبكة على صيده والفخ على ما نصب له ، ثم لا يُمتَّعُ به فيُسلب عما قريب ما احتقب من الحُطام وجمعَ من الآثام . فاستولى على اكثر نواحيها المسلمون منذ مُلكها ، وذلك في السنة الثامنة والتسعين وأربعمائة للهجرة .

١٣ — ومدينة بالس مدينة على شط الفُرات من غربيّه صغيرة ، وهي اول مدن الشأم من العراق ، وكان الطريق اليها عامراً ومنها الى مصر وغيرها سابل، وكانت فرضة لأهل الشأم على الفرات فعفت آثارها ودرست قوافلها وتجارها بعد سيف الدولة . وهي مدينة عليها سور أزليّ ولها بساتين فيما بينها وبين الفُرات، واكثر غلاّتها القمح والشعير ويعمل بها من الصابون الكثير الغزير . ومن مشهور أخبارها أن المعروف بسيف الدولة

عليّ بن حمدان عند انصرافه عن لقـــائه صاحب مصر ، وقد هلك جميع جنده ، أنفذ اليها المعروف بأبي حصين القاضي فقبض من تجار كانوا بهـا معتقلـين عن السفر ، ولم يطلق لهم النفوذ مع خوف نالهم فأخرجهم عن أحمال بزّ وأطواف زيت الى ما عدا ذلك من متاجر الشأم في دفعتـين بينهما شهور قلائل وأيام يسيرة الف الف دينار . وبالقرب من بالس مدينة مَنبج وهي مدينة خصبة حصينة وكثيرة الأسواق الأزلية عظيمة الآثار الروميّة ، ولها من ناطف الزبيب المعمول بالجوز والفستق والسمسم ما لم أر له شبهاً إلا ما ببخارا منه ، فأنه يزيد عليه في الحلاوة ، ويجعـــل البُخاريُّون فيه الطيب على العموم فهو لذيذ . وبمنبج من الكروم الأعذاء على وجه الارض في سائر ضياعها ما يزيد على الكثرة ويُحمل أزبّتهم الى حلب وغيرها ، وهي مدينة برّية وارض ثرّية حمراء خلوقية ، الغالب على مزارعها البخوس وعليها سور أزليّ . وبقربها مدينة سَنجة وهي مدينـة صغيرة بقربها قنطرة حجارة تعرف بقنطرة سنجة ، ليس في الاسلام قنطرة أعجب ولا اعظم منها ويُضرب بها المثل فيقال : من عجائب الدنيا كنيسة الرُها وقنطرة سنجة . ومدينة سميساط على نفس الفرات وتقارب المدينة المسمّاة جسر منبج ، وهمـا مدينتان صغيرتان حصينتان لهما سقي كبير من مياه بهما وزروعهم بخوس وماؤهما من الفرات .

١٤ — وكانت مدينة ملطيه مدينةً كبيرة من أجلّ الثغور وأشهرها ، وأكثرها سلاحاً وأجلدها رجالاً دون جبل اللكـام الى ما يلي الجزيرة ، وتحتفُّ بها ايضاً جبال كثيرة بها مُباح الجوز واللوز والكروم والرمّان وسائر الثمار الشتوية والصيفية . وهي مُباحة لا مالك لها وهي من أقوى بلدٍ للروم في هذا الوقت . يسكنها الارمن وفُتحت في سنة تسع عشرة وثلاثمائة ، فكانت اول مصيبة دخلت على الاسلام من جهـة الثغور ، ثم انثالت المصائب على الناس في ثغورهم وأنفسهم وأموالهم وأسعارهم وأبشارهم وسلاطينهم فنُسيت . وكانت المدينة المعروفة بحصن منصورٍ صغيرةً حصينة فيها منبر ولها رستاق وقرىً برسمها أعذاء ، فاستأثر القضاء بهلاكهـــا على أيدي بني حمدان والروم . وكانت الحدثُ ومرعش مدينتين صغيرتين

افتتحها الروم قبل هذا الحين وأعادهما سيف الدولة عليّ بن عبد الله .
وعاد الروم فانتزعوهما ثانياً من المسلمين وعاد المسلمون فتحوها وكان فتحها مسعود
ابن قلج ارسلان السلجوقي صاحب بلاد الروم سنة خمس واربعين وخمسمائة وهي بيد المسلمين الآن .
وكان لهما زروع وأشجار وفواكه وكانتا ثغرين يرابط فيهما المسلمون ويجاهدون فيغنمون ، فساءت النيات وفُتحت الاعمال وارتفعت البركات ، ولجّ الملوك في الاستئثار بالاموال والعامّة في المعاصي على الاضرار ، فهلك العباد وتلاشت البلاد وانقطع الجهاد وبذلك نطق وحيُه تعالى اذ يقول : « وإذا اردنا أن نُهلك قريةً امرنا مُترفيها[1] » (الآية) وكانت الهارونيّة من غربي جبل اللكام وفي بعض شعابه حصناً صغيراً، بناه هارون الرشيد وأدركتُه في غاية العمارة وأهله في جهادهم في نهاية الجَلَد والشطارة ، يغزون فيغنمون ويتلصّصون على بلد الروم فيسلَمون وقد ملكه الروم . وكانت الاسكندرونة ايضاً حصناً على ساحل بحر الروم ذا نخيل وزروع كثيرة وغلّة وخصب ، فدخله العدوّ وملكه فهوّله ، وكذلك التينات حصن كان على شط البحر فيه مقطع لخشب الصنوبر الذي كان يُنقل الى الشأم ومصر والثغور منه ما لا يُحصى ، وكان فيه رجال قُتّال أجلاد لهم علم بمضارّ بلد الروم ومعرفة بمخائضهم ومهالكهم . وكانت الكنيسة ايضاً حصناً فيه منبر ثغر في معزل من ساحل البحر ، يقارب حصن المثقّب الذي كان ستحدثه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وعمره ، وكان فيه منبره ومُصحفه بخطّه . وسكّانه قوم سُراة من ولد عبد شمس اعتزلوا الدنيا ورفضوا المكاسب ، وكان لهم ما يقوتهم من المباح فهلكا جميعاً . وكانت عين زربة بلداً يشبه مدن الغَور به النخيل والخصب والسعة في الثمار والزرع ، وهي المدينة التي كان وصيف الخادم همّ بالدخول منها الى بلد الروم فأدركه المعتضد بها ، وكانت حسنة الداخل والخارج نزهة من داخل سورها جليلة في جميع امورها .

١٥ — وكانت المصيّصة مدينتين : إحداهما تسمّى المصيّصة والأخرى

---

١ — (واذا .. الآية) سورة الإسراء (١٧) الآية ١٧ .

كفربيا على جانبي جيحان ، وبينهما قنطرة حجارة وكانتا حصينتين على نشز من الارض وشرف، ينظر منها الجالس في مسجد جامعها الى نحو البحر أربعة فراسخ كالبقعة كانت بين يديه خضرة نضرة ، جليلة الاهل نفيسة القدر كثيرة الاسواق حسنة الاحوال . وجيحان نهر يخرج من بلد الروم حتى ينتهي الى المصيصة ثم الى رستاق يُعرف بالملوان، فيقع في بحر الروم، وكانت عليه من القرى والضياع الكثيرة الماشية والكراع ما لم يبق منهم نافخ ناره . وكانت اذنة ايضاً مدينة كأحد جانبي المصيصة على نهر سيحان في غربي النهر ، وسيحان دون جيهان في الكبر عليه قنطرة عجيبة البناء طويلة جداً ، ويخرج هذا النهر من بلد الروم ايضاً . وكانت جليلة الأهل حسنة المحل في كل أصل وفصل وعلى سمت طريق طرسوس . فأما مدينة طرسوس فكانت المدينة المشهورة المستغنى بشهرتها عن تحديدها كبيرة استحدثها المأمون بن الرشيد ومدّنها وجعل عليها سورين من حجارة ، وكانت تشتمل من الخيل والرجال والعُدّة والعتاد والكراع والسلاح والعمارة والخصب والغلات والاموال، والسعة في جميع الاحوال على حالٍ لم يتصل بمثله ثغر من ثغور المسلمين لكافر ولا مسلم ، الى عزّ تام ونصر عام على جميع من وليها من رجال الاسلام، فما غزا في برّ او بحر إلا وصحبه من الظفر والنصر والغنائم بالقسر والقهر ما ينطق الأخبار بتصديقه والآثار بتحقيقه . وكان بينها وبين حد الروم جبال منيعة متشعّبة من اللكام كالحاجز بين العملين . ورأيتُ غير عاقل مميّز وسيّد حصيف مُبرّز، يشار اليه بالدراية والفهم واليقظة والعلم والفطنة والسياسة والرياسة ، يذكر أنه كان بها مائة الف فارس وبعملها وذلك عن قريب عهدٍ من الأيام التي أدركتُها وشاهدتها، وكان السبب في ذلك أن ليس مدينة عظيمة من حد سجستان وكِرمان وفارسٍ وخوزستان والريّ واصبهان وجميع الجبال ، وطبرستان والجزيرة واذربيجان والعراق والحجاز واليمن والشأمات ومصر والمغرب إلا وبها لأهلها دارٌ ورباط ، ينزله غُزاة تلك البلدة ويرابطون بها اذا وردوها وترد عليها الجرايات والصلات وتدرّ عليهم الأنزال والحملان العظيمة الجسيمة ، الى ما كان السلاطين يتكلفونه وأرباب النعم يعانونه

وينفذونه متطوّعين ويتحاضّون عليه متبرّعين، ولم يكن في ناحية ذكرتها رئيس ولا نفيس إلا وله عليها أوقاف من ضياع ذوات أكرةٍ وزرّاعٍ وغلاّت، او مسقّف من فنادقَ ودورٍ وحمّامات وخانات، هـذا الى مشاطرة من الوصايا بالعين الكثير والورق والكراع الغزير، فهلكت وهلكوا وذهبت وذهبوا وكأنهم لم يقطنوها وعفَوا وكأنهم لم يسكنوها، حتى لصاروا كما قال جلّ ذكره: «هل تُحِسُّ منهم من احدٍ أو تسمع لهم رِكزاً(١)» وكانت اولاس حصناً على ساحل البحر فيه قوم متعبدون حصيناً، وكانت فيهم خشونة في ذات الله وكان في آخر ما على بحر الروم من العمارة، فكانت مما بدأ به العدوّ. وبغراس حصن كان فيه منبر على طريق الثغور، وكانت فيه دار ضيافة لزبيدة ولم يكن المسلمين بالشأم دار ضيافة غيرها.

١٦ – وأما البحيرة الميتة فهي من الغَور في صدر الشأم بقرب زغر، وإنما تسمّى الميّتة لانه لا شيء فيها من الحيوان إلا شيء تَقذفُ به يُعرف بالحمريّة، وأهلُ زغر بناحيـة يلقحون كرومهم وكروم فلسطين كما تلقح النخل بالطلع الذكَر، وكما يلقح اهل المغرب تينهم بذُكارهم. وزغر مدينة حارة جرومية متصلة بالبادية صالحة الخيرات، وبها من عمل النيل والتجارة به وفيه ما لا يقصر عمّا بكابُل من صُنّاعه وعمّاله، غير أنه يقصر عن صِباغ نيل كابل، وبزغر بسر يقال له الانقلا، وليس بالعراق ولا بمكان من الأرض أعذب منه ولا أحسن من منظره، لونه كالزعفران فلم يغادر منه شيئاً ويكون في أربعـة منه رَطل. وديار قوم لوط وهي الارض المعروفة بالملعونة، وليس بها زرع ولا ضرع ولا حشيش ولا نبات، وهي بقعة سوداء قـد افترشتها حجارة متقاربة في الكبر، ويروى أنها الحجارة المسوّمة التي رُمِيَ به قوم لوط، وعلى جميع تلك الحجارة كالطابع من وجهها وهي شيء كقواليب الجبن المستديرة هيآتها وخلقها فلا يرى فيها ما يخالف شيئاً من أشكالها. ومعان مدينة صغيرة على شفير البادية ايضاً

١ – (هل تُحِس ... رِكزاً) صورة مريم (١٩) الآية ٩٨.

سكانها بنو أُمَيَّةَ ، وفيهم لبني السبيل مرفق ومغوثة . وحَوْران والبثنية رستاقان عظيمان من جند دمشق مزارعها مباخس ويتصل أعمالها بجدود نهر بين الذي عند البلقاء وعمان الذي جاء في الخبر انه نهر من زكيّ الحوْض وأنه ما بين بُصرى وعمان .

١٧ — فأما المسافات بالشأم فإن طولها من حدّ ملطيه الى رفح والطريق من ملطيه على مَنبج وبينهما اربعة أيام ، ومن مَنبج الى حلب يومان ، ومن حلب الى حمص خمسة ايام ، ومن حمص الى دمشق خمسة ايام ، ومن دمشق الى طبريّة اربعة أيام ، ومن طبريّة الى الرملة ثلاثة أيام ، ومن الرملة الى رفح يومان ، فالجميع خمسة وعشرون يوماً ، وعرضها في بعض المواضع اكثر من بعض ، وذلك ان أعرضها طرفاها وأحد طرفيها من الفُرات من جسر منبج على منبج ، ثم على قورس في حدّ قنّسرين ثم على العواصم في حدّ انطاكية ، ثم يقطع جبل اللكام الى بياس ثم الى التينات . ثم على المثقب ثم على المصيّصة وعلى اذنه ، ثم على طرطوس[1] وذلك نحو عشر مراحل . وإن سلكتَ من بالس الى حلب ثم الى انطاكية ثم الى الاسكندرونة ثم الى بياس حتى تنتهي الى طرسوس ، فالمسافة ايضاً نحو عشر مراحل ، غير ان السَمت المستقيم هو الطريق الاول . وأما الطرف الآخر فهو من حدّ فِلسطين فيأخذ من البحر من حدّ يافا حتى ينتهي الى الرمْلة ، ثم الى بيت المقدس ثم الى ريحا ثم الى زغر ثم الى جبال الشَراةِ الى ان ينتهي الى معان ، ومقداره المذكور ست مراحل . فأما ما بين هذين الطريقين من الشأم فمختصرٌ ، ولا يكاد يزيد عرضُ موضع الأردُنّ ودمشقَ وحمصَ على اكثر من ثلاث مراحل ، لأن من دمشق الى بيروت على بحر الروم مسيرة يومين غرباً ، والى أقصى الغُوطة من دمشق حتى يتصل بالبادية مشرقاً يومٌ ، ومن حمص الى انطرطوس التي على بحر الروم مسيرة يومين غرباً ومن حمص الى سلميّة على البادية مشرقاً يوم . ومن طبريّة الى صور التي على البحر غرباً مرحلة ، ومنها الى ان

---

١ — طرسوس : طرطوس .

يجاوز فيق على ديار بني فزارة مشرقاً دون المرحلة ؛ وهذه مسافات طول الشأم وعرضه .

١٨ — والمسافة في أضعافه فالمبتدأ بفلسطين إذ هي أول أجناد الشأم مما يلي المغرب وقصبتها الرملة ، ومنها الى يافا نصف مرحلة ومن الرملة الى عسقلان مرحلة ، ومنها الى غزّة دون مرحلة . ومن الرملة الى بيت المقدس يوم ومن بيت المقدس الى مسجد ابراهيم عليه السلام يوم ، ومن بيت المقدس الى رِيحا مرحلة ومن بيت المقدس الى البَلقاء مرحلتان . ومن الرملة الى قيساريّة مرحلة ومن الرملة الى نابلس مرحلة ، ومن ريحا الى زغر مرحلتان ومن زغر الى جبال الشَراة مرحلة ومن جبال الشَراة الى آخر الشراة مرحلة . وقصبة الأردُن طبريّة ومنها الى صورٍ يوم ومنها الى عقبة فيق مرحلة ، ومنها الى بيسان مرحلتان خفيفتان ومنها الى عكّا يوم . والأردن أصغر أجناد الشأم واقصرها مسافة، ولم تزل في يد أبي منصور احمد بن العباس محلولة ومعقودة سنين كثيرة بمائتي الف دينار . وأما جند دمَشق فدمشق قصبتها ومنها الى بعلبك يومان ، ومنها الى بيروت يومان ومن بيروت الى طرابلس يومان ، ومن بيروت الى صيداء يومان ومن دمشق الى اذرِعا أربعة أيام والى أقصى الغوطة يوم والى حوران والبثنيّة يومان . وجند قنّسرين مدينتها غير أن الامارة والأسواق ومجمع ناسها والعمارات انتقلت الى حلب ، ومن حلب الى بالس يومان ومن حلب الى قنسرين يوم ومن حلب الى الاثارب يوم ، ومن حلب الى قورس يوم ومن حلب الى منبج يومان ومن حلب الى الخناصرة يومان .

١٩ — وقد مرّ في ذكر العواصم ما صارت اليه من ملك الروم لها ما يُغني عن إعادةٍ فيها . والعواصم قصبتها انطاكية وكان منها الى اذنة ثلاث مراحل ومنها الى بغراس يوم والى الاثارب يومان والى حمص أربع مراحل ، ومنها الى مرعش يومان والى الحدث ثلاث مراحل . والثغور فلا قصبة لها وكل مدينة قائمة بنفسها . ومنبج مدينة قريبة من الثغور ومنها الى الفرات مرحلة خفيفة . ومن منبج الى قورس مرحلتان ومنها

الى ملطيه أربعة أيام ، ومن منبج الى سميساط يومـــان ومن منبج الى الحدث يومان ، ومن سميساط الى شمشاط مرحلتان ومن شمشاط الى حصن منصور يوم ، ومن حصن منصور الى ملطية يومان . ومن حصن منصور الى زبطرة يوم ومن حصن منصور الى الحدث يوم ، ومن ملطية الى مرعش ثلاث مراحل كبار ومن مرعش الى الحدث يوم ؛ فهـذه مسافات الثغور الجزرية ، وكذا الثغور الشأمية ، وأما الثغور الشامية فمن الاسكندرونة الى بياس مرحلة خفيفة ، ومن بياس الى المصيّصة مرحلتان ، ومن المصيصة الى عين زربة مرحلة ومن المصيصة الى اذنة مرحلة ، ومن اذنة الى طرسوس مرحلة ومن طرسوس الى اولاس على بحر الروم يومان ، ومن طرسوس الى الجوزات مرحلتان ومن طرسوس الى بياس على بحر الروم فرسخان ، ومن بياس الى الكنيسة والهارونيّة أقل من يوم ، ومن الهارونيـة الى مرعش من ثغور الجزيرة مرحلة ؛ فهذه جملة مسافات الثغور .

٢٠ — وقـد انتهى القول فيما قصدتُ ذكرَه من الشأم بعد ذكر المغرب ومصر والشأم في أقاليم ممتدّة على بحر الروم . وقد استوفيتُ ايضاً ذكرَه ولا وجه لذكر ارتفاع ما خرج عن ايدي اهـل الشأم ، والباقي من الشأم في ايدي المسلمين وحكمهم فيه نافذ وأمرهم فيه ماض ، فهو ما كان على ساحل بحر الروم من حد اطرابلس وانفه الى نواحي يافا وعسقلان ، لأن اللاذقية وما نزل عنها وحاذاها تحت جزيتهم ومقاطعتهم . وما عدا ذلك فللروم وقبضتهم وحوزتهم قد استولت عليهم اسيافهم والحكم فيه اليهم . وقد اقام كثير من اهلها فيما رضوا منهم فيه بالجزية ، وأظنهم بآخرة صائرين الى النصرانية أنفةً من ذلة الجزية ورغبة مع حذق المؤونة في العز والراحة . فأما تقدير ما بقي منها لم اذكره فمذ سنون كثيرة لم يقع لها قانون صحيح ولا استخراج على طريقته وصحته ، وذلك أنها مذ سنة أربعين بين قوم يتطاول أحدهم على الآخر واكثرهم غرضه ما احتلبه في يومه وحصّله لوقته ، لا يرغب في عمارة ولا يلتفت اليها برؤية ولا إشارة . وكان ارتفاعه قديماً بعد ما يخرج منه في لوازم السلطان وأرزاق الجند والمتصرّفين من الكتّاب والعمال تسعة وثلاثين ألف ألف درهم وخمس مائة ألف درهم . ورأيتُ

ارتفاع الشأم وما في ضمنها من الأعمال والأجناد والتي أقف عليه من جماعة علــي بن عيسى ومحمد بن سليمان لسنة ستّ وتسعين ومائتين وسنة ست وثلاثمائة ، من جميع وجوهها الى حقوق بيت المال وما يلزم له من التوابع دون أرزاق العمال ، تسعة وثلاثون ألف ألف درهم .

بحر الروم

١ — وسأصل ذلك بذكر بحر الرُوم وتصويره إذ هو خليج من البحر المحيط ، عليه اكثر هذه الديار وقد أتيتُ به على التقريب لا على الحقيقة إذ بعضه أشبه شيء بالدائرة المحددة ، ومخرجه بين ارض الاندلس وارض طَنجة وسَبتَة ، وهذه الناحية محاذية من الاندلس لجزيرة جبل طارق واشبيلية . وعرض هذا المخرج بهذا المكان المعروف باشبرتال ، وهو جبل عالٍ ويمتد جنوبياً الى سله ويحاذيه من العدوة الاندلسيّة جبل الأغَرّ ويمتد الى لبله بناحية الشمال من الاندلس ، فيكون نحو اثني عشر ميلًا ثم لا يزال يتسع ويعرض ويمتد على سواحل المغرب ومما يلي شرقيّ هذا البحر حتى ينتهي الى أقاصي ارض مصر ، ممتداً على ارضها الى الشأم متصلًا عليهـا الى الثغر الذي كان يُعرف بطرسُوس ، ويعطف الى بلدان الروم من جبال اقليمية الى انطاكية ، ثم يصير الى خليج القسطنطينيّة ويمضي على سواحل اثيناس وسواحل قلوريه والانكبرذة الى افرنجه وروميه ، ويصير البحر حينئذ جنوبياً لأرض جليقيه ويكون على سـ ـ.ـه الافرنجة ، الى ان يتصل بطرُطوشه من بلاد الاندلس ويمتد على النواحي التي تقدم ذكرها في صفة الاندلس ، ويجاوز المرية وأعمال الجزيرة واشبيلية ويمضي على البحر المحيط الى شنترين ، وهي آخر بلاد الاسلام من ناحية الاندلس وجانب بلد الرُوم .

٢ — ولو ان أمرءًا سار من سَبتة وطَنجة على ساحل هذا البحر المغربي مؤمّلًا ان يعود الى ما يحاذيه من أرض الاندلس لدار على جميع بحر

الرُوم ، من حيث لا يمنعه مانع إلا نهر يلقى اليه او يفرع فيه او خليج القُسطنطينية ، فإنه يُفضى اليه من البحر المحيط ايضاً وذلك انه انفصل به من الارض فاصلةٌ حازت شطر بلد الصقالبة وبعض بلد الروم ، فسمّيت الارض الصغيرة والذي تحوز من البلاد مهما ذكرته ارض قلوريه وجليقيه وافرنجه والاندلس ، فجعل ذلك جزيرةً ليست مع الارض الكبيرة ولا متصلة بشيء منها ، لانها قائمة بنفسها ولم يحتج الى ان يدلّه دليل إن أمكنه ذلك .

٣ ـ وما في بطن هذه الصفحة صورة بحر الروم وما عليه من نواحيهم وشكله في نفسه وان كنتُ سُقتُه على ما أتيتُ به من الاستطالة في صورة المغرب فهو من الاستدارة على هذا الشكل .

...

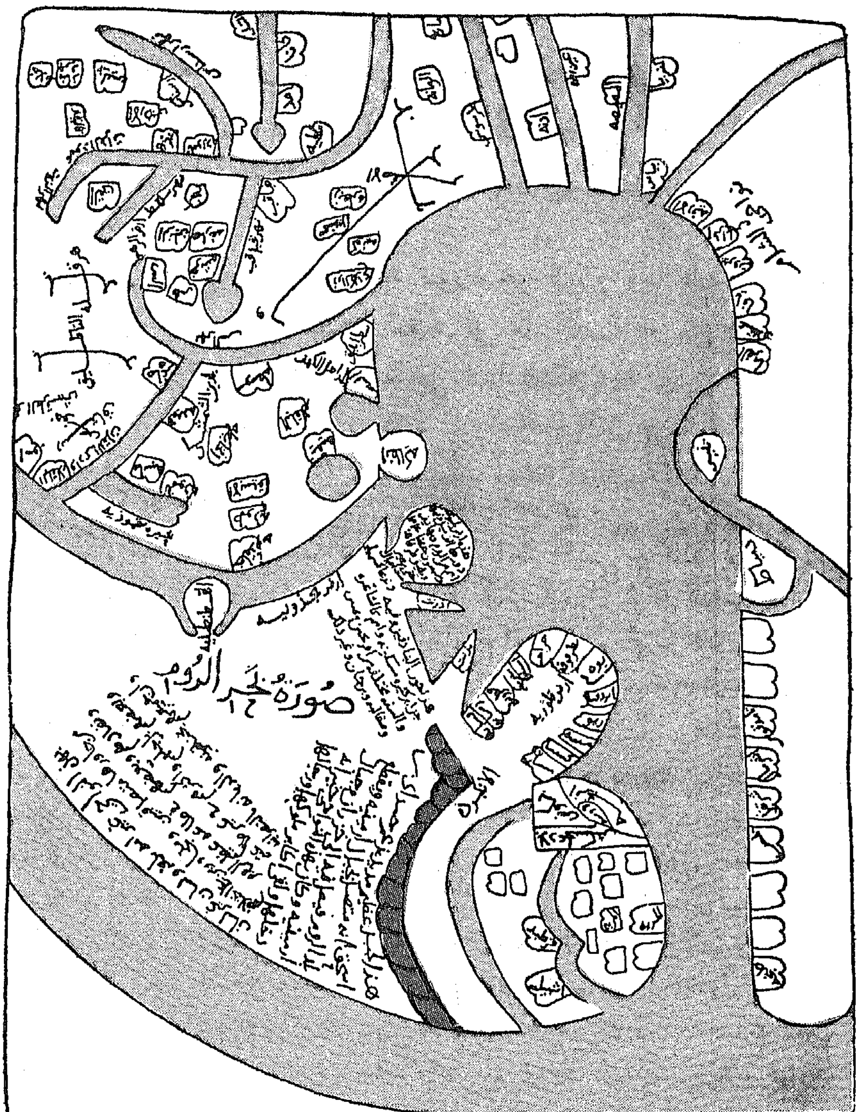
إيضاح ما يوجد في صورة بحر الروم من الاسماء والنصوص :

قد صور البحر في وسط الصورة ويكون على ساحله الأيسر من المدن طنجة ، تنس ، برشك ، اشرشال ، تامدفوس ، دمياط ، ثم في البحر تنيس . ثم على الساحل : الفرما ، عسقلان ، يافا ، بيروت ، اطرابلس ، اللاذقية ، ثم نهر ثم بياس ثم نهر ثانٍ عليه من المدن كفر بيا والمصيصة ، ثم نهر ثالث عليه عين زربه واذنه ، ثم نهر رابع عليه طرسوس وعن يمين طرسوس الرمانة وعند طرف الصورة الأسفل . . .اريه ، (١)

وعن يمين ذلك يأخذ من طرف الصورة الأسفل نهر كُتب عند منتهاه نهر الزيت ثم عمود الفرات ، وعلى ضفة هذا النهر في الجانب الأسفل : ملطية ، تل موزن ، هباب . وينصب فيه عند تل موزن نهر ارسناس وعليه مدينة ارسناس ، وعن يمين ملطية يبتدىء نهر آخر وهو دجلة وعليها من المدن : آمد ، كافا ، التل ، وفي الجانب الآخر من نهر ارسناس بينه وبين عمود الفرات من المدن : الادريس ، قاليقلا ، بدليس ، منازجرد ، خلاط . وينصب في الفرات من الجانب الأعلى نهران أحدهما نهر قباقب وعند فوهته قباقب ، وكُتب في الساحة بين نهر قباقب والفرات والبحر بلد ولد الأصفر وفيه من المدن : ذو الكلاع ، كونيه ، سمندوا ، زبطره ، والنهر الثاني المنصب في الفرات نهر غيلقط وبينه نهر قباقب من المدن : كخ ، صارخه ، الرنلين ، خرشنه ، وعند مبتدأ نهر قباقب تنس ، ثم عند مبتدأ نهر غيلقط ارض الصرهوه وبين نهر غيلقط والفرات التي .

---

١ ـ (. . .اريه) ـ لعله (قيساريه) .


صورة بحر الروم

و'رسم من أعلى ذلك نهر الس الذي ينصب في البحر وعند مبتدئه مدينة الس ، ويأخذ من هذا النهر نهر آخر الى الأعلى كـُتب عنده وادي اللقان ، وعن يمين هذا النهر مدينة صاغره وعند فوهته البلقلار ثم عن يمينها على الساحل . . . ا.سور ، وفي هذا القسم الأيمن من الصورة من البلاد : رستاق خونص ، وبلد الطرقسيس ، وبلد الناطليق ، وبلد هرقله ، ويكون في الجانب الأعلى من نهر الس ابتداء عن اليسار سطرابلين وسوسطه ، ومن أعلى سطرابلين على البحر افسوس وكـُتب عندها بلد اهل الكهف ، ثم على وادي اللقان قومنه وكتب على يسارها بلد بن الشمشكي وعند مصب وادي اللقان في الخليج بحيرة نقموذيه ، ومن أسفل البحيرة نقموذيه وماسيه ، ومن أعلى سوسطه الى جهة خليج القسطنطينية من المدن : افخايطه ، الابسيق ، طموذيه ، خلقذونيه ، وعن يسار ذلك البلقلار ، ونيقيه وفي قطعة من البر تدخل في البحر انطاكية .

وعلى وسط الخليج من الجانب الأعلى القسطنطينية وكتب عن يسارها مجذونيه ، وفوق ذلك صورة بحر الروم وهو عنوان الصورة : وكتب فوق ذلك في البر بهذه النواحي غير أمة بلغة ولسان غير لسان من جاورها متصاقبين متجاورين على اختلافهم وتضادهم . وبعضهم في طاعة عظيم الروم وبعضهم بل جلهم واكثرهم في غير طاعته ، وان جميعهم يختلفونه والديانة بالنصرانية . وعن يسار ذلك 'يقرأ موازياً لخط الجبـل هذا الجبل عظيم مديد يزعم حسداي بن اسحاق انه متصل بجبال ارمينية ، ويقطع بلد الروم فيصل فيه الى خزران وجبال ارمينيه ، وكان بهـذه النواحي خبيراً لانه دخلها ولقي اكابر ملوكها ورجالها ، وكـُتب في الجانب الآخر من الجبل الانكبرذه .

وعن يسار ذلك صوّر الاندلس وفيه من المدن : قرطبه واشبيليه والمريه ثم المريه مرة ثانية في البر ومن اسفل ذلك بلاد : غلجشكش ، بشكونس ، روميه ، افرنجه ، ثم من اسفل ذلـك قسم من الارض داخل في البحر 'يقرأ فيه ارض قلوريه ، وعلى ساحلها من المدن : مستيان ، كسشه ، منتيه ، ريو ، ابن ذقتل ، بوه ، قسطرقوقه ، جراجيه ، استلو ، سبرينه ، قطرونيه ، رسيانه ، قسانه ، ثم يلي ذلك الى الاسفل جون كتب عنده في البر : هذا جون البنـادقين وفيه جزائر كثيرة مسكونة وامم كالشاغرة وألسنة مختلفة من افرنجيين وتمتين وصقالبة وبرجان وغير ذلك . وعلى طرفي الجون مدينتا بذرنت واذرنت ، ثم من اسفل ذلك ناحية اخرى داخـلة في البحر 'يقرأ فيها : هذه ارض بلبونس دورها الف ميل وفيها امم من الروم وبها نيّف وسبعون حصناً عامراً ويضيق طرفاها حتى يصير ستة اميال وتدعا كسميلي .

هذه صورة بحر الروم وما اتجه من رسم مشاهير مدنه من مَشرقـه التي هي مختصة ببني الاصفر وكيفية الخليج القاطع لبلد الروم على نواحي اطرابزنده الى نفس القسطنطينية ، واجتيازه بأرض مجذونيه الى ان يفرع في بحر الروم مع اعادة ما اتصل به من النواحي الى بلد الاندلس .

٤ — وسمعتُ ابا الحسين محمد بن عبد الوهاب التـل موزني ، وكان

رجلاً قد اناف على مائة سنة ثابت العقل صالح الأدب يقول : سُيِّرتُ من كمخ وهي مدينة الروم صالحة القَدر عامرة على بريد الملك الى القسطنطينية مائةً وستة وثمانين بريداً ، فلما عدت من القسطنطينية حين خروجي عنها عدتُ على انقره ، وهي مدينة كبيرة خراب الى مَلِطيه مائة وثمانية وعشرين بريداً . فكان من كمخ الى صارخه يومان والى مدينة خرشَنه يومان . وسُيِّرت على مدنٍ لا اعرف اسماءها عامرة الى صاغِرة . وهي على نهر ألسَ فعبرناه بمركب وسرنا في المركب بالبحيرة ستة فراسخ ، وسرنا يوماً آخر على الظهر الى مدينة تعرف بنقموذيه ، وركبنا منها في البحر يومين وصرنا الى مدينة تعرف بخلقذونيه فبتنا بها وسيِّرنا في السحر ، فركبنا في الخليج وصبّحنا القُسطنطينية والبريد عندهم فرسخ ؛ قال : وكنتُ اسمع ان للملك اربعة حُبوسٍ دون دار البلاط التي يُحبَس بها أسراء الملك في رساتيق لهم . فأحدها يُعرف بالطرقسيس ، والآخر بالابسيق ، والآخر بالبُلقلار ، والآخر بالنومره ، قال : والطرقسيس والابسيق أرفهُها لأنها لا قيُود فيها ، والبُلقلار والنُومره ضيّقان ومن حُبِس في دار البلاط فبالنومره ابتداء حبسه ، ثم ينقل وهو حبس ضيق مؤلم مظلم . قال : وكانوا يسيرون بنا في كل يوم من عشرين بريداً الى خمسة عشر بريداً فصرنا الى القسطنطينية في نحو عشرة أيام من كمخ . والذي اعرفه انا أن بين كمخ وملطيه عشر مراحل ، وبين ملطيه وانقره عشرون مرحلة ، ومنها الى القسطنطينية عشر مراحل فيصير جميع الطريق اربعين مرحلة . قال : وألفيتُهم وإنّ الملك يتبعه في المنزلة اللغثيطُ وهو الوزير والفَرخُ من بعده ، وللفرخ من المنزلة انه يَلبسُ خُفَّين احدهما احمر والآخر اسود ، ولا يتزيّى غيره بهذا الزي بوجه ، وذلك أن الحكم والقطع والضرب والقَود والادب من مؤامرة للملك اليه ، ثم الدُمُستق من بعده ثم البطارقة وهم اثنا عشر رجلاً لا ينقصون ولا يزيدون بوجهٍ ، واذا هلك أحدهم قام مقامه من يصلح له ، ثم الزراوِرةُ وهم كثرة لا يُحصَونَ كالقوّاد اللاحقين بالأمراء ، ثم الطرامِخةُ وهم التُناءُ وأرباب النعم من اهل القسطنطينية ، ومنهم يكون الارتفاع الى الزرورة والبطرقة . وكل مولود

يولد بالقسطنطينية للطراخة فللملك عليه جراية من وقت يولد الى آخر عمره، يدرّج في اسباب الزيادة والنقصان في اعطيته وأرزاقه عند درج بلوغه وتكهّله ، وبقدر استحقاقه للزيادة عند تعلقه بأسباب الرياسة من علم سياسة او صعلكة وتقدّم في اسباب شجاعة او ترسّم بالرأي والفهم ، إلا أن يترهّب فيستعفى من العطاء فيُعفيَه الملك منه .

٥ ــ ومما اعلمه أنا في حين غزونا من ميافارقين أنّا نزلنا على حصن الهتاخ ، فكانت اليه مرحلة ستة فراسخ ومنه الى حصن ذي القرنين وهو حصن منيع مرحلة خفيفة، ومنه الى مدينة الأرديس وكانت اذ ذاك للمسلمين سبعة فراسخ، ومنها الى ضيعة القس ثلاثة فراسخ، ومنها الى هباب مدينة خمسة فراسخ ومن هباب الى قرية انكليس ستة فراسخ ، ومن انكليس الى الكلكس قرية ثلاثة فراسخ، ومنها الى حصن زياد اربعة فراسخ ومن حصن زياد الى تل ارسناس ثلاثة فراسخ وعبرنا الفرات الى قرية تعرف بالحمّام اربعة فراسخ، ومنها الى مَلَطيه اربعة فراسخ . وعبرَ القوم قباقبَ الى عرقا مدينة كانت عامرة اربعة فراسخ ، ومنها الى ضيعة في وادي الحجارة ووادي البَقرِ وكان آخر عمل الاسلام ستّة فراسخ . ومنها الى الرُّمّانةِ قرية وحصن ستة فراسخ ، ومن الرُّمّانةِ الى سمَنْدُوا عشرة فراسخ . ولم أترك الاستخبار في خلال ذلك وقبله وبعده من صعاليكِ ديار ربيعة ومن أسرَ ببلد الروم ، وخرج سارقاً لجماعةٍ من المسلمين والرُوم لعلمه بالبلد ومعرفته بمخائضه وممن فوديَ به عن ارتفاع بلد الروم وما فيه ، من المرافق لملوكهم واللوازم بقوانينهم الموضوعة قديماً لهم في كلّ سنة ، فألفيتُ ذلك أقلّ من نصف جبايات المغرب بكثير، وألفيتُ الهدايا والضرائب على النواحي تزيد وتنقص على قلة محل المتّلين لها . ومن اعظم جباياتهم واكثر وجوه أموالهم ضريبة بلد اطرابزنده وانطاكيا المرسومة من اخذ ما يرد من بلد الاسلام ، لما يؤخذ من سواحل الشأم ومراكبهم ويُغنم بالشَلَنْدِيّات والمراكب الحربيات والشينيّات وما يحصل من أثمان المسلمين ، ويقام من اثمان مراكبهم والأمتعة التي فيها ضريبة الملك ويستأثر القيّم على ذلك بما يزيد على مال الملك من أثمان الأمتعة والمراكب والمسلمين .

٦ ــ واخبرني غير ثقة من العارفين العالمين حال بلد الروم ممن اقام به مواطئ لحديث عيسى بن حبيب النجار : أن ضريبة انطاكية على صاحب المراكب بها المجعول اليه قصدُ بلد الإسلام سقطت ، وكانت قبل ذلك بسنين عند ما دار لهم الظفَرُ بهم من بعد سنة عشرين وثلاثمائة ثلاثة قناطير ذهباً وتكون مع اللوازم التي تلحقها والهدايا ثلاثين ألف دينار ومائة اسير في كل سنة . ثم تأكد خذلان الثغور وفشا نحسها وانهتك بالمعاصي وجور السلطان أستار أوبابها فصارت بالأمانة ، وتحرّى فيها متّلوها إقامة الناموس والديانة والحرص على الجهاد والنفاذ في مقاومة المسلمين بالعناد ، وانقذوا مراكبهم بالتجارة الى بلد الاسلام ورجالها يجوسونه ويتفقدونه ويستبطنون أخباره ، ثم يرجعون وقد علموا حاله اليهم بالخبره فيتحكمون في مضاره ، ويصلون بذلك الى دواخله وسهله وأوعاره بمرأىً من سلاطين الإسلام ومنظرٍ ، ومساعدةٍ من اكثرهم على ما يجبونه وتقويةٍ للعدوّ بفاخر السلاح ونفيس المتاع ، ورغبةٍ في يسيرٍ من الحطام يعود عليهم من تجارة يعملونها الى بلد الروم ، فتعود بخسيس من الارباح والنار تحت ذلك تضرّم عليهم والبلاء يفتل فيما يأخذونه ، والشؤم يبرمُ عليهم فيما يأتونه ومتمثّلهم يجهر بقوله ويضحك من غفلتهم عن فعله حتى لسمع من فصحائهم دائماً متمثّلون :

أرَى تحتَ الرَّمادِ وميضَ جَمْرٍ ويوشِكُ أنْ يَكونَ له ضِرامُ

وكان ما يصل اليهم من العشور على المتاع الواصل الى اطرابزنده الداخل اليها والخارج عنها ، ويصل الى متلى ذلك لقيامه بها من الهدايا المرسومة على تجارها ما سمعتُ الاكثر يقول : أنها مذ عرفت هذه الضرائب لم يبلغ من حين اخذ ملطيه وشمشاط وحصن زياد عشرة قناطير ذهباً . وسبيلهم فيما يقيمونه من غزو المسلمين في البحر بالمراكب الحربية والشلندية والشينية أن يأتوا الى كل ضيعة تقارب البحر ، فيأخذوا من كل دخان اي من كل بيت دينارين ويُجمع ذلك ويُدفع الى النافذين في البحر اثنا عشر ديناراً لكل انسان ، ويأكل مما يلقاه فيما يغنمه ولا شيء له في الغنيمة

من ثمن مسلم او متاع يغنم ، وكل ذلك متوفر على الملك . قال : فاذا قبض رجال البحر ارزاقهم اصلحوا ما أحبّوا استحداثه من مركب وآلة له او مَرَمّةٍ لمركبٍ قديم في صناعتهم ، وما يبقى من المال المجموع من تلك الجهة صرفه المتّلي للبحر حيث يراه بعد حمله معـــه الى بلد الاسلام وفراغه مما قصد له . وأما غزوهم في البر فان ملكهم نقفور اخذ من كل دخان يسكنه رئيس منهم يملك خدماً وبقراً وغنماً وأرضاً ومزدرعاً في حال متوسطة عشرة دنانير عيناً ذهباً ، ومن فوق هذه الطبقـة في القوة جعل عليه رجُلًا بسلاحه ودوابّه وقوّامه ومؤنه ونفقةً له ثلاثين ديناراً ، وبهذا اتجه لنقفور ما اتجه في المسلمين لا أنه فرّق مالاً من خزائنـه او تصرّف في مِلك نفسه او لزمه درهم فما فوقه من حاصله ، بل ربح في خلال جمعه هذه الاموال وعند صرفها في النفقـــات امراً ذكروه خرج به الى بلد الاسلام ، وعاد معه فاحتجنه وكانت جبايته لهذه الاموال على هـذه الجهة السببَ في مقت النصرانية له وبُغضها لأيامه وتسخّطها لبقائه ، وخوفهم من وقوع معاودةٍ لما ضرى عليه الى بلد الاسلام فجعلوا ذلك سبباً لقتـــله وطريقاً للحُجّة عليه .

٧ — وأما حد بلد الروم فإن مشارق بلدانهم المضمومة اليهم والمضافة على مرّ الأوقات الى متملّكيهم ما واجه من ناحية الثغور الشامية والجزرية الى آخر حدود ارمينية وشمالها من نواحي البجناكية وبشجرت ، وبعض بلاد الصقالبة ومغربها بعض البحر المحيط وما حادّ جليقيه وافرنجـــه من جزيرة الاندلس وبعض بحر المغرب ، وجنوبيّهم بقية بحر المغرب وبعض ساحل الشأم ومصر .

٨ — والمدن النفيسة قليلة في مملكتهم وبلادهم مع سعة رُقعتها واتصال أيامها وحالها ، وذلك أن جُلّها جبال وقلاع وحصون ومطامير وقُرى في الجبال منحوتة وتحت الارض منقوبة . وقد استولى الخليجُ الآخـذ من القسطنطينيّة الى اطرابزنده على أكثرها ، وليس هناك مدينة مشهورة إلا ما وصفتُه وحددته . ومياههم كثيرة غزيرة وليس تمرّ على وجـه الأرض مرّاً مستقيماً ، وإنما تتغلغل بين الجبال على غير قصدٍ ولا استقامة سيرٍ ،

وقد صوّرتُ غير نهر من انهارهم فيما دون الخليج الى نواحي الثغور وليس جريها على ما وصفتُه في الصورة وشكّلتُه لكني تحريتُ اصل مخرجه الى حيث مصبّهُ فشكّلتُه على ذلك . وبلد الروم عند كثيرٍ من خاصّة اهل الاسلام ومؤلفي الكتب بخلاف ما هو عليه بالحقيقة من صغر المحل وتفه الخطرِ ، ونزور الدخْلِ وضعة الرجال وعزة الاموال وخسيس الاعمال والاحوال وهو عند من عندَهُ وقبِلهُ ادنى ميزةٍ ومعرفة وبحثٍ عن حقائق الامور ، واهتمّ بمعارف اقطار الارض والممالك وسكانها والجبايات فيها لا يقارب اسباب المغرب وحدّه ، ولا يدانيه ولا يشاكله في وجه من الوجوه لاني قد ذكرتُ من قبائل البربَر المتبدّدين في صحاري المغرب ما يستولي على ضعف عدد من تحوزُهُ نواحي الروم ، وما عندهم من القوّة والجلَد ومحلّهم في البأس والشدّة ، فانهم بحيثُ اذا دخل لهم جيش من المغرب الى بلد الروم اباده واباره واهلكه واتى عليه ، وتتسرب العدّةُ اليسيرة في اقطاره فتنشفها حتى ان لاهل المغرب على اهل قلوريه في كل سنة جزية آلاف دنانير كثيرة تقبض منهم ، وكانت ضعفها فأسقط النصف عنهم عبيد الله صاحب المغرب لحُرَمٍ اجتازت ببلد الروم على القُسطنطينيّة الى ناحيته ، ووصلوا الملك الذي كان في ايامهم شاكرين وكان خائفاً عليهم من صاحب مصر ، غير انّ للاسلام فيما عليه نفوس اهله وقلوبهم شأناً في انتشار الكلمة وفساد الحال ، وكثرة العناد والخلاف والاشتغال بطلبه بعضُهُم لبعضٍ ما خلا به للروم سِربُهم ، فطالت ايديهم الى ما كانت مغلولةً عنه واطماعهُم محسومةً منه .

٩ — وقد ذكرتُ هذا البحر وما عليه من المدن والبقاع من حدّ طنجة ونواحيها الى ارض مِصر والى آخر الشام من الثغور الى اولاس ، مما كان في ايدي المسلمين ولهم وشكلت ذلك الى اطراف بلد الروم وما دون الخليج وبعده من الارض الصغيرة ، واثبتُّ فيه اكثر ما بعد الخليج من ارض القسطنطينية ونواحي بلبونس وجون البنادقين ، وارض قلوريه والانكبرذه وافرنجه وروميه وجليقيه وما يحاذ من نواحي الاندلس .

١٠ — وعلى هذا البحر وفي بلد الرومِ جبال لا تُحدّ لكثرتها ومنها

جبال اقليميه ، واقليميه مدينة كانت للروم قديماً اتى عليها المسلمون وكان بعض ابواب طرسوس يُدعى بباب اقليميه وينسب اليها ، وهذه الجبال آخذة ببلد الروم يميناً وشمالا . واذا جُزتَ اقليميه وكانت بعيدةً من شطّ البحر بنحو مرحلة نزلتَ المكان المعروف باللامس قرية على شط البحر ، كان الفداء يقع فيها بين المسلمين والروم ، فيكون الروم في مراكبهم والمسلمون في البر يُفادون . وتتصل هذه الناحية باقليم اجيا معدن الميعة التي تُجلب الى جميع الارض في البر والبحر من هذا الرستاق والناحية ، ويمتد البحر الى انطاكيه وبينهما اربعة ايام في البحر بطاروس جيّد ومثلها في البر . وانطاكيه حصن منيع ورستاق عظيم مضاف الى حصن انطاكيه وليس للملك عليه دخان ولا كُلفة من صغير ولا كبير ، وبه مرتّبون للخرائط والبريد بالبغال والبراذين في البر ومرتبون في البحر ، لنقل الحوائج والمتاع المختص بالملك . ومن آجيا المذكورة اذا اقلع في البحر ملجّجٌ الى مصر اربعة ايام ، وبين انطاكيه والقسطنطينية ثمانية ايام في البر على البريد ، وفي البحر على الطاروس خمسة عشر يوماً ، والارض التي بينهما عامرة مأهولة مسكونة لا تنقطع سابلتها من نواحي انطاكيه ورستاقها ، وهو رستاق كثير الخير والمير الى خليج القسطنطينية ، وعلى الخليج سلسلة ممتدة لا تعبر عنها سفن البحر الا باذنٍ وعلامةٍ وعليها مرصد ، ويقع هذا الخليج في بحر الرومِ من البحر المحيط على ما قدّمتُ ذكره من نفس الشمال على طرف البرّية التي لا تُسلك برداً ، فيمضي بقُترٍ من اقتار ياجوجَ وماجوجَ ثم يخترق بلاد الصقالبة ويقطعها قطعتين ويتوسّط بلد الروم .

١١ — ومن ورائه الى المغرب بلاد اثيناس وروميه ، وكلاهما ذوات أعمال ورساتيق وبلدانٍ ومدنٍ مضافة اليها وبرسمها ، وقرىً ومزارع وقصور وحصون وملوك على قدر صالح . وروميه واثيناس مدينتان بهما مجمعُ النصارى وتقربان من البحر . فاما اثيناس فهي دار حكمة اليونانيين وبها تحفظ علومهم وحِكَمهم ، وروميه ركن من اركان ملك النصارى وبها كرسي النصارى ككرسي انطاكيه وكرسي الاسكندرية . والكرسي الذي ببيت المقدس مُحدَث لم يكُ في ايام الحواريين ، واتخذوه بعدهم

لتعظيم بيت المقدس ، ثم تتصل ارض قلوريه بارض الانكبرذه ، واول ذلك ارض شلورى ثم نواحي ملف . ومدينة ملف أخصب بلدان الانكبرذه وانظفها واجلّها احوالاً واكثرها يساراً واموالاً ، وتتصل ارض ملف بارض نابل ، وهي مدينة صالحة الحال دون ملف في اكثر احوالها . واكثر اموال اهل نابل من الكتان وثياب الكتان وبها منه ثياب ليس بسائر الارض مثلها ولا ما يشاكلها ولا يُستطاع . ولهم ثوب يعمل طوله مائة ذراع في عشر أذرع ، ويباع الثوب منها بالدون فمن مائة وخمسين رُباعيٍّ الثوب الى ما فوق ذلك بقليل وانقص بكثير . وتتصل أرض نابل بأرض غيطه ثم تتصل ديارهم بالافرنجة على ساحل البحر الى أن تحاذي صقلية وتجاوزها الى أن تتصل بطرطوشه من أرض الاندلس .

١٢ — وفي هذا البحر جزائر صغار وكبار وجبال غامرة وعامرة للروم والمسلمين . فأما المعمور بالاسلام والناس فصقلية ، وهي أكبرها وأكثرها عُدّةً وأشدّها بأساً بمن حوته من ناقلة المغرب ، وهي ناحية قريبة من الافرنجة وقد قدمتُ كثيراً من ذكرها . وكان للمسلمين في هذا البحر غير جزيرة جليلة وناحية مشهورة نبيلة ، فاستولى العدوّ عليهــا كقبرس واقريطش وكانتا جزيرتين كثيرتي الخير والمير والتجارة ، والوارد منها والصادر اليها رائح . وكان أخذهما أحد الاسباب الزائدة في اطماع الروم لأنهما بما كان فيهما من الرجال والعُدّة والعتاد كالنار، لهيبها لا يفتر وأوارها لا يقصر، ينكون في بلد النصرانيّة صباحَ مساءَ نكايةً بيّنة ظاهرة يوجبها لهم قربهم من مطالبهم ومجاورتهم للروم في مساكنهم ، فصمدت النصرانيّة صمدهما ووكدت وكدهما الى ان فُتحتا جميعاً ومُلكتا . وكانت قبرس على غير ما كانت اقريطش عليه من مواقفه كانت بين أهلها فيها ، وذلك أنها لم تزل قسمين ، نصف للروم ونصف للمسلمين بهـا لهم أمير وحاكم ، وأيدي المسلمين مبسوطة على مَن جاورهم من النصارى والنصارى بهم شقّين . وجزيرة اقريطش حُرّة مذ كانت وفتحت في أيدي المسلمين ، ولم يكن للنصرانيّة فيها مدخل ولا مخرج ، واهلها في غاية الجهاد وفي حين الهُدنة والمسالمة مَصونة في شرائط بينهم غزيرة مقرونة بالقهر والاستظهار . وميرقه

جزيرة خطيرة لصاحب الاندلس ، وكذلك جبل القُلال مضاف الى ذلك العمل ، وليس ميرقه بالمدانية لصقلّيه في حال من الاحوال وان كانت ذات خصب ورخص وساعة ونتاج وخير ؛ فانها تقصر عن صقلّية في العدّة والعتاد والقوة على الجهاد وكثرة التجارة ووفور العمارة . ومن الجزائر المشهورة غير العامرة جزيرة مالطه ، وهي بين صقلّيه واقريطش ، وبها الى هذه الغاية من الحمير التي قد توحّشت والغنم الكثير الغزير ، وبها من العسل ايضاً ما يقصدها قوم بالزاد لاشتياره ولصيد الغنم والحمير ، فاما الغنم فتكسّد والحمير فيمكن الورود بها الى النواحي فتباع وتعتمل . والذي سبّب هلاك الجزيرتين بعد قصد العدو لهما ما صار اليه اهلها من البغي والحسد والنكد ، حسب ما خامر اهل الثغور من ذلك الى استباحة الفساد والفسوق والغدر والغيلة والتضادّ والعناد ، فجُعلوا عبرةً للمعتبرين وموعظةً للسامعين الناظرين « ولن يُصْلِحَ الله عملَ المفسدين ولا يُضيعُ اجر المحسنين » . وقد ذكرتُ ان من جبلة الى قبرس يومين ومنها الى جانب بلد الروم مثله ، وبقبرس المصطكى الجيّد والميعة الكثيرة والحرير والكتان ، وبها من القمح والشعير والحبوب والخصب ما لا يوصف كثرةً . والجبل القُلال الذي بنواحي افرنجه بايدي المجاهدين عمارة وحرث ومياه واراض تقوت من لجأ اليهم ، فلما وقع اليه المسلمون عمّروه وصاروا في وجوه الافرنجة والوصول اليهم ممتنع ، لانهم يسكنون في وجه الجبل فلا طريق اليهم ولا متسلّق عليهم الا من جهة هم منها آمنون ومقداره في الطول نحو يومين .

١٣ — وليس في البحار أعمر حاشيةً من هذا البحر ، لان العمارات من جنبتيه ممتدة غير منقطعةٍ ولا ممتنعةٍ ، وسائر البحار تعترض في شطوطها المفاوز والمقاطع ، وقد الحّ الروم في هذا الوقت على سواحل الشأم بالغارة ونواحي مصر ، فهم يختطفون مراكبهم من كل أوبٍ ويأخذونها من كل جهة ولا غياثَ ولا ناصرَ ، ومن المسلمين بناظر ، والمُلك فيهم هاملٌ شاغرٌ ، والمَلِك جمّاعٌ منّاعٌ ، والعالم يسرق ولا يشبع ، ويفتي بالباطل على ما يبلع ، ولا يخاف معاداً ولا مرجعاً ، والفقيه ذئب أدرع ، في كل

بليّة يشرع ، وبكل ريح يسري ويقلع ، والتاجر فاجرٌ مسقع ، لا يعاف حراماً ولا مطمعاً ، والديار والاعشار بيد الاعداء متسلمة ، والاملاك مغتصّة مُصطلمة ، والارض من اربابها الى الله تعالى متظلّمة ؛ وهذه جُمَل صفة بحر الروم وجزائره وما عليه مما يحتاج الى علمه .

الجـزيرة

١ – وهذه الصورة شكل الجزيرة .

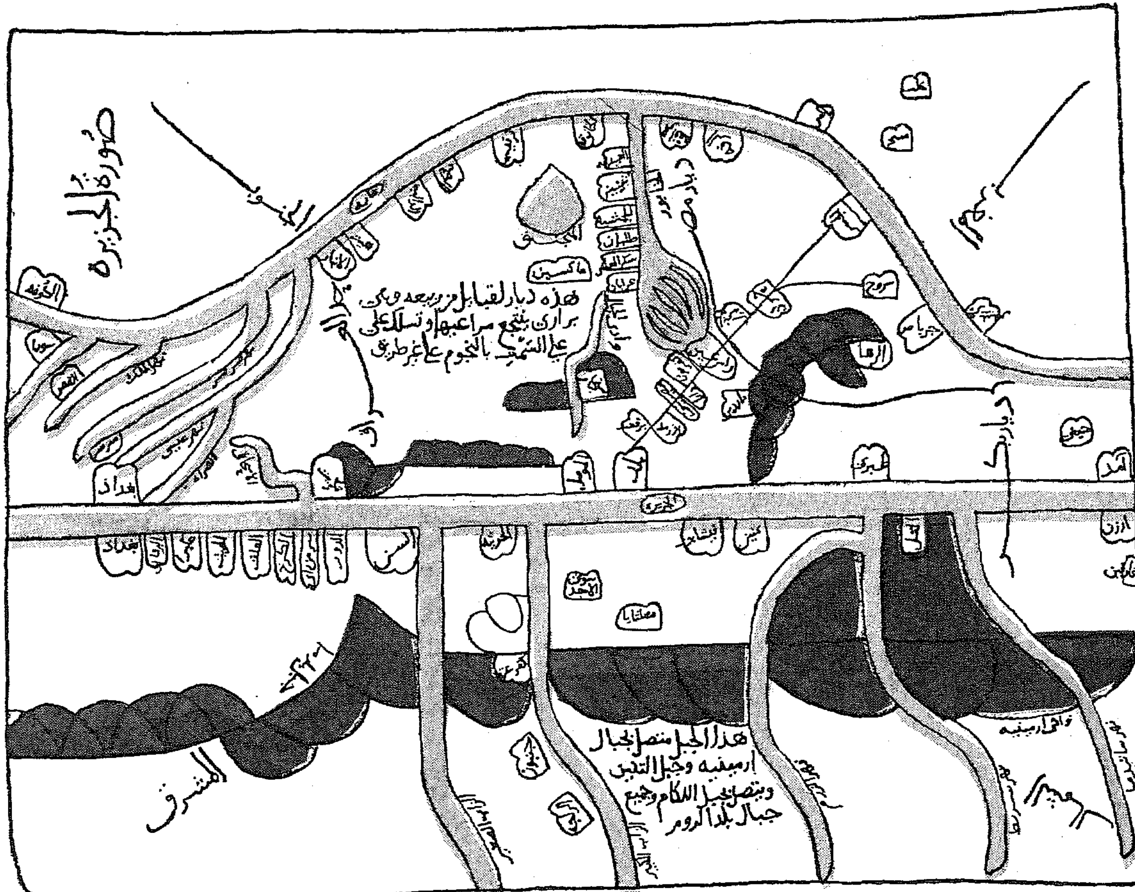
...

إيضاح ما يوجد في صورة الجزيرة من الأسماء والنصوص :

قد رُسم في نصف الصورة الأيمن من أعلاها الى أسفلها نهر الفرات ويوازيه عن اليسار نهر دجلة ، وكتب عن يمين نهر الفرات في الزاوية العليا صورة الجزيرة وتحت ذلك الجنوب وفي الزاوية السفلى المغرب، وعلى ضفة الفرات من هذا الجانب من المدن : الكوفة، بالس، سميساط، ومن أسفل بالس في البر منبج وحلب .

وفي أعلى الصورة تخرج بعض الأنهار من الفرات الى اليسار وعلى النهر الأول من أعلاه سوراً ثم يليه نهر الملك وعليه القصر ثم نهر صرصر وعليه صرصر، ثم نهر عيسى ويخرج منه نهر الصراه ثم رسمت في الجانب الأيسر من الفرات من المدن : الانبار، هيت ، الداليه ، الرحبه، قرقيسيا، الخانوقه ، الرافقه، الرقه ، الجسر، جربلص، وبين هيت والدالية في النهر عانه ، وبين الخانوقة والرافقه يصب نهر الخابور في الفرات وعليه من المدن : العبيديه ، تنينير ، الجحشيه ، طلبان ، سكير العباس ، عرابان . ومن أعلى هذه المدن بحيرة كتب عندها المنخرق وعن يسارها ماكسين وينتهي عنـد عربان وادي الحيال وهو آتٍ من جبل سنجار وكتب من أعلى ذلك هـذه ديار لقبائل من ربيعه وهي براري ينتجع مراعيها وتسلك على السمت بالنجوم على غير طريق، وفوق ذلك حد العراق .

وعلى الجانب الأيمن من دجلة من المدن : بغداد وتكريت وبينهما نهر الاسحاقي ، ثم الموصل، بلد ، طنزى ، آمد ، وعلى الطريق من بلد الى الجسر من المدن برقعيد ، اذرمه ، نصيبين ، دارا، كفرتوثا ، رأس عين ، تل بني سيار ، حران ، ومن حران يأخذ طريق الى الأسفل الى سروج، وبين هذا الطريق ونهر دجلة رسم جبل تتصل به مدينتا ماردين والرها ، وكتب في هذا القسم من الصورة على خط منعطف ديار مضر ثم قاطعاً لدجلة ديار بكر ، وعن آمد مدينة حيني .


صورة الجزيرة
ديار مضر
ديار بكر
المشرق
هذا الجبل متصل بجبال
ارمينيه وجبل التبت
ويتصل بجبل اللكام وجميع
جبال بلد الروم
بغداد

وعلى دجلة في الجانب الأيسر من المدن بغـداد مرة ثانية ثم البردان ، عكبرا ، الجويث ، العلث ، الكرخ ، سرّ من رأى ، الدور ، السن ، الحديثه ، فيشابور ، ثمنين ، التل ، وبحـذاء آمد ارزن ، وعن يسار ذلك ميافارقين . ويقرأ عن يمين القسم الأعلى من الجبل الموازي لدجلة جبل بارما وفي طرفه الآخر في الزاوية المشرق ، ويصب في دجلة عند السن الزاب الصغير ومن أسفله الزاب الكبير ، وبينهما من المدن : الراجه ، جنبون ، كفرعزى ، وقد تطلس أسماء مدينتين يجوز ان تكون إحداهما اربل ، ومن أسفل الزاب الكبير بين دجلة والجبـل : سوق الاحـد ومعلثايا وكتب هنا عند الطرف الآخر من الجبل : هذا الجبل متصل بجبال ارمينيه وجبل الثمنين ويتصل بجبل اللكام وجميع جبال بلد الروم . ثم يلي تحت ذلك نهر الزرم ثم نهر سربط ثم نهر ساتيدما وبين هذين النهرين نواحي ارمينيه وفي زاوية الصورة الشمال .

٢ — فأما الجزيرة التي بين دجـلة والفُرات فتشتمل على ديار ربيعة ومُضر ومخرج الفُرات من داخـل بلد الروم على ما شكّلتُه مجتازاً من ملطيه على يومين ، ويجري بينها وبين المدينة المعروفة كانت بشمشاط المسلمين ، ويمرّ على سميساط ونواحي جسر منبج على بالس الى الرقة وقرقيسيا والرحبة وهيتٍ والانبار ، وينقطع الحدّ عن الفُرات مما يـلي الجزيرة بالانبار ثمّ يعود حدّ الجزيرة في سمت الشمال ، فيكون الى تكريت الحـدّ العراق وتكريت على دجلة ، وينتهي الحدّ منها مصاعداً على دجلة الى السِنّ مما يلي الجزيرة والى الحديثة والموصل ، ويصعد بصعود دجلة الى الجزيرة المعروفة بابن عُمَر ثم يتجاوزها الى آمد ، فيكون ما في غربها من حدّ ارمينيه ثم يعود الحد مغرّباً على البر الى سميساط ، ثم ينثني الى مخرج ماء الفُرات في حدّ الاسلام من حيث ابتداؤه . ومخرج دجلة وان كان من حدود بلد الروم فطويلا ما كان في يد المسلمين وحيز الاسلام من بعده بمراحل . وعلى شرقيّ دجلة وغربي الفرات مدن وقرى تنسب الى الجزيرة ، وهي خارجة عنها ونائية منها وسأذكرها بما يدل على حالها .

٣ — قد اتفق العلماء بمسالك الارض وبعض الحسّاب المشار اليهم بعلم الهيئة فيما تواضعوه من صفات الارض ، انها مصوّرة بصورة طائر فالبصرة ومصر الجناحان ، والشأم الرأس ، الجزيرة الجؤجؤ ، واليمن الذنب . وهذه حكاية ما رأيتُها قطّ مقرّرة . واذا كان الامر كذلك ففارس وسجستان وكرمان وطبرستان واذربيجان وخراسان ليست من الارض ولا معدودة

في حسابها ، ام الارض هو ما ذكروه دون غيرها وهذا قول يحتاج الى تقرير بفهم جامع وفكر صحيح ، ليقف على حقّ ذلك من باطله وموقع الجزيرة قريب مما قالوه ان وجب ان يكون الشأم رأساً لهذا الطائر ، واظنُّ قائل ذلك عنى غير ما ارادوه وقصد سوى ما نقلوه ، ومتى اراد بذلك ديار العرب خاصةً فهذه صفتها .

٤ ـ والجزيرة اقليم جليل بنفسه شريف كان بسكانه واهله رفهٌ بخصبه، كثير الجبايات لسلطانه اذ كانت الاحوال والاموال والدخل على سلطانه داخلٌ من وجوهه وخارجٌ من مظانّه ، وقد اختلت وتغيرت وانتقلت املاكها وباد رجالها وارباها وتنصر ابطالها . وسمعتُ رئيساً من علماء البغداديين يذكرها فقال . كانت معدن الابطال وعنصر الرجال وينبوع الخيل والعُدّة وينبُوت الحَيْل والشِدّة .

٥ ـ فاما حدودها ومسافاتها فمن مخرج ماء الفرات في حدّ ملطيه الى سميساط يومان ، ومن سميساط الى جسر منبج اربعة ايام ، ومن الجسر الى بالس اربعة ايام ومن بالس الى الرقّة يومان ، ومن الرقّة الى الانبار عشرون يوماً ومن الانبار الى تكريت يومان في نفس البرّيّة ، ومن تكريت الى الموصل خمسة ايام ومن الموصل الى آمد اربعة عشر يوماً ، ومن آمد الى سميساط ثلاثة ايام ومن سميساط الى ملطيه ثلاثة ايام ، ومن الموصل الى بلدٍ مرحلة ومن بلد الى نصيبين خمس مراحل ، ومن الموصل الى سنجار ثلاثة ايام ، ومن سنجار الى نصيبين خمسة ايام ومن نصيبين الى رأس العين ثلاث مراحل ، ومن رأس العين الى الرقّة اربعة ايام ، ومن رأس العين الى حرّان ثلاثة ايام ومن حرّان الى جسر منبج يومان ، ومن حرّان الى الرُها يوم ومن الرها الى سميساط يوم ، ومن حرّان الى الرقّه ثلاثة ايام ، ومن الرقّة الى قرقيسيا اربعة ايام ، ومدينة الخانوقة في وسط الطريق ، ومن الخانوقة الى عرابان اربع مراحل ومن عرابان الى الحيال مرحلتان ، ومنها الى سنجار نصف مرحلة ومن سنجار الى ماكسين مرحلتان ومن مكسين الى المنخرق يوم ، ومن المنخرق الى الفرات يوم، والمنخرق بحيرة بين ماكسين والفرات استدارتها مساحة جريب او ازيد

بقليل ، وفيها ماء ازرق عذب كالزجاج الملوّح لا يُعرف قعرها ولا يُعلم كميّة مائها ، وذلك انها اعتُبرت ليُعرف قراوها ومقدار مائها بمائين اذرع حبال بمثقّلات فلم يوجد لها قرار ، ولا في يد الخلف عن السلف منها أثر ولا خـبر . وعلى ظهر الخابور وبنواحي عرابان وبالبُعد من الخابور عن مرحلة مدن كثيرة قد غلبت عليها البادية، فحكمُهم دون أهلها فيها أمضى وأمرهم في غلاّتهم وأموالهم أنفـذ وأعلى : كالعبيدية وتنينير والجحشيّة وطِلبان، وهذه مدن عليها أسوار لا تحصنها وقد لجأ الى الخفائر والأذمة أهلها ، فكلّمن ساقهم تبعوه وكلّمن خافوه أطاعوه ، فاذا ملك الفُرات سلطان قادر أمنوا ، واذا ضعف السلطان بنواحيهم هلكوا وغُنِموا .

٦ — وكان من أجلّ بقاع الجزيرة وأحسن مدنها وأكثرها فواكه ومياهاً ومتنزهاتٍ وخضرةً ونضرة ، إلى سعة غلاّت من الحبوب والقمح والشعير والكروم الرائعة الزائدة على حدّ الرخص ، نصيبين وهي مدينة كبيرة في مستواةٍ من الأرض ، ومخرج مائها عن شعب جبل يُعرف ببالوسا ، وهو أنزه مكان بها حتى ينبسط في بساتينها ومزارعها ، ويدخل الى كثير من دورها ويُغدق البرك التي في قصورها . وكان لهم مع ذلك فيما بعُد من المدينة ضياع مباخس كبار جليلة عظيمة غزيرة السائمة والكراع، دارّة الغلاّت والنتاج معروفة الفرسان مشهورة الشجعان الى ديارات للنصارى وبيعٍ وقلاّياتٍ ، تُقصد للنُزهة وتنتجع للفرحة والفرَج .

٧ — ولم تزل على ما ذكرتُه مذ أوّل الاسلام معروفة بكثرة الثمار ورخص الأسعار ، تتضمن بمائة الف دينار الى سنة ثلاثين وثلاثمائة فأكبّ عليها بنو حمدان بضروب الظلم والعدوان ودقائق الجور والغشم ، وتجديد كُلَفٍ لم يعرفوها ورسم نوائب ما عهِدوها الى المطالبـة ببيع الضياع والمسقّف من العقار ، حتى حمل ذلك بني حبيب الى ان خرجوا بذراريّهم وعبيدهم ومواشيهم وخفّهم الذي يمكن بمثـله النقلة ، ومن ساعدهم من جيرانهم وشاركهم فيما قصدوا به من الغصب لعقـارهم في نحو عشرة آلاف فارس ، على فرسٍ عتيق وسلاح شاك من درع وجوشن مُذهّب ومِغفر مُدبّج ، وسيف يقلّ شبهُه ورُمح خطّي وآلة وعُـدّة لم تزل

على بلد الروم مُطلّة ، يقمع بها شوكتهم ويسبي بها ذراريهم ويخربون بالاستطالة حصونهم ويجوسون ديارهم، يقدمهم نحو هذه العِدّة من الجنائب العتاق والبغال الفره عليها الخدم والخَوَل والموالي . فتنصّروا بأجمعهم وأوثقوا ملك الروم من انفسهم بعد ان احسن لهم النظر في انزالهم على كرائم الضياع ونفائس الحُبى والمتاع ، وخيّرهم القرى والمنازل ورفدهم بالنواحي الحسنة والمواشي والعوامل ، فعادوا الى بلد الاسلام على بصيرة بمضارّه وعلم بأسباب فساده، وخِبرةٍ بطرقه ومعرفةٍ بجلّه ودقّه وقلوبُهم تضطرم حقداً وتفور كيداً وتلتهب ضبّاً . وقد كاتبوا من خلّفوه وراسلوا من عرفوه ولاطفوه بذكر ما بلغوه ونالوه ، وكان الاكثر قد قُصد في ضياعه وحيل بينه وبين املاكه ، ووُظّف عليه ما لا يعرفه وأُلزم من الكلف ما لم يجر بمثله عليه رسم ، فأطمعوهم فيما نالوه وعرّفوهم ما وصلوا اليه وما جاؤوا فيه ، وله من قصد بلد الاسلام واجتياحه واصطلام نواحيه وبقاعه ، وأن ملكهم أيدهم وقوّاهم وأنعم عليهم وآواهم فلحق بهم كثير من المتخلفين عنهم وانتمى اليهم من لم يك منهم ، فشنوا الغارات على بلد الاسلام وافتتحوا حصن منصور وحصن زياد، وساروا الى كفرتوثا ودارا فأتوا عليها بالسبي والقتل وألحقوا أسوارها بالارض وضرّوا بذلك، فصار لهم عادةً وديدناً يخرجون في كل سنة عند اوان الغلاّت الى ان أتوا على ربض نصيبين نفسها والغربي من ضياعها ، وتعدّوا ذلك الى ان وصلوا الى جزيرة ابن عمر فأهلكوا نواحيها وسحقوا رأس العين وعملها ، وساروا الى نواحي الرقة وبالس وعادوا الى ميافارقين وارزن ، فأخوَوا قراها وضياعها وعضدوا اشجارها وزروعها الى ان جُعلت كالخاوية على عروشها . وتزايدت ثقة الملك بهم والروم في السكون اليهم ، الى ان جُعلت لهم الارزاق ورُسمت لهم الاعطية، وصاروا خاصّة الملك وآراء العرب أثقف من آراء الروم لما يقترن بهم من الجسارة والبسالة ، ففتحوا له المضائق وتقدّموه في المسالك وأطمعوه على مر الأيام وتعاقب الاعوام [....][1]

١ ـ (....) فقد هنا بعض الكلمات ولعله يجوز استتمامه بما معناه (بما أخبروه به من اختلال البلدان) .

وهلاك السلطان وفقر الخواصّ والعوامّ في انطاكيه والمصّيصة وحَلَب وطرسوس ، فدار لهم عليها ما كان القضاء قد سبق به والمقدار قد نفذ فيه . وعمد الحسن بن عبدالله بن حمدان الى نصيبين واكتسح اشجارها ، وبذل ثمارها وعوّر انهارها واستصفاها عمّن كان دخل الى بلد الروم ، واشترى من بعض قوم واغتصب آخرين فملكها إلاّ القليل ، وجعل مكان الفواكه الغلاّت بالحبوب والسمسم والقطن والارز فصار ارتفاعها اضعاف ما كانت عليه وزادت ريوعها ، وسلّمها الى من بقي من اهلها ولم يمكنهم النهوض عنها وآثروا فطرة الاسلام ومحبة المنشأ ، وحيث قضوا لبانات الايام والشباب على مقاسمة النصف من غلاّتها الى اي نوع كانت ، على ان يقدّر الدخلَ ويقوّمه عيناً ان شاء او ورِقاً ، ويُعطي الحرّاثَ ثمن ما وجب له بحقّ المقاسمة فيكون دون الخمسين ، ولم يزالوا على ذلك معه ومع ولده الغضنفر الى ان لحقا باسلافهما الدجالين « فما بكتْ عليهم السماء والارضُ وما كانوا اذاً مُنظَرين[1] » واهلها وقتنا هذا على اقبح ما كانوا عليه وفيه من تقدير من وليهم عليهم كابن الراعي لا رحمة الله ومن يُشبهه، يستغرق اكثر الغلّة وتقويم ما يبقى من سهم المزارع بثمنٍ يراه المقدّر وحمل ما وقع بسهمه الى مخازنهم واهرائهم ، ويوضخ له منه بما يُسمح به لبذره ويقدّر أنه يُمسك لرمقه وعيشه في قوته .

٨ — واعمال نصيبين اربعة ارباعٍ ولكل رُبع منها عامل . وحضرتُ في سنة ثمان وخمسين وقد رُفع تقديرها على توسطٍ الى ابي تغلبَ الغضنفر بالموصل ، فكان حاصل دخلها من حنطة وارز وشعير وحبوب عشرة آلاف كُرٍ ، وأُخرج تقويم اسعارها على خمس مائة درهم الكُرّ ، فكان المال عند التقدير المذكور خمسة آلاف درهم ، ورُفع لها من الجماجم عن جواليها ولوازمها مع الزيادات فيها فكانت خمسة آلاف دينار ، ورُفع لها عن عشور اموال اللطف وهي ضرائب الشراب خمسة آلاف دينار ، ورُفع القوانين المأخوذة من عراصها عن الغنم والبقر والبقول والفواكه

---

١ — « فما بكت — منظرين » سورة الدخان (٤٤) الآية (٢٨)

خمسة آلاف دينار ، وما يُقبض من الطواحين في القصبة والضياع المقبوضة والمشتراة وغلات العقار المسقّف من الخانات والحمامات والحوانيت والدور ستّة عشر الف دينار ، وكانت اعمال دارا في الرُبع الشمالي وطور عبدين ايضاً وهو من اعظم رساتيقها ، ورُفع تقدير رستاق ابنين وهو مجاور لطُور عبدين ، وكان لسيف الدولةِ بألفي كُرٍ حبوباً فقُومّت بألف ألف درهم ، ورُفع عصيرها واسقاؤها وجماجمها وعراصها وطواحينها بثلاثين الف دينار ، وهذا على انّ البلد قد خَربَ وناسه قد هلكوا ليوبقَ الله متّلي ذلك بما أُمليَ له واسسه من ظلمه وجوره .

٩ — وبنصيبين عقارب قاتلة موصوفة مشهورة . وبالقرب منها جبل ماردين ومن قرار الارض الى ذروته نحو فرسخين ، وعليه قلعة لحمدان ابن الحسن بن عبدالله بن حمدان ، تعرف بالباز الاشهب لا يُستطاع فتحها عنوةً . وبنواحيها حيّات موصوفة تفوق الحيّات في سُرعة القتل ومضاء المنيّة ، وبجبل ماردين جوهر الزجاج الجيّد ويُحمل منه الى سائر بلدان الجزيرة والعراق وبلد الروم ، فيفضل على ما سواه بجوهريّةٍ فيه .

١٠ — واما الموصل فمدينة على غربي دجلة صحيحة التربة والهواء وشرب اهلها من مائها ، وفيها نهر يقطعها اتخذه بنو أُمية في وسطها وبين مائها ووجه الارض نحو ستين ذراعاً وزائد وناقص ، ولم يك بها كثير شجر ولا بساتين إلا التافه القليل اليسير ، فلما تملّك بنو حمدان ورجالهم غرسوا فيها الاشجار وكثرت الكروم وغزُرت الفواكه وغُرست النخيل والخضر . وبها مسكن سلطان الجزيرة ودواوينها ومجتبي اموالها وارتفاعها ، ولها أقاليم ورساتيق ومدن كثيرة مضافة اليها ، وارتفاع وجبايات زادت على ما كانت عليه في سالف الزمان لأن اللعين لا رحمه الله اخذ ممن كان في جملته وخدمه املاكهم ، واشترى الكثير منها بالقليل التافه من أعشار أثمانها ، واستملك رباعها واحتوى على خارجها وداخلها ، واستعمل فيهم من الحال ما أثره من سيرته في بلد نصيبين ، فزاد قائمةً وتناهى كثرة وإسرافاً . وذلك ان الموصل اضعاف اعمال نصيبين في فسحة الاعمال وكثرة الضياع وعظم المحلّ وغزر السكان وأهل الاسواق ، اذ كانت اسواقها واسعةً

وأحوالها في الشرف والفخم ظاهرة . وهي مدينة أبنيتُها بالجص والحجارة كبيرة غنّاء ، وأهلها عرب ولهم بها خطط واكثرهم ناقلة الكوفة والبصرة ، وكانت من عُظم الشأن بصورة أكابر البلدان وكان بها لكل جنس من الأسواق الاثنان والاربعة والثلاثة ، مما يكون في السوق المائة حانوت وزائد . وبها من الفنادق والمحالّ والحمّامات والرحاب والساحات والعمارات ما دعت اليها سكان البلاد النائية ، فقطنوها وجذبتهم اليها برخصها وميرها وصلاح أسعارها فسكنوها . وهي فُرضة لأذربيجان وأرمينية والعراق والشأم ، ولها بوادٍ وأحياء كثيرة تصيّف في مصائفها وتشتو في مشاتيها من أحياء العرب وقبائل ربيعة ومُضَر واليمن ، وأحياء الأكراد كالهذبانية والحميدية واللارية . وكانت بها بيوت فاخرة وقوم أهل مروءة ظاهرة ، لهم من التناية يسار وبأملاكهم ويسارهم على الأيام استطالة واقتدار : كبني فهدٍ وبني عمران من وجوه الأزد وأشراف اليمن ، وبني شخاج وبني اود وبني زبيد وبني الجارود وبني ابي خـداش والصداميين والعمريين وبني هاشم وغير ذلك ، فمزقهم جور بني حمدان وبدّدهم في كل صقع ومكان ، بعد انتزاع املاكهم وقبض ضياعهم وإحواج أكثرهم الى قصد الاطراف والشتات في اعماق الاكناف ، بعد ان كانوا مقصودين والى السؤال بعد أن لم يزالوا مسؤولين ، فمن هالكٍ في نجف ومُضطهد في طرفٍ ومعرّض نفسه للحَين والتلف . (أما في زماننا هذا ، وهو سنة ستين وخمسمائة ، فقد عُمرت عمارةً لم تكن قط منذ اسست حتى ان العمارة قد استولت عليها ولم يبق بها موضع ، فامتدت العمارة الى خارج السور وصار في خارجها اسواق وحمامات وفنادق وغير ذلك من المرافق).

وفي ذكر تقدير البلد ما يدل على ما كان عليه من العتاد والعدد ووصف ارتفاعه ما يُعرب عن حاله وأصقاعه ومكانه وأوضاعه ، ويغني عن الاطالة في وصف شرفه وشأنه وقوانينه الواصلة الى سلطانه ، وهي الدليل على أوصاف أهله وشأنهم في ذات انفسهم . وقد تقدّم القول بذلك وأن قوام الدنيا واهلها بالاموال ، اذ محلّهم في انفسهم وكيفيتهم في عيشهم وسياستهم في مروؤاتهم بمقدار ما يملكونه ، وبه يمكنهم المروؤة والأفضال والتصرّف في كل جهة وحال ، وهذه عبرة لجميع العقلاء ومرآة لسائر

الفقهاء، وإن خرج بالخصوص عن حدّ العموم في هذه القضية قوم لم يُحكم بهم ولا يُلتفت الى سيرتهم وسياستهم .

١١ — وللموصل نواحٍ عريضة ورساتيق عظيمة وكور كثيرة، غزيرة الأهل والقرى والقصور والمواشي الى غير ذلك من اسباب النتاج والسائمة من الأغنام والكراع، فمن ذلك رستاق نينَوى وكانت به مدينـــة في سالف الزمان تجاه الموصل من الجانب الشرقي من دجلة، آثارها بيّنة وأحوالها ظاهرة وسورها مشاهد، وكانت البلدة التي بعث الله تعالى الى اهلها يونس ابن متى عليه السلام . ويحادّ هذا الرستاق على جلالته وعظمه وقربه الى حوزته رستاق المرج، وهـــو ايضاً فسيح واسع كثير الضياع والماشية والكراع، وفيه مدينة تُعرف بسوق الأحَدِ، وفيها اسواق ولها موعد لاوقات يحضر فيها السوق، يجتمع فيـه المتاع وسائر التجارة والاكرة والاكراد، وكانت مدينةً كثيرة الخير خصبة تحادّ الجبل على نهر يقرب منها يطرح ماؤها الى الزابي الكبير . ويجاور هذا الرستاق ارض حزة ورساتيقها، وهو إقليم بينه وبين اعمال المرج الزابي الكبير، وفيه مدينة تُعرف بكفر عزى يسكنها قوم من الشهارجة نصارى ذوو يسارٍ، وهي مدينة قصْدة فيها اسواق وضياع وبها خير ورخص، ومنها يمتار الاعراب وينزل في نواحيها الاكراد، وقردى وبازبدى رستاقان عظيمان متجاوران، فيهما الضياع الجليلة الخطيرة التي تكيل الضيعةُ دخلاً في كل سنة الف كرّ حنطة وشعير او حبوبَ قطانٍ، ولها من مرافق الجوالي بالجماجم واموال اللطف ما يقارب دخل غيرها من الضياع، ورستاق باهدرا وهـو ايضاً عظيم جليل الضياع والدخل والمرافق والعائدة . ورستاق الخابور وفيه مدن كثيرة واعمال واسعة تجاور رستاق سنجار ونواحي الجبال، وللجميع من الدخل الكثير عن سائر وجوه الغلات والفواكه اليابسة والرطبة . ورستاق معلثايا وفيشابور وهما رستاقان خطيران معدودان في نفائس الاعمال ومحاسن الكور بكثرة الغلاّت والخيرات والتجارات .

١٢ — وحضرتُ مدينة المَوصل آخر دجلةٍ دخلتُها سنة ثمان وخمسين فألفيتَ ارتفاعها من الحاصل دون قسمة المزارعين بنينوى والمرج وكورة

حزة ستّة آلاف كرّ حنطةً وشعيراً قيمتها من الورق ثلاثة آلاف الف درهم ، ومن الحبوب والقطاني ثلاثمائة كرّ ، قيمتها من العين عشرة آلاف دينار ومن الورق...[١] عن وجوه أُوجب اجتباؤها من جوالٍ وضمانات ومرافق بيت المال، ردّت عيناً عشرة آلاف دينار دون ضياع وُسمت بضياع الاخوة في هذه النواحي الثلاث المتقدم ذكرها ، وهي املاك بايديهم ودخلها حاصل لهم استوفاه كتّابهم اربعة آلاف كرّ حنطة وشعيراً ، قيمتها من الورق ألفا ألف درهم ، قال الرافع : وتوابعها من مواجب بيت مال السلطان ألفا دينار قيمتها من الورق ثلاثون الف درهم ، وذَكَر أموال الناحية المتقبّل عراصها وجزائرها وبساتينها والمستغلاّت المختزلة من اصحابها والمشتراة ، ومال اللطف والجوالي بألفي ألف درهم . وذكر باعربايا وهي من نواحيها ورساتيقها وحدّها فقال : من باعيناثا الى نهر سريا من دون اذرمه بفرسخ طولا وعرضها من نواحي سنجار الى ان تصاقب بازبدى ، والحاصل دون الواصل بحق المقاسمة الى الاكرة والمزارعين ثمانية آلاف كرّ حنطةً وشعيراً ، قيمتها من الورق دون زيادة الصنجة وحق الخزن اربعة آلاف ألف درهم ، وفيها من الاحلاب والجوالي . وعرصة برقعيد ألفا دينار قيمتها من الورق ثلاثون الف درهم . وذكر بازبدي فقال : حدّها من الضيعة المعروفة بالمقبلة والاحمديّ وباعوسا والبيضاء الى حدود الجزيرة ، ودخلها من الحنطة والشعير الحاصل ألفا كُرّ قيمتها من الورق ألف ألف درهم ، ولها من وجوه الاموال المذكورة المشهورة ألفا دينار وقيمتها ثلاثون ألف درهم ، وباهدرا وهي من حدّ المغيثة الى الخابور ومن معلثايا الى فيشابور ، والحاصل دون الواصل الى المزارعين بحق المقاسمة من الحنطة والشعير ثلاثة آلاف كُر قيمتها مائة الف دينار ؛ قال : وبها من المال عن وجوه أسقاتها ومياهها ثلاثون الف دينار . قال : وقردي وهي الجزيرة المعروفة بابن عُمر وجبل باسورين ونواحيه الى حدود باعيناثا الى طنزي وشاتان ، والحاصل دون الواصل الى المزارعين من الحنطة والشعير ثلاثة

١ — ويجب استتمام هذا النقص بـ(مائة وخمسون الف درهم) ثم (وبها من الاموال) او ما معناه

آلاف كُر قيمتها مائة الف دينار ، وبها من المال من وجوه الطواحين والجوالي وما اشبه ذلك ثلاثون الف دينـــار ؛ فالحاصل على التقريب من جميع أعمالها وجباياتها عن قيمة عين جُبي من الورق ستة عشر الف الف درهم ، ومائتا الف وتسعون الف درهم .

١٣ — ومن اسافل الموصل مدينة تُعرف بالحديثة وبينهما تسع فراسخ، كثيرة الصيود واسعة الخير في ضمن المَوصِل عملهـــا ، وبالمَوصل تُجبى أموالها ، ولها عامل بذاته على استيفاء اموالها فربما عُملت بالامانة ، وربما كانت بضمان وقلما ضُمنت لأن احوالها تزيد وتنقص .

١٤ — وكان بالموصل في وسط دِجلة مطاحن تعرف بالعُروب يقـلّ نظيرها في كثير من الارض، لأنها قائمة في وسط ماء شديد الجرية موثـّقة بالسلاسل الحديد ، في كل عربة منها اربعة احجار ويطحن كل حجرين في اليوم والليلة خمسين وِقراً ، وهذه العروب من الخشب والحديد . وربمـا دخل فيها شيء من الساج . وكانت ببلد المدينة التي عن سبعة فراسخ منها عُروب كثيرة دارت إعمالاً وجهازاً الى العراق ، فلم يُبقِ منها شؤم ابن حمدان ولا من اهلها باقيةً . وبمدينة الحديثة منهـا عداد تعمل في وسط دجلة ، وقد ملك بنو حمدان متاعها حسب ما ذكرته من حـال الموصل وسائر ديار ربيعة وارتفاعها نحو خمسين الف دينار . وكان بالفرات للرقـّة وقلعة جعبر ما لا يداني هذه العروب ولا كثرتها . وبمدينـة تفليس في نفس الكر منها شيء به تقوم اقوات اهل تفليس وهي دونهـا في الفخم والعظم . وبتكريت وعُكبرا والبردان منهـا شيء باق . ولم يُبق بركة بني حمدان بالموصل إلا ستة او سبعة منها وليس ببغداد شيء منها .

١٥ — وبلد المذكورة فكانت مدينة كثيرة الغلاّت والأموال والجهاز . والمشائخ المذكورين بالعراق في حسن اليسار وسعة الأحوال، الى ان وضع الملقّب بناصر الدولة عليهم يده واستفرغ فيهم جهده ، فلم يُبق لهم باقية وبدّدهم في كل قُتر وزاوية ، ولم يبق لهم ثاغية ولا راغية حتى اكلتهم الشدائد وصبّت عليهم بشؤمه المصائب، فهم كما قال بعض سكان مكـّة من خُزاعة عند خروجهم منها :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيسٌ ولم يَسمُر بمكّةَ سامرُ

وكان لبلد في ظاهرها بين غربها وشمالها مكان يعرف بالاوسل : نزه كثير الشجر والثمر والخضر والفواكه والكروم ، فقصدها اللعين المشؤوم بما قصد به الموصل، فهو كالبور مع شرف حال هذا الاوسل ومكانه من الريع اذا زُرع وفي أعاليه ساقية تسقي شيئاً من الارض اذا زُرعت بماء تافه ترب .

١٦ — ومدينة سنجار على تسعة فراسخ من بلدٍ وهي في وسط البرّية وفي سفح جبل خصب، ولها انهار جارية وعيون مطّردة وأسقاء ومباخس . وضياعها قريبة الحال وعليها سور من حجر يمنع عن اهلها تظافرهم ، وقد شابها من نسيم الزنيم ونالها من البلاء ما يشبه الزمان . وبها مع رخص أسعارها وكثرة خيرها وفواكهها الصيفية فواكه شتوية بما يكون اختصاصه في بلاد الصرود : كالسماق والجوز واللوز والزيتون والأترجّ والسمسم والرمان الكبير المجفّف حبّه الدائم الى العراق والنواحي جهازه وحمله . وبقرب سنجار بين شمالها وغربها الحيال، وهو وادٍ من اودية ديار ربيعة، فيه مشاجر وضياع وكروم وخصب وأبّ يسكنه قوم من العرب قاطنين فيه مخفرين من بني قشير ونمير وعقيل وكلاب ، وليس بالجزيرة مدينة ذات نخيل في وقتنا هذا اكثر من سنجار إلا ان يكون على الفرات ونواحي هيت والانبار .

١٧ — وبين بلد ونصيبين برقعيد وأَذرَمةُ . فأما برقعيد فمدينة كثيرة الزرع من الحنطة والشعير ، ويسكنها بنو حبيب: قوم من تغلب . وفيها مغوثة لبني السبيل وفي اهلها بعض شرّ لأنهم من سِنخ بني حمدان ، وشرب أهلها من الأبار وليس بها بستان ولا كرم . ومنها الى مدينة اذرمة ستة فراسخ وكانت مدينة صالحة كثيرة الغلاّت ، وقد فتحها الروم لما خرجوا الى نصيبين وأتى المتنصّرة عليها ، ولم يُبقَ بها إلا نفر وصُبابة لا تجد الى النقلـة عنها وجهاً ولا تعرف سبيلاً . ومنها الى نصيبين تسعة فراسخ . ومن نصيبين الى دارا مدينة ازليّة كانت للروم طيّبة في نفسها كثيرة الغلاّت والخيرات والخصب ، في جميع وجوه الخصب من المآكل

والمشارب وما تحويه فكالجنان . وان كانت هذه الحال في جميع هذه الديار عامة وبها مشهورة فان الذي اخرجها عما كانت عليه ونقلها من احوالها الى ما هي به ومضافة اليه ما قدّمتُ ذكره . وكفرتوثا بين دارا ورأس العين : مدينة سهليّة وكان حظها من كل خير جزيلاً ، ووصفها مذ كانت فحسن جميل الى ان افتتحها الروم ، وكانت في مستواة من الارض ولها شجر وثمر ومزدرع وضياع في سنة افتتاحهم رأس العين . (وفي زمان المؤلف افتتحها الروم والآن فهي للمسلمين والعاقبة للمتقين) .

١٨ — وكانت رأس العين مدينةً ذات سور من حجارة نبيل ، وكان داخل السور لهم من المزارع والطواحين والبساتين ما كان يقوتهم لولا ما مُنوا به من الجور الغالب والبلاء الفادح ، ممن لا رَحِم الله منهم شعرةً ولا ترك من نسلهم احداً ليجعلهم آيةً وعبرة . وكان يسكنها العرب وبها لهم خطط ، وفيهم ناقلة من الموصل اصلهم . وفيها من العيون ما ليس ببلدٍ من بلدان الاسلام ، وهي اكثر من ثلاثمائة عين ماء جارية كلها صافية بين ما تحت مياهها في قعورها على اراضيها . وفيها غير عين لا يُعرف لها قرار وغير بئر عليها شبابيك الحديد والخشب ، ويقال انها خسيفٌ وقد جُعل الشباك دون وجه الماء بذراع ونحوه ليحفظ ما يسقط فيها . ويقال انهم اعتبروا غير بئر بمائتين اذرع حبال ، فلم يبلغوا قعرها وتجتمع هذه المياه حتى تصير نهراً واحداً ويجري على وجه الارض فيُعرف بالخابور ، ويقع الى نواحي قرقيسيا وكان عليه لاهل رأس العين نحو عشرين فرسخاً قرىً ومزارع ، وكان لهم غير رستاق وناحية كبيرة كثيرة الضياع والاشجار والكروم على هذه المياه الجارية المذكورة . وكان لهم ايضاً ضياع مباخس وأعذاء في ضياعها ومزارعها ، فلم يبق بالقصبة لهم إلا نُوَيس في نفسها على ترقّب من الروم والعرب قد لجؤوا الى بعض قصورها ، وجعلوه حصناً يأوون اليه عند خوفهم . ونهر الخابور المذكور عليه مدائن كثيرة قد شكّلتُها ووصفتها كمدينة عرابان ، وهي مدينة لطيفة كثيرة الأقطان وثياب القطن تُحمل منها وتجهّز الى الشأم وغيرها . وعليها سور صالح منيع ومن ورائه منعة بمن فيه من الرجال ، واليها سُكير العبّاس ،

وهي ايضاً مدينة لطيفة فيها غلاّت وبها رجال، وكذلك طلبان والجحشية وتنينير والعبيدية مدن تتقارب اوصافها، وفيها ما له اقليم كبير ورستاق واسع وعمل صالح ودخل وأشجار وكروم وسفرجل موصوف.

١٩ — ومدينة آمد على جبل من غربي دجلة مطلّ عليها من نحو خمسين قامة، وعليها سور اسود من حجارة الأرحية ويسمّى ذلك السور ميموناً لشدّة سواده، وذلك انه من حجارة أرحيـــة الجزيرة، وليس لحجارته في جميع الأرض نظير، ومنها ما يساوي الحجر للطحن به بالعراق من خمسين ديناراً الى اكثر واقل، وسور خلاط وجامعها واكثر ابنيتها من هذه الحجارة وكذلك جامعها، غير انها اصغر منهـا واقل سمكاً في عرض وطول. وبآمد مزدرع داخل سورها ومياه وطواحن على عيون تنبع منها، وكان لهـــا ضياع ورساتيق وقصور ومزارع برسمها هلكت بضعفهم واقتدار العدو عليهم وقلة المغيث والناصر، ولم يبق للمسلمين ثغر أجلّ ولا امنع جانباً سوره منه، وقلما ينفع السور بغير رجال والسلاح بغير مقاتل. وإن دام عليهم ما هم به خيف عليهم، لأن سلاطينهم اكثر ما يظهر منهم الرغبة فيها إرادة التسمية على منابرها والدعاء لهم بها، دون ما يجب لأهل الثغور على الملوك من تقوية بالمال والكراع والرجال والعُدّة والعتاد. وقلما بقي ثغر بالمُنى او ينفعه التسمي على منابره بالالقاب والكُنى او نـكى في عدوّه شيء مما يظاهر به اهل زماننا وملوكنـــا من ذلك، لأنهم بالجمع والمنع في شغل عن صلاح الرعايا وتأمّل الرزايا، وكأني بـه وقد قيل أسلمه أهله او دخل تحت الجزية من فيه، والله من ورائه دافعاً ومانعاً. (قال كاتب هذه الاحرف: دخلتها سنة اربع وثلاثين وخمس مائة ولم يكن بهـــا إلا بقايا رمق، وفيها من الصدور والاجلاء والرؤساء والمشائخ والفضلاء وارباب العلم والحكم وأصحاب الفقه والادب، وذوي اليسار والمروؤة والإفضال والكرم والنوال ومؤاساة الغريب والقريب جماعة، فلم يزل بها جور بني نيسان وظلمهم وكثرة الاضطهاد والاجحاف والمصادرات والتضييق عليهم، ومطالبتهم برسوم ومؤن وضعوها لم تك فيها قبل وتكلفهم ما لا يطاق، فألجأهم ذلك الى التشتت عن الاوطان والبعد عن الاهل والاخوان، فخربت بيوتهم وانمحت آثارهم فلم يبق بأسواقها حانوت معمور، فضلا ان يقـــال مسكون، ومع ذلك وسمهم بسمة ردية بحيث كان احدهم اذا دخل بلدة وقصد ناحية غير اسمه وأنكر بلده، خوفاً على نفسه وصيانة لعرضه

ودمه ، الى ان فرّج الله عمن بقي بها وافتتحها الملك العالم العـادل المؤيّـد المظفـّر المنصور نورالدين فخر الاسلام ابوعبدالله محمد بن قرا ارسلان بن داود بن سكان الارقيقي ، خـلد الله دولته وثبـت وطأته ، وذلك في اول سنة تسع وسبعين وخمس مائة ، فأطلق لهم الابواب ورفع المكوس ومحى تلك الرسوم المذمومة ، وفعل فعل الاكارم الاجواد الطـلاعين في الفضل ذروة الأنجاد مغتنماً للذكر الجميل والأجر الجزيل ، والآن قد دبّت الحياة في عروق اهلها اليها وإفاضة العدل من مالكها عليها ، ان شاء الله تعالى وهو الموفق والمعين) .

٢٠ — (وميافارقين مدينة جليلة عظيمة الخطر عليها سور من حجارة وفصيل وخندق عميق، مصطلكة العمارة ضيقة الاسواق وبها مسجد جامع لا بأس به، والفواكه والاشجار والانهار محتفة بها وفي هوائها وخامة ما . وماردين حصن حصين منيع لا يرام ولا يقدر عليه ، مبني على قلة جبل شاهق في الهواء وهو مشرف على تلك الجبال شرقاً وغرباً شمالا وجنوباً ، لا يدانيـه قلة جبل البتة وفيه من الذخائر والعدّة والاسلحة ما لا يمكن حصره ، ومن تحته في ناحيـة الجنوب ربض عامر منغصّ بالسكان ضيق الاسواق ، وليس بين أيديهم حائل يمنعهم من النظر الى برّية رأس العين والخابور وسنجار ، ومياههم من عيون مجرورة في قنوات وقـد استحدثوا الآن الصهاريج والبرك ليجمعوا ماء المطر ، حيث كثر الخلق وازدادت العمارة . ولهم الفواكه الكثيرة اللذيذة والكروم الواسعة والهواء الصحيح والرخص . وتحتها في الصحراء من جانب القبلة ، على اربع فراسخ منها او اقل ، موضع يعرف بسوق دُنيسر كان قبل هذا قرية يجتمع النـاس في صحرائها كل يوم احد للبيع والشرى ، فانعمرت الآن عمارة كثيرة واتخذ بها الخانات والفنادق والحمامات والاسواق والبيع والشرى ، يجلب اليها الجهاز من سائر البلدان ، قد استوطنها الناس من كل فج عميق وكثر بها الارتفاع والضمانات . واما حصن كيفا فهي قلعة حصينة منيعة ذات شُعب مدفونة بين الجبال سوى جانبها المشرف على الدجلة من الجانب الغربي عن الدجلة ، وفيها شعاب وأودية لا يُقدر عليها وبين يديها على الدجلة قنطرة عالية حسنة البناء ، استحدثها الامير فخرالدين قرا ارسلان بن داود في عشر خمس مائة ، وتحتها ربض عامر فيه الاسواق والحمامات كالفنادق والمساكن الحسنة ، وبناؤهم بالحجر والجص ولها رساتيق كثيرة وضياع عـامرة وهي وخمة الهواء وبية لا سيا في الصيف) .

٢١ — وجزيرة ابن عُمرَ مدينة صغيرة لها اشجار وثمار ومياه ومرافق وخصب وعليها سور . ولما بلغها الروم لم يقفوا عليها، وبينها وبين الموصل ثلاثون فرسخاً وهي أيضاً على شفا جرفٍ بين الخوف والرجاء؛ وبها تجارة دائمة لو تركتها السلاطين وربحٌ ومُضطرَبٌ لو لم يجرِ فيها حكم الشياطين والخوارج . وهي فرضة لأرمينيه وبلاد الروم ونواحي ميافارقين وارزن، وتصل منها الى الموصل المراكب مشحونةً بالتجارة كالعسل والسمن والمن،

والجبن والجوز واللوز والبندق والزبيب والتين الى غير ذلك من الانواع، وهي أحسن تلك الناحية عمارةً وأرجاها سلامةً لوفور أهلها وكثرة خصبها وليست كارزن وميافارقين من خلوّ المنازل وعدم الأكرة وأهل الضياع وقلّة الماشية والكراع . والجزيرة متّصلة بجبل ثمنين وباسورين وفيشابور، وجميعها في الجبل الذي منه جبل الجوديّ متّصل بآمد من جهة الثغور وأعالي البلد بأعمال مرعش واللكام وبأسافلها . فلا يبعد من دجلة الى مدينة السِنّ التي على شرقيّ دجلة في حدود جبل بارمّا ويتّصل بجبال شهرزور . والسنّ مدينة لطيفة بينها وبين تكريت بضعة عشر فرسخاً ، عليها سور قد خرب أكثره ، وفي أهلها جور وشرّ وبينهم حِنات وضغائن وليست ببعيدة الخراب . وبينها وبين مدينة البوازيج أربعة فراسخ ، وهي مدينة على الزابِ الصغير من غربيّه ، يسكنها قوم خوارج الغالب عليهم إيواء اللصوص وفعل القبائح وشرى السَرِقات ، وما يأخذه بنو شيبان من قطع الطريق . والى مدينة السنّ مصب الزابِ الأصغر في دجلة عن غلوَةٍ منها ، والسِنّ مضمومة الى عمل الجزيرة وليس البَوازيج منها ولا في ضمنها لأنها مذ كانت لمن غلب .

٢٢ — وديار مُضر فهي من هذه الجزيرة قائمة حدودها ، وكذلك ديار بكر وديار رَبيعَةَ تُعرف كل ناحية من المجاورة لها بأوصافها وأقطارها وحدودها ومدنها . وأجلّ مدينة لديار مُضَر الرقة وهي والرافِقَة مدينتان كالمتلاصقتين ، وكل واحدة بائنة من الأخرى بأذرع كثيرة ، وفي كل واحدة منهما مسجد جامع، وهما على شرقيّ الفُرات وكان لهما عمارة وأعمال ورساتيق وكور، فقلّ حظهما من كل حال وضعُفَت بما حملها سيفُ الدولة، تجاوز الله عنه من الكُلَف والنوائب والمغارم ومصادرة أهلها مرّةً بعد أخرى . وكانت خصبة رخصة الأسعار حسنة الأسواق وفي أهلها ولاءٌ لبني أميّة شديد . وفي غربيّ الفرات بين الرقة وبالس أرض صِفّينَ وبها قبر عمّار بن ياسر وأكثر أصحاب عليّ عليه السلام ، وصِفّين أرض على الفُرات مطلّة من شرفٍ عالي السمك ويرى مَن كان بالفرات منه عجباً وذلك انه يرى قبوراً في موضعين : أحدهما أعلى من الآخر ، ويعدّ في

أَحد الموضعين دون العشرة قبور وفي الآخر نحو عشرين قبراً ، ويصعد الى المكان فلا يرى لذلك أثراً ولا يحسّ منه خبراً ، وإني لأستقبح أن أحكي هذه الحكاية ولكني بلغتني فكذّبتها ، ثم رأيتهـا فلزمني حكايتها تصديقاً لمن تقدّم بالحكاية اليّ وإن عرّضتُ نفسي للتهم على أنّ اكثر من قُتِل من أصحاب عليّ هناك معروفة قبورهم . وخبّرني مَن رأى هنالك بيتاً ينسب أنه كان بيت مال عليّ بن أبي طالب عليه السلام . وحرّانُ مدينة تلي الرقّة في الكبر ، وهي مدينة الصابئين وبها سدنتهم ولهم بها طربال كالطربال الذي بمدينة بلخ عليه مصلى الصابئين ، يعظمونه وينسبونه الى إبرهيم وهي بين تلك المدن قليلة الماء والشجر وزروعها مباخس . وكان لها غير رستاق عظيم وكورة جليلة فافتتح الروم أكثرها وأناخت بنو عقيل وبنو نمير بعَقْوتها وببقعتها ، فلم يبقَ بها باقية ولا في رساتيقها ثاغية ولا راغية، وهي مدينة في بقعة يحتفّ بها جبلٌ مسيرة يومين في مثلها وجميعها مستواة . ومدينة الرُها في شمال هذه البقعة وكانت وسطة من المدن ، والغالب على أهلها النصارى ، وبها زيادة على ثلاثمائة بيعةٍ وديرٍ ذي صوامع فيه رهبانهم وبهـا البيعة التي ليس للنصرانية أعظم ولا أبدع صنعةً منها . ولها مياه وبساتين وزروع كثيرة نزهة ، وهي أصغر من كفَرْتوثا وكان بهـا منديل لعيسى بن مريم ، فخرج نقفور في بعض خرجاته ونزل بهم وحاصرهم وطالبهم به فسلموه اليه على هُدنةٍ وافقوه على مدّتهـا . [وهذه البيعة قـد خرب أكثرها ولم يبق منها إلا الطاق الأعظم في تأريخ ثمانين وخمس مائة] .وجسر منبج وسميساط : مدينتان نزهتان ذواتا مياه وبساتين ومباخس وأشجار ، وهما عن غرب الفُرات في حالِ اختلالٍ ورزوح حالٍ .

٢٣ — وأما قرقيسيا فمدينة على الخابور ولهـا بساتين وأشجار كثيرة وفواكه . وهي في نفسها نزهة ويجلب من فواكهها وفواكه الخابور الى العراق في الشتاء ، وإن كان الاختلال قد شابها وبينها وبين مدينة الخانوقة يومان ، وهي مدينة لطيفة وزحة الحال وقتنا هذا [ابتناهـا مالـك بن طوق صاحب الرحبة] . ورَحْبة مالك بن طوق أكبر منها وهي كثيرة الشجر والمياه في شرقي الفرات وقد عراها الاختلال، وهي ذات سور صالح ولها

نخيل وثمر وسقي كثير من جميع الغلاّت . وهيت مدينة وسطة عن غربيّ الفرات ، وعليها حصن وهي أعمر المدن المتقدّم ذكرها وتحاذي تكريت في الحـــدّ الغربيّ من العراق . وتكريت في شمال العراق وبهيت قبر عبدالله بن المبارك الزاهد العابد الأديب . والأنبار بلد السفّاح وكانت داره التي يسكنُها عامرةً آهلةً كثيرةَ النخل والزروع الجيـــدة والثمار والأسواق الحسنة على شرقي الفُرات ، فتغـيّرت وخربت . ومنها أبو بكر بن مجاهدٍ صاحب القراآت ومن لم يساوه في القراآت أحدٌ ، ونجمَ منها غير رئيس في صناعة الكتابة والفقه والعلم .

٢٤ — وبالجزيرة براريّ ومفاوز وسباخ بعيدة الأقطار تُنتَجَع لامتيار الملح والأُشنان والقلى . وكان يسكنها قبائل من ربيعة ومضر : أهل خيلٍ وغنمٍ وإبل قليلة ، وأكثرهم متصلون بالقرى وبأهلها فهم بادية حاضرة فدخل عليهم في هذا الوقت من بطون قيس عيلان الكثير من بني قشير وعُقيل وبني نمير وبني كلاب ، فأزاحوهم عن بعض ديارهم بـــل جُلّها وملكوا غير بلدٍ وإقليم منهـا كحرّان وجسر منبج والخابور والخانوقة وعَرابان وقرقيسيا والرحبة في أيديهم يتحكمون في خفائرها ومرافقها .

٢٥ — والزابيان نهران عظيمان كبيران إذا جُمِعا كانا كنصف دجلة وأكثر ، وهما من شرقيّها ومخرجها من الجبال التي بين نواحي اذربيجان متسرّبة من أقتار ارمينيه ونواحي اذربيجان من جنوبيّها ، وبين ذين النهرين مراعٍ كثيرة وبلاد كانت الضياع بها ظاهرةً والسكّان بها الى عن قريب على حال صالحة وافرة ، فتكاثرت عليهم البوادي واعتورتهم الفتن فصارت قفاراً من السكان يباباً بعد العمران ، وهي في الشتاء مُتشاتىً للأكراد الهذبانيّة ومصائف لبني شيبان .

٢٦ — ومدينة تكريت على غربيّ دجلة وأكثر أهلها نصارى مطلّة على جبل عظيم شاهق ، وعلى ظهر هذا الجبل منها الموضع المعروف بالقلعة ، وكانت حصناً ذا مساكن ومحالّ يشملها سور حصين ، وهي قديمة أزلية وتجمع سائر فِرق النصارى . وبهـا من البيع والأديرة القديمة التي تقارب عهد عيسى عليه السلام وأيام الحواريّين ، لم تتغـيّر أبنيتها وثاقـةً وجلداً

ومن أعظم بيعة بها محلاً وأقدمها بيعة الخضراء . وأبنيتهم بالجص والحجر والآجر والحصى . ومن أسفل تكريت يشق نهر الدُجيل الآخذ من دجلة على بعض مساكن تكريت وفي فنائها ماراً الى سواد سر من رأى فيعمره الى بغداد .

٢٧ — وعانة مدينة صغيرة في وسط الفُرات يطوف بها خليج من الفرات ، وبالفرات غير مدينة كهي في جزيرةٍ قد أحاط بها الماء ، وقرية حسنة ذات شجر ومساكن وجامع ، ومن ذلك التغلبي والعبدلية والنهية ، وتقارب أصاغر المدن في الحال وتلتف مشاجرها بالنخيل والكروم ، والحديثة ولها جامع وأسواق وتانئة وأهل لهم عدد وألوسُ وهي دونها ، ولها جامع وسوق والخزانة ، وتقارب ألوسَ في الحال . وهذه المدن وإن كانت في الماء وقد أحاط بها فلها مزارعُ وقرىً وأكرةٌ وقصورٌ من جانبي الفرات ، يكثر خيرُها ويبين على أهلها نفعها وريعها . والدالية مدينة صغيرة بشطّ الفُرات عن غربيّه وبها أُخذ صاحب الخال الخارج بالشام على بني العباس .

٢٨ — وجبل الجودي بقرب الجزيرة وفيه القرية المعروفة بثمنين التي يقال ان سفينة نوح عليه السلام استقرّت عليه لقوله تعالى : واستوَت على الجودي[1] ويتصل هذا الجبل كما ذكرتُ بالثغور باللكام ، ويقال أن جميع من كان مع نوح عليه السلام في السفينة ثمانون رجلًا فبنوا هذه القرية ولم يعقب منهم احد فسمّيت باسم عددهم .

٢٩ — وحصنُ مَسلمة فإن مسلمة بن عبد الملك اتخذه ، وكانت طائفة من بني أمية تسكنه من تلقاء الفرات وفي حاجره ، وكان شرب اهله من السماء وأرضه مباخس ، وتل بني سيّار مدينة كانت صغيرة وكان اكثرها للعباس ابن عمرو الغنوي وقومه ، فخربت في مدّة ادركتُها ثم عمرت وقد عادت الى الخراب حالها بعد ان تراجع اليها اهلها ، وهي على مرحلة من رأس العين واتصل خراب تل بني سيّار بخراب باجروان ، وكانت منزلاً خصباً

١ — سورة هود ١١ الآية ٤٦ .

نزهاً واسعاً ، وكانت عن منكب طريق حرّان الى الرقــة . وسَروج رستاق له مدينة خصبة تعرف بسَروج، عن شمال طريق حرّان الى جسر منبج ، حصينة ذات سور كثيرة الاعناب والفواكه والزبيب، ويُعمل من زبيبها لكثرته الرُبُّ ويتخذ منه الناطفُ وهي من حرّان على يوم .

٣٠ ــ وهذه جمل أخبار الجزيرة وأوصافها وجميعها قد تغيرت آثارهـا وانتقلت أحوالها الى النقص والاستحالة .

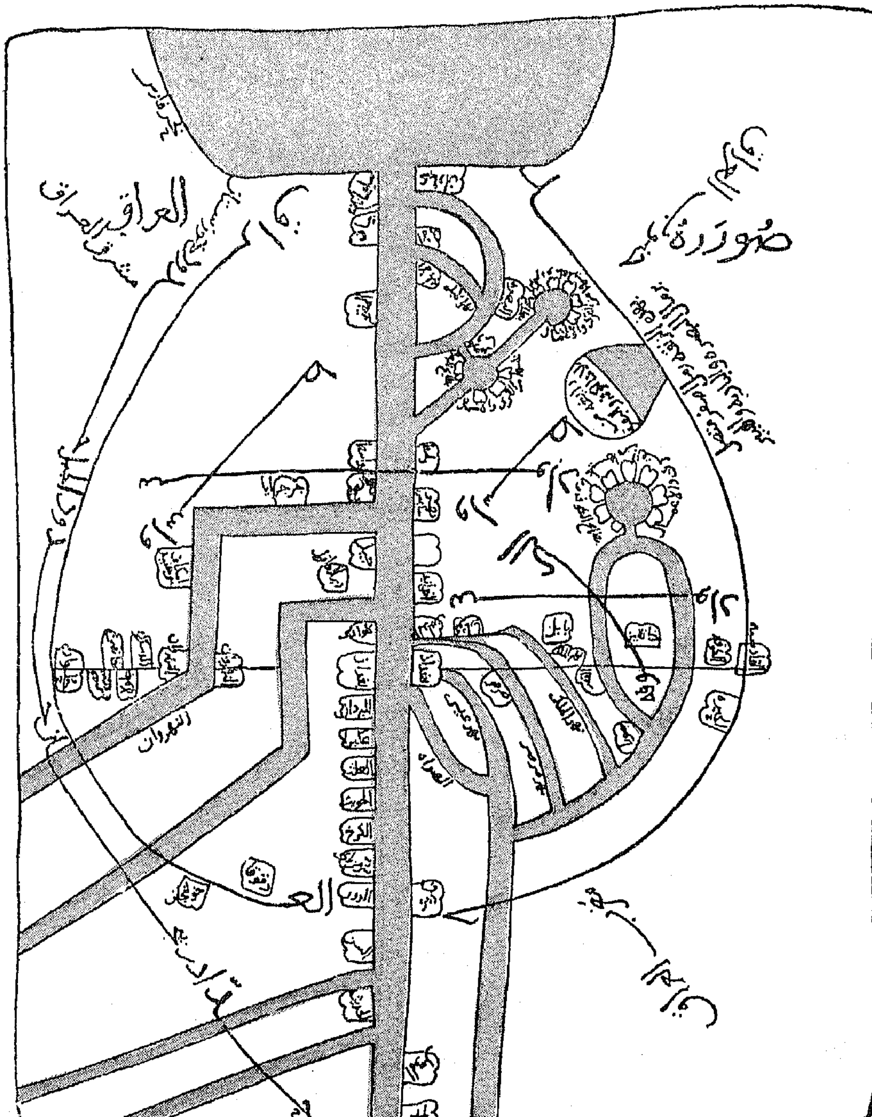
العــراق

١ ـ وأما العراق فإنه في الطول من حد تكريت الى عبّادان، وعبادان مدينة على نحر بحر فارس ، وعرضه من القادسية على الكوفة وبغداد الى حُلوان ، وعرضه بنواحي واسط من سواد واسط الى قرب الطيب ، وبنواحي البصرة من البصرة الى حدود جُبّى . والذي يُطيف بحدوده من تكريت فيما يلي المشرق حتى يجوز بحدود سهرورد وشهرزور ثم يمر على حدود حلوان وحدود السيروان والصيمرة وحدود الطيب والسوس حتى ينتهي الى حدود جُبّي ، ثم الى البحر فيكون في هذا الحد من تكريت الى البحر تقويس ، ويرجع على حد المغرب من وراء البصرة في البادية على سواد البصرة وبطائحها الى واسط ، ثم على سواد الكوفة وبطائحهـا الى الكوفة ثم على ظهر الفرات الى الانبار، ثم من الانبار الى حد تكريت بين الدجلة والفرات ، وفي هذا الحد من البحر على الانبار الى تكريت تقويس ايضاً . وهذا المحيط بحدود العراق وستأتي اوصافه مفصّلة ان شاء الله .

٢ ـ والصورة التي في باطن هذه الصفحة صورة العراق .

إيضاح ما يوجد في صورة العراق من الأسماء والنصوص :

قد صوّر في اعلى الصورة بحر فارس وينصب فيه نهر دجلة قاطعاً لوسط الصورة ، ويقرأ في القسم الاعلى من الصورة من جانبي النهر صورة العراق ، وفي الزاويتين الأعلايين جنوب العراق ومشرق العراق ، وكتب من جانبي النهر على شكل خطين مقوسين حد العراق ، وموازياً للخط الأيسر حدود خوزستان ثم حدود الجبل ثم حدود اذربيجان . وفي اسفل الصورة في الزاوية اليمنى مغرب العراق .



صورة العراق

وقد رسم على جانب النهر الايمن ابتداء من البحر من المدن : عبادان ، الابله ، الابله مرة ثانية : واسط، نهر سابس ، ثم شكل مدينة لا اسم فيها ثم النعمانيه ، المداين ، بغداد ، تكريت ، الموصل ، بلد ، ويأخذ من الابله نهر الابله وحذاء نهايته مدينة البصرة ، وعن يمين البصرة شكلت دائرة كتب حولها بطائح البصرة وما عليها من القرى والاعمال . ويأخذ من تلك الدائرة نهر ينصب في دجلة عند واسط وفي وسط هذا النهر دائرة ثانية يُقرأ حولها مرة اخرى بطائح البصرة وما عليها من القرى والاعمال ، وبين هذه الدائرة وماء البصرة نهر يقرأ عنده نهر معقل ، وعن يمين ذلك ناحية متصلة بخط الحد كتب فيها رايغة من بلاد الكوفة والبصرة ، ومن وراء بهذه الزنقة رمل اصفر متصل برمال البصرة والبادية والهبير ، ثم يقع من اسفل ذلك على الخط المقوّس من المدن القادسيه وعن يسارها الكوفه ثم الحيره .

ويوازي نهر دجلة في القسم الاسفل من الصورة نهر الفرات ويتشعب في عدة شعب تأخذ اثنان منها الى بغداد وهما : الصراه ونهر عيسى ، ثم عن يمينها نهر صرصر وعليه مدينة صرصر ، ثم نهر الملك وعليه مدينة كوثا ربا . وبين هذا النهر والشعبة التالية الى اليمين من المدن : سورا ، القصر ، نهر الملك ، بابل . وبين الشعبتين الآخرتين مدينة الجامعان ، وتجتمع هاتان الشعبتان في دائرة كتب حولها بطائح الكوفة وما عليها من القرى والاعمال، ويشار الى هذه الناحية كلها بكتابة سواد الكوفة على شكل صليبي . وعلى سمت واسط يُقطع نهر دجلة بكتابة سواد واسط، وكتب واسط في كل واحد من جانبيه على شكل صليبي .

وعلى جانب دجلة الايسر رُسم من المدن ابتداء من البحر : سليانان ، بيان ، المفتح ، واسط مرة ثانية ، فم الصلح ، جبل ، وعن يسارها دير العاقول ، ثم كلواذي ، بغداد مرة ثانية ، البردان ، عكبرا ، العلث ، الجويث ، الكرخ ، سُرّ من رأى ، الدور ، السن ، الحديثه . ويصب في دجلة عند فم الصلح نهر كتب عنده النهروان وعليه من المدن ابتداء من دجلة : جرجرايا ، اسكاف بني جنيد ، النهروان وحذاءها النهروان مرة ثانية ، ويأخذ من النهروان طريق الى اليسار الى حلوان عليه من المدن : الدسكره ، جلولا ، خانقين ، قصر شيرين ، وينصبّ عند كلواذي نهر آخر بينه وبين دجلة دقوقا وخولنجان .

٣ — هذا الاقليم اعظم اقاليم الارض منزلة وأجلّها صفة واغزرها جباية واكثرها دخلاً، واجملها اهلاً واكثرها اموالاً واحسنها محاسن وافخرها صنائع ، وأهلُه فأوفرهم عقولاً وأوسعهم حلوماً وأفسحهم فطنة في سالف الزمان والامم الخالية ، وبمثله تجري امور امّة الآخرة يُقرّ بذلك لهم أهل الطاعة والفضائل ولا يمتري فيه اهل الدراية والحصائل . ورأيتُ ببعض الخطوط القديمة أنه كان يُجبى لقُباذ السواد دون سائر اعماله ، وما كان تحت يده وسلطانه مائة الف الف وخمسين الف الف مثقال ، وأن

عُمَر بن الخطّاب رضي الله عنه امر بمساحته فكان طوله من العلث في جري دجلة الى عبّادان مائة وخمسة وعشرين فرسخاً ، وعرضه من عتبة حُلوان الى العُذيب ثمانين فرسخاً عامرة مُغلّة لا يقطعها بَورٌ ولا يلحق عمارتها غِبٌّ ولا فتور ، فبلغت جُربانُه ستة وثلاثين الف الف جريب ، فوضع على كل جريب للحنطة اربعة دراهم وعلى الشعير درهمين وعلى جريب النخل ثمانية دراهم ، وعلى جريب الكَرم والرطاب ستة دراهم ، وختم على خمس مائة الف انسان للجزية على الطبقات ، وأنه جَبى السواد فبلغت الجباية مائة الف الف وثمانية وعشرين الف الف درهم . وجباه عمر بن عبدالعزيز مائة الف الف وأربعة وعشرين الف الف درهم . وجباه الحجاج ابن يوسفَ ثمانية عشر الف الف درهم وأسلف الأكرةَ الفي الف درهم ، وحمل ستة عشر الف الف ومنع اهل السواد من ذبح البقر فقال شاعرهم :

شكونا اليه خراب السواد فحرَّمَ فينا لحومَ البقَر

قال : واجتُبِيَ لكسرى ابرويز خراجُ مملكته سنة ثماني عشرة من مُلكه اربعمائة الف الف مثقال وعشرين الف الف مثقال . قال : ثم بلغت الجباية بعد ذلك ستمائة الف الف مثقال . (وأما في زماننا هذا وهو تاريخ سنة خمسين وخمسمائة فهو اكثر مما ذكره أضعافاً مضاعفة لا احيط بمقداره) .

٤ — فأما ذكر مسافاته فمن حد تكريت الى البحر مما يلي المشرق على تقويسه فنحو شهر ، ومن البحر راجعاً في حد المغرب على تقويسه الى تكريت فمثل ذلك . ومن بغداد الى سُرّ من رأى ثلاث مراحل ومن الكوفة الى القادسية مرحلتان ، ومن بغداد الى واسط ثماني مراحل ومن بغداد الى حُلوان ست مراحل والى حدود الصيمرة والسيروان نحو ذلك . ومن واسط الى البصرة ثماني مراحل ومن الكوفة الى واسط على طريق البطائح ست مراحل ، ومن البصرة الى البحر مرحلتان . وعرض العراق على سمت بغداد من حلوان الى القادسية إحدى عشرة مرحلة ، وعرضه على قمّة سُرّ من رأى من الدجلة الى حد شهرزور والجبل نحو خمس مراحل ، والعامر منه أقلّ من مرحلة ، والعرض من واسط الى نواحي خوزستان نحو أربع مراحل ، ومن البصرة الى جبّي مدينة أبي علي الجبّائي مرحلة .

٥ ـ فأما مدنها فان البصرة مدينـة عظيمة ولم تكن في أيام العجم ، وإنما اختطّها المسلمون أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ومصّرها عُتبة ابن غزوان فهي خِطط وقبائل كلها ويحيط بغربيها البادية مقوّسة وبشرقيها مياه الانهار مفترشة . وذكر بعض المؤلفين من اصحاب الاخبار ان انهار البصرة عُدّة أيام بلال بن ابي بُردة ، فزادت على مائة الف نهر وعشرين الف نهر ، تجري في اكثرها الزواريق . وكنتُ أنكرُ ما ذكره من هذا العدد في أيام بلال حتى رأيتُ كثيراً من تلك البقاع ، فربما رأيتُ في مقدار رمية سهم عدداً من الأنهار صغاراً تجري في جميعها السميريات ، ولكل نهر اسم ينسب به الى صاحبه الذي احتفره او الى الناحيـة التي يصبّ اليها ويفرع ماؤه فيها ، وأشباه ذلك من الاسامي فجوّزتُ ان يكون ذلك كذلك في طول هذه المسافة وعرضها ولم أستكثره . وهي من بين سائر العراق مدينة عُشرية ولها نخيل متصلة من عبداسي الى عبّادان نيّف وخمسين فرسخاً متصلة ، لا يكون الانسان منها بمكان إلا وهو في نهر ونخيل او يكون بحيث يراهما . وهي مستواة لا جبل فيها ولا يكون بحيث يقع البصر على جبـل بتّه ، وبها آثار امير المؤمنين صلوات الله عليه وغير موقف معروف مذ أيام الجمل ، وقبر طلحة بن عبيدالله في نفس المدينة وخارج المِربَد في البادية قبر أنس بن مالك ، والحسن البصري وابن سيرين والمشاهير من علماء البصرة وزُهّادها الى يومنا هذا . ومن مشاهير انهارها نهر الأبلة وطوله اربعة فراسخ ما بين البصرة والأبلة ، وعلى جانبي هذا النهر قصور وبساتين متصلة كأنها بستان واحد قد مدّت على خيط ، ورصفت بالمجالس الحسنة والمنـاظر الأنيقة والابنية الفاخرة والعروش العجيبة والاشجار المثمرة والفواكـه اللذيذة ، والرياحين الغضة المركّب منها مثل الحيوان والبرك الفسيحة المرصوفة . ولا تخلو من المتنزهين بغرائب الملاذّ وتحفّ المتظرّفين منحدرين ومصعدين . ويتشعب فوق البصرة ومن تحتها انهارٌ كثيرة ، فمنها ما يقارب هذا النهر في الكبر ولا يدانيه في الجمال وحسن المنظر الانيق . وكأن نخيلها غُرست ليوم واحد ، وهذه الانهار الكبار كلها متخرّقة بعضها الى بعض ، وكذلك عامة

أنهار البصرة حتى اذا جاءهم مد البحر تراجع المـاء في كل نهر حتى يدخل نخيلهم وحيطانهم وجميع انهارهم من غير تكلّف ، واذا جزر المـــاء عنها وانحط خلت منه البساتين والنخيل وبقيت اكثر الانهار خالية فارغة .
ويغلب على مياههم الملوحة واكثر ما يستسقون الماء لشربهم اذا جزر الماء من آخر حد نهر مَعقِل ، لانه يعذب هناك فلا يضرُّه ماء البحر ، وعلى نهر معقل ايضاً ابنية شريفة ومساكن حسنة عاليـة وقصور مشيَّدة وبساتين ، وضياع واسعة غزيرة كبيرة عظيمة . وكان على ركن الأبلّة في دِجلة بين يدي نهرهـــا خُور عظيم الخطر جسيم الضرر دائم الغرر ، وكانت اكثر السفن تسلم من سائر الاماكن في البحر حتى ترده فيبتلعهـا وتغرق فيه ، بعد ان تدور على وجه الماء أياماً ، وكان يعرف بكرداب الأبُلّة وخورها فاحتالت له بعض نساء بني العبّاس بمراكب اشترتهـــا ، فاكثرتْ منها وأوسقتها بالحجارة العظام وبلّمتها ذلك المكان فابتلعها، وقد توافت على مقدارٍ فانسدَّ المكان وزال الضرر في وقتنا هذا عما كان عليه .
وأكثر ابنيتها بالآجر وهي مدينة عظيمة جليلة خصبة بما حوته عامرة وافرة الأهل حسنة النظم . [حتى أن من طرف نهر معقل اذا سار الانسان على خط مستقيم الى ناحية القبلة يكون بين السور وبين طرف النهر نحو فرسخ او اكثر . قال كاتب هذه الاحرف : دخلتها سنة سبع وثلاثين وخمسمائة وقد خربت ولم يبق من آثارها إلا الأقل ، وطمست محالها فلم يبق منها إلا محال معلومة كالنحاسين وقساميل وهذيل والمربد وقبر طلحـة ، وقد بقي في محلّة بيوت معدودة وباقي بيوتها إما خراب وإما غير مسكونة ، وجامعها باق في وسط الخراب كأنه سفينة في وسط بحر لجيّ ، وسورها القديم قد خرب وبينه وبين ما قد بقي من العمارة مسافة بعيدة ، وكان القاضي عبدالسلام الجبلي رحمه الله قد سوّر على مـــا بقي سوراً بينه وبين السور القديم دون النصف فرسخ في سنة ست عشرة وخمسمائة ، وسبب خرابها ظلم الولاة والجور وايضاً في كل سنة مرّة او مرّتين تشن عليهم البادية الغارات واكثرهم خفاجة، وابتدأ خرابها منذ خرج بها البرقعي وادعى انه علوي وتحصن بنهر الخصيب ، ومحاصرة احمد الموفق بن المتوكل . وسمعت جماعة من اهل البصرة يقولون : كان بها في زمن الرشيد بن المهدي اربعـة آلاف نهر ، يجبى له في كل يوم من كل نهر مثقال ذهب ودرهم نقرة وقوصرة تمر . وسمعت الشيخ وهب بن العباس وكان من جملة الوعاظ المعروفين بالبصرة يحكي عن والده العبـاس انه قال : كان على باب المحلة التي يسكنها دكان بقال منفرد عن السوق، وأن ذلك البقال شكا الى العباس قلة المعاش وذكر انه كان يشتري من دكانه في كل سنة عشرة مكاكي خردل دون باقي

الحوائج ، وفي سنتي هذه قد بقي من مكوكي خردل بقية] . وللبصرة من استفاضة الذكر بالتجارة والمتاع والمجالب والجهاز الى سائر اقطار الارض ما يستغني بشهرته عن اعادة ذكر فيه . ولها من المدن عبّادان والأبُلّة والمفتح والمذار في مجاري مياه دجلة ، وهي مدن صغار متقاربة في الكبر عامرة والأبُلّة اكبرها وافسحها رقعة وهي أحد حدود البصرة من جهة نهرها . والأبُلّة من بينها عامرة وبها اسواق صالحة . ولها حدّ آخر من عمود دجلة مكان يتشعّب منها النهر المعروف بنهر الابلّة ، وينتهي عمود دجلة الى البحر بعبّادان بعد ان يضرب اليه نهر الابلة . وفي اضعاف قراها آجام كثيرة وبطائح الماء تسير فيها السفن بالمرادى لقرب قعرها ، كأنها كانت على قديم الأيام ارضاً مسكونة ، ويشبه ان يكون لمّا بنيت البصرة وشقّت انهارها وكثرت واستغلق بعضها على بعض في مجاريها تراجعت المياه ، وغلبت على ما سفُل من ارضها فصارت بطائح وآجاماً . وللبصرة كتاب يعرف بكتاب البصرة ، ألّفه عمر بن شبّة قبل كتاب الكوفة ومكّة ، يغني عن ذكر شيء من اوصافها . وهذه الكتب موجودة في جميع الاماكن . وأما ارتفاعها وقتنا هذا من وجوه اموالها كلها وجباياتها من أعشارها وجماجمها ومصالحها وضمان البحر بلوازم المراكب ، فإنه زاد وكثر وغلا وغزر وحضرته سنة ثمان وخمسين فكان ذلك في يد أبي الفضل الشيرازي ستة آلاف ألف درهم .

٦ — ومدينة واسط على جانبي دجلة تشقّها بنصفين ، والنصفان متقابلان بينهما جسر سفن يعبر عليه من أراد من أحد الجانبين الآخر ، وفي كل جانب مسجد جامع . وهي مدينة محدثة في الاسلام استحدثها الحجّاج بن يوسف ، وبها حضرُ الحجاز ، وهي مدينة تحيط بحدها الغربي البادية بعد مزارع يسيرة وهي خصبة كثيرة الشجر والنخل والزرع ، وأصح هواءً من البصرة وليس لها بطائح ولها أرض واسعة ونواح فسيحة وعمارة متصلة . وبها قوام مدينة السلام إذا أسنتت نواحيها أو عيهت . ونواحي واسطٍ عمل مفرد من أعمال العراق لعامل جليل نبيه خطير ، وحضرُتها وقد جرى ذكر عقدها على أبي الفضل في سنة ثمان وخمسين

وكان ستة آلاف ألف درهم .

٧ — ومدينة الكوفة قريبة الأوصاف من البصرة ، وهواؤها أصحّ وماؤها أعذب ، وهي على الفرات وبناؤها كبناء البصرة . ومصّرها سعد ابن أبي وقّاص وهي خطط لقبائل العرب إلا أنها خراج بخلاف البصرة ، لأن ضياع الكوفة قديمة أزلية وضياع البصرة أحياء مواتٍ في الاسلام . والقادسية والحيرة والخورنق على سيفّ البادية مما يلي المغرب ويحيط بها مما يلي المشرق النخيل والأنهار والزروع ، وهي والكوفة في أقلّ من مرحلتين . والحيرة مدينة قديمة أزلية طيبة التربة مفترشة البناء ، وقد خفّ أهلها بل لم يبق منهم إلا القليل بعمارة الكوفة ، وبينها وبين الكوفة نحو الفرسخ . وبالكوفة قبر أمير المؤمنين عليّ صلوات الله عليه . ويقال أنه بموضع يلي زاوية جامعها وأُخفي من أجل بني أُمية خوفاً عليه . وفي هذا الموضع دكان علاّف ويزعم أكثر ولده أن قبره بالمكان الذي ظهر فيه قبره على فرسخين من الكوفة ، وقد شهّر أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان هذا المكان وجعل عليه حصاراً منيعاً . وابتنى على القبر قبّة عظيمة مرتفعة الأركان من كل جانب لها أبواب ، وسترها بفاخر الستور وفرشها بثمين الحصر السامان وقد دفن في هذا المكان المذكور جلّة أولاده ، وسادات آل أبي طالب من خارج هذه القبة ، وجُعلت الناحية بما دون الحصار الكبير ترباً لآل أبي طالب . والكوفة في هذا الوقت وأعمالها وسوادها مضافة الى ضمان مدينة السلام ، ومرفوعة أعمالها الى دواوينها ، وحضرتُ ارتفاع السواد سنة ثمان وخمسين وقد ضمنه أيضاً أبو الفضل وسائر طساسيج العراق دون زيادة الصنجة وحق بيت المال فكان ثلاثين ألف ألف درهم . والقادسية مدينة على شفير البادية صغيرة ذات نخيل ومياه ، ويزرع بها الرطاب الكثيرة ويتخذ منه القتّ علفاً لجمال الحاج وغيرها . وليس للعراق بعدها من ناحية البادية وجزيرة العرب ماء يجري ولا شجر .

٨ — ومدينة السلام محدثة في الاسلام ، ابتناها أبو جعفر المنصور في الجانب الغربي من دجلة وجعل حواليها قطائع لحاشيته ومواليه وأتباعه

كقطيعة الربيع والحربية وغيرهما ، ثم عمرت وتزايدت . فلما ملكها المهدي جعل معسكره في الجانب الشرقي فسمي عسكر المهدي ، وتزايد بالناس والبنيان وكثرت عمارتهم وانتقل اسم الخلافة الى الجانب الشرقي فسمّي عسكر المهدي ، وتزايد بالناس والبنيان وكثرت عمارتهم وانتقل اسم الخلافة الى الجانب الشرقي ودارُ من بيده حال من اسم المملكة ، وعمل الى اسفل هذا الجانب بالمُخرّم واستحدث الدار التي في اسفلها للسلطان ، وليس بما وراءها بنيان للعامّة متصل . ويتصل قصور السلطان وبساتينها من بغداد الى نهر بين فرسخين على جدار واحد ، ثم يتصل من نهر بين الى شط دجلة ، ويتصل البنيان بدار خلافتهم مرتفعاً على دجلة الى الشمّاسية نحو خمسة اميال ، وتحاذي من الجانب الغربي الحربية فيمتد نازلاً على دجلة البنيان الى آخر الكرخ . ويسمّى الجانب الشرقي منها جانب باب الطاق وجانبَ الرُصافة ، ويسمّى عسكر المهدي لانه كان عسكر بحذاء مدينة ابي جعفر المنصور [ويبنى هناك مسجد جامع حسن ، والآن فقد خرب ذلك المكان ولم يبق معمور غير الجامع ومقابر قريش والمحلة المعروفة بقبر ابي حنيفة رضي الله عنه . وانتقلت العمارة الى نهر معلى وقد سوّر في زماننا هذا وهو عشر الستين وخمسمائة بسور حصين منيع ، وبين يديه خندق عميق محيط به يتخرّقه ماء الدجلة] ويسمّى الجانب الغربي جانب الكَرخ . وبها مساجد للجمعة وصلاتها خاصة في أربعة مواضع منها فمنها في الجانب الغربي الذي بمدينة ابي جعفر ، وبالرصافة جامع آخر لأهل باب الطاق ، وفي دار السلطان أيضاً جامع يحضره الخاصة والعامة ، ومسجد براثا في الجانب الغربي واستحدثه أمير المؤمنين علي صلوات الله عليه ، وتتصل عمارة الجانب الشرقي في أسفل دار الخلافة بكلواذي ، وهي أيضاً مدينة قصدة فيها مسجد جامع ولو عُدّ في جملة بغداد لجاز لأن كثيراً من أهلها يصلون فيه . وبين الجانبين في وقتنا هذا جسر بقرب باب الطاق ، وكانا اثنين لعبر المجتازين . ولما بان النقص عليها عُطل أحدهما لبيان الاختلال : وهلك أكثر محالها ، وذلك أنه كان من باب خراسان عمارة الى أن تبلغ الجسر وتمتد الى باب الياسرية من الجانب الغربي ، وعرضها فقد اختل أيضاً من الجانبين جميعاً

نحو خمسة أميال ، ونقص وهلك منه الكثير وأعمر بقعة بها اليوم الكرخ وجانبه لأن أهل الياسرية ومعظم مساكن التجار هناك . وذكر بعض المؤلفين أن الموفّق أمر بمساحتها فوجد الجانب الشرقي مائتي حبل وخمسين حبلًا ، وعرضه مائة حبل وخمسة أحبُل . ويكون ذلك ستة وعشرين ألف جريباً ومائتين وخمسين جريباً وهذا حساب لا أعرفه . ووجد الجانب الغربي مائتين وخمسين حبلًا والعرض سبعين حبلًا سبعة عشر ألف وخمس مائة جريب ، الجميع ثلاثة وأربعون ألف جريب وسبع مائة وخمسون جريباً . ويكون بفدان مصر حساب كل جريبين ونصف فدان سبعة عشر ألف فدان وخمس مائة فدان ، وكانت هذه مساحة رقعتها .

٩ — فأما الأشجار والأنهار التي في الجانب الشرقي ودار الخلافة فإنها من ماء النهروان وتامرا ، وليس يرفع اليها من دجلة إلا شيء يقصر عن العمارة . وأما الجانب الغربي فيشق اليه من الفرات نهر عيسى من قرب الانبار تحت قنطرة دممّا ، وتتحلب من هذا النهر صبابات تجتمع فتصير نهراً يسمى الصراة يفضي أيضاً الى بغداد [عند المحلة المعروفة بباب البصرة] وعليه عمارات كثيرة للجانب الغربي وتنفجر منه أنهار كثيرة لعمارات الناحية ، ويقع ما يبقى من ماء الصراة الصغيرة والكبيرة فيما يجاور نهر عيسى من بغداد في نحو نصف المدينة ، وعليها كثير من مساكنهم ودورهم وبساتينهم ، فأما نهر عيسى فإن السفن تجري فيه من الفرات الى أن يقع في دجلة والصراة فيها حواجز وموانع من جري السفن بسكور ودوال فيها ، فتنتهي السفن فيها الى قنطرتها ثم يحول ما يكون فيها فيجاور به ذلك الحاجز الى سفن غيرها . وبين بغداد والكوفة سواد مشتبك غير متميز تخترق اليه أنهار من الفرات ، فأولها مما يلي بغداد نهر صرصر عليه مدينة صرصر تجري فيه السفن ، وعليه جسر من مراكب يعبر عليه ومدينة صرصر عامرة بالنخيل والزروع وسائر الثمار صغيرة من بغداد على ثلاثة فراسخ . ثم ينتهي على فرسخين الى نهر الملك وهو كبير ايضاً أضعاف نهر صرصر في غزر مائه ، وعليه جسر من سفن يعبر عليه ونهر الملك مدينة أكبر من صرصر عامرة بأهلها ، وهي أكثر نخلًا وزرعاً

وثمراً وشجراً منها . ثم ينتهي الى قصر ابن هبيرة ، وليس بين بغداد والكوفة مدينة أكبر منها وهي بقرب نهر الفرات الذي هو العمود ويطلع اليها هناك عن يمين وشمال أنهار مفترقة ليست بكبار ، إلا أنها تعمهم لحاجتهم وتقوتهم وهي أعمر نواحي السواد ، ثم ينتهي الى نهر سورا وهي مدينة مقتصدة ونهر كثير الماء ، وليس للفرات شعبة أكبر منه وينتهي الى سائر سواد الكوفة ، ويقع الفاضل منه الى بطائح الكوفة وسورا هذه بين تلك النواحي أكثرها كروماً وأشربة ، وكربلا من غربي الفرات فيما يحاذي قصر ابن هبيرة ، وبها قبر الحسين بن علي صلوات الله عليهما ، وله مشهد عظيم وخطب في أوقات من السنة بزيارته وقصده جسيم.

١٠ — ومدينة سُرَّ من رأى في وقتنا هذا مختلة وأعمالها وضياعها مضمحلة ، قد تجمع أهل كل ناحية منها الى مكان لهم به مسجد جامع وحاكم وناظر في أمورهم ، وصاحب معونة يصرفهم في مصالحهم . وكانت مدينة استحدثها أبو إسحاق المعتصم بن الرشيد ، طولها سبعة فراسخ على شرقي دجلة وكان شرب أهلها منها ، وليس بنواحيها ماء يجري إلا أنهار القاطول التي تنصب بالبعد منها الى سواد بغداد ، والذي يحيط بها فبرية ، وعمارتها ومياهها وأشجارها في الجانب الغربي بحذائها ممتدة ، والمواضع التي ذكرتها مداداً هي مدن قائمة بأنفسها . كدور العربابي والكرخ ودور الحرب وصينية سُر من رأى نفسها في وسطها . ومن أول ذلك الى آخره عند دور الحرب نحو مرحلة لا ينقطع بناؤها ولا تخفي آثارها وهي إسلامية . ولما ابتدأ بناءها المعتصم استتمه المتوكل ، وهواؤها وثمارها أصح من ثمار بغداد وهوائها ولها نخيل وكروم وغلات تحمل الى مدينة السلام [وهي الآن خراب أكثرها] .

١١ — والنهروان مدينة يشقها نهر النهروان بنصفين في وسطها ، وهي صغيرة عامرة من بغداد على أربعة فراسخ كثيرة الغلات والخيرات والنخيل والكروم والسمسم خاصة ، ونهرها يفضي الى سواد بغداد أسفل من دار السلطان الى الاسكاف وغيرها من المدن والقرى فاذا جزت النهروان الى الدسكرة الى حد حلوان خفت المياه والنخيل ، وإن كانت من

الدسكرة الى حد حلوان كالبادية منقطعة العمارة منفردة المنازل والقرى حتى تفضي الى نهر تامرا وحدود شهرزور والى تكريت .

١٢ — فأما المدائن فمدينة صغيرة جاهلية أزلية كسروية آثارها عظيمة ومعالمها قائمة ، وقد نُقل عامـــة أبنيتها الى بغداد وهي من بغداد على مرحلة ، وكانت مسكن الأكاسرة وبها ايوان كسرى المشهور ذكره بحديث سطيح وغيره الى يومنا هذا ، وهو إيوان معقود عظيم جسيم من آجر وجص وليس للأكاسرة أثر ولا بنية كهو . وينعت هذا الاقليم بأرض بابل وكانت مدينة النماردة والفراعنة وقرار ملكهم وحومة نعمهم ، وهي الآن قرية صغيرة وهي أقدم أبنية العراق عهداً ، استحدثها ملوك الكنعانيين وسكنوها ومن كان بعدهم ، وكانت دار مقامهم وبها آثار أبنية تخبر أنها كانت في قدم الأيام مصراً عظيماً ، ويرى آخرون أن الضحّاك أول من بناها وسكنتها التابعة ودخلها ابراهيم عليه السلام . [وتجاهها حلة ابن مزيد : مدينة محدثة استحدثها منصور بن مزيد الاسدي في سني التسعين واربعمائة غربي الفرات منغصة بالناس ، كثيرة الاسواق دائمة الشرى والبيع وبها مسجد جامع حسن كبير وجبايتها ربما زادت على الف دينار] . وكوثي ربّا مدينة يزعم قوم انهـا كانت اكبر من بابل ، ويقال ان ابراهيم الخليل عليه السلام بها طُرح في النار . وكوثي بلدان وناحيتان : تعرف إحداهما بكوثي الطريق ، والاخرى ربّا . وبها تلال رمادٍ عظيمة ويزعمون أنها نار النمرود بن كنعان التي طرح فيها ابراهيم . والجامعان منبر صغير حواليها رستاق عامر خَصِب جدًّا يحاد نواحي المدائن . والمدائن من شرقي دجلة ومن بغداد على مرحلة . ويقال : انه كان في أيام الفرس قد عُقد بها على الدجـلة جسر من آجُرّ ، وليس لذلك اثر في هذا الزمان . وقد حُكيت هـذه الحكاية عن تكريت ، وأنه كان على الدجلة بها عُقد جسر من آجر يُعبر عليه في أيام الهياطلة ، وأدركتُ أثراً من ذلك يشهد له في سني نيّف وعشرين وثلاثمائة .

١٣ — فأما عُكبرا والبردان والنعمانية ودير العاقول وجبُّل وجرجرايا وفمّ الصلح ونهر سابس وسائر ما ذكرته على شط الدجلة من المدن ، فهي متقاربة في الكبر وليس بها مدينـة كبيرة وهي مشتبكة العمارة ولكل

مدينة من ذلك كورة ، والبوارج شرقي تكريت وهي على النهر الصغير الـذي من بلاد الدربند وشهرزور ، ولها نهر يأخذ من الزاب من اعلاها مسيرة اربعة اميال ويجيء اليهـا من قبلها ، ويقسم بمقاسم عملت من الآجر أفواه الانهار نهر الى شرقها ونهر الى غربيهـا ، يسقي بساتينها وأقطانها ، ونهر يسمى السن يدخل تحت السور من قبلها ويشق في وسطها وفي اسواقها ، وعليه مرابع بالآجر وربما دخل واحد دكانه واستقى الماء من طاقه . ويخرج منها النهر فيسقي البساتين والاقطان الى شمالها وشرقها ، وهو ماء كثير . وفيها ايضاً نهر صغير يشق وسط البلد ويروح الى غربي البلد يسقي الاقطان والبساتين . وفي بساتينها فاكهة مليحة واكثرها الرمـان والرطب . واهلها لينو العريكة محبو الغريب ويتعصبون له وربما حُمل من فاكهتها الى الموصل وينادي عليه باسمها ، وربما أبيع فاكهة غيرها باسمها لشهرتها بالجيد . ورؤساؤهـا قوم بنو يعرب من بجيلة من ولد جرير بن عبدالله البجلي ورؤساء نصفها الآخر من بني هود يقال لهم بنو هود بن قحطان ، وهؤلاء رؤساء الجانبين مختلفون في المذهب فبنو يعرب شيعة وبنو هود سنّية، ولكل منهم تبع عظيم وربما يجري بينهم شيء من القتال على ذلك ، إلا أنهم يزوّجون بعضهم من بعض ولا يزوجون غريباً ولا يتزوجون من غريب ، وكانوا قديمـاً من عسكر علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما فتح تكريت اخذوها وسكنوها بعد مقتله بالكوفة ، وهي مبنية بالطوب الذي هو اللبن والجص مساكن مرتفعة جداً أحسن من أربل) . وحلوان مدينـــة ليس بالعراق بعد البصرة والكوفة وواسط أعمر منها ولا أكثر خِصباً . وجُل ثمارها التين وهي بقرب الجبل وليس للعراق مدينة تقرب من الجبـل غيرها ، وربما سقط بها الثلج . فأما أعلى جبلها فالثلج يسقط به دائمـاً . وبالدسكرة نخيل وزروع كثيرة وبخارجهـا حصن من طين داخله فارغ وهو مزرعة ، ويقال أن ملكها كان يقيم به في بعض فصول السنة فسمّيت دسكرة الملك لذلك .

١٤ ــ وقد قدّمتُ القول بالتقويس الذي في حد العراق من نحو تكريت الى أن يجاوز مشرقاً عن دجـــلة الى قرب العلث بالطول على مثال القوس الى الدسكرة ، ثم يتصوّب على مثال القوس الى حد عمل واسط من حد العراق الى حد الجبل فانه قليل العمارة ، وفيه قُرى مفترشة والغالب عليها الأكراد والاعراب وهي مراع لهم . وكذلك من تكريت عن غربيّها الى ان تنتهي الى الانبار بين الدجلة والفرات قليل العمارة ، وانما العمارة منه ما يحاذي سُر من رأى اميال يسيرة والبـــاقي هي بادية .

١٥ – ولم أبالغ في وصف العراق لاكثار الناس فيها ووصفهم المستفاض لها واشتهار عامة ما يُذكر منها ، وهذه صفة جامعة لها واذ قصدي فيها وفي غيرها اثبات هيآتها في الصورة وموقع بعضها من بعض . وأما ارتفاعها فبمعزل من ارتفاع البصرة وواسط في وقتنا هذا ، وقد قدّمتُ ذكر ذلك في غير موضع من قديم وحديث ، وحضرتُ عقد ضمانها من حدّ تكريت الى حد واسط بجميع طساسيجها وأعمال الكوفة المضمومة اليها من جميع وجوهها وأسبابها على ابي الفضل الشيرازي، في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، وكان دون زيادة الصنجة وحق بيت المال ثلاثين الف الف درهم ، وقد تقدّم ارتفاع البصرة وواسط عند ذكرهما وأنهما تُضُمّنا معاً باثني عشر الف الف درهم في هذه السنة المذكورة] .

القسم الثاني

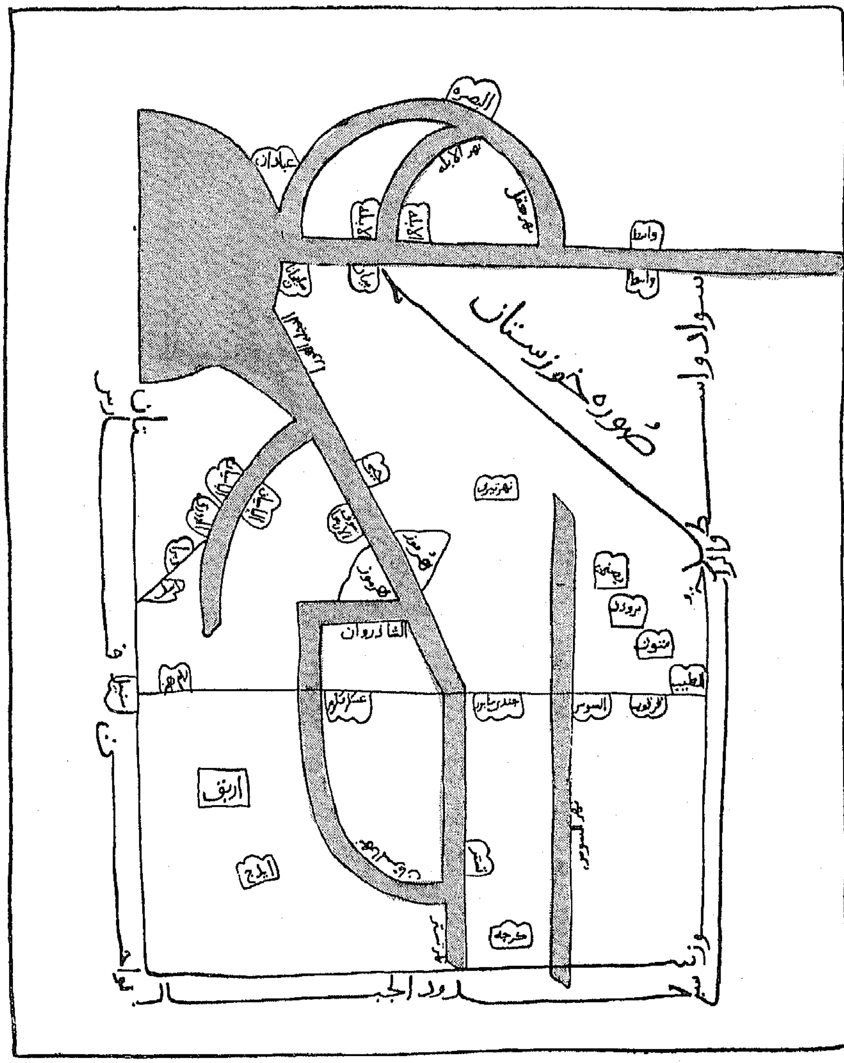
خوزستان

١ — وأما حدود خوزستان ومحلّها مما يجاورها من البقاع المضافة اليها والمصاقبة لنواحيها ، فان شرقيها حد فارس واصبهان . وبينها وبين حدّ فارس من حد اصبهان نهر طاب ، وهو الحد الى قرب مهروبان ، ولهذا النهر رستاق كبير وناحية واسعة وهو نهر عميق عليـــه جسر من خشب معلق بين السماء والماء ، وبينه وبين الماء نحو عشرة اذرع يعبر عليه سيارة تلك الناحية والمجتازون بها . ثم يصير الحـــد بين الدورق ومهروبان على الظهر الى البحر . وغربيّها حد رستاق واسط وأعمالها ودور الراسبي ، وشماليها حد الصيمرة والكرج واللور حتى يتصل على حدود الجبـال الى اصبهان ، على أنه يقال أن اللور وأعمالها كانت من خوزستان فحوّلت الى الجبال . وحد خوزستان مما يلي فارس واصبهان وحدود الجبال من واسط على خط مستقيم في التربيع ، إلا أن الحد الجنوبي من حد عبّادان الى رستاق واسط يصير مخروطاً ، فيضيق في التربيع عمّا قابله وفيه من حـد الجنوب أيضاً من حد عبّادان على البحر الى حد فارس تقويس يسير في الزاوية ، وينتهي هذا الحدّ آخذاً الى المغرب ذاهباً الى الدجلة حتى يجاوز بيان ، ثم ينعطف من وراء المفتح والمذار الى أن يتصل برستاق واسط من حيث ابتدائه .

٢ — والصورة التي في بطن هذه الصفحة صورة خوزستان .

إيضاح ما يوجد في صورة خوزستان من الأسماء والنصوص :

قد رُسم البحر في الزاوية اليسرى من اعلى الصورة على شكل نصف دائرة ويصب في البحر



صورة خوزستان

نهر دجلة آتياً من اليمين ، وعلى هذا النهر ابتداء من اليمين مدينة واسط وفي الجانب الآخر واسط مرة ثانية . ثم تتشعب من اعلى النهر شعبة كتب عندها نهر معقل ، ويمر على خط مدوّر بمدينة البصرة الى ان تصب في البحر عند عبادان في موضع مصب دجلة . ويأخذ من حذاء البصرة نهر الابله الذي ينتهي الى عمود دجلة عند مدينة الابله المشكلة من جانبيه ، وتجاه الأبلة على دجلة مدينة بيان ثم عند مصبها سليانان .

وكتب ابتداء من عند بيان حد خوزستان على خط مستطيل يأخذ اولا الى وسط الطرف الأيمن ، يوازي هذا الطرف الى اسفل الصورة ، ثم يوازي الطرف الأسفل ثم يعطف الى الاعلى راجعاً الى البحر . ويوازي كلمة حد عن اعلى يمينه كتابة صورة خوزستان ، وتبتدىء من عند واسط الى الاسفل كتابة سواد واسط والراسي ، ثم يوازي القسم الاسفل من الحد حدود الجبال وبعد ذلك موازياً لآخر الحد الى الفوق نواحي فارس .

ويأخذ من وسط اسفل الصورة نهر تستر وارداً الى البحر وكتب عند مصبه الدجلة الهوزا . وعن يمين هذا النهر في اسفل الصورة مدينة كرجة ثم على النهر تستر، ثم جندي سابور ثم هرموز ثم جبى . وبحذاء تستر يتشعب من هذا النهر نهر المسرقان ماراً بمدينة عسكر مكرم ثم يعطف الى اليمين راجعاً الى عمود نهر تستر عند النصف الأيسر من هرموز ، وكتب مقابلا لهرموز الى الاسفل الشاذروان ، ثم من اعلى هرموز على عمود النهر سوق الاربعا ، ويوازي نهر تستر في القسم الايمن من الصورة نهر السوس ، عليه مدينة السوس وعن يسار نهايته نهر تيرى . ويقع عن يمين نهر السوس من المدن : قرقوب ، الطيب ، متوث ، برذون ، بصنى .

ويصب في نهر تستر بقرب فوّهته نهر آخر يأتي من اليسار عليه الباسيان من الجانبين ثم الدورق ، وعلى الطريق الآخذ من الدورق الى اليسار ديرا واسك ، ويمتد الطريق الآخذ من الطيب عند الحد الايمن على قرقوب والسوس وجنـدي سابور وعسكر مكرم الى رام هرمز ثم الى سنبيل على الحد الايسر . وفي الساحة من تحت هذا الطريق مدينتا اربق وايذج .

٣ — وهذه مواقع خوزستان وما ارتفع في كورها من مدنها . والاهواز مدينة تعرف بهرموز شهر وهي الكورة العظيمة والناحية الجسيمة التي ينسب اليها سائر المدن والكور (والآن فقد خرب اكثرها وانجلى اهلها وصارت مدينة عسكر مكرم اكثر عمارةً منها) وعسكر مُكرم وتُستَر وجُندي سابور والسوس ورامُ هرمز والسرّق ، وكلما ذكرتُه من كورة فهو اسم المدينة غير السرق فان مدينته الدورق ، وهي المعروفة بدورق الفرس وابذج ونهر تيرى وحومة الزُط والجايزان وهما واحد ، وحومة الثينان وسوق سنبيل ومَناذُر الكبرى ومناذر الصغرى وجبّى والطيب وكليوان ،

فهذه مدن ولكل مدينة كورة . ومن مدنها المشهورة المعروفة في جميع الارض بِصِنّي المذكورة على ستورها المجلوبة الى جميع اقاليم الدنيا . وازم وسوق الاربعاء وحصن مهدي والباسيان وبيان وسليانان وقرقوب ومتوث وبرذون وكرجه وهي جميع ما لها من المنابر .

٤ — وخوزستان أجمعها في مستواة من الارض سهلة ذات مياه جارية، وأكبر أنهارها نهر تُستَر وهو النهر الذي بنى عليه سابور الملك الشاذروان بباب تستر حتى ارتفع ماؤه الى المدينة ، لأن تستر على نشز مرتفع عما داناها من الارض يجري هذا النهر من وراء عسكر مكرم على الأهواز حتى ينتهي الى نهر السدرة الى حصن مهديّ ويقع في البحر . ويجري من ناحية تستر نهر المسرقان حتى ينتهي الى عسكر مكرم ويشقها بنصفين ، ويتصل بالاهواز وآخره الأهواز لا يجاوزها ، وإذا انتهى الى عسكر مُكرم فعليه جسر كبير نحو عشرين سفينة [وعلى نهر المسرقان في وسط عسكر مكرم قنطرة حسنة محكمة البناء بالجص والآجر عريضة جداً ، وفي هذه القنطرة سوق ودكاكين ومسجد حسن نزه] وتجري فيه السفن العظام وركبتُه من عسكر مكرم الى الاهواز والمسافة عشرة فراسخ ، فسرنا في الماء ستة فراسخ ثم خرجنا وسرنا في وسط النهر وكان الباقي من هذا النهر الى الاهواز طريقاً يابساً لأن ذلك كان في آخر الشهر والقمر في نقصانه ، فنقص الماء عن ملء النهر من قبل المد والجزر اللذين ينقصان ويزيدان بزيادة القمر . ولن يضيع من هذا الماء شيء بوجهٍ من الوجوه بل يُسقى به أراضي قصب السكر وما في أضعافه من النخيل والزروع وغير ذلك . وليس بخوزستان كلها على كمال عمارتها بقعة هي أعمر من المسرقان . ومياه خوزستان من الاهواز والدورق وتستر وغير ذلك مما يصاقب هذه المواضع كلها ، تجتمع عند حصن مهدي فيفيض هناك بعد أن يغزر ويكثر ويصير له عرض ما يقارب الفرسخ وينتهي الى البحر . وليس بخوزستان بحر إلا ما ينتهي اليها من زاوية من حدّ مهروبان الى قرب سُليانان بحذاء عبّادان وهو شيء يسير من بحر فارس .

٥ — وليس بجميع خوزستان جبال ولا رمال إلا شيء يسير يتاخم

نواحي تستر وجندي سابور وناحيـــة ايذج واصبهان ، وباقي خوزستان كأرض العراق . فأما هواؤها وتربتها وصحة أهلها فإن مياهها طيّبة عذبة جارية ، ولا أعرف بجميع خوزستان بلداً ماؤه من البئر لكثرة المياه الجارية بها ، وأما تربتها فما بَعُد من الدجلة الى ناحية الشمال فهو أيبس وأصحّ ، وما كان الى الدجلة أقرب فهو من جنس أرض البصرة في التسبّخ ، وكذلك الصحة ونقاء البشرة في أهلهـا فيما بعُد عن الدجلة . وأما المسرقان خاصةً ففيه رُطَبٌ يُعرف برطب الطن ، ويقال أن ذلك الرطب إذا أكله الإنسان وشرب عليه ماء المسرقان لم يخطئه رائحةٌ فيه من رائحة الخمر العتيق . وليس بخوزستان موضع يجمد فيه الماء ولا يقع فيه الثلج ولا يخلو من النخيل . والعلل بها كثيرة وخاصة لمن انتابها وطرأ عليها . وثمارهم وزروعهم فالغالب منها في غلاّتهم النخل ، ولهم عامة الحبوب كالحنطة والشعير والفول ، ويكثر عندهم الأرز حتى انهم ليطحنونه ويخبزونه ويأكلونه وهو لهم قوت [وفيهم من تعود أكل خبز الأرز طول السنة ، حتى اذا أكل خبز الحنطة أخذه المغس ووجع البطن وربما يموت منه] وكذلك رساتيق العراق . وليس من بلد ليس به قصب سكر في جميع هذه الكور الكبار التي تقدم ذكرها ، وأكثر ذلك بالمسرقان ويقع أكثره الى عسكر مُكرم ، وليس بالعسكر في القصبة كثير سكر ولا بتستر ويتخذ الكثير منه بالسوس وفي سائر المواضع للأكل من القصب ما يسدّ الحاجة ويزيد وعندهم عامة الثمار . ولا يكاد يخطئهم من الثمار غير الجوز وما لا يكون إلا ببلاد الصرود .

٦ — وأما لسانهم فإن عامتهم يتكلمون بالفارسية والعربية ، غير أن لهم لساناً آخر خوزياً ليس بعبراني ولا سرياني ولا فارسي ، وزيهم زيّ أهل العراق في الملابس من القمص والطيالسة والعمائم ، وفي أضعافهم من يلبس الأزر والميازر . والغالب على أخلاقهم الشراسة والمنافسة فيما بينهم في اليسير من الأمور والشدة والإمساك . والغالب على خلقهم صفرة الألوان والنحافة وخفّة اللحى ووفور الشعر فيهم أقل مما في غيرهم من المدن وهذه صفة عامة الجروم . وأما ما ينتحلونه من الديانات والمذاهب

فالغالب عليهم الاعتزال والغلبة لأهله دون سائر النِحَل ، والقول بالوعد والوعيد فيهم أكثر منه في جميع الخلق أظهر على الحقيقة وصدق النية ، وليس في جميع موازين الأرض الحبّة مجزأة على أربعة أجزاء إلا بالعسكر، ويقال لكل جزء منها ُتومَنَهْ . وفي عوامّهم وأهل مهنهم من الرياضة بالكلام والعلم به وبوجهه ما يضاهون به الخواصّ من أرباب البلدان وعلمائهم ، ولقد رأيتُ حمّالاً عَبرَ وعلى رأسه وقر ثقيل أو على ظهره وهو يساير حمّالاً آخر على حاله ، وهما يتنازعـــان في التأويل وحقائق الكلام غير مكترثين بما عليهما في جنب ما خطر لهما .

٧ — ومن الخاصيات عندهم ما تقدم ذكره من الشاذروان الذي بناه سابور وهو من أعجب البناء وأحكمه ، وطوله نحو الميل قد رُصّ بالحجارة ورُصف كلّه حتى تراجع الماء فيه وارتفع الى باب ُتستر . وبنهر السوس تابوت دانيال النبي عليه السلام . وبلغني أن أبا موسى الأشعري وجده وكان أهل الكتاب يديرونه في مجامعهم ويتبرّكون به ويستسقون المطر إذا أجدبوا ، فأخذه أبو موسى وشقّ من النهر الذي على باب السُوس خليجاً وجعل فيه ثلاثة قبور مطوية بالآجرّ ، ودفن ذلك التابوت في أحد القبور ثم استوثق منها كلها وعمّاها ، ثم فتح الماء حتى قلب ذلك الثرى الكثير على ظهور تلك القبور والنهر يجري عليهم الى يومنا هذا ، ويقال أن من نزل الى قعر الماء وجد تلك القبور . ولهم بناحية آسك متاخماً لأرض فارس جبل تتقد فيه النار ليلًا وبالنهار يرمى بالدخان لا يطفأ أبداً ، كالبركان الذي بنواحي صقلّية في وسط البحر صورته هذه الصورة وجبل النار المحاذي لطبرمين من أرض صقلّية أيضاً ، وسرنجلوا وهي جزيرة تجـــاه أرض قلوريه ذات جبل لا تنقطع نارها ليلًا ولا دخانها نهاراً ، وأكثرها ناراً وأغزرها بعد جبل النار المحاذي لطبرمين البركان جزيرة ذات جبل بهذه الصورة . ويذكر أنه عين كبريت أو نفط مما تعمل فيه النار ، وقد وقعت فيه على قدم الأيام فعلى قدر ما تخرج تحترق أبداً وقد رأيت جميع النيران التي بصقلّية وما شاهدتها من قرب ، وإنما ذكرته وعليه حسباناً وتوهماً لا بالحقيقة .

وبعسكر مكرم من العقارب صغار على قدر ورقة الانجذان وصُفرتها فسمي الجرّارة ، وقل من يسلم من لسعها إذا لدغته وهي أبلغ في القتل من بعض الأفاعي القاتلة وأمضى سمّاً .

٨ — ويتخذ بتستر الديباج الذي يحمل الى جميع الآفاق وكان تعمل بها كسوة الكعبة للبيت الحرام الى أن افتقر السلطان وحلت به الرحمة ، فسقطت عنه عند ذلك فريضته ، ويكون بتُستر لجميع من ملك العراق طراز وصاحبٌ يستعمل له ما يشتهيه . ويعمل بالسُوس الخزوز الثقيلة ومنها تحمل الى الآفاق . وبالسُوس صنف من الأترج شمّامات ذكية كالأكُفّ بأصابعها وليست إلا بمصر منهـــا الشيء القليل . وبقرقوب السوسن جرد الذي يحمل الى الآفاق وبالسوس وبها طرز للسلطان . وببصنّى تُعمل الستور المشهورة في جميع الأرض المرقوم عليها عمل بصنى ، وقد تعمل ببرذون وكليوان وغيرهما من المدن ستور يُكتب عليها بصنى وتُدلّسُ في ستور بصنى . وبرامهرمز من ثياب الابريسم ما يحمل الى كثير من المواضع ويقال أن ماني بها قُتِلَ وصُلِبَ . ويقال أنه مات في محبس بهرام حتف أنفه فقطع رأسه وأظهر قتله . وجُندي سابور مدينة خصبة واسعة الخير وبها نخل وزرع كثير ومياه ، وقطنهـا يعقوب بن الليث الصفّار لخصبها واتصالهـا بالمير الكثيرة فمات بها وقبره بها . وبنهر تيرى ثياب تشبه ثياب بغداد وتحمل اليها فتُدلّسُ بها وتُقصرُ هناك ، وتحمل جهازاً الى جميع الآفاق فلا شك فيها وهي حسنة . وعُبّى مدينة ولها رستاق عريض مشتبك العمارة بالنخيل وقصب السكر وغيرهما ، ومنها أبو علي الجُبّائيّ الشيخ الجليل إمام المعتزلة ورئيس المتكلمين في عصره .

٩ — ثم تتصل زاوية من خوزستان بالبحر فيكون لها خورٌ يخاف على سفن البحر إذا انتهت اليه ، وربما غرق فيه الكثير منها وذلك لما يستجمع من مياه خوزستان بحصن مهديّ ، فيتصل بالبحر ويعرض هناك حتى ينتهي في طرفه المدّ والجزر ، ويتّسع حتى كأنه البحر وإذا عصفت فيه الرياح محُن واضطرب ويزيد على الفرسخ . ويتخذ بالطيب تِكَكٌ

تشبه الأرمني وقلّ ما تتخذ بمكان من الاسلام بعد ارمينيه أحسن أو أفخر منها ، وإن كان ما يُعمل بسجلماسه من جنسها لكنه لا يبلغ القيمة ولا يدانيها ولا يقاربها في الحسن ؛ وهي مدينة طيبة مقتصدة يُعمل بها الأكسية والبرّكانات . واللُور بلد بذاته خصبٌ والغالب عليه هواء الجبل ، وكان من خوزستان فضُمّ الى أعمال الجبال وله بادية وإقليم ورساتيق الغالب عليه الأكراد ، وهو بجوارهم خصبٌ وبمصاقبتهم رطبٌ . وسنبيل كورة متاخمة لفارس وكانت مضمومة اليها من أيام محمّد بن واصل الى آخر أيام السجزيّة فحولت الى خوزستان . والزطّ والجايزان كورتان متجاورتان كثيرتا الدخل . والثيّنان متاخمة للسردن من أرض فارس ، وحدّ اصبهان وهواؤها هواء الصرود ، وليس بخوزستان رستاق يقارب الصرود غير الثيّنان . وآسك قرية ليس بها منبر وحولها نخيل كثيرة ، وبها كانت للأزارقة الوقعة التي يقال أن أربعين من الشراة قتلوا فيها نحو ألفي رجل من الجند ، اتّبعوهم من البصرة فأتوا عليهم . والدوشاب الآسكي الذي يحمل الى العراق مشهور بالجودة ويفضل على كل دبسٍ من الرجانيّ وغيره . وأما مناذر الكبرى والصغرى فكورتان عامرتان أيضاً بالنخيل والزروع ، ولهما ارتفاع كثير ولأربابهما في الديوان محلّ ليس يداني رفعهُ وجلاله .

١٠ — وأما المسافات بها فإن من خوزستان الى العراق طريقين شارعين : أحدهما الى البصرة ثم الى بغداد ، والآخر الى واسط ثم الى بغداد . فاما طريق البصرة فانك تأخذ من الرَجّان الى آسك قرية مرحلتين خفيفتين ، ثم الى ديرا مرحلة وديرا قرية ثم منها الى الدورق مرحلة . والدورق مدينة كثيرة الأهل وهي مدينة الرستاق المعروف بسرق ، ثم من الدورق الى خان من دونها ينزله السابلة يُعرف بخان لزدويه ، ثم الى الباسيان مدينة وسطة في الحال عامرة يشقّها نهر فتصير نصفين مرحلة ، ومن الباسيان الى حصن مهديّ مرحلتان ، وفيها منبر ويُسلك بينهما في الماء . وكذلك من الدورق الى الباسيان فيُسلك في الماء وهو أيسر من البرّ ومن حصن مهدي الى بيان مرحلة على الظهر

وبيان منبر، وقد انتهيت الى آخر حدود خوزستان وبيان على دجلة فيركب منها الى حيث أراد المرء، فإما الى الأُبُلَّة في الماء ومن شاء على الظهر الى أن يحاذي الابلّة ثم يعبر اليها. وأما الطريق على واسط الى بغداد فإن من الرجان الى سوق سنبيل مرحلة، ومنها الى رامهرمز مرحلتان ثم من رامهرمز الى عسكر مكرم ثلاث مراحل، ومن عسكر مكرم الى تستر مرحلة ومن تستر الى جندي سابُور مرحلة، ومن جندي سابُور الى السُوس مرحلة ومن السُوس الى قرقوب مرحلة، ومن قرقوب الى الطيب مرحلة ويتصل بعمل واسط. ومن العسكر الى واسط طريق اخصر من هـذا الطريق ولا يمرّ على تُستر، وانما ذكرتُ هذا المسلك لأني قصدتُ ذكر المسافة ما بين المدن ولم اود نفس الطرق الى بغداد، فكان هذا اجمع لما أردتُه. ومن العسكر الى ايذج اربع مراحل ومن العسكر الى الاهواز مرحلة ومن الاهواز الى ازم مرحلة، ومن الاهواز الى الدورق اربع مراحل ومن عسكر مكرم الى الدورق نحو اربع مراحـل، ومن الاهواز الى رامهرمز نحو ثلاث مراحل ايضاً لان الاهواز وعسكر مكرم في سمت واحد ورام هُرمُز منهما كإحدى زوايا المثلثة. ومن عسكر مكرم الى سوق الاربعـاء مرحلة ومن تعدّى سوق الاربعاء الى حصن مَهدي سار مرحلة. ومن الاهواز الى نهر تيرى يوم. ومن السوس الى بِصّنّي أقل من مرحلة. ومن السوس الى برذون مرحلة خفيفة. ومن السوس الى متّوث مرحلة، فهذه جميع المسافات بها.

١١ — وأما ارتفاعها فاني حضرتها سنة ثمان وخمسين وهي بيـد ابي الفضل الشيرازي بثلاثين الف الف درهم دون زيادة الصنجة وحق بيت المال.

فارس

١ – أمّا فارس فالذي يحيط بها ممّا يلي المشرق حدود كرمان وممّا يلي المغرب كور خوزستان ، وممّا يلي الشمال المفـازة التي بين فارس وخراسان وبعض حدود اصبهان ومن الجنوب بحرها . وفيها زنقة وزاوية تلي كرمان ممّا يلي المفازة ، وفي الحدّ الذي يصاقب البحر تقويس قليل من أوّله الى آخره وزنقة وزاوية أخرى ممّا يلي اصبهان ، وإنّما وقعت هاتان الزنقتان كالزاويتين لأنّ من شيراز وهي واسطة فارس اليها من المسافة نحو نصف ما بين خوزستان وبين شيراز ، وكذلك جرم كرمان .

٢ – وما في بطن هذه الصفحة صورة فـارسٍ

إيضاح ما يوجد في صورة فارس من الاسماء والنصوص :

كتب موازياً للطرف الاعلى من الصورة : هذه صورة فارس . ورسم تحت ذلك بحر فارس ، وفيه من الجزائر: جزيرة اوال، جزيرة خارك، جزيرة لافت، وتحيط بالايمن والاسفل والايسر من اطراف الصورة ابتداء من اعلى الطرف الايمن على دخلتين مربعتي الشكل، في الزاويتين السفلايين ، كتابة مستطيلة الخط وهي حد فارس ، وتحيط بالدخـلة اليمنى في اسفل الصورة من طرفيها كتابة حد اصبهان ، وبالدخلة اليسرى من ثلاثة من اطرافها على خط ممتد الى الاعلى كتابة حد كرمان .

ويقع على ساحل البحر من المدن ابتداء من اليمين : مهروبان ، سينيز ، جنابه، توج، نجيرم، سيراف ، حصن ابن عماره . وينصبّ في البحر عن يمين مهروبان نهر يوازي الطرف الايمن من الصورة ، ويأخذ من هذا النهر نهر آخر الى اليسار يبتدىء من عند مدينة فرزك ثم يمر بمدينـة الرجان وينصب في البحر عن يمين سينيز . وكتب قاطعاً لهذا النهر بين الرجـان والبحر رستاق ريشهر على شكل صليبي • وبين سينيز وجنابه مصب نهر شيرين ، وبين هذا النهر والنهر المتقدم

ذكره من المدن : تنبوك والهندجان . ثم ينصب بين ثوج ونجيرم نهر تقع من جانبــه الايسر مدينتا الملجان وكارج . وعن يسار نجيرم مصب نهر يأتي من بحيرة سكان . وفي الجانب الايمن من هذا النهر مدينتا كهرجان ونابند . ثم عن يمين ذلك عــلى الطريق من سيراف الى شيراز في وسط الصورة جره وجور وعبر النهر كوار • ويقع من اسفل نجيرم من المدن: صفاره، فهلو، الغندجان . ومن اسفل كارج شكل مدينــة كتب فيها فقط ، ويجوز انها كازرون ثم سابور ، وتقطع هذه الناحية كتابة زم الديوان ومن أعلى ذلك الى اليسار قاطعاً للنهر زم اللوالجان، ومن اسفل بحيرة سكان على الطريق الآخذ من شيراز الى الرجان من المدن : النوبندجان وجويم .

ويأخذ من شيراز طريق الى اليسار عليه من المدن: خورستان، قسا ، طمستان، الفستجان ، ازبراه ، دراكان ، مريزجـان ، خيار ، دارابجرد ، الزم ، رمتاق الرستاق ، برج ، تارم . وفي الساحة من اعلى هذا الطريق بينه والبحر والنهر رُسمت من المدن صعوداً من الاسفل الى الاعلى : منوجيان ، فوشجان ، جويم ، فرسجان ، الكاريان ، ابزر ، خبر ، جهرم ، روبنج ، كارزين ، سميران ، كير ، كرديان ، خوار ، جرمق ، جم .

ويأخذ من شيراز طريق الى الاسفل الى اصطخر ثم الى كثه في اسفل الصورة . ويأخذ من شيراز طريق آخر الى اصبهان في الزاوية اليمنى . وكتب في الساحة بين هــذا الطريق والطرف الايمن من الصورة على شكل صليبي ناحية زم جيلويه. ويقطع هذه الكتابة نهر الكر الذي ابتداؤه في قرب مدينة ابرج ، ومن اعلى هذا النهر عن يمين شيراز مدينتا البيضا وهزار ومن اسفل النهر مدينة مايين . ورُسم بين ابرج واصبهان مدينة حومــة السردن ، وبين الطريق من شيراز الى اصبهان والطريق الى كثه من المــدن : بجه ، اقليد ، مشكان ، السرمق ، ابرقويه ، كرد ، الارجمان ، نايين ، ميبذ .

ويأخذ من اصطخر طريق آخر الى السيرجان في الزاوية اليسرى وعليه من المــدن : اباذه ، بوذنجان، صاهك، هريه. ويوازي هذا الطريق من اعلاه نهر بختكان المنصب في بحيرة بختكان . وعن يسار هذه البحيرة بينها والحد مدينة الماشكانات . وكتب في هذا القسم من الصورة على شكل صليبي قاطعاً للطريق من شيراز الى تارم ناحية زم الكاريان . وفي الساحة الواقعــة بين الطريقين الى السيرجان والى كثه من المدن: كين ، الجوبرقان ، مريزجان ، شهر فابك ، خيره ، كبس ، خبر ، روذان ؛ وعلى الحد الاسفل : الفهرج ، انار ، اذركان . وكتب في هذا القسم على خط منعطف شق كرمان .

٧٦ظ ــ قد صوّرتُ فارس بحدودها ولم آتِ فيها برستاقٍ لانتشار ذلك وكثرته ولا الجبال ، لانـّه ليس بفارس بلد إلاّ وبه جبل أو يكون الجبل بحيث تراه إلاّ اليسير ، ولم أصوّر إلاّ مدينةً لها منبر مذكور مشهور وقد تحرّيتُ واجتهدتُ في هذه الرسالة فيما يُعْلِم من قرأها موقع كلّ كورة برساتيقها ومواضع المدن بها .

٣ – فأمّا ما بها من المدن والزموم والاحياء والحصون وبيوت النيران والانهار والبحيرات والكور فإنّ كورها خمس ، وأوسعها وأعرضها وأكثرها مدناً ونواحيَ كورة اصطخر ومدينتها اصطخر ، وهي أكبر مدينة بهذه الكورة وتليها في الكبر اردشير خُرّه ومدينتها جور ، ويدخل في هذه الكورة قباذ خرّه وبكورة اردشير خُرّه مدن هي أكبر من جُور مثل شيراز وسِيراف . وإنّما صارت جور مدينتها لانها بناء اردشير ودار ملكه ، وشيراز وإن كانت قصةً لفارس كلّها وبها الدواوين ودار الامارة ، فهي مُحدثة في الاسلام . وتليها في الكبر كورة دارَابجرد ومدينتها دارابجرد ، وفسا هي أكبر منها وأعمر غير ان الكورة منسوبة الى دَارَا الملك وهي مدينته التي ابتناها لهذه الكورة . وتليها في الكبر كورة الرَّجان وتليها كورة سابور وهي اصغر كور فارس ومدينتها سابور ، وبهذه الكورة مدن كبيرة هي أكبر منها كالنوبندجان وكازرون ، ولكنّ هذه الكورة تُنسب الى سابور وهو الذي ابتنى المدينة المعروفة بسابور المشهورة بالثياب السابوريّ . وأمّا زُمُومُها فهي ايضاً خمسة وأكبرها زمّ جيلويه ، ويُعرف بزمّ الرميجان ، والذي يليه في الكبَر زم احمد بن الليث ويُعرف باللوالجان ، ويلي ذلك في الكبر زم الحسين بن صالح ويُعرف بزم الديوان ثم زم شهريار ويعرف بزم المازنجان ، والمازنجان قبيل من الأكراد في حدود اصبهان ناقلة من هذا الزمّ ، وزمّ أحمد بن الحسن ويُعرف بزم الكاريان وهو زم اردشير . فأما أحياء الأكراد فإنها تكثر عن الاحصاء غير انهم بجميع أحيائهم المقيمة بفارس على استفاضة أهل الديوان ، والخاصة من علماء الشتّاء يزيدون على خمس مائة ألف بيت شعر ينتجعون المراعي في الشتاء والصيف على مذاهب العرب ، ويخرج من البيت الواحد من الأرباب والاجراء والرعاء والخوَل وأتباعهم ما بين رجلٍ واحدٍ الى عشرة من الرجال ونحو ذلك . وسأذكر من أسامي أحيائهم ما يحضرني ذكره على أنهم لا ينقصون في العدد إلا من ديوان الصدقات . وأما أنهارها الكبار التي تحمل السفن إذا أُجريت فيها فإنها نهر طاب ونهر شيرين ونهر

الشاذكان ونهر درخيذ ونهر الخوبذان ونهر رس ونهر سكان ، ونهر جرشيق ونهر كر ونهر فرواب ونهر برزه فهذه المعروفة المشهورة . وأما بحارها فالبحر الاعظم معروف باسمها لان بحر البصرة الى أقصى عمل الهند يُعرف ببحر فارس . وبحيرة البختكان وبحيرة دشت ارزن وبحيرة المور وبحيرة الجوبانان وبحر جنكان ، وهذه بحيرات قائمة بأنفسها ينتفع بها مجاورها . وأما بيوت نيرانها فإنه لا تخلو ناحية ولا مدينة بفارس إلا القليل من بيوت النيران ، والمجوس أكثر أهل الملل بها وهم من هذه البيوت بيوت يفضلونها في التعظيم وسأذكرها . وأما حصونها ففي عامة فارس وبعضها أمنع من بعض وأكثرها بناحية سِيف بني الصفّار . وسأفصّل كلما ذكرته مجملاً وأبتدىء بذكر ما بكل كورة وناحية من النواحي التي تشتمل على القرى ، وتنصرف في الدواوين بأعمال مفردة ورساتيق مستقلة بضياعها ، ومنها ما فيه منابر ومنها ما يخلو منها ، وربّ كورةٍ هي أكبر وأعرض ومدنها ونواحيها في التسمية أقل مما هو أصغر منها واتبعُ ذلك بتفصيله .

٤ — فأما كورة اصطخر فناحية يزد وهي أكبر ناحية فيها وبها من المدن : كثه وهي القصبة وميبذ ونايين والفهرج ، وليس في جميع النواحي ناحية بها أربعة منابر غير هذه الناحية . وناحية الروذان وكانت من كرمان فحُوّلت الى فارس ، ويكون امتداد هذه الناحية في الطول نحو ستين فرسخاً . وابرقويه وهي المدينة وفيها اقليد ، والسرمق مدينة ورستاق ، والجوبرقان ومدينتها مشكان ، والارجمان ومدينتها الارجمان ، والمريزجان مدينة ولها رستاق ، وبرم مدينتان اباذه وهي قرية عبد الرحمن ومهرزنجان ، وصاهك الكبرى ولها رستاق ؛ وشهر فابك مدينة ولها رستاق ، وهراه فيها منبر ، والروذان مدينة ورستاق فيه من المنابر : انار وكبس وخبر ، والاذركان بها منبر ، والبيضاء ولها إقليم وعليها سور ، وهزار بها منبر ، ومايين بها منبر ، وابرج ولها رستاق ، وخرّمه ورستاقها يُعرف بالطسّوج ، والخيره فيها منبر ، والسرداب وكمين ولهما منبران ، وبجه ورستاقها الارد وكرد وبها منبر ، واللورجان ورستاقها السردن .

٥ ـ ذكر ما باردشير خُرّه من المُدن : جور ولها رستاق ، ونابند ورستاقها ميمند ، والصيمكان ولها رستاق ، وبخبر منبر . وخورستان ولها رستاق باسما ، والفوشجان ولها رستاق باسمها ، وكران ولها رستاق باسمها ، وسيراف ولها منبران نجيرم وجم ، والغندجان ورستاقها دشت بارين وفيه منبر بالفهلو ، وصفاره ورستاقها الرستقان ، وتَوّج قصبة توج ، والجرمق قصبة الاغرستان ، وكير قصبة كير ، كارزين ولها رستاق ، وابزر قصبة ابزر ، سميران ولها رستاق ، وكوار ولها رستاق كبير ، وفي البحر جزائر منسوبة الى كورة اردشير خرّه فمنها : جزيرة بركاوان وهي لافت وبها مدينة وجامع آهل ، وأوال وبها مدينة ولها جامع وفيها أسواق صالحة ، وخارك وفيها منبر وله أهل وأناس كثيرة فيهم تجارة صادرة وواردة .

٦ ـ ذكر ناحية كورة دارابجرد ، اباذه وكربجرد وإقليمها يعرف بكرم ، والمص بها منبر ورستاق يُعرف بها ، وفسا مدينة جليلة في ذاتها كثيرة الاهل والتجارة ، ولهم يسار وقد خرب في زماننا هذا أكثرها وتشتت أهلها ، ومنها أبو علي شيخنا الحسن بن أحمد بن عبد الغفّار الفقيه النحوي المتكلم وهو من جلّة المعتزلة وأصحاب أبي هاشم . طمستان وبها منبر ، والكردبان وبها منبر ، وجَهْرَم ولها رستاق وهي مشهورة بكثرة يسار الاهل ، وإليها يُنسب الجَهْرَميّ من البسط المعمولة بها وبها غير طراز للتجار وكان للسلطان بها صاحب يستعمل له . والفُستجان ولها منبر ، والدراكان ولها منبر ، وازبراه ولها رستاق باسمها ، وسنان ولها رستاق باسمها ، وايج وبها منبر ، والاصطهبانات وبها منبر ، وجويم ولها إقليم ومنها أبو أحمد الجُويميّ أحد رؤساء التنّاء بفارس معروف بالعراق ، وخيار ورستاقها نيريز ، والمريزجان وبها منبر ، والمادوان وبها منبر ، وروبنج ورستاقها خسوا ، ورستاق الرستاق وبها منبر ، وتارم وبها منبر ، والماشكانات وبها منبر ، وزم ورستاقها زم شهريار .

٧ ـ ذكر نواحي كورة سابور ، ومنها سابور ، وقد تقدم ذكرها ، والجنجان ورستاقها كازرون ، والزاجان مدينة ورستاقها باسمها ، والخوبذان ولها رستاق باسمها ، والنُوبندجان ولها رستاق كبير وعمل واسع غزير ،

والمورستان وبها منبر ، وجرّه ولها رستاق وناحية خصِبة آهلة ذات فضاء وسعةٍ وفسحة .

٨ – ذكر نواحي الرَجان والرجان مدينة في غاية الطيبة والنزهة وكثرة المياه والخصب من الزرع والنخـل والكروم والزيتون والزيت والجوز والاترج ، وبها فواكه الصرود والجروم، ومنها ابو بكر بن شاهويه الفقيه الحاسب المهندس ، وكان اهلها على غاية من اليسار وماؤها غير طيّب ولا مَريءٍ (وبقربها الى ناحية النوبندجان شعب بوان في غاية ما يمكن ان يكون مثله من الحسن والنزهة وفيه يقول المتنبي :

يقول بشعب بوان حصاني أعن هـذا تفر الى الطعـان
أبوكم آدم سنّ المعـاصي وعلّمكم مفارقـة الجنـان)

سابور بها منبر ، وريشهر بها منبر ، ومهروبان وبهـا منبر وهي على نفس الساحل في غاية الحر ، وجنّابه وبها منبر ومنها ابو سعيد الحسن بن بهرام الدجال صاحب البحرين، وهي مدينة كان فيها طرز للكتان للتجار والسلطان من غير نوع كثيرة التجارة ، وسينيز بها منبر ومنها الثياب الكتان السينيزي التي وقع الاجمـاع ان الطيب لا يَعلقُ ويعبق بشيء من الثياب كعلَقِه وعبَقه بها لترفها ونعمتها، وقال آخرون: بل بخاصّيّة في كتّانها .

٩ – ذكر زمومها وصفاتها ، فأما زمومها فان لكل زم منهـا قرىً ومدناً مجتمعة قد ضُمّن خراجَ كل ناحية منها رئيس من الاكراد، وألزم صلاح احوال ناحيته وتنفيذ القوافل وحفظ الطرق والقيام بأحوال السلطان اذا عرضت بناحيته وتنفذ اوامره وهي كالممالك . فأما زمّ جِيلويه المعروف بالرميجان فأنه يلي اصبهان ويأخذ طرفاً من كورة اصطخر وطرفـاً من كورة سابور وطرفاً من كورة الرجان ، وحد منـه ينتهي الى البيضاء وحد منه ينتهي الى حدود اصبهان وحد منه الى حدود خوزستان وحد منه ينتهي الى زمّ ناحية سابور . وكلما وقع فيه من المدن والقرى فكأنه من عمل اصبهان . ومتاخمهم من عمل اصبهان المازنجان وهم من المازنجـان الذين هم من زمّ شهر يار ، وليس منهم احد في عمل فارس إلا وله بهـا ضياع وقرى كثيرة غزيرة . وأما زمّ الديوان المعروف بالحسين بن صالح

وهو من كورة سابور فان حدًّا منه يلي اردشير خُرّه، وثلاثة حدوده تنعطف عليها كورة سابور . فكلما كان من المدن والقرى في اضعافه فهو منها، فأما اللواجان زمّ احمد بن الليث وهو في كورة اردشير خُرّه فحد منه يلي البحر، ويحيط بثلاثة حدوده كورة اردشير خُرّه وما وقع في اضعافه من القرى والمدن فهو منها . وأما زمّ الكاريان فان حدًّا منه الى سيف بني الصفّار وحدّ منه الى زمّ المازنجان ، وحدّ من حدوده كرمان وحد منه اردشير خرّه وجميعها في اردشير خرّه .

١٠ — وأما أحياء الاكراد بفارس فان منهم : الكرمانية والرامانية ومدين وحي محمد بن بشر والبقيلية والبنداذمهرية ، وحي محمد بن اسحاق والصبّاحية والاسحاقية والاذركانية والسهركية والطاهدهنية والزيادية والشهروية والبنداذقية والخسروية ، والزنجية والصفرية والشهياريّة والمهركية والمباركية والاستامهريه والشاهويّة والفراتيّة والسلمونيّة والصيريّة والازاددختيّة والمطلبية ، والمهاليّة واللاريّة والبرازدختيّة والشاهكانيّة والجليليّة .

وهؤلاء المشهورون من أحيائهم ولا يمكن تقصيّهم إلا من ديوان الصدقات ويزيدون على خمس مائة ألف بيت ، ويخرج من الحيّ الواحد ألف فارس وأكثر وأقل ، ينتجعون في الشتاء والصيف المراعي والمصائف والمشاتي إلا القليل منهم على حدود الصرود . فأما أهل الجروم فلا يزولون ولا ينتقلون بل يترددون فيما لهم من النواحي ، ولهم من العُدّة والبأس والقوة بالرجال والدواب والكراع ما يستصعب على السلطان أمرهم إذا أراد تحيّفهم وتهضّمهم . ويزعم ابن دُريد أنهم من العرب وأن أكثرهم من ولد كرد بن مُرد بن عمرو بن عامر في حماسته ، وأبو بكر محمد بن الحسن بن دريد ممن يستبطن علوم العرب وأخبارها يحتجّ بقوله ويُسلم له ما يدّعيه من هذا الباب وغيره . وهم أصحاب أغنام ورميك والابل فيهم قليلة ، وليس للأكراد خيل عتاق إلا ما عند المازنجان المقيمين بحدود اصبهان ، وإنما دوابهم براذين وشهاريّ وهم على حسن حال ويسار ومذاهبهم في القنية والنجعة مذاهب العرب . ويقال أنهم يزيدون

على مائة حيّ وإنما ذكرت منهم نيّفاً وثلاثين حياً .

١١ — وأما حصون فارس فإن أكثر مدنها محصّنة بحصون منيعة وأسوار وثيقة شاهقة عالية ، ومنها حصون داخل المدن وقهندزات وحواليها أرباض ، ومنها حصون في جبال منيعة منفردة عن البنيان قائمة بأنفسها . ومن المدن المحصنة اصطخر لها حصن حواليه الربض ، ومدينة كثه لها حصن وربض ، والبيضاء لها حصن وربض ، وقرية الآس لها قهندز وربض ، وشيراز لها قهندز يسمّى قلعة شهموبذ ، وجور عليها حصن ولا ربض لها ، وكازرين لها قهندز من داخل سورها وربض ، وكير لها قهندز وربض واسع ، ودارابجرد لها حصن وربض ، ورُوبنج لها حصن وربض ، وسميران لها قهندز وربض ، وفسا ذات قهندز وربض ، وسابور لها حصن فقط ، والجنجان لها حصن فقط ، وجفته لها حصن بغير ربض ، وسمعتُ غير رئيس من كاتب محّصل نفيس وتانيء جليل حصيف يذكر أن بفارس زيادة على خمسة آلاف قلعة منفردة في جبالها لا تقرب من المدن وفي المدن منها القهندزات ولا يمكن تقصّي ذلك إلا بتعبٍ من الدواوين ، وكذلك المدن المحصّنة فإنّي لم أقدر على تقصّيها وإنما ذكرت جوامعَ مما أعرفه وسمعتُ به ، وفي هذه القلاع ما لم يُذكر لأحدٍ من الجبابرة أنه قدر عليها عنوةً منها قلعة ابن عُمارة وتسمّى قلعة داكباياه ، يريدون باسمها أنها كثلاث أثافٍ لأنها قارّة على ثلاث شعَبٍ كقرار القدر على الأثافي ، وقلعة ابن عُمارة تُنسب الى الجُلندى بن كنعان ولا يقدر أحد ان يرتقي اليها بنفسه إلا أن يُرقى به في شيءٍ من البُحر ، وهي مرصد كانت لآل عُمارة على البحر يعرفون منها المراكب فإذا أقبلت خرجوا اليها وطالبوا أهلها بضرائبهم على مالهم من المحمل فيهـا ، وقلعة الكاريان على جبل طين قصدها محمد بن واصل في جيشه وقد تحصّن بها أحمد بن الحسين الأزديّ فلم يقدر عليها ، وقلعة سعيداباذ بدارابجرد من كورة اصطخر في جبل شاهق وتُرتقى اليها مسيرة فرسخ ، وكانت في الشرك تُعرف باسفندياذ فلمّا كان الاسلام تحصّن فيها زياد بن أبيه أيام عليّ عليه السلام ، فنُسبت الى زياد ثم تحصّن بها آخر أيام بني أميّه

منصور بن جعفر وكان والياً على فارس فعُرِفَت به ونُسِبَت اليه ، ثم عُطِّلَت فعمد اليها محمد بن واصل فخرّبها ثم بناها . وكان محمد بن واصل الحنظلي أمير فارس يليها حرباً وخراجاً ، فلمّا أخذه يعقوب بن الليث لم يقدر على فتحها إلا بأمر محمد فخرّبها يعقوب ، ثم احتاج اليها فأعادها وجعلها محبساً لمن سخط عليه وعدل عن قتله ، وقلعة اشكنوان من رستاق مايين والمرتقى اليها صعب وهي منيعة جداً وفيها عين ماء جارية وقلعة جوذرز صاحب كيخسرو بموضع يُعرف بالسُوَيقَه من كام فيروز وهي منيعة جداً ، وقلعة الجص بناحية الرجان يسكنها المجوس باياذكارات الفرس وأيّامهم يتدارسون فيها علومهم وهي منيعة رفيعة ، وقلعة ابرج تدانيها في المنعة ، ولها قلاع منيعة وربّما قُدِرَ عليها بالاحتيال لفتحها وهي أكثر من أن يبلغها تحصيل من غير الديوان .

١٢ — وأما بيوت نيرانها فكثيرة ايضاً ويعجز علمها من سوى الديوان إذ ليس من بلد ولا ناحية ولا رستاق إلا وبها عدد كثير من بيوت النيران ، غير ان المشاهير التي يفضّلونها على غيرها في التعظيم منها بيت نار الكاريان ويعرف ببيت نار فرّا . وبيت نار بجرّه ينسب الى دارا بن دارا ، وبه تحلف المجوس في المبالغة بأيمانهم . وبيت نار عند بركة جور ويسمّى بارين ، وحدّثني من قرأ عليه بالفهلوية انه أُنفق عليه ثلاثون الف الف درهم . وبيت النار الذي على باب سابور يُعرف بسيوخشين وآخر على باب سابور محاذياً لباب ساسان يعرف بجنبذ كاوسن . وبكازرون بيت نار يُعرف بجفته ، وبها ايضاً بيت نار يعرف بكواذن . وبشيراز بيت نار يعرف بالكارنيان وبها بيت آخر يعرف بهرمزد . وعلى باب شيراز بالقرية المعروفة بالسوكان بيت نار يعرف بالمنسريان ويُرى هذا البيت من شيراز ، وهي قرية في شمال شيراز وعن يسار طريق يزد الآخذ الى خراسان وبينها وبين شيراز نحو ميل . ومن دين المجوس ان المرأة اذا زنت في حملها او حيضها لم تطهر إلا بأن تأتي هذه النار فتتعرّى لبعض الهرابذة ليطهّرها ببول البقر في هذه الناحية .

١٣ — وأما انهار فارس فذات مياه طيّبة ، واعظمها نهر طاب الذي

يخرج من حدود اصبهان وجبالها، فيظهر بناحية السردن بعد مرّه بنواحي ابرج وانصبابه في نهر المسن ، وهو النهر الخارج من اسافل اصبهان الى نواحي السردن ومجمعهما عند قرية تدعى مسن ، ولا يزال فاضلها عن حاجتهم جارياً الى باب الرَّجان تحت قنطرة ثكان ، وهي قنطرة بين فارس وخوزستان قليلة النظير وهي عندي اجلّ من قنطرة قُرطُبة التي بالاندلس ، ومُحدثها بعض مُتنّاء فارس فيسقي رستاق ريشهر ثم يقع في البحر نحو سِينيز . وأما نهر شيرين فمخرجه من جبل دينان الذي بناحية بازرنج فيسقي فرزك والجلاذجان ثم يخترق حتى يقع في البحر نحو جنّابه . وأما نهر الشاذكان فإنه يخرج من بازرنج وجبالها حتى يدخل تنبوك مورستان وخان حمّاد ، فيسقي رستاق زيراباذ ونابند والكهركان ثم يمتد الى دشت الرستقان ثم يدخل البحر . وأما نهر درخيد فانه يخرج من جبال الجويخان فيقع في بحيرة درخيذ . ونهر الخوبذان فيخرج بالخوبذان فيسقي نواحيها وانبوران ثم ينصبّ الى الجلاذجان متفرّقاً يتساقط في البحر . ونهر رس يخرج من الخمايجان العُليا حتى يصيرَ بالزيزيان فيسقطَ في نهر سابور ثم ينحدر من سابور فيمضي الى تَوّج فيمر ببابها ومنها الى البحر . ونهر اخشين يخرج من خلال جبال داذين فاذا بلغ الجنقان وقع في نهر توّج . ونهر سكان يخرج من رستاق الرويجان من قرية تدعى شاذفزي فيسقي زروعها ثم ينحدر الى رستاق سِياه فيسقيه ، ومنها الى كوار فيسقيها ثم الى خُبر فيسقيها ثم الى الصيمكان فيسقيها ثم الى كارزين فيسقيها ثم الى قرية سك ، وهذا الوادي منسوب الى سَك ثم يقع في البحر وليس في انهار فارس نهر اكثر عمارة من هذا النهر . ونهر جرشيق فانه يخرج من رستاق ماصرم ويخترق رستاق المشجان حتى يجري تحت قنطرة حجارة عاديّة ، تعرف بقنطرة سيوك حتى يدخل رستاق جرّه فيسقيها ثم الى رستاق داذين ويقع في نهر اخشين . ونهر الكرّ فانه يخرج من كروان من حد الارد وينسب الى الكروان ، وهو يخرج من شِعب بَوان المشهور ويسقي كام فيروز وينحدر فيسقي قرية راهجرد وكامكان والطسوج ، فينتهي إلى بحيرة بخفرز ونيريز تعرف ببحيرة البختكان ؛

ويقال أن له منبعاً يخرج في بعض كور دارابجرد فينتهي الى البحر . ونهر فرواب يخرج من الجويزفان من قرية تعرف بفرواب، فيجري على باب اصطخر تحت قنطرة خراسان حتى يسقط في نهر الكرّ . ونهر برزه يخرج من ناحيه دراجان سياه فيسقي رستاق الخنيفغان وجور حتى يخترق رساتيق اردشير خُرّه ثم يقع في البحر . وبها أنهار تقصر عن هذا المحلّ وأقصر عن إحصائها .

١٤ — وقد تكرّر القول بأن بحر فارس خليج من البحر المحيط في حد الصين وبلد الواق ، وهو بحر يجري على حدود بلدان السند وكرمان الى فارس فيُنسب من بين سائر الممالك التي عليه الى فارس ، لانه ليس عليه مملكة أعمر منها ولأن ملوك فارس كانوا على قديم الأيام اقوى سلطاناً ، وهم المستولون الى يومنا هذا على ما بعد وقرُب من شطوط هذا البحر ، ولأنّا لا نعلم في جميع بلد فارس وغيرها سفناً تجزي في بحر فارس فتخرج عن حد مملكتها وترجع بجلالتها وصيانتها إلا لفارس ، ومن بحيراتها التي تحيط بها القرى والعمارات بحيرة البختكان التي يقع فيها نهر الكر ، وهي بناحية خفرز الى قرب صاهك كرمان ويكون طولها نحو عشرين فرسخاً وماؤها مالح ينعقد ملحاً ، وحواليها مُسْبَخٌ ويحيط بها رساتيق وقرًى وهي في كورة اصطخر ، وبحيرة بدشت ارزن من كورة سابور وطولها نحو عشرة فراسخ ، وماؤها عذل ورُبّما جفّت حتى لا يبقى فيها من الماء إلا القليل ، ورُبّما امتلأت ففاضت نحو عشرة فراسخ وتحتفّ بها القرى والعمارات وعامّة سمك شيراز منها ، وبحيرة مور من كورة سابور تُعرف بكازرون وطولها نحو عشرة فراسخ أيضاً الى قرب مورق ، وماؤها مالح وفيها صيد كثير ومنافع ، وبحيرة الجنكان مالحة وطولها نحو اثني عشر فرسخاً ، ويرتفع من أطرافها الملح وحواليها قرى الكهرجان وهي من اردشير خُرّه ، وأولها من شيراز على فرسخين وآخرها حد لخوزستان ، وبحيرة الباسفرية التي عليها دير الباسفرية طولها نحو ثمانية فراسخ وماؤها مالح وصيدها كثير وفي أطرافها آجام كثيرة ، ومنها قصبٌ وبرديّ وحلفاء وغير ذلك مما يتسع به أهل شيراز ، وهي في كورة اصطخر متاخمة للزرقان من رستاق هزار .

١٥ — فأمّا ذكر مدنها وأحوالها فإن اصطخر مدينة وسطة في وقتنا هذا وسعتها مقدار ميل ، وهي من أقدم مدن فارس وأشهرها وبها كان يكون ملك فارس حتى حوّل اردشير الملك الى جُور (والآن فقد خرب أكثرها .) ويُروى في الأخبار أن سليمان بن داوُد عليهما السلام كان يسير من طبرية اليها من غُدْوَةٍ الى عَشيّةٍ ، وبها مسجد يُعرف بمسجد سليمان ، ويزعم قوم من عوام الفُرس الذين لا يرجعون الى تحصيل أن جم الذي كان قبل الضحّاك هو سليمان ، وكان في قديم الأيام على اصطخر سور قد تهدّم وبناؤهم من الطين والحجارة والجص على قدر يسار الباني ، وقنطرة خُراسان خارج المدينة على بابها مما يلي خراسان ، غير أن وراء القنطرة أبنية ومساكن ليست بقديمة ، وأما سابور فمدينة بناها سابور الملك وهي في السعة نحو اصطخر إلا أنها أعمر وأرجع وأيسر أهلاً ، وبناؤهم نحو أبنية اصطخر وباصطخر وباء لفسادٍ في هوائها ، غير أن خارج المدينة صحيح الهواء سبخ التربة ، ودارابجرد من بناء دارا بن دارا وتفسير ذلك عَمَلُ دارا ، ولذلك سمي دارابجرد ، ولها سور عامر جديد كسور جُور وعليها خندق تتولد المياه فيه من نزٍّ ونجلٍ عليه وعيون تتّصل به ، وفي هذا الماء حشائش إذا دخلته دابّة أو إنسان التفّت عليه فلا يتهيأ له عبوره ، ولا يكاد يسلم منه إلا بشدّةٍ وجهدٍ . ولهـــا أربعة أبواب وفي وسط المدينة جبل حجارة كأنه قبّة ليس لها اتصال بشيء من الجبال ، وبنيانهم من طين وليس بها في زماننا كثير أثرٍ للعجم ، وأما جُور فاستحدثها اردشير ، ويقال أن مكانها كان ماءً واقفاً كالبحيرة فنذر أردشير أن يبتني مدينةً على المكان الذي يظهر الماء به أو بعدوته ، ويحدث فيها بيت نار فاحتال في إزالة ماء ذلك المكان بما فتح من مجاريه ، وابتنى به مدينة جُور ؛ وهي قريبة في السعة من اصطخر وسابور ودارابجرد ، وعليها سور عامر من طين وخندق ، ولها أربعة أبواب مما يلي المشرق : واحدٌ منها يسمّى باب مِهر ، ومما يلي المغرب باب بَهرام ، ومما يلي الشمال باب هُرمِز ومما يلي الجنوب باب اردَشير ، وفي وسط المدينة بناء مثل الدَّكّة يسمّى الطِربالَ ويُعرف بلسان الفُرس بايوان كنا خره ، وهو بناء بناه اردشير

ويقال انه كان من الارتفاع بحيث يُشرف منه الانسان على المدينة وجميع رساتيقها ، واستحدث بأعلاه بيت نار واستنبط بحذائه من جبل عال ماء حتى أصعده الى اعلى هذا الطربال كالفوّارة ، ثم ينزل في مجرىً آخر قد بني من جص وحجارة ، وقد نقضه الناس واستعملوا اكثره وخرب حتى لم يبق منه إلا القليل اليسير ، وكأنه الطربال الذي بمدينة بلخ في وسط ربضها وخارج المدينة قريب من السور ، ويكون اعلاه اكثر من جريب مساحة في غاية العلو من آجُرّ وطوب ، وخَبَرُه كالخبر المتقدّم من ذكر الطربال الأول ؛ وفي المدينة مياه جارية وهي نزهة جدًّا يسير الانسان منها عن كل باب يخرج منه نحو فرسخ في بساتين وقصور ومتنزهات في غاية الحسن والطيبة والنضرة والخُضرة ، وما يَطرَبُ الناس الى مثله من المناظر الانيقة الحسنة (وكان في هذه البساتين قصور ودور حسنة طيبة فخرب اكثر ذلك) .

١٦ — فأما مدينة شيراز فمدينة إسلامية بناها محمد بن القاسم بن ابي عقيل بن عم الحجّاج ، وسُمّيت بشيراز تشبيهاً لها بجوف الاسد ، وذلك أن عامة المِيَر بتلك النواحي تُحمل اليها ولا تُحمل منها الى مكان . وكانت معسكراً للمسلمين لما اناخوا على فتح اصطخر ، فلما افتتحت اصطخر تبرّك محمد بن القاسم بهذا المكان فجعله مدينة ، وهي نحو فرسخ في السعة وليس عليها سور يجمعها ، وهي مشتبكة البناء كثيرة الاهل بها شحنة جيش فارس ابداً ودواوين فارس وعملها وولاة الحرب فيها . واما كازرين فانها مدينة صغيرة نحو ثلث اصطخر ، ولها قلعة وليست من القوة في اسبابها والكبر بحيث تُذكر بأكثرَ من هذا وانما تُذكر لانها قصبة قباذخرّه . ومن اجلّ المدن التي بكورة اصطخر مما يلي خراسان كثه ، وهي حومة يزد وابرقويه وبناحية كرمان الروذان وهريه من شق كرمان ومن ناحية اصبهان كرد والسردن . فأما كثه وهي حومة يزد فانها مدينة على طرف المفازة ولها طيب هواء البرّية وصحته ، وخِصب المدن الجبلية ولها رستاق يشتمل على رُخص ، والغالب على ابنيتها آزاج الطين وبها مدينة محصّنه بحصن ، وللحصن بابان من حديد ويسمّى احدهما باب اندور والآخر باب المسجد لقربه من الجامع ، وجامعها في الربض ، ومياههم من القنيّ

إلا نهراً يخرج من ناحية القلعة من قرية فيها معدن الآنك ، وهي نزهة جدًّا ولها رساتيق عريضة خصبة وهي ورساتيقها كثيرة الثمار ولفضل كثرتها ما تُحمل الى اصبهان وغيرها رطبةً ويابسة . وجبالهم كثيرة الشجر والنبات وخارج المدينة ربض يشتمل على ابنية وأسواق تامة بالعمارة ، ويغلب على اهلها الأدب والكِتبة ولهم مسجد جامع طيّب . واما ابرقويه فهي مدينة خصبة كثيرة الزحمة تكون نحو الثلث من اصطخر وهي مشتبكة البناء ، والغالب على بنائها وأبنية يزد الآزاج ، وهي ناحية قفرة من الشجر قرعاء ليس حواليها بساتين ولا فيما بعد منهـــا وهي خصبة رخيصة الاسعار . والروذان قريبة من ابرقويه في الشبه والمعنى والأحوال . وهريه اكبر من ابرقوية وهي في الابنية وسائر ما وصفتُ مقاربة لابرقويه ، غير ان لهـا مياهاً وثماراً كثيرة تفضل عن اهلها فتُحمل الى النواحي ويقدّد منه الكثير الغزير . وكرد مدينة اكبر من ابرقويه واخصب ، وبناؤها من طين وهي كثيرة القصور . والسردن اخصب منها وارخص اسعاراً وهي كثيرة الأشجار والمياه ، ومدينة البيضاء اكبر مدينة في كورة اصطخر ، وانما سمّيت البيضاء لأن لها قلعة بيضاء تبصُ من بعـــدٍ فترى بياضها من اماكن شاسعة ، وكان معسكر المسلمين يقصدونها في فتح اصطخر ويسأل بعضهم لبعض عنها فيقول : أترى البيضاء ؟ فيقول : نعم . واليها لا يذوق غُمضاً واسمهـــا بالفارسية نسايك ، وتقارب في الكبر اصطخر وبناؤهم من طين وهي تامّة العمارة خصبة رطبة يتسع اهل شيراز بميرتهم .

١٧ — وبكورة سابور من المدن النوبندجـان وكازرون والنوبندجان اكبرهما ، وكورة دارابجرد فأكبر مدينة بها فسا ، وهي مدينة مفترشة البناء واسعة الشوارع تقارب في الكبر شيراز إلا أنها اصح هواء من شيراز واوسع ابنية منها ، وبناؤهم من طين واكثر الخشب في ابنيتهم السرو ، وهي مدينة قديمة ولها مدينة عليها حصن وخندق ، ولها ربض واسواقها في ربضها (قد خرب الآن اكثرها) ويجتمع فيهـــا ما يكون في نواحي الصرود والجروم من الثلج والرُطَب والجوز والاترج الى غير ذلك . وسائر المدن بعد دارابجرد متقاربة في عمارتها وخصبها .

١٨ — وقد ذكرتُ مدن اردشير خُرّه واكبر مدينة بها بعد شيراز سِيراف وتقارب شيراز في الكبر، وبناؤهم بالساج وخشب يُحمل من بلاد الزنج، وابنيتهم طبقات كطبقات مِصر فهي على شفير البحر وفي نحره مشتبكة البنيان كثيرة الاهل، يبالغون في نفقات الابنية حتى ان الرجل من تجارهم لينفق على داره زيادة على ثلاثين الف دينار من غير ان يُستسرف ولا يُستنكر ذلك له. وليس فيما يقاربها ويحيط بها بساتين واشجار وإنما فواكههم وتوسعهم وطيب عيشهم بما يصل اليهم من مياه تفرع من جبل مشرف عليهم يدعى حم، وهو اعلى جبل بها تشبه الصرود حالُه، وسِيراف اشد تلك النواحي حرًّا واقلّها برداً وقرًّا في اول الشتاء وحين البرد، وبها قوم ذوو يسار ورأيتُ من أهلها غير نفيس خطير من التجار. (وأهلها موسرون جداً حتى انه حكي عن احدهم أنه مرض فأوصى فكان ثلث ماله الحاضر عنده الف الف دينار غير ما كان له مع المضاربين: ورامشت التقيتُ بولده موسى في عدن بتأريخ سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ذكر ان آلات النقرة التي يستعملها وُزنت فكانت الف ومائتي مناً، وهو اصغر اولاده واقلهم بضاعة. ولرامشت اربعة خدم ذكروا ان كل واحد منهم اكثر غناء من موسى ولده، ورأيت كاتب رامشت يذكر انه لما خرج من بلد الصين مذ عشرين سنة كانت بضاعته خمسمائة الف دينار، وهو عليّ النيلي من سواد الحلّة، فاذا كان كاتبه بهذه الكثرة فكيف يكون هو، وهو الذي رفع ميزاب الكعبة وكان نقرةً وجعل مكانه ذهباً، ولبّسها بالثياب الصيني التي لا يعرف احد قيمتها؟ وبالجملة لم اسمع ان تاجراً في هذا وصلت حاله وماله الى ما شمل عليه حال رامشت في كثرة المال واليسار والجاه العريض).

وقد تقدّم ذكر الرجان من انها مدينة بحرية جبلية سهلية بريّة، بينها وبين البحر مرحلة، وتوّج مدينة شديدة الحرّ ايضاً في وهدةٍ بناؤها طين كثيرة النخيل والبساتين تضاهي النوبندجان في اكثر احوالها وشأنها. وبقرب النوبندجان شعبُ بَوّانَ ويكون مقدارَ فرسخين قُرىً ومياهاً متصلة، وقد غطت الاشجار القرى حتى لا يكاد يراها الانسان إلا ان يدخلها وهو أنزه شعب بفارس وجنّابه وسِينيز ومَهروبان على البحر، وفي حرّها شدّة فادحة وبها نخيل وما يكون في بلد الجروم من الفواكه.

١٩ — ذكر المسافات بفارس: فالطريق من شيراز الى سيراف أن تخرج من شيراز الى كفره قرية خمسة فراسخ، ومن كفره الى نخذ قرية

خمسة فراسخ ، ومن نخذ الى كوار غلوة وهي مقسم ماء مدينة كوار، ومن نخذ الى البيمجان قرية اربعة فراسخ، ومن البيمجان الى جُور ستة فراسخ، ومن جُور الى دشت شُوارب خمسة فراسخ ، ومنها الى خان آزاذمرد ستة فراسخ وهو خان في صحراء قدر ثلاثة فراسخ ، وهـذه الصحراء كلها نرجس مضعّف ومن خان آزاذمرد الى كيوند قرية ستّة فراسخ ، ومنها الى مي قرية ستّة فراسخ ، ومن مي الى رأس العقبة ستة فراسخ بمنزل يُعرف باذركان ، ومن اذركان الى بركانه خان أربعة فراسخ ، ومن بركانه الى سيراف المدينة نحو سبعة فراسخ ، ويكون الجميع ستين فرسخاً . والطريق من شيراز الى يزد وهو طريق خراسان : فمن شيراز الى الزرقان ستة فراسخ ، ومن الزرقان وهي منازل على وادٍ عـذب الى اصطخر ستة فراسخ ، ومن اصطخر الى تير قرية أربعة فراسخ ، ومن تير الى كهمنك ثمانية فراسخ ، ومن كهمنك الى قرية بيذ ثمانية فراسخ ، ومن قرية بيذ الى ابرقويه مدينة اثنا عشر فرسخاً ، ومن ابرقويه الى قرية الأسد ثلاثة عشر فرسخاً ، ومن قرية الأسد وهي قرية ذات حصن الى قرية الجَوز ستة فراسخ ، ومن قرية الجوز الى قلعة المجوس قرية ستة فراسخ ، ومن قلعة المجوس الى مدينة كثه حَومة يزد خمسة فراسخ ، ومن يزد الى انجيره موضع فيه قباب وعين ماء عليها أصول تين وهي آخر عمل فارس ستة فراسخ ، وليس بعدها عمل لفارس بوجه ويكون الجميع ثمانين فرسخاً ، والطريق من شيراز الى جنّابه : فمن شيراز الى خان الأسد وهو على نهر السكان ستة فراسخ ، ومن الخان الى دشت ارزن خان أربعة فراسخ ، ومن دشت ارزن الى تيره قرية أربعة فراسخ ، ومن تيره الى كازرون مدينة ستة فراسخ ، ومن كازرون الى قرية دريز أربعة فراسخ ، ومن قرية دريز الى رأس العقبة خان أربعة فراسخ ، ومن رأس العقبة الى توّج المدينة أربعة فراسخ ، ومن توّج الى جنّابه اثنا عشر فرسخاً ويكون الجميع أربعة وأربعين فرسخاً .

٢٠ — والطريق من شيراز الى السيرجان : فمن شيراز الى اصطخر اثنا عشر فرسخاً ، ومن اصطخر الى زياداباذ قرية من رستاق خفرز ثمانية

فراسخ ، ومن زياداباذ الى كلودر ثمانية فراسخ ، ومن كلودر الى الجوبانان قرية بها بحيرة ستة فراسخ ، ومن الجوبانان الى قرية عبد الرحمن ستة فراسخ ، وهي مدينة تسمّى اباذه ، ومن قرية عبد الرحمن الى قرية الاس مدينة تسمّى البوذنجان ستة فراسخ ، ومنها الى صاهك مدينة ثمانية فراسخ ومن صاهك الى رباط السرمقان وهو رباط كالخان ثمانية فراسخ ، ومنه الى بشت خم رباط أيضاً تسعة فراسخ ، ومن بشت خم الى السيرجان مدينة كرمان تسعة فراسخ ، ورباط السرمقان من حد فارس وما بعده من حد كرمان فجميع الطريق من شيراز الى السرمقان اثنان وستون فرسخاً ، والى السيرجان من السرمقان ثمانية عشر فرسخاً ، والطريق من شيراز الى جروم كرمان : فمن شيراز الى خان مـيم قرية من رستاق الكهركان سبعة فراسخ ، ومن خورستان الى منزل يُعرف بالرباط أربعة فراسخ ، ومنه الى كرم مدينة أربعة فراسخ ، ومن كرم الى فسا خمسة فراسخ ، ومن فسا الى طمستان مدينة أربعة فراسخ ، ومن طمستان الى حومة الفستجان مدينة ستة فراسخ ، ومن الفستجان الى الدراكان مدينة أربعة فراسخ ، ومنها الى المريزجان مدينة أربعة فراسخ ، ومن المريزجان الى سنان مدينة أربعة فراسخ ، ومنها الى دارابجرد فرسخ ، ومنها الى زم المهدي خمسة فراسخ ، ومنها الى رستاق الرستاق مدينة خمسة فراسخ ، ومنها الى فرج مدينة ثمانية فراسخ ، ومنها الى تارم مدينة اربعة عشر فرسخاً ، والجميع من شيراز الى تارم اثنان وثمانون فرسخاً ، والطريق من شيراز الى اصبهان : فمنها الى هزار مدينة ستة فراسخ ، ومنها الى ماين مدينةٍ ستة فراسخ ، ومن ماين الى كسنا مرصدٍ ستة فراسخ ، ومنها الى كنار قرية اربعة فراسخ ، ومن كنار الى قصر ابن اعيَنَ قرية سبعة فراسخ ، ومنها الى اصطخران قرية سبعة فراسخ ، ومنها الى خان روشن قرية سبعة فراسخ ، ومنها الى كرد قرية سبعة فراسخ ، ومن كرد الى كزه ثمانية فراسخ ، ومن كزه الى خان لنجان سبعة فراسخ ، ومنها الى اصبهان سبعة فراسخ ، وحد فارس الى خان روشن وبينهما ثلاثـة واربعون فرسخاً ويكون الجميع الى اصبهان ثلاثة وسبعين فرسخاً ،

والطريق من شيراز الى خوزستان : فمن شيراز الى جويم مدينة خمسة فراسخ ، ومن جويم الى خُلّار قرية اربعة فراسخ ، ومن خلّار الى الخراره قرية كبيرة قليلة الماء خمسة فراسخ ، ومن الخراره إلى الكركان قرية خمسة فراسخ ، ومن الكركان الى النوبندجان مدينة كبيرة ستة فراسخ ، ومنها الى الخوبذان قرية اربعة فراسخ ، ومنها الى دوخيد قرية اربعة فراسخ ، ومنها الى خان حمّاد قرية اربعة فراسخ ، ومنها الى بيذك قرية ثلاثة فراسخ ، ومنها الى قرية العقارب وتعرف بهبر اربعة فراسخ ، ومنها الى راشتن اربعة فراسخ ، ومن راشتن الى الرجان سبعة فراسخ ، ومن الرجان على غَلْوَة ، فجميع الطريق من شيراز الى الرجان احد وستون فرسخاً .

٢١ — وأمّا المسافات بين المدن الكبار بفارس : فمن فسا الى كارزين ثمانية عشر فرسخاً ، ومنها الى جهرم عشرة فراسخ والى كارزين ثمانية فراسخ ، وقد مرّ أن من شيراز الى اصطخر اثني عشر فرسخاً ، ومن شيراز الى كُوار عشرة فراسخ ، ومن شيراز الى جور على كوار عشرون فرسخاً ، ومن شيراز الى فسا ستة وعشرون فرسخاً ، ومن شيراز الى البيضاء ثمانية فراسخ ، ومن شيراز الى دارابجرد خمسون فرسخاً . وقد مرّ ان من شيراز الى سيراف ستون فرسخاً ، ومن شيراز الى النوبندجان خمسة وعشرون فرسخاً ، ومن شيراز الى يزد اربعة وسبعون فرسخاً ، ومن شيراز الى توّج اثنان وثلاثون فرسخاً ، ومن شيراز الى جنّابه اربعة واربعون فرسخاً ، ومن شيراز الى الرجان ستون فرسخاً ، وقد مرّ ذلك ، ومن شيراز الى سابور خمسة وعشرون فرسخاً ، ومن شيراز الى خرمه اربعة عشر فرسخاً ، ومن شيراز الى جهرم ثلاثون فرسخاً ، ومن جُور الى كازورون ستة عشر فرسخاً ، ومن سيراف الى نجيرم اثنا عشر فرسخاً ، ومن مهروبان الى حصن ابن عُمارة وهو طول فارس على البحر نحو مائة وستين فرسخاً ، والذي يحيط بالمفازة من حدّ كرمان الى حد اصبهان من روذان الى انار ثمانية عشر فرسخاً ، ومن انار الى الفهرج خمسة وعشرون فرسخاً ، ومن الفهرج الى كثه خمسة

فراسخ ، ومن كثه الى ميبذ عشرة فراسخ ، ومن ميبذ الى عقدة عشرة فراسخ ، ومن عقده الى نايين خمسة عشر فرسخاً ، ومن نايين الى اصبهان خمسة وعشرون فرسخاً ، فمن روذان الى نايين ثلاثة وثمانون فرسخاً . ومسافة الحد الذي يلي كرمان من حد السيف من لدُن حصن ابن عُمارة الى ان ينتهي الى تارم ، ثم يمتد الى الروذان حتى ينتهي الى برّية خراسان مثل ما من البحر على خط مستقيم الى شيراز الى ان ينتهي الى مفازة خراسان ، وهو مائة وعشرون فرسخاً . والحدّ الذي يلي خوزستان من فارس ومهروبان حتى ينتهي الى الرجان وبلاد سابور والسردن الى اول حدّ اصبهان نحو ستين فرسخاً .

٢٢ – ذكر المياه والهواء والتربة بفارس: وارض فارس مقسومة على خط من لدُن الرجان الى النوبندجان الى كازرون الى جرّه ، ثم على حدود السيف الى كارزين حتى يمتد على الزم ودارابجرد الى فرج وتارم ، فما كان مما يلي ناحية الجنوب فجروم وما كان مما يلي الشمال فصرود . ويقع في جرومها الرّجان والنوبندجان ومهروبان وسينيز وجنّابه وتوّج ودشت الوستقان وجرّه وداذين ومور وكارزين ودشت بارين ، وجينزير ودشت البوشقان وزم اللواجان وكير وكبرين وابزر وسميران ، وخمايجان وكران وسيراف ونجيرم وحصن ابن عمارة وما في اضعاف ذلك . ويقع في الصرود اصطخر والبيضاء ومايين وابرج وكام فيروز ، وكرد وخلاّر وسروستان والاسبنجان والارد والرون وصرام ، وبازرنج والسردن والخرّمة والخيرة والنيريز والماشكانات والايج والاصطهبانات ، وبرم ورهنان وبوّان وطرخيشان والجوبرقان واقليد والسرمق وابرقويه ويزد ، وجارين ونايين وما في اضعاف ذلك من البلاد والنجاد . ومن الحدّين مدن فيها ما في الصرود والجروم من النخيل والجوز مثل فسا وجور وشيراز وسابور والنوبندجان وكازرون . وأما الصرود ففيها اماكن تبلغ من شدّة البرد ان لا ينبت عندهم شيء من الفواكه والبقول ، سوى الزرع كالارد والرون وكرد والرساتيق الاصطخرية والرهنان . وأما الجروم فان بها ما يبلغ من شدة الحر في الصيف الصائف ان لا يثبت عندهم شيء من

الطير لشدّة الحرّ مثل الاغرستان وهي رستاق . ولقد خبّر بعض الناس بعض الملوك أنه كان في بيت يُشرف على وادٍ فيه حجارة نصفَ النهار ، فرأى الحجارة تتفلّقُ في النار ، والصرود كلّها صحيحه الهواء والجروم فالغالب عليها فساد الهواء وتغيير الألوان ، وليس فيها اكثر وباء من مدينة دارابجرد ثم توّج ، وأصحّ الهواء من جرومها الرجان وسيراف وجنّابه وسينيز ، وأعدل هواء هذه المدن ما كان من هذين الحدّين كشيراز وفسا وكازرون وجور وغير ذلك ، وليس بجميع فارس هواء أصح من هواء كازرون ولا اصلح أبداناً واحسن أبشاراً من اهلها ، وأصح مياهها ماء كُر وأردأها ماء دارابجرد .

٢٣ — فأمّا زيُّهم ولباسهم واحوالهم فالغالب على خلقهم النحافة وخفّة الشعر وسُمرة الألوان ، وأهل الصرود أعبل ابداناً واكثر شعوراً واشد بياضاً ، ولهم ثلاثة ألسنة : الفارسية التي يتكلمون بها وجميع اهل فارس يفقهونها ويكلم بعضهم لبعضٍ بها إلا ألفاظاً تختلف لا تستعجم على عامّتهم ولسانهم الذي به كُتُبُ العجم وأيّامهم ومكاتبات المجوس فيما بينهم من الفهلويّة التي تحتاج الى تفسير حتى يعرفها الفُرس ، ولسان العربية الذي به مكاتبات السلطان والدواوين وعامة الناس ، وأما زيهم فكان السلطان زيُّه الأقبية وقد تلْبس سلاطينهم الدراريع وان كانوا فُرساً ، ومن لبِس الدراريع منهم أوسع فروجَها وعرّض جِرِّبَاناتِها ، وجيوب دراريعهم كدراريع الكُتّاب والعمائم تحتها القلانِس المرتفعة ، ويلبسون السيوف بحمائل وفي أوساطهم المناطق وخفافهم تصغر عن خفاف اهل خراسان ، وقد تغير زيّ سلطانهم في وقتنا هذا لأن الغالب على أصحابه لباس الدَّيْلم وقُضاتهم يلبسون الدنيّات وما أشبهها من القلانس المشمَّرة عن الأذنين مع الطيالسة والقمص والجباب ، ولا يلبسون دُرّاعةً ولا خُفّاً بكسرةٍ ولا قلنسُوةً تغطي الأذنين ، وكتّابهم يلبَسون ملابس كتّاب العراق ولا يستعملون القبَى ولا الطيلسان ، وتُنّاؤهم بين لبـــاس الكُتّاب والتجّار من الطيالسة والأردية والأكسية القومسي والخز والعمائم والخفاف التي لا كسر فيها والقمص والجباب والمُبَطّنَات ، ويتفاضلون في جودة

الملابس وحسن الزي وزيهم كزي اهل العراق ، والغالب على اخلاق ملوكهم وخدمهم والتُنّاء منهم والمخالطين للسلطان من عُمّال الدواوين وغيرهم والداخلين عليهم استعمال المروؤة في احوالهم ، وإقامة الوظائف والمطابخ وتحسين الموائد بالمطاعم وكثرة الطعام ، وإحضار الحلاوى والفواكه قبل الموائد ، والنزاهة عمّا يقبُح به الحديث من الأخلاق الدنيّة وترك المجاهرة بالفواحش ، والمبالغة في تحسين دورهم ولباسهم وموائدهم والمنافسة فيما بينهم في ذلك والأدب الظاهر فيما بينهم والعلم الشائع في جميعهم ، وأما تجّارهم فالغالب عليهم محبّة الجمع المال والحرص فوق من سواهم من اهل الأمصار .

٢٤ — فأمّا اهل سيراف والسواحل فربّما غاب أحدهم عامّةَ عمره في البحر ، ولقد بلغني أن رجلًا من سيراف ألِفَ البحرَ حتى ذكر أنه لم يخرج من السفينة نحو أربعين سنة ، وكان إذا قارب البر أخرج صاحبه فقضى حوائجه في كل مدينة ويتحوّل من سفينة الى اخرى اذا انكسرت أو احتيج الى اصلاحها ، ولقد حُظوا من ذلك بحظٍّ جزيلٍ وهم أهل صبرٍ على الغربة ، وفيهم اليسار الظاهر حيث كانوا ، ولقد رأيتُ بالبصرة منهم أبا بكر أحمد بن عمر السيرافي في سنة خمسين وثلاثمائة ، وقد قدمتُ عليه بكتابٍ مَن يعز عليه في مهمٍّ له ، فأخذ الكتاب من حيث لم ينظُرْ اليّ فقرأه ثم وضعه من يده ولم يُعِرْني لَحْظَ عين ، وسأله في الكتاب مخاطبتي على معانيه واستعلام ما عرّض فيه من مخاطبته وما بينهما ممّا يجب وقوفه عليه من جهتي كالمستشهد بعلمي بعد تعريفه في الكتاب صورتي ومحلي منه ، ثم أقبل على بعض خدمه وذكر مراكبه وحاله فوثبت غيظاً وتركتُه ، وأنا لا أبصرُ ما بين يديّ من شدّة ما نالني وداخلني بإعراضه عني ، فكأنه لاحظ مكاني فقال : ما فعل الرجل ؟ فقيل : من هو ؟ فقال : صاحب فلان . فقيل له : وبصاحب فلان فعلتَ هذا الانقباض لقد خرج وهو لا يُبصِر ما بين يديه ألماً وغيظاً ! فقال عليّ به . فلحقني كاتبٌ له وقد بثّ جماعةً غيره في طلبي في الطريق الذي قصدتُ له فقال : إن الشيخ تألم من خروجك بغير إذنه وعرّفناه ما ظهر لنا منك

وقد أنفذنا لردّك . فقلت : والله لقد رأيت اكثر ملوك الارض ومن تحت ايديهم من الناس على اختلاف اطوارهم وتباين احوالهم وهم قطب الصلف ، فما رأيتُ رجلا اكثر زَهواً ولا اقبح صَلفاً وبأواً منه . فقال لي كاتبه . وحُقّ له ذلك : هذا رجلٌ اعتلّ في سنة ثماني وأربعين علّة خيف عليه منها فأوصى فبلغ ثلث ماله مع شيء استزاده على الثلث لانه لا وارث له ، فبلغت وصيّته تسعمائة الف دينار بين مركب قائم بنفسه وآلته في يد وكيل معلوم ما لديه ، وعنده بالحسبانات الظاهرة والقبوض المعلومة المعروفة من جهاتها واوقاتها الى بربهار ومتاع من جوهر وعطر في خانباراته ومخازنه ، وقلّ مركبٌ خطف له الى ناحية من نواحي الهند او الزنج او الصين فكان له فيه شريكٌ او كريٌ إلا على حسب التفضّل على المحمول بغير اجرة ولا عِوض : فأفحمني قوله وعدت اليه فاعتذر مما كان . وهذا وان زاد على الثلث فلعله اوصى بنصف ماله ، وما سمعتُ ان احداً من التجار ملك هذا المقدار ولا تصرّف فيه ولا من وديعة سلطان لانها حكاية اذا اعتُبرت كالجزاف يُستوحش من حكايتها .

٢٥ — وما علمتُ مدينة في برّ ولا بحر يجتمع بالمشرق فيها قوم من الفرس مقيمون إلا وهم في أعفّهم طريقةً وأحسنهم طبقةً وفيهم علم ، وأكثرهم يقول بالوعيد على مذاهب اهل البصرة ، والى الاعتزال مَيلهم ومن كان خاصةً من اهل جرومهم رأى تفضيل ابي عليّ بن عبد الوهاب الجبّائي على الجميع ، واليه ينحون وبه يأتمّون . واهل الصرود من اهل شيراز واصطخر وفسا فالغالب عليهم مذاهب الحشو ، وفي الفتيا مذاهب اهل الحديث . وبفارس اليهود والنصارى والمجوس وليس فيهم صابئ ولا سامريّ ، واكثر اهل الملل فيهم المجوس واليهود أقل من النصارى ، وليس المجوس بدارٍ اكثر منهم بفارس لان بها كانت دار مملكتهم واديانهم وكتبُهم وبيوت نيرانهم ، يتوارثون ذلك في ايديهم الى وقتنا هذا .

٢٦ — وبفارس سُنّة جميلة وعادة فيما بينهم وفضيلة من تفضيل اهل البيوتات القديمة وإكرام اهل النعم الأزلية ، وفيها بيوت يتوارثون فيما بينهم اعمال الدواوين على قديم ايامهم الى يومنا هذا : منهم آل حبيب وكان

مشائخهم مُدركاً واحمــدَ والفضلَ بنو حبيب وأصلهم من كام فيروز ، ومنشأهم شيراز قطنوها وتقلّدوا الاعمال الجليلة الشريفة . وكان المأمون استدعى مدرك بن حبيب للحساب وغيره من وجوه الخدمة وحَظي عنده وقرأ عليه ، فمات ببغداد ايام المعتصم واتُّهم يحيي بن اكثم به . وآل ابي صَفية من موالي باهِلةَ منهم يحيي وعبدالرحمن وعبدالله بنو محمد بن اسماعيل ناقلة توطّنوا بها . وآل المرزُبان بن زاذَبه اليهم في الاعمال، وكان الحسن ابن المرزبان بنداراً لمحمد بن واصل ومن بعده ليعقوب بن الليث . وخدم عليّ بن المرزبان عمرَو بن الليث على ديوان الاستدراك ، فزادت عنــده منزلتُه لنُبل كان فيه وفضلٍ وبراعــة ، وإخوته الحسن وسهل والفضل ومحمد ومنصور . وشيخنا ابو منصور احمد بن عبيد الله من ولده ، والى يومنا هذا تجري اعمــال الدواوين بينهم . ولقيت ابا جعفر بن سهل بن المرزبان كاتب ابي الحارث بن افرغون وهو حيّ الى يومنا هـذا ، ولا والله الذي لا إله غيره ما رأيتُ احداً قبله ولا بعده اجتمعت الألسن على حمده بفضله وكرمه كاجتماعها عليـه ، لأن السُنن المقروؤة والآثار المرويّة ومن ادركناه في عصرنا ممن تعلّق باسم الكرم ودابَ ونَصِبَ في طَلَبه يُمدح ويذمّ غيره ، فلم ار له ذامّاً ولا مستزيداً بوجـه من الوجوه ولا سبب من الاسباب ، ولم يدخُل خراسان منذ خمسين سنة أحد ليس عليه له فضل ويد يشكرها ، وإن لم يلقَه قصده بالمكاتبة والتحفَ عليه بجميعه حتى أنه احتال في ايصال فضله وتشييد مكارمه الى من لا يمكنه قصده ، ولا يضع نفسه للحاجة اليه فأقام في رباطات جعلهـا واستحدثها في ضياعٍ وقفها على مصالحها بقراً سائمةً تُحلبُ ويأخذُ البانها القُوّامُ عليها، ويقصدون المجتازين عليهم والمارّين بهم غير النازلين عندهم مع شيء من الاطعمة منها ومن غيرها على مقدار السابلة والمارّة بهم ، فيُسقون رائبهـا مع الهواجر بِرّاً لبني السبيل المارّين والجائين على ضياعه بهذا اللطَف والوجه الحسن . وما من قريةٍ ورباط له فيها مِلكٌ إلا وفيه المائة بقرة الى ما فوق ذلك لهذا الوجه والمقصد، دون بقرة العاملة في اسباب منافعه . وله غير نظير بخراسان ممن يقصد أفعال الخير وإفشاء المعروف بما وراء النهر، لا يدانيه

ولا يقاربه في هذا الباب ولا في غيره . وأهله آل المرزبان ابن فرابنداذ أقدم اهل هذه البيوتات في العجم واكثرهم عدداً ، منهم ابو سعيدٍ الحسن ابن عبدالله ونصر بن منصور بن المرزبان وعبد الرحمن بن الحسين بن المرزبان ، وفرّابنداذ بن مردشاري بن المرزبان واحمد بن فرّابنداذ في جماعةٍ أقصُر عن معرفتهم وعددهم وعليّ بن خرّشاد واولاده الحسين والحسن وأحمد الى نحو أيامنا هذه كانوا يتولون بفارس الدواوين ، مع من ذكرتُه من أهل البيوتات المتقدّم ذكرها ووصفها .

٢٧ — وقد انتحل قوم من الفُرس دياناتٍ ومذاهبَ خرجوا بها عن المذاهب المشهورة فدعوا اليها وانتصبوا لها ، ولو أن إهمال ذكرهم وترك وصفهم ضربٌ من العصبيّة على الدين وباب من التحامل عليه ، لأضربتُ عنه ولكن نذكر المستفاض ، وما بمن يقرأ هذا الكتاب حاجة الى معرفته وضرورة الى علمه دون الاستقصاء ، لذلك إذ الأخبار قد أتتْ به واعتقد الناس فيهم القبيح ، ووقفوا منهم على التلبيس المذموم وتأليف الكتب بالقَذْف للاسلام والبراءة منه بعد تأليف شيء منها جلبوا به القلوب ودعوا اليه العامة ، ومن لا رياضة له بالعلم من الخاصة في الظاهر وضادّوا ذلك في الباطن . وممّن عُرِفَ من هؤلاء واشتهر وطار اسمه في الآفاق وظهر الحسين بن منصور الحلاّج من أهل البيضاء ، وكان حلاّجاً ينتحل النُسْك والتصوّف وما زال يرتقي طَبَقاً على طبقٍ ، حتى انتهى به الحال الى أن زعم أن من هذّب في الطاعة جِسْمَهُ واشتغل بالأعمال الصالحة قلبه ، وصبر على مفارقة اللذّات وملك نفسه بمنعها عن الشهوات ارتقى الى مقام المقرّبين ، وشارك الملائكة الكرام الكاتبين ثم لا يتردد في درجة المصافاة حتى يَصفُوَ عن البشرية طبعُه ، فإذا لم يبق فيه من البشرية نصيب حلّ فيه روح الله الذي كان منه كعيسى بن مريم ، فيصير مطاعاً لا يريد شيئاً إلا كان من جميع ما ينفذ فيه أمر الله ، فإن جميع أفعاله حينئذٍ فعلُ الله وأمره أمره . وكان يتعاطى هذا ويدعو الى نفسه بتحقيق ذلك كلّه فيه ، حتى استمال جماعةً من الوزراء وطبقاتٍ من حاشية السلطان وأمراء الأمصار وملوك العراق والجزيرة والجبال وما

والاها، وكان لا يمكنه الرجوع الى فارس ولا يطمع في قبولهم إيّاه لخوفه على نفسه منهم لو ظفروا به وظهر لهم، وأُخذ فاعتُقِلَ وما زال في دار السلطان ببغداد إلى أن خيف من قِبَله أن يستغوي كثيراً من أهل دار الخلافة من الحُجّاب والحُرم وغيرهم فصُلِبَ حيّاً الى أن مات. ومنهم الحسن المكنّى بأبي سعيد بن بهرام الجنّابيّ من أهل جنّابه، وكان دقّاقاً وتعلّق لعنة الله عليه بدعوة القرامطة من قِبَل عَبدان الكاتب صهر حمدان بن الأشعث المعروف بقرمطٍ، واستخلفه على كثير من نواحيهم وكانت الدعوة اليه بجنّابه وسينيز وتوّج ومهروبان وجروم فارس، فدعاهم وأخذ الكثير من أموالهم ونبت له أضداد فنموا عليه فقُبِض على ما جمعه من المال واتخذه من الخزائن والعُدَد، وأفلت بحُشاشة نفسه فلم يزل في خفيَةٍ حتى كتب اليه حمدان بن الأشعث المعروف بقرمطٍ من كلواذي بالشخوص الى حضرته، ولم يكن رآه ولا عاينه فلما بصُرَ به رأى منه نافذاً فيما تكلّفه، ورأى ما دار عليه ليس من قِبَل سوء سياسته فيما كان بسبيله لكن وجوه وقعت عليه ودارت، كالضرورة، اضطرّه اليها مخالفوه والمنكرون عليه فأنفذه على يد عَبدان أيضاً الى البحرين وأمره بالدعوة هناك، وأيّده بوجوه القوة من المال والكتب وغيرهما، فورد البحرين وصاهر آل سَنْبَرٍ وبث الدعوة في العرب الذين بتلك الناحية، فقبلوها وانفتحت الديار على يده وأجابته القبائل والعشائر رغبةً ورَهْبَةً، بعد أن حاصر هَجَر وافتتحها بضروب من الحِيَل ووجوه الكيد ومشاقّ من الأعمال والأفعال ودخلها بالسيف، فقتل رجالها واستعبد الأولاد من الصبيان والصبايا واستباح حريمهم. وكان إذ ذاك في دعوة المقيم بالمغرب وفي جملة المنتمين اليه حتى قُتِل عبدان صاحبه، فارتدّ عما كان عليه وقتل أبا زكريا الطهاميّ داعياً كان لأهل المغرب قبله بالبحرين، واشتدت شوكته وتفرّد بالأمر لنفسه وكرّ في خطوب كثيرةٍ يطول شرحها وليس يمكن ذكرها إلا مستقصاةً وفي إعادته طول فتركتُها لذلك. وذَبَحَ أبا سعيدٍ بعضُ خدمه في الحمّام مع جماعة من كبراء رجاله بالأحساء. وكانت وصيّته الى أكابر أولاده

بتسليمهم لولده الأصغر منهم عند بلوغه ، لأمر وقف عليه فيه سائرَ ما خلّفه واتباعهم إيّاه ووقوفهم عند أمره ونهيه ، فكان من لعنه الله منهم أبو طاهر سليمان فاتح البصرة والكوفة ، وصاحب قوافل الحاج في طريق مكة وقاتل آل أبي طالب وبني هاشم والمستحلّ دماءهم وفروجَهم وأموالهم ، ومخربُ مكة وآخذ الحجر وفاعل كل كبيرةٍ ومستحلّ كل عظيمةٍ ومقترف كل آثامٍ ومستبيح كل حرامٍ ، الى أن أهلكه الله ودمّر عليه وأتى على أهله وولده بتشتيت الكلمة واختلاف الدعوة ، وغيلة بعضهم لبعض بالقتل والمكائد والختل . وما كان من فعله بالمسلمين واعتراضه على حجيجهم وعَيثِهِ في بلادهم بقَتْلِهم ، وما فعله بالحرم فلا حاجة بنا الى ذكره لشهرته والغنى عن إعادته من أخذ كنوز الكعبة ، وقتل المجاورين لها والمستذمّين بحرمتها الى أن أُخِذَ عمُّ أبي طاهر أخو أبي سعيدٍ وقراباته وذووه ، فحُبسوا بشيراز مدّةً وكانوا مخالفين له في المذهب والطريقة يرجعون الى صلاح وسداد ، وشُهِدَ لهم بالبراءة من القرامطة فخُلّيَ عنهم . ومنهم أبو جعفر محمد بن عليّ الشلمغانيّ فإنه أيضاً ممن ظاهر بأمور من العلم ودعا الى الفقه والزُهد وتزيّا بالورع والعفّة ، وألّف كتباً في الحلال والحرام بأحسن نظام وأجمل تأليفٍ وهو مع ذلك يُسرُّ شقاقَ الأمة ويعتقد إكفارهم ، ويرى أن الدار دارُ كفْرٍ وأهلها وأموالهم ومناكحتهم وحجّهم وغزوهم فاسد وجهادهم لازم ، ودعا مرّةً الى أصحاب المغرب وأشار اليهم وأخرى الى نفسه واضطرب في فنونٍ اعتقدها في الباريء تعالى الى أن هلك أيضاً صلباً وكفى الله أمره . والله الحافظ للاسلام وأهله والدافع عنهم بمنّه وطوله فقد عاد غريباً كبدؤه غريباً .

٢٨ — ذكر الخاصّيات بفارس وما يُجلب منها : فبناحيـة اصطخر تفّاح يكون بعض التفاحة في غاية الحلاوة وبعضها حامض صادق الحموضة ، وكنتُ رأيتُ ذلك في حكاية أن مرداسَ بن عمر حدّث بها الحسن بن رجاء ، فرأى في وجهه انكاراً لقوله فأحضر التفاح حتى رآه ، وبقرب ابرقويه تلال رماد كالجبال العظام التي صعود التلّ ونزوله نحو ميـل ،

ويزعم قوم أنها نار نمرود وهو خطأ لأن نمرود كان كنعانياً ومساكنهم ببابل ، ورأيتُ مثل هذه الجبال ،أعظم منها وأعلى واكثر على نهر الزاب الكبير الجائي من نواحي ارمينيه وبلد الداسن ، بظاهر القرية المعروفة بالمحمَّدية من عمل محمد بن حسنون الكردي ، ومررتَ بما اصغر منها وما يضاهيها في بلد السودان ، وبكورة سابور رستاق يُعرف بالهندوجان ، فيها بئر بين جبلين يخرج منها دخان فيتعالى كثيراً بالنهار ولا يتهيَّأ لأحد أن يقربها ، وإن طار عليها طائر سقط فيها ويُرى في حال هبوطه وهُويه احتراقُه قبل تغيبه فيها ، وبكورة الرجان في نواحي صاهك غير بئر لا قعر لها ، وبناحية كام فيروز بالقرية المعروفة والمورجان بين جبال شاهقة كهف فيه جرن ، يقطر اليه من سقف هذا الكهف ماء ويزعم قوم أن له طَلسماً ، فإن دخل ذلك الكهف رجلٌ خرج من الماء بما يكفيه ، وإن دخله ألف رجل خرجوا من ذلك الجُرن بالقطر من الماء بما يكفيهم ويعُمُّهم ، ومقدار ذلك الجُرن كالجَفنه الصغيرة او الغضارة الكبيرة ، وعلى باب الرجان ممَّا يلي خوزستان قنطرة على نهر طاب تُنسب الى الديلمي طبيب الحجَّاج بن يوسف ، وهي طاق واحد سعة ما بين عموديه على وجه الأرض ثمانون خطوةً وارتفاعها مقدار ما يجوز فيه راكب الجمل بيده عَلَمٌ من أطول ما يكون من الأعلام . وبكورة اردشير خُرّه من نواحي شيراز عين ماء حُلوٍ عذبٍ يشربه الناس لتنقية الجوف ، فمن شرب قدحاً أقامه مجلساً وإن ازداد فلكل قدحٍ مجلس . وبناحية داذين نهر ماء عذب يُعرف بنهر اخشين يُشرب منه ، ويُسقى الأرضين إذا غُسلَتْ بمائه الثياب خرجت خضراً ، وبناحية كوار طين أخضر كالسلق وأشرق منه يؤكل ولا نظير له . وبشيراز نرجس ورقه كورق السوسن وفي داخله عيون صُفر كعيون النرجس سواءً .

٣٩ ــ فأمَّا ما يُجلب من فارس الى سائر الأرض وهو أفضل أجناسه في سائر البلدان فماء الورد الذي بكوار وجور ، ينقل الى سائر الأرض حتى المغرب وبلد الروم والاندلس وروميه وأرض افرنجه ، والى مصر واليمن وبلد الهند والصين ويفضُل كلَّ ماء وردٍ سواه ، ويرتفع الكثير

من غيرهما بأعمال فارس غير أن الأكثر الأغزر من جُور والى جور ينسب الورد الذكي الرائحة ، وبجُور ماء الطّلع وماء القَيْسُوم الذي لا يكون في غير جور وماء الزعفران وماء الخلاف بفارس ودهن الخلاف يعلو على جميع ما يُعمل في أقطار الأرض منه ، سوى دُهْن الخلاف المراغيّ فإني رأيت منه ما لا يدانيه دُهْن في الارض ، ويباع منه المنّ بعشرة دنانير وكان عندي خيراً من ذلك ، وترتفع من سابور الادهان فتفضّل على كل جنس إلا الخيري والبنفسج اللذين بالكوفة ، وترتفع من سينيز الثياب السينيزيّ ومن جنّابه المناديل الجنّابيّة ، ومن توّج ثيـــاب التوّزي ولا يشبهها شيء من ثياب الارض في جنسها ، وإن وُجد أرفع منها واكثر ثمناً فلذلك من العلّة وكان للسلطان في كل بلد منها طراز ، ويرتفع من فسا أنواع من الثياب التي تُحمل الى الآفاق وبها طراز الوشي المرتفع الذي ليس بسائر الآفاق كهو اذا كان مذهّباً ، واذا كان ساذجاً فكالذي بجهرم وغيرها ، وأمّا الصوف فانه يُعمل للسلطان والتجار ثياب للفُرش ما يأخذ القيمة العظيمة من العين وكلّ مرتفعة من سائر أصناف الحرير ، ويتّخذ من القزّ للسلطان ستور معيّنة مُعْلمة ومن ثياب القزّ والصوف الفاخرة ما يُحمل الى كثير من الامصار ، والسُوسن جرد الذي يكون بها أرفع مما يكون بقرقوب وتوّج وتارم وبها أكسية القز التي يكون بالقيَم الوافية الراجحة كالمائة دينار ونحوها ، ويرتفع من جهرم من الثياب الوشي الرفيع ، فأمّا البسط والنخاخ والمُصليات والزلالي المعروفة بجميع الارض بالجهرمي فلا نظير لها ، ويرتفع من يزد وابرقويه ثيابُ قطن فتُحمل الى كثير من النواحي فتدخل في جمل البغداذي إذا قُصرت ، ويرتفع من الغندجان قصبة دشت بآرين من البسط والستور والمقاعد وأشباه ذلك ما يوازي به عمل الارمني ، وبها طراز للسلطان ويُحمل منها الى الآفاق جهاز كثير ، وسوسن جرد فسا أفضل من سوسن جرد قرقوب ، لانّ متاع فسا من صوف والقرقوبي من إبريسيم ، والصوف أحـــكم عملاً في الصّنعة وأبقى على مر الايام .

٣٠ — وبداراجرد حوت في الخندق المحيط بالبلد لا شوك فيه ولا

عظم ولا فقار ، وله فلوس وهو من ألذ السموك ، ويرتفع منها ثياب كالطبري للفرش تستحسن ، وبقرية من قرى دارابجرد المُومياي الذي يُحمل الى الآفاق وهي مِلك للسلطان ولا نظير له ، وهو غار في جبل قد وُكلّ به من يحفظه وهو مسدود الباب والمدخل مُغلق مُقفل مختوم ، مُعْلم بعلامات كثيرة لمن يحضر فتحه من ثقات السلطان ويُفتح في كل سنة في وقت معروف ، وقد استجمع في نُقرة حجر هناك ما اجتمع منه وفي غير ذلك النقرة الشيء بعد الشيء منه فإذا جُمِعَ يكون الموجود في كل سنة كالرمّانة فيُختم بمشهد من ثقات السلطان والحكام وأصحاب البرد والمعدّلين من اهل الأمانة ، بعد ان يُوضخ للحاضرين بالشيء اليسير منه وهو المومياي الصحيح ، وما عداه مزوّر ليس بصحيح ، وبقرب هذا الغار قرية تعرف بآيبي فنُسب هذا الموم اليها وتفسيره موم قرية آيبى . وبناحية دارابجرد جبـــال من الملح الأبيض والاسود والاصفر والاحمر والاخضر وجميع الألوان المتفرّعة ، وهي جبال على ظاهر الأرض يُنحت منها الموائد والغضار والآنيــة المستطرفة ، وتُحمل الى سائر مدن فارس وغيرها ، وبفارس عامّة المعادن من الفضّة والحديد والآنُك والكبريت والنفط وما أشبه ذلك ما يُغني أهلها عن عمل ما سواها من البلدان والنواحي ، إلا ان الفضة قليلة وبها معدن ذهبٍ ومعدن صُفرها بالسردن ، ويحمل منها الى البصرة وغيرها والحديد بجبال اصطخر ، وبقرية من جوار اصطخر تعرف بدارابجرد معدن للزيبق ، ويُعمل بفارس مداد أسود لذُوي الكتّاب وأصباغ التزاويق فيفضّل على كل مداد في الارض غير الصيني لأنها جميعاً من تذاكي أكبر النيران المجوسية المتقادمة ، وهو في نفسه دخانها لا غير ، وبشيراز أبراد معروفة مشهورة في أكثر أقطار الارض بالشيرازية ،

٣١ — فأما نقودهم ومكاييلهم للبيع والشرى فجميع بيوع فارس بالدراهم والدنانير عندهم كالعَرَض . وأوزانهم كأوزان جميع الأرض المعروفــة العشرة الدراهم سبعة مثاقيل ، وليست كاليمن والاندلس في اختلاف الأوزان . والأمناء التي تُوَزَن بها المتاع فمنوانِ صغيرٌ وكبيرٌ فالكبير وزن ألف وأربعين درهماً كرطل اردبيل ، ومَنْها مَنّ كبير

ورطل اللحم . بالاندلس تسعة أرطال ونصف بالفلفليّ ، والفلفليّ خمس عشرة أوقية بالبغداديّ ، ورطل القيروان فلفليّ ايضاً إلا رطل اللحم فانه اثنا عشر اوقية ، والمنّ الاصغر بفارس كمنّ العراق مائتان وستون درهماً ، وهذا المنّ المستعمل بفارس وعامة البلدان وأمصار المسلمين ، وإن كان لهم اوزان غير ذلك . والمنّ بالبيضاء ثمانمائة درهم وباصطخر اربعمائة وبجرّه مائتان وثمانون وبسابور ثلاثمائة وببعض نواحي اردشير خُرّه مائتان وأربعون . والكيل بشيراز الجريب عشرة اقفزة والقفيز ستة عشر رطلاً في التقدير ، ويزيد وينقص بحسب المكيل وهو حنطة ستة عشر رطلاً ورطلهم كرطل بغداذ اثنا عشر اوقية ، والأوقية عشرة دراهم وثلثان ؛ وللقفيز عندهم كيل يعرف بنصف قفيز وثلث وربع وكل واحد مجزأ منه . ومنّها معروف معلوم قائم بنفسه موجود في سائر حوانيتهم ، ولهم ايضاً كيل صغير وهو جزء من اربعة وعشرين جزءاً من القفيز . وجريب اصطخر وقفيزها على نصف جريب شيراز وقفيزها ، ومكاييل البيضاء تزيد على مكاييل اصطخر بنحو الربع وتنقص عن شيراز . وكذلك الرجان وكازرون تزيد على العشرة من كيلهم ستةً . ومكاييل فسا تنقص عن مكاييل شيراز ؛ فهذه جمل ما يجب علمه ويسأل الناسُ الناسَ عنه .

٣٢ – وأما ابواب المال لبيت المال على الناس فمن الزموم وما تطبَق عليه الدواوين وخراج الأرضين والصدقات، وأعشار السفن وأخماس المعادن والمراعي والجوالي وغلّة دار الضرب والمراصد في الضياع والمستغلّات ، وأثمان الماء وضرائب الملّاحات والآجام . فأما خراج الارضين فعلى ثلاثة أصناف فالمساحة والمقاسمة والقوانين التي هي مقاطعات معروفة لا تزيد ولا تنقص زُرِعت او لم تُزرَع فتؤخذ بالعبرة . والمساحة دون المقاسمة فان زرع زارعٌ أُخذ خراجه بالمساحة على الجُربان ، وان لم يزرع لم يطالَب وعامّة فارس مساحة إلا الزموم فانها مقاطعات بالعبرة والشيء اليسير من المقاسمات ، وتختلف الأخرجة في البلدان على المساحة فأثقلها بشيراز على كل صنف من المزروع شيء مقدّر، وذلك أن على الجريب الكبير من الارض تُزرع فيها الحنطة والشعير بالسَيح مائة وتسعين درهماً ، والشجر بالسَيح

مائةٌ واثنين وتسعين درهماً ، والرطاب والمقاثي السيح للجريب الكبير مائتان وسبعة وثلاثون درهماً ، وللجريب الكبير من القطن بالماء السيح مائتان وسبعة وخمسون درهماً وثلثان ، وعلى الجريب الكبير من الكروم بالماء السيح الف وأربعمائة وخمسة وعشرون درهماً . والجريب الكبير ثلاثة أجربة وثلثا جريب بالجريب الصغير ، والصغير ستون ذراعاً في ستين ذراعاً بذراع الملِك وذراع الملك سبع قبضات . وخراج كوار على الثُلثين من هذا العقد لأن جعفر بن ابي زُهَير السامي كلّم الرشيد فردّه الى ثلثي الربع . وخراج اصطخر ينقص من خراج شيراز شيئاً يسيراً لا اقف عليه . وخراج البخوس على ثُلث السيح والطويّ في البطّيخ والقثاء والبقول على ثلثي الخراج . واذا سُقي السيح سقيةً قبض السلطان رُبع الخراج وطالب به أشدّ مطالبةٍ ، واذا بُدىءَ بالسقية الثانية طالب بتمام بالخراج واستتمّه عند استتمام السقي . وكورة دارابجرد والرجان وسابور فزروعهم ومقادير الخراج على ارضهم بخلاف هذا يزيد وينقص اكّاره على قدر مِلكه ودخله ، والمقاسمة على وجهين : فضياع في أيدي قوم من أهل الزموم وغيرهم معهم عهد من امير المؤمنين علي بن ابي طالب وعمر ابن الخطاب رضي الله عنهما ، وغيرهما من الوُلاة المُسمّين باسم الخلافة فيقاسمون على العُشر الى الثُلث وغير ذلك ، والوجه الآخر مقاسمات على قرى قُبِضَتْ وصارت لبيت المال بإخلال أصحابها ووجوه غير ذلك يُزَارَعُ ...س عليها بالخُمسين وحسب المواقفة . وأمّا أبواب أموال الضياع فالضياع السلطانية خارجة من المساحة ، والذي يؤخذ منها بالمقاسمة والمقاطعة فعلى الأكرة فيها ضرائب من الدراهم يُؤدونها الى السلطان ، والصدقات وأعشار السفن وأخماس المعادن والجزية ودار الضرب والمراصد وضرائب الملّاحات والآجام ، وأثمان الماء والمراعي فإنها تقرب في الوسم مما في سائر الأمصار ، وليس بفارس دار ضرب إلا بشيراز ، فأما المستغلّات فتربتها للسلطان وقد ابتنى فيها التجّار الأسواق وغيرها ، فالبناء لهم ويؤدون أجرة الارض والطواحين للسلطان وأُجرة الدور التي يُعمل فيها ماء الورد ، وكان الرسم القديم بفارس ان كل حَوْمة بها لا خراج على

الكروم فيها ولا على الأشجار الى ان وَلِيَ عليّ بن عيسى بن الجرّاح الوزارة سنة اثنتين وثلثمائة فألزمهم فيها كلها الخَراج ، وكان بفارس ضياع قد ألْجأها أربابها الى الكُبراء من حاشية السلطان بالعراق ، فهي تجري بأسمائهم ويحمل عنهم الرُبع وهي في أيدي أهلها واهلها يتبايعونها ويتشارونها ويتوارثونها .

٣٣ – وكانت فارس في قديم الأيام وقبل الاسلام مقاسمات الى أيام قباذ أبي انوشروان ، فإنه نزل من تعَبٍ ناله في بعض البساتين وقد لَغَب من الحر فذًّا فَرْداً بعد إياسٍ ناله من نفسه بانقطاعه عن رجاله في طلب طريدةٍ ، فألفى امرأةً وبين يديها صبية صغيرة وقد استضافها فأضافته والصبية تمُد يدها الى شجرة رُمّانٍ والعجوز تمنعها ، ولجّت الصبية الى ان قطعت رُمّانةً فضربتها ضرباً وجيعاً ، فقال قُباذ : لِمَ ضربتِ هذه الصبيّة على هذا القدر الطفيف الخسيس من رُمانة فقالت : يا سيِّدَها لنا فيها وفي جميع الباغ شريك غائب كريم ويقْبُح بالشريك الحاضر خيانة الشريك الغائب ، سيّما إذا كان عدلاً أميناً . فقال قباذُ : ومن شريككِ ؟ فقالت : الملك قُباذ له فيها بحق القسمة ويقبُح بالفقير ذي المروؤة خيانة الغني ذي العدالة والأمانة ! فبكى قباذ وقال : صدقتِ وأقبحُ منه ان يخون الملكُ الغنيُّ العدلُ الامينُ الذي هو أعدل وقد سلّطه وملّكه ومكّنه وأقدره في عباده وبلاده ، أحْضِري الي إذا نزل العسكر فلاناً ، رجُلًا وصَفَهُ ؛ فحضَرَ وحضر أصحابه وجيشه فلما جمعهم مجلسُه أخبرهم خبر العجوز ، ولم يَرِمْ حتى جعل جميع فارس مقاطعاتٍ وخراجاتٍ تُقْبَضُ إذا حُيِّن ما في الانادر وتصرف الاكرة والمزارعون في البيادر .

٣٤ – فأما أموال فارس من الوجوه التي ذكرتُها فرأيتُ أهل الخبرة سنة خمسين يومون الى ألف ألف وخمس مائة الف دينار وزيادة ، وكانت أعمال الرجان خارجة عن عمل فارس في هذا العهد ، لأنها كانت بيد أبي الفضل ابن العميد يستوفي حقوقها وتبلغ خمس مائة الف دينار ونحو عشرة آلاف دينار ، فربما حُمِلَتْ الى الرّي وصَرَفَها الامير رُكن الدولة في أسبابه ، ورُبما آثر بها المَلِكَ صلةً منه له ينالها على يد أبي الفضل ابن العميد وكان ذلك يَكرِثُ المَلِكَ ويُحرجُهُ .

كرمان

١ – وأما كرمان فشرقيّها ارض مُكران ومفازة ما بين مُكران والبحر من وراء البَلوص ، وغربيّها ارض فارس وشماليّها مفازة خراسان وسجستان ، وجنوبيّها بحر فارس . ولها في حد السيرجان دخلةٌ في حدّ فارس مثل الكمّ وفيما يلي البحر تقويس قريب .

٢ – وهذه الصورة التي تقابل هذه الصفحة صورة كرمان .

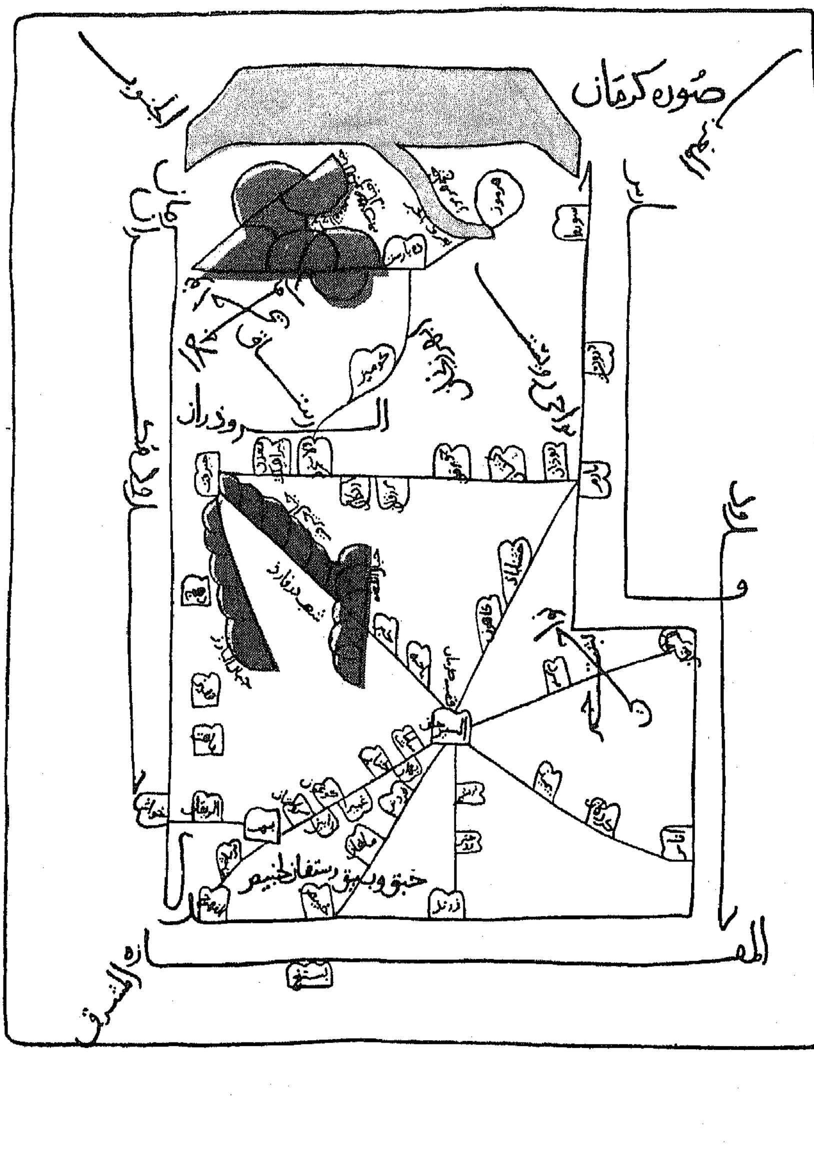
إيضاح ما يوجد في صورة كرمان من الاسماء والنصوص :

قد رُسم في اعلى الصورة البحر وكتب عن يمينه صورة كرمان ، وعن يمين ذلك في الزاوية المغرب وفي الزاوية اليسرى الجنوب .

وتبتدىء من عند الطرف الايمن من البحر الى الاسفل كتابة مستطيلة الخط تحيط بالثلاثة الاطراف من الصورة وهي حد كرمان ، وكتب موازياً لطرفها الايمن كتابة حدود فارس ثم موازياً للطرف الاسفل المفازة ثم موازياً للطرف الايسر حدود مُكران . ويقرأ في الزاويـة اليمنى في اسفل الصورة المشرق ، وتتصل بأسفل خط كتابة المفازة مدينة سبيبج .

ويتصل بالقسم الاول من خط الحد من المدن : سوروا ، رويست ، تارم ، ويأخذ من تارم طريق الى اليسار ينتهي الى جيرفت في اوسط الطرف الايسر وعليه من المدن : روين ، كشستان ، خبروقان ، مرزقان ، اردكان ، ولاشجرد ، مغون بيراهنكث . ويأخـذ من ولاشجرد طريق الى ناحية البحر عليه كوميز ثم ده بارست ، ومن هنا الى اليمين الى هرموز وينتهي الى هرموز خليج من البحر كتب عنده خليج هرموز يعرف بالخير ، وتقع عن يسار ده بارست كتلة جبال كتب عندها جبال البلوص ، وهي سبعة اجبال وعن يسار ذلك بين جبلـين نواحي القفص . وكتب في الساحة تحت الجبال على شكل صليبي نواحي الاخواش ومن اسفل ذلك رستاق الروذبار ، وفي الساحة عن يمين كوميز ابهر زنجان وعن يمين ذلك نواحي رويست .

وتقع في مركز النصف الاسفل من الصورة مدينة السيرجان كتب عندها قصبة كرمان . ويأخذ


صورة كرمان
الجنوب
الشرق
المفازة
السيرجان
هرموز

من السيرجان طريق الى جيرفت عليه باخته وخبر ، ثم يبلغ هذا الطريق جبال الفضة ثم جبال جيرفت . ويأخذ من جيرفت الى الاسفل سلسلة جبلية اخرى وهي جبال البارز وكتب بين السلسلتين شعب در فارد ، وعن يسار جبال البارز بينها والحد مدينة دهج ومن اسفل ذلك من المدن : قفيز ، باهت ، الريقان . وعن يسار الريقان متصلا بالجانب المقابل من الحد خواش . وعلى الطريق من السيرجان الى الفهرج في الزاوية اليسرى من اسفل الحد من المدن : شامات ، بهار ، خناب ، غبيرا ، كوغون ، رايين ، سروستان ، بم ، نرماشير . وتقع عن يمين الفهرج على الحد خبيص ويأخذ اليها طريق من السيرجان عليه فردين وماهان، وعلى الطريق من السيرجان الى زرند في اوسط الحد الاسفل من المدن بردشير وجنزروذ ، وكتب في الساحة فوق خبيص خبق وبيق رستاقان لخبيص، ثم يأخذ طريق من السيرجان الى اناس على اسفل الحد الايمن وعليه بيمند وكردكان ، ويأخذ طريق آخر من السيرجان الى رباط السرمقان الواقع على عطف الحد الايمن ، وبينهما مبرد . وكتب في الساحة بين الموضع ورباط السرمقان على شكل صليبي" نواحي بشت خم ، ويقع على الطريق من السيرجان الى تازم كاهون وخشناباذ .

٣ — كرمان ناحية لها جروم وصرود ، وصرودها تقصر عن صرود فارس في البرد وليس في جرومها شيء من الصرود، وربما عرض في صرودها بعض جروم . والذي يرتفع فيها من المدن المشهورة فالسيرجان وهي قصبة كِرمان وجيرُفت وبم وهرموز ، وهذه اعلام مدنها وكبارها مشهورة معروفة وفي اضعافها دونها . وفيما بين فارس وبين جيرفت مدينة روبين، وبعضهم يزعم انها ليست من كرمان والبعض يقول هي من كرمان ومدينة كشستان وخبروقان ومرزقان والسورقان وولاشكرد ومغون بيراهنكث . وما يلي جيرفت الى السيرجان باخته وخبر ، وما بين السيرجان وبم الشامات رستاق يُعرف بقوهستان السيرجان وبهار وخناب وغبيرا وكوغون ورايين وسروستان ودارجين . وفيما بين جيرفت وبم مدينة هُرمز الملك وتُعرف في وقتنا هذا بقرية الجوز ، وما بين السيرجان وفارس كردكان وبيمند ، وبين السيرجان وفارس بحدود دارابجرد خشناباذ وكاهُون ، ومن السيرجان الى ما يلي المفازة بردشير وجنزروذ وزرند وفردين وماهان وخبيص ، وبين ماهان وخبيص رستاقان عظيمان لخبيص يُعرفان بخبق وبيق ، ومما يلي المفازة بناحية بم نرماشير والفهرج وسبيج إلا ان سبيج بأوسط المفازة منقطعة عن حدود كرمان وان كانت

مضمومة اليها ، فقد صورتها كأنها في صورة مفازة فارس لأنها اليها أقرب وكذلك الاخواش ليست من كرمان على ان منهم من يزعم ان الاخواش من عمل سجستان وقد صوّرتها على آخر حد كرمان ، وحوالي جبل البارز الريقان ومدينة دهج وقفيز وحومة قوهستان أبي غانم ، وما يلي هرموز وجيرفت مدينة كوميز وابهرزنجان والمنوجان ، وأمـا سوروا فعلى البحر ليس بها منبر وهي عظيمة وهذا المشهور من حالها . [والذي فيها من المدن المشهورة في عصرنا هذا بردشير وهي مدينة صغيرة كثيرة العمارة آهلة بالناس ، وقد عمر حولها أكثر منها أضعافاً مضاعفة ، وبها دار الملك ومقر السلطان والديوان ومجمع العساكر] ،

٤ — ومن مشاهير جبالها المنيعة جبـال القُفْص وجبـال البارز وجبال معدن الفضّة ، وليس ببلاد كرمان نهر عظيم ولا بحيرة إلا ما لها من بحر فارس وخليجه الذي يخرق منه الى هُرمُوز يُسمّى الجير ، فتدخل فيه السفن من البحر وهو مالح الماء كماء البحر ، وبين اضعاف مدن كرمان مفاوز وبراري كثيرة وليس اتصال عمارتها كاتصال عمارة فارس ، وجبال القُفص فهي جبال جنوبيّها البحر وشماليّها حدود جيرُفْت والروذبار وقوهستان أبي غانم ، وشرقيّها الاخواش ومفازة بـين القُفص ومُكران وغربيّها البلوص وحدود نواحي المنوجان ونواحي هرموز ، ويقال أنها سبعة أجبال ولكل جبـل رئيس منهم ، وهم صنف من الأكراد وحي من أحيائهم ويكونون على ما قاله اهل نواحيهم نحو عشرة الف رجـل مستظهرين ممتنعين ، وكان للسلطان عليهم جراية يستكفّهم بها وهم مع ذلك يقطعون الطريق ويُخيفون السبيل في عامّة كرمان والى مفازة سجستان وحدود فارس ، فاستأصل الملك شأفتهم وكسر شوكتهم وجاس ديارهم وأخرب نواحيهم وشتتهم ثم ألجأهم الى خدمته وفرّقهم في أكناف نواحيه ومملكته ، وهم رجّالة لا دواب لهم والغالب على خلقهم النحافة والسمرة وتمام الخلق ، ويزعمون انهم من العرب وكانوا في دعوة اهـل المغرب في جملة جزيرة خراسان ، وتذكر طائفة تطأ أخبارَهم ان ببلادهم أموالاً مجموعةً وذخائر نفيسةً ويقولون أنها مدّخرة لامام الزمان وصاحبه ، والبَلوصُ طائفة في سفح جبل القُفص ولم يخف القُفْصُ أحداً إلا من البلوص ، وهم أصحاب

نَعَمٍ وبيوت شعرٍ كالبادية وهم قوم ذوو سلامةٍ لا يتأذى بهم احد ولا يعترضون لأبناء السبيل إلا بخيرٍ وبهم بلغ الملك ما أحبّه من القُفص . وجبال البارز جبال حصينة خصبة فيها أشجار وهي ناحية يقع فيها الثلوج وبلد من الصرود منيعة ، وأهلها ذوو سلامة لا يرون أذيّة احدٍ ولم يزل أهلها على المجوسية ايامَ بني أُميّة كلها لا يُقدَرُ عليهم ، وكانوا أشد من القُفص شدةً واكثر ضرراً وبليةً فلما ولي بنو العباس أسلموا ، وكانوا مع ذلك في منعةٍ الى ايام السِجْزيّة فأخذ يعقوب وعمرو أبناء الليث رؤساءهم وملوكهم وأخلوا تلك الجبال من عتاتهم . وجبالهم أخصب من جبال ظهر القُفص وبها معادن حديد ، وفي جبال المعدن جبال فيها فضّة تمتد من جيرفت على شِعْبٍ يُعرف بدرفارد الى جبل الفضة مسيرة مرحلتين ، ودرفارد هذا شِعبٌ خصبٌ عامرٌ بالبساتين والقرى نَزِهٌ جدّا .

٥ — وجروم كرمان اكثر من صرودها ولعل صرودها نحو ربعها ، وهي مما يلي السيرجان وحواليها الى جهة فارس والمفازة وما يلي بم . والجروم فيها من حدّ هرموز الى حد مُكران وحد فارس وحدّ السيرجان ، فيقع في اضعافها هرموز والمنوجان وجيرفت وجبال القُفص وده بارست ورويست وما في اضعاف ذلك من المدن والرساتيق . وكذلك بم وما في اضعافها الى المفازة وحدّ مُكران والى خبيص . والغالب على أهل كرمان نحافة الجسم والسمرة لغلبة الحرّ . وليس بعد جيرفت وبم مما يلي المشرق شيء من الصرود ، ومما يلي المغرب من جيرفت صرود يقع فيها الثلج وما بين جبال الفضّة الى درفارد الى ان تشرف على جيرفت ، وكذلك في وجه جبل البارز . وبقرب جيرفت موضع يُعرف بالميزان وعامّة فواكه جيرفت والحطب والثلوج تُحمل اليها من الميزان ودرفارد . وبجيرفت نهر يُعرف بهَرى روذ شديد الجري ، له وجبة وجريٌ سريع يجري على الصخور لا يستطيع احد ان ينزله إلا متوقياً على رجليه من تلك الحجارة ، وفيه ماء بالتقدير يدير خمسين رَحىً ،

٦ — وهُرموز مجمع تجارة كرمان وهي فرضة البحر وموضع السوق ، بها مسجد جامع ورباط وليس بها كثير مساكن ، وإنما مساكن التجار في

رساتيقها متفرّقين في القرى، وبلدهم كثير النخيل والغـــالب على زروعهم الذرة . وجيرفت مدينة طولها نحو ميلين وهي مُتجر خراسان وسجستان . ويجتمع فيهـا ما يكون في الصرود والجروم من الثلج والرُطب والجوز والاترجّ ، وماؤهم من نهر هرى روذ، وهي مدينة وناحية خصبة وزروعهم سقي . ومدينة بم بها نخيل ولها قرى كثيرة وهي أصحّ هواء من جيرُفت ولها قلعة منيعة مشهورة ، وهي في المدينة . وبمدينـــة بم ثلاثة مساجد يجمّعون فيها الجمعات فمنها مسجد للخوارج في السوق عند دار منصور بن خردين امير كان لكرمان ، ومسجد جامع في البزّازين لاهل الجماعة ، ومسجد جامع في القلعة . وفي مسجد الجامع للخوارج بيت مالهم للصدقات وشراتُهم قليلون إلا أن لهم يساراً ، وبم اكـبر من جيرفت ويُعمل بهم ثياب من قطنهم فاخرة حسنة رفيعة باقية، وتُحمل الى اباعد الديار ونأي البلدان فتُستحسَن . ومن طريف ما يُعمل من ثيابهم الطيالسة المقوّرة في المناسج تُنسج برفارف . والثياب الرفيعة مما يبلغ الثوب ثلاثين دينـــاراً وأكثر وأقل فتباع بخراسان والعراق ومصر . ولهم عمـائم معروفة ايضاً مرتفعة يرغب فيها اهل العراق ومصر وخراسان ، ولثيابهم بقـاءٌ مستفاض كبقاء العدني والصنعانيّ من خمس سنين اقلّه الى عشر سنين مع الكدّ ، وثيابهم مما يدّخرها الملوك ويقتنونها ، وكان عنـدهم قديماً طراز للسلطان فهلك بهلاكه .

٧ – ومياه السيرجان من القنيّ في المدينة كقني نيسابور ورساتيقهـا يشربون من الآبار . [وكانت قصبة كرمان وأجلها وأعمرها فخربت] وهي اكبر مدينة بكرمان وأبنيتها آزاج لقلة الخشَب بها ، والغالب على مذاهب أهل السيرجان الحديث وعلى أهل جيرفت الرأي وكذلك على أهل الروذبار وقوهستان أبي غانم واهل القفص والمنوجان يتشيّعون ، ومن حد مغون وولاشجرد الى ناحية هرموز يزرع النيل والكمّون ويحملان الى الآفاق ، ويُتخذ بها الفانيد ، وقصب السكر عندهم غزير والغـــالب على طعامهم الذرة ، وبها نخيل كثيرة حتى ربما بلغ بها وبسائر جروم جيرفت التمر مائة منا بدرهم ، ولهم سنة حسنة لا يرفعون من تمورهم مـا أسقطته الريح ،

ويأخذه الضعفاء والمساكين بغير كره من أربابها ، وربما كثرت الرياح فيصير الى الضعفاء والمساكين من التمور في التقاطهم أكثر مما يحصل لأربابها ، وعليهم فيها العشور للسلطان كحال أهل البصرة . وأما ناحية ده بارست فإنه بلد قشِف والغالب على أهله اللصوصية . وسوروا قرية على البحر بها صيادون ، وهي منزل لمن أراد ان يأخذ من فارس الى هُرموز وليس بها منبر . ولسان أهل كرمان الفارسية إلا القُفص فلهم مع لسان الفارسية لسان آخر ، [وقد ذكرتُ ما يرتفع من ثياب بم] وبزرند البطائن المعروفة بالزرندية وتحمل حتى تصل الى مصر وأقاصي المغرب ، والخواش نواحٍ تعرف بالاخواش ، وهم بوادٍ اصحاب إبل ولهم اخصاص ينزلون فيها وينتجعون المراعي ، ويرتفع من الاخواش ونواحيها الفانيذ الذي يحمل الى سجستان وخراسان لكثرة زارعهم لقصب السُكر ولهم نخيل كثيرة ، ونقودهم فالغالب عليها الدراهم والدنانير فيما بينهم كالعَرَض لا يتبايعون بها من حد فارس اليهم ،

٨ — فأما المسافات بين مدن كرمان فإن من السيرجان الى رستاق الرستاق من حد فارس فنحو أربع مراحل ، وذلك ان من السيرجان الى كاهون مرحلتين ومن كاهون الى خشناباذ نحو فرسخين ، ومن خشناباذ الى رستاق الرستاق مرحلة ، ومن السيرجان الى الروذان مما يلي فارس منها الى بيمند أربعة فراسخ ، ومن بيمند الى كردكان فرسخين ، ومن كردكان الى آناس مرحلة كبيرة ، ومن آناس الى الروذان من حد فارس مرحلة خفيفة ومن السيرجان الى رباط السرمقان من حد فارس مرحلتان كبيرتان ، وليس فيما بينهما منبر . وبشت خم فيما بين السيرجان وبين رباط السرمقان منزل . ومن السيرجان الى بم أول مرحلة منها الى الشامات وتُعرف بكوهستان ، ومن الشامات الى بهار مرحلة خفيفة ومن بهار الى خناب مدينة مرحلة خفيفة ، ومن خناب الى غبيرا مرحلة خفيفة ومنها الى كوغون فرسخ ، ومن كوغون الى راين مرحلة ومنها الى سروستان مرحلة ، ومن سروستان الى دارجين مرحلة [خفيفة] ومن دارجين الى بم مرحلة . ومن السيرجان الى جيرُفت لمن اراد طريق بم فالى سروستان ثم يعطف الطريق

يميناً الى هرمز قرية الجوز مرحلة، ومنها الى جيرفت مرحلة ومن شاء من السيرجان الى بَاخته مرحلتان ، ومن باخته الى خبر مرحلة ومنها الى جبل الفضّة مرحلة ومنها الى درفارد مرحلة ، ومن درفارد الى جيرفت مرحلة . ومن السيرجان الى خبيص ست مراحل فترحل من السيرجان الى فردين مرحلتين ، ومن فردين الى ماهان مرحلة ومن ماهان الى خبيص ثلاث مراحل . والطريق من السيرجان الى زرند اربع مراحل وذلك ان من السيرجان الى بردشير مرحلتين ، ومن بردشير الى جنزروذ مرحلة كبيرة ومن جنزروذ الى زرند مرحلة ومن زرند الى حد المفازة مرحلة كبيرة . ومن بم الى المفازة طريق وهو من بم إلى نوماشير مرحلة، ومن نوماشير الى الفهرج على طريق المفازة مرحلة، ومن بم الى جيرفت منها الى دارجين مرحلة ، ومن دارجين الى هرمز مرحلة ، ومن هرمز الى جيرفت مرحلة . ومن جيرفت الى قناة الشاه مرحلة ، ومنها الى مغون مرحلة ومن مغون الى ولاشكرد مرحلة ، ومن ولاشكرد الى اردكان مرحلة ، ومنها الى مرزقان مرحلة ومنها الى خبروقان فرسخ ، ومنها الى كشستان مرحلة خفيفة، ومنها الى روئين مرحلة خفيفة ومن روئين الى فارس مرحلة خفيفة، ومن جيرفت الى هرموز الطريق الى ولاشكرد ثم تَعدِل على اليسار الى كوميز مرحلة ، ومن كوميز الى ابهرزنكان مرحلة ومنه الى المنوجان مرحلة ، ومن المنوجان الى هرموز مرحلتان . والطريق من هرموز الى فارس فمنها الى سوروا مرحلة ومن سوروا الى رويست ثلاث مراحل ، ومن رويست الى تارم ثلاث مراحل فهذه جوامع المسافات بها .

٩ — فأما ارتفاعها في وقتنا هذا فتشتّت بما حدث على محمد بن الياس من ولده وحدَثَ بولده بعدَه وانتقالها من يدٍ الى يدٍ حالت وتغيّرت . وأخبرني غير بندار ممن وليها انه جبا بها لنصرٍ خمس مائة الف دينار في غير سنة .

السند

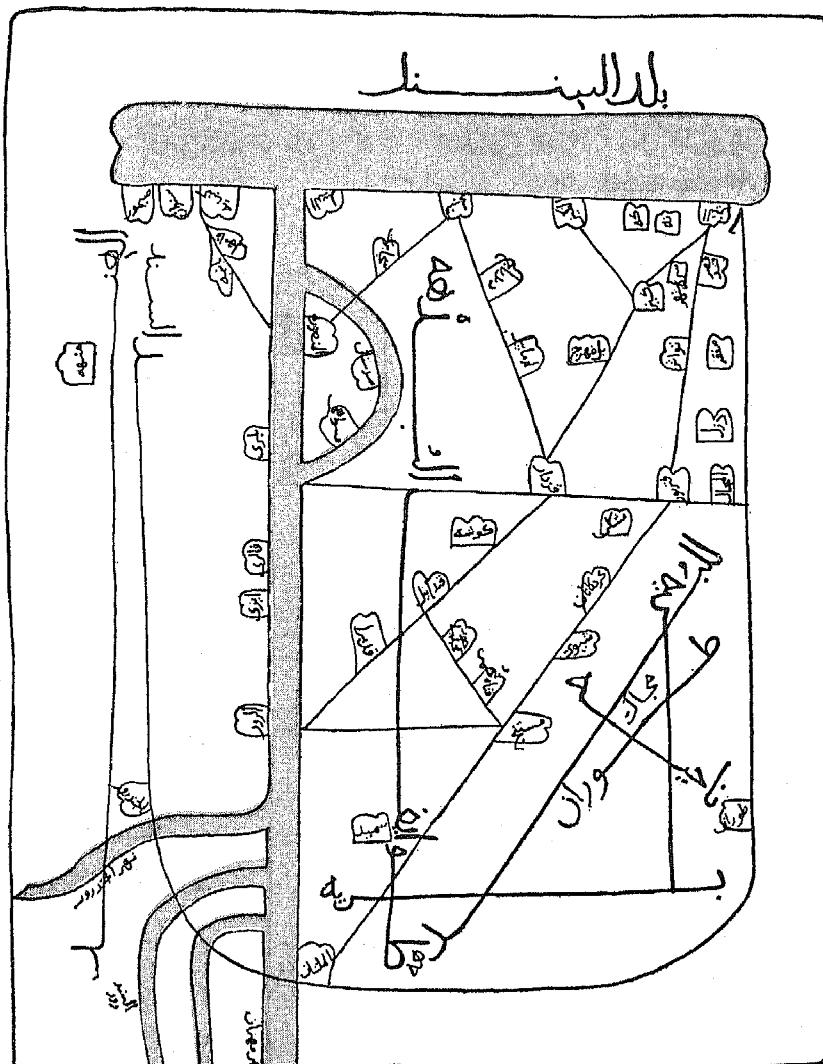
١ — وأما بلاد السند وما يصاقبها للاسلام مما جمعتُه في صورة واحدة فهي بلاد السند وشيء من بلاد الهند ومُكران وطوران والبدهه. وشرقي ذلك كله بحر فارس وغربيّها كرمان ومفازة سجستان وأعمالها، وشماليّها بلاد الهند وجنوبيّها مفازة ما بين مُكران والقُفص ومن ورائها بحر فارس. وإنما صار بحر فارس يحيط بشرقي هذه البلاد والجنوبي من وراء هذه المفازة من اجل أن البحر يمتد من صَيمور على الشرقي الى تيز مُكران، ثم ينعطف على هذه المفازة الى أن يتقوّس على بلاد كرمان وفارس.

٢ — وهذه صورة بلاد السند:

إيضاح ما يوجد في صورة السند من الأسماء والنصوص:

قد رُسم البحر موازياً للطرف الأعلى وكتب فوقه بلد السند، وينصبّ في البحر نهر يأتي من الأسفل وكتب عند نهايته السفلى نهر مهران.

ويقع عن يمين مصب نهر مهران على ساحل البحر من المدن: الديبل، قنبلى، النكيز، التيز. وبين التيز والنكيز في قرب الساحل به وكه، وتبتدىء عن يمين التيز كتابة مستطيلة الخط تحيط بثلاثة اطراف الصورة منتهيةً الى طرف البحر الايسر وهي حدّ السند. ويبتدىء من منتصف الطرف الايمن من الحد طريق الى اليسار ينتهي الى النهر وعليه من المدن: المجاك، فنزبور، قزدار. ويأخذ من التيز طريق الى فنزبور عليه قصرقند وخواش، ويقع بين هذا الطريق وخط الحد من المدن اصفقه ودزك، ثم يأخذ طريق آخر من التيز الى قزدار عليه كيز وبل فهرج، وبين كيز وقصرقند سرى شهر. ثم يأخذ طريق من قزدار الى قنبلى على البحر وعليه ارمابيل ودندراج. ويأخذ من قنبلى طريق آخر الى اليسار عليه منجابرى ثم المنصورة على نهر مهران.



ويأخذ من هذا النهر خليج بين الديبل والمنصورة يرجع الى النهر من تحت المنصورة ، وعلى هذا الخليج من جانبه الأيسر سدوستان ومسواهي .

ويوازي نهر مهران عن يمينه من الأسفل الى الأعلى كتابة طوائف البدهه . وتقع مدينة الملتان في جانب النهر الأيمن متصلة بخط الحد في أسفل الصورة ، ويأخذ اليها طريق من فنزبور عليه : كيزكانان ، سيوى ، مستنج . وتقع من فوق كيزكانان مشكى ، ويوازي هذا الطريق طريق آخر يأخذ من قزدار الى شاطىء مهران عليه : كوشه ، قندابيل ، قديرا . وعلى الطريق من قندابيل الى مستنج خور كجليا وقناة مُخر . ومن أعلى الملتان عن يمين النهر مدينـة بسمد ، وتقع على خط الحد في أسفل طرفه الأيمن مدينـة طوران ، وكتب في الساحة عن يمين الطريق من فنزبور الى الملتـان في شكل مثلث برية للبدهه ، ويكون ضلعان من أضلاع المثلث خطى كلمة برية . وتقطع أعلى المثلث كتابة ناحية طوران على شكل صليبي وكتب فوق هـذه الكتابة بينها وبين ضلعي المثلث مجاك .

وعن يسار مصب نهر مهران على ساحل البحر : كنبايه ، سندان ، صيمور . وعلى الطريق من كنبايه الى جانب النهر المقابل للمنصورة قامهل وبانيه ، ثم يقع على شاطىء النهر الأيسر : بلرى ، قالرى ، انرى ، الرور . وينصب في نهر مهران نهر يأتي من اليسار كتب عنـده نهر الجندرور وعليه مدينة الجندرور ، ويليه نهر آخر يقرأ عنده السندروذ ، ويوازي طرف الصورة الأيسر كتابة مستطيلة نصها الهند ، وتقع عن يسار هذه الكتابة مدينة منهه .

٣ — والذي يقع من المدن في هذه البلاد فبناحية مُكران التيز وكيز وفنزبور ودزك وراسك ، وهي مدينة الخروج وبه وبنـد وقصر قند واصفقه وفهلفهره ومشكى وقنبلى وارمابيل . وبنواحي طوران من المدن مجاك وكيزكانان وسيوى وقصدار . وبنواحي البدهه من المدن قندابيل وهي امّ الناحية . وأما نواحي السند وما يقع بها من المـدن فالمنصورة اسمها باميرامـــان بالسنديّة ، والدَيبُل والنيرون وقالرى وانرى وبلرى ومسواهى والفهرج وبانيه ومنجابرى وسدوستان والرور والجندرور . وأما مدن الهند فهي : قامهل وكنبايه وسوباره ، ولها نواحٍ جليـــلة واساول وجناول وسندان وصيمور وبني بتن الى الجندرور والسندروذ ، وهـذه مدن الهند التي يملكها الاسلاميّون . ولبلد الهند مواطن وأماكن وفجاج وأعماق كفرزان وقيُوج في المفاوز ، وأقطارها نائيـة وبراريّها فسيحة لا يصل اليها تاجر إلا من اهلها ، ولا يمكن سافرةً غيرها ان تردها لانقطاعها ونأيها وكثرة الآفات المعترضة على الطارئين اليها .

٤ — ومن كنبايه الى صيمور هو بلد بلهرا صاحب كتاب الأمثال ، ويُدعى ملكهم باسم ناحيته كما قالوا غانه وهو اسم الناحية ويتسمّى الملك بها، وكذلك كُوغه اسم المملكة واسم من يملكها والغالب على هذه الناحية الكُفر ، وفيها مسلمون ولا يلي عليهم من قبل بلهرا الذي في زماننا هذا إلا مسلم يستخلفه عليهم ، وكذلك العادة وجدتُها في كثير من بلدان الاطراف التي يغلب عليها املاك الكُفر كالخزر والسرير واللان وغانه وكُوغه . والمسلمون لا يقبلون ان يحكم عليهم إلا مسلم منهم ولا يتولّى حدودَهم ولا يقيم عليهم شهادةً إلا من في دعوتهم ، وإن قلّ عددهم في بعض الممالك قبلوا من اهل الممالك المشار اليه في العفّة، فإن جرحه الخَصم وزكّاه المسلمون أُمضيَت شهادته وأُخذ الحق بقوله من المسلمين . وببلاد بلهرا المساجد تجمع فيها الجمعاتُ ويقام بسائرها الصلوات بالأذان في المنار والإعلان بالتكبير والتهليل ، وهي مملكة عريضة .

٥ — والمنصورةَ مدينة مقدارها في الطول والعرض نحو ميل في مثله، ويحيط بها خليج من نهر مهران وهي في شبيه بالجزيرة ، وأهلها مسلمون ملكها من قُريش من ولد هبّار بن الأسود وقد تغلّب عليها أجداده ، وساسوهم سياسةً اوجبت رغبة الرعيّة فيهم وإيثارَهم على من سواهم غير أن الخُطبة لبني العبّاس . وهي مدينة جروميّة حارّة بها نخيل وليس بها عنب ولا تُفّاح ولا جوز ولا كمثري، ولهم قصب سكّر يُعقد منه القند الغزير الكثير، وبأرضهم ثمرة على قدر التفاح تسمّى الليمونة حامضة شديدة الحموضة ، ولهم فاكهة تشبه الخوخ يسمّونها الانبج تقارب طعم الخوخ ، وأسعارهم رخيصة وبها خصب ، ونقودهم القندهاريات كل درهم منها خمسة دراهم ، ولهم درهم يقال له الطاطري في الدرهم درهم وثُمن ، ويتعاملون بالدنانير أيضاً وزيّهم كزي اهل العراق غير ان زي ملوكهم يقارب زي ملوك الهند في الشعور والقراطق .

٦ — والمُلتان مدينة نحو المنصورة في الكبر وتُسمّى فرج بيت الذهب ، وبها الصنم الأعظم للهند الذي تحج اليه من أقاصي بلدانها وسائر أصقاعها وتعظّمه ، ويُتقرّب الى هذا الصنم في كل سنة بمالٍ عظيمٍ فيُنفق

على بيت الصنم وعلى سَدَنته والمتكفين عليه منهم ، وسمّيت المُلتان باسم الصنم والصنم اسمه المُلتان ، ومكان هذا الصنم في قصر مبنى في أعمر موضعٍ بسوق المُلتان بين سوق العاجيين وصف الصفّارين ، وفي وسط هذا القصر قبّة والصنم فيها ومن حوالي القبة بيوت يسكنها خدم هـذا الصنم ومن اعتكف عليه ، وليس بالمُلتان من الهند والسند الذين يعبدون الأوثان غير هؤلاء السدنة الذين يحوزهم هذا القصر مع هذا الصنم ، وهذا الصنم صورة على خلقة الانسان مربّع على كرسي من جص وآجر ، وقد أُلبس الصنم جلداً يشبه السختيان أحمر فلا يتبين من جسده شيء الا عيناه ، فمنهم من يزعم ان بدنه خشب ومنهم من يدفع ذلك ، غير انه لا يترك بدنه ينكشف وعيناه جوهرتان ، وعلى رأسه إكليل من ذهب مرتفع على ذلك الكرسي وقد مد ذراعيه على ركبتيه ، وقد فرق أصابع يديه كمن يحسب أربعةً ، وعامة ما يُحمل الى هذا الصنم من المال يأخذه القُرشي المبّاري امير الملتان ، وينفق على السدنة منه كفافهم ، وقد قصدهم الهند غير وقت للتغلب على الملتان في انتزاع الصنم منهم ، فيظاهرون المتغلّبين عليهم القاصدين لهم بكسره وإحراقه فيرجعون عنهم ولولا ذلك لخرّبوا الملتان . على الملتان حصن وبها منعة وهي خصبة رخيصة الأسعار ، غير ان المنصورة أخصب وأعمر منها وسُمّيت الملتان بفرج بيت الذهب ، لأنها فُتحت في اول الاسلام وكان بالمسلمين إضاقة وقحط ، فوجدوا فيها ذهباً كثيراً فاتّسعوا فيها بما وجدوه ، وأهلها رغبة في القرآن وعلمه والأخذ بالمقارىء السبعة والفقهِ وطلبة الأدب والعلم ، وفيهم جساء وزعارة أخلاق وبخارج الملتان على نصف فرسخ منها أبنية كثيرة تُعرف بالجندرور ، وهي معسكر الأمير ولا يدخل الأمير منها الى الملتان إلا في يوم الجمعة عند ركوبه الفيل ، ويدخل فيصلي الجمعة بأهلها ويعود على الفيل الى دار إمارته وهو من ولد سامَةَ بن لُؤي بن غالب وليس هو في طاعة أحدٍ وخطبته لبني العباس ، [قال كاتب هذه الأحرف : أظن ان الهنود افتتحوها بعد هذا لأني وجدت في الكتاب الذي ألفه العُتبي الكاتب في مناقب السلطان محمود بن سبكتكين وفتوحه ، أنه استفتح الملتان في سنة أربع مائة بعد واقعة عظيمة جرت له مع ملكها وحروب جمة قد بالغ في وصفها العتبي .]

٧ – واما بَسمد فمدينة صغيرة وهي الملتان دون الجنْدرور عن شرقي نهر الملتان ، وهو نهر مهران وبين كل واحدةٍ منهما وبين النهر نحو نصف فرسخ ، وشربهم من الأبْآر وبسمَد هذه خصبة وتكتب بالباء والفاء . ومدينة الرور تقارب الملتان في الكبر وعليها سوران ، وهي على شط نهر مهران ايضاً وهي من حد المنصورة خصبة رَفِهَة كثيرة التجارة . والديبُل من شرقيّ نهر مهران على البحر ، وهي متجر عظيم وتجارتها من وجوهٍ كثيرة وهي فرضة هذه البلاد وغيرها وزروعهم مباخس ، وليس لهم كثير شجر ولا نخيل وهو بلد قشف وإنما مُقامهم للتجارة . والنيرون مدينة بين الديبل والمنصورة على نحو نصف الطريق وهي الى المنصورة اقرب . وهي مقاربة في الحال لمنجابرى على غربي مهران ، وبها يعبر من جاء من الدَّيبُل الى المنصورة وهي تجاهها . ومدينة مسواهي والفهرج وسدوستان كلها غربيّ مهران وهي متقاربة في احوالها ، وانرى وقالرى فمن شرقيّ مهران ايضاً على طريق المنصورة الى المُلتان وهما بالبعد من شط مهران لهما عملٌ صالح ، وهما متقاربتان في الحال والصلاح . فأما بلرى فعلى شط نهر مهران ايضاً في غربيّه وبقرب الخليج الذي ينفتح من مهران على ظهر المنصورة ، وهي ناحية ومدينة مقتصدة صالحة الحال . وبانيه مدينة صغيرة ومنها عمر بن عبدالعزيز الهبّاريّ القرشيّ الجواد الكريم المشهور حاله بالعراق في النبل والفضل ، وهو جدّ المتغلّبين على المنصورة ونواحيها . وقامهل مدينة من اول حد الهند الى صيمور ، ومن صيمور الى قامهل فمن بلد الهند ومن قامهل الى مُكران فللبدهه ، وما وراء ذلك الى حد المُلتان فجميعه من بلد السند .

٨ – والكفّار في بلد السند هم البدهه وقوم يُعرفون بالمِيذ ، وهم قبائل مفترشة ما بين حدود طوران ومُكران والمُلتان ومدن المنصورة ، وهي في غربي مِهران وهم أهل إبل والجمل الفالج الذي يرغب فيه اهل خراسان وغيرهم من فارس وأشباهها لنتاج البخاتي البلخيّة والنوق السمرقندية . ومدينة البدهه التي يتجرون اليها ويقصدونها بحوائجهم قندابيل والبدهه كالبادية من البوبر ، لهم أخصاص وآجام يأوون اليها وبطائح مياه يعيشون

بينها . والميذ قوم على شطوط مهران من حدّ المُلتان الى البحر ، ولهم في البرّية بين مهران وقامهل مراعٍ ومواطن ينتجعونها لمصيفهم ومشاتيهم وهم عدد كثير . وبقامهل وسندان وصيمور وكنبايه مساجد جوامع وفيها أحكامُ المسلمين ظاهرة، وهي مدن خصبة واسعة وبها النارجيل ويستعملون منه الشراب فيُسكرهم [وهو كالماء واللبن صفاء وبياضاً ورقّة ويسمّى الأطواق] والخلّ فيكون في غاية الحموضة ويستعملون المِزرَ نبيذَ اهل مصر ، ولا والله ما أعرفه ولا ادري ما هو ، إلا أني احسبه يجري مجرى العصيدة الرقيقة . والغالب على زروعهم الأرزّ ولهم العسل الكثير ولا نخيل لهم . والزاهوق وكلوان رستاقان متجاوران بين كيز وارمابيل . فأما كلوان ونواحيه فمن مكران، وأما الزاهوق فمن حد المنصورة ولها مباخس كثيرة وزروع واسعة وقرىً غزيرة قليلة الثمر كثيرة المواشي والسائمة من كل نوع وجنس .

٩ — ولطوران وادٍ وقصبته تُدعى طوران ؛ وهو حصن في وسط الوادي وكان يلي عمله رجل من اخواننا يُعرف بأبي القاسم البصري قضاءً وإمارةً وبندرةً ، وكان لا يعرف ثلاثةً في عشرةٍ بل كان رجلًا من اهل القرآن . وقزدار مدينة لها رستاق ومدن والغالب عليها رجل يُعرف بمُعتزّ بن احمد ، يخطب لبني العبّاس ومُقامه بمدينة كيزكانان وهي ناحية خصبة الاسعار ، وبها أعناب وفواكه الصرود ورُمّان حسن وليس بها نخيل .

١٠ — وبين بانيه وقامِهل مفاوز ، ومن قامهل الى كنبايه أيضاً مفازة ثم يكون حينئذٍ من كنبايه الى صيمور قُرّى متصلة وعمارة للهند كثيرة واسعة .

١١ — وزي المسلمين والكفار بها واحد في اللباس وإرسال الشَعَر ، ولباسهم الأزر والميازر لشدة الحر ببلدانهم ، وكذلك زي أهل الملتان لباسهم الأزر والميازر ، ولسان اهل المنصورة والملتان ونواحيها العربية والسِندية ، ولسان أهل مكران الفارسية والمكرية ، ولباس القراطق فيهم ظاهر إلا التجار فإن لباسهم القُمص والأردية كسائر أهل العراق وفارس .

١٢ — ومكران ناحية واسعة عريضة والغالب عليها المفاوز والقحط والضيق ، والمتغلب عليها رجل يُعرف بعيسى بن معدان سَهمياً ومُقامه بمدينة كيز ، وهي مدينة نحو نصف الملتان وبها نخيل كثيرة وهي فرضة مكران ، وبتلك النواحي التيز ويعرف بتيز مكران ، وأكبر مدينة بمكران الفنجبور وبه وبند وقصرقند ودزك وفهلفهره وكلها مدن متقاربة في الاقتصاد وجميعها جروم ، ولهم رستاق يُدعى الخروج ومدينته راسك ، ورستاق يدعى خرذان وبه فانيذ كثير وقصب سُكّر ونخيل ، وعامّة الفانيذ الذي يُحمل الى الآفاق منها إلا شيء يُحمل من ناحية ماسكان وبقصدار أيضاً فانيذ ، وسكان هـــذه الرساتيق الشراة وتتصل بنواحي كرمان من ناحية تسمّى مشكي ، وهي مدينة قد تغلب عليها رجل يعرف بمطهّر بن رجاءٍ ويخطب لبني العبّاس ، ولا يذكر غيرهم ولا يطيع أحداً من الملوك الذين يصاقبونه. وحدود عمله نحو ثلاث مراحل ، وبها نخيـــل قليلة وفيها شيء من الفواكه الصرودية على أنها من الجروم . وارمابيل وقنبلي مدينتان كبيرتان وبينهما مقدار مرحلتين ، وبين قنبلي والبحر نحو نصف فرسخ وهما بين الدَّيْبُل ومكران ولهما سعة وفي أهلها يسار ومكنة . وقندابيل مدينة كبيرة وليس بها نخيل وهي في برية مفردة بذاتها وأعمالها وهي ممتار للبدهه . وبين كيزكانان وقندابيل رستاق يُعرف بايُل ، وفيه مسلمون وكفّار وثنيون من البدهـــة ، ولهم غلات وزروع وكروم ومواشٍ واسعة وخصب وإبل وغنم وبقر ، واكثر زروعهم البخوس ، وايل اسم رجل تغلب في القديم على هذه الناحية فهي تنسب اليه .

١٣ — وأما المسافات بها فمن التيز الى كيز نحو خمس مراحل ومن كيز الى فنزبور مرحلتان ، ومن أراد من فنزبور الى تيز مكران فطريقه على كيز ، ومن فنزبور الى دزك ثلاث مراحل ، ومن دزك الى راسك ثلاث مراحل ، ومن راسك الى بل فهره ثلاث مراحل ، ومن بل فهره الى اصفقه مرحلتان خفيفتان ، ومن اصفقه الى بند مرحلة ومن بند الى به مرحلة ومن به الى قصرقند مرحلة ، ومن كيز الى ارمابيل ست مراحل ومـــن ارمابيل الى قنبلي مرحلتان ، ومن قنبلي الى الديبُل أربع مراحل ، ومن

المنصورة الى الدَّيبُل ست مراحل ومن المنصورة الى المُلتان اثنتا عشرة مرحلة ، ومن المنصورة الى طوران نحو خمس عشرة مرحلة ، ومن قزدار الى الملتان عشرون مرحلة وقزدار مدينة طوران . ومن المنصورة الى أول حدّ البدهه خمس مراحل ، ومن كيز وهي مسكن عيسى بن معدان الى البدهه نحو عشر مراحل ومن البدهه الى التيز نحو خمس عشرة مرحلة . وطول عمل مكران من التيز الى قزدار نحو اثنتي عشرة مرحلة . ومن المُلتان الى اول حدود طُوران وهو والشتان المعروف ببالش نحو عشر مراحل ، ويحتاج ان يسير على غير قصد مهران ومن اراد بلاد البدهه من المنصورة الى مدينة سدوستان على شط مهران ، ومن قندابيل الى مستنج مدينة بالش اربع مراحل ، ومن قصدار الى قندابيل نحو خمسة فراسخ . ومن قندابيل الى المنصورة نحو ثماني مراحل . ومن قندابيل الى الملتان مفازة نحو عشر مراحل . وبين المنصورة وقامِهل ثماني مراحل ومن قامِهل الى كنبايه اربع مراحل ، وكنبايه على نحو فرسخ من البحر ومن كنبايه الى سوباره نحو اربع مراحل ، وسوباره من البحر على نصف فرسخ وبين سوباره وسندان نحو خمس مراحل وهي ايضاً على نصف فرسخ من البحر . وبين سندان وصيمور نحو خمس مراحل وبين صيمور وسرنديب خمس عشرة مرحلة . وبين المُلتان وبين بسمد مرحلتان ومن بسمد الى الرور ثلاث مراحل ، ومن الرور الى انرى اربع مراحل ومن انرى الى قالرى مرحلتان ومن قالرى الى المنصورة مرحلة . ومن الديبل الى فنزبور اربع عشرة مرحلة، ومن الديبل الى منجابرى مرحلتان والطريق من الديبُل الى فنزبور على منجابرى . ومن قالرى الى بلرى اربعة فراسخ . وبانيه بين المنصورة وقامِهل على مرحلة من المنصورة ، وقامِهل على مرحلتين من المنصورة .

١٤ — وأما أنهارهم فأعظمها نهر مهران ومخرجه من ظهر جبل يخرج منه بعض انهار جيحون ، وتمُدّه انهار كثيرة وعيون غزيرة ويظهر على توافره بناحية المُلتان، فيجري على حد بسمد ويمر بالرور ثم على المنصورة حتى يقع في البحر شرقي الديبُل وهو نهر كبير عذب جدّاً وفيه التماسيح

كتماسيح النيل ، وهو كالنيل في الكبر وجريه كجريه بماء الامطار الصيفية ويرتفع على وجه الارض ثم ينضب فيُزرع عليه حسبما يُزرع بأرض مصر . والسندروذ من المُلتان على نحو ثلاثة أيام وهو نهر كبير عذب يفرغ الى مهران قبل بسمد وبعد المُلتان . ونهر الجندرور نهر ايضاً كبير عذب طيِّب وعليه مدينة الجندرور ويفرع الى مهران دون السندروذ الى نواحي المنصورة . والغالب على ارض مكران البوادي والزروع البخوس لأنها قليلة الأنهار جدّاً ، وفيما بين المنصورة ومكران مياهٌ من مهران كالبطائح عليها طوائف من السند يُعرفون بالزُط ، فمن قارب منهم هذا الماء فهم بأخصاص كأخصاص البربر وطعامهم السمك ، وطير الماء في جملة ما يغتذون به ولهم سموك كبار جليلة وليس اغذيتهم من السمك كأغذية اهل الشحر من سمك الورق الذي اكبر ما يكون منه كالإصبع ودونها . ومَن بعُد من الزُط عن الشط في البوادي فهم كالأكراد يتغذون الألبان والاجبان وخبز الذرة .

١٥ — وقد انتهيتُ من حدّ المشرق الى آخر حدود الاسلام ولم أقصر إن شاء الله فيما قصدتُ ولا اعلمُني توخّيتُ فيه زيادةً لتجمّلٍ ولا نقصاً لناحيةٍ بإزراءٍ وتقوّل .

١٦ — وكان اكثر ما حداني على هذا الكتاب وتأليفه على هذه الصورة أني كنتُ في حال الحداثة شغفاً بأخبار البلدان والوقوف على حال الأمصار ، كثير الاستعلام والاستخبار لسافرة النواحي ووكلاء التجار وقراءة الكتب المؤلفة فيها ، وكنتُ اذا لقيتُ الرجل الذي أظنه صادقاً وإخاله بما أسأله عنه خبيراً عالماً فأجد عند إعادة الخبر الذي أعتقد فيه صدقه ، وقد حفظتُ نسَقَه وتأملت ظرفه ووصفه أكثر ذلك باطلاً ، وأرى الحاكي بأكثر ما حكاه جاهلاً ثم أعاوده الخبر الذي ألتمسه منه والذكر ليسمع الذي استوصفته وأطالع معه ما صدر مع غيره في ذلك بعد رؤية ، وأجمع بينهما وبين حكاية ثالث بالعدل والسوية فتتنافر الأقوال وتتنافى الحكايات ، وكان ذلك داعية الى ما كنت أحسه في نفسي بالقوة على الأسفار وركوب الأخطار ومحبة تصوير المدن وكيفية مواقع الأمصار وتجاور الأقاليم

والأصقاع ، وكان لا يفارقني كتاب ابن خرداذبه وكتاب الجيهاني وتذكرة أبي الفرج ُقدامة بن جعفر واذا الكتابان الأوّلان قد لزمني ان أستغفر الله من حملهما واشتغالي بهما عن ما يلزمني من توخي العلوم النافعة والسنن الواجبة ، ولقيتُ أبا إسحاق الفارسي وقد صوّر هذه الصورة لأرض السند فخلطها وصوّر فارس فجوّدها وكنتُ قد صوّرت اذربيجان التي في هذه الصفحة فاستحسنها والجزيرة فاستجادها ، وأخرج التي لمصر فاسدة والمغرب أكثرها خطأ وقال : قد نظرتُ في مولدك وأثرك وأنا اسألك إصلاح كتابي هذا حيث ضللتُ فأصلحتُ منه غير شكل وعزوته اليه ، ثم رأيت ان أنفرد بهذا الكتاب وإصلاحه وتصويره أجمعه وإيضاحه ، من غير ان ألمّ بتذكرة أبي الفرج وان كانت حقاً بأجمعها وصدقاً من سائر جهاتها ، وقد كان يجب ان أذكر منها طرفاً في هذا الكتاب لكن استقبحتُ الاستكثار بما تعب فيه سواي ونصب فيه غيري .

١٧ — واما ارتفاعات هذه النواحي الى ملوكها والقائمين بأمورها فشيء طفيف وقدر سخيف لا يتجاوز مؤنهم ولا يزيد على لوازمهم ، ولعلّها ان تَقْصُرَ ببعضهم عن نفقاته وتتخلف به عن طلباته .

ارمينية واذربيجان والران

١ ـ فلنرجع الى حدّ بلد الروم غرباً فنَنصِفُ ما صاقبها الى آخر الاسلام في حد المشرق . والذي أبتدىء به ارمينيه والران واذربيجان، وقد جعلتُها اقليماً واحداً لأنها مملكة إنسان واحـــد فيما شاهدتُه سائرَ عمري، وما نُقِلَت الاخبار به لمن تقدّمني كابن ابي الساج ومُفلحٍ غلامِه وديسم بن شاذلويه، والمرزبان بن محمد المعروف بالسلاّر آنفاً وسالفاً لمثل الفضل بن يحيي وعبدالله بن مالك الخُزاعي وغيرهما .

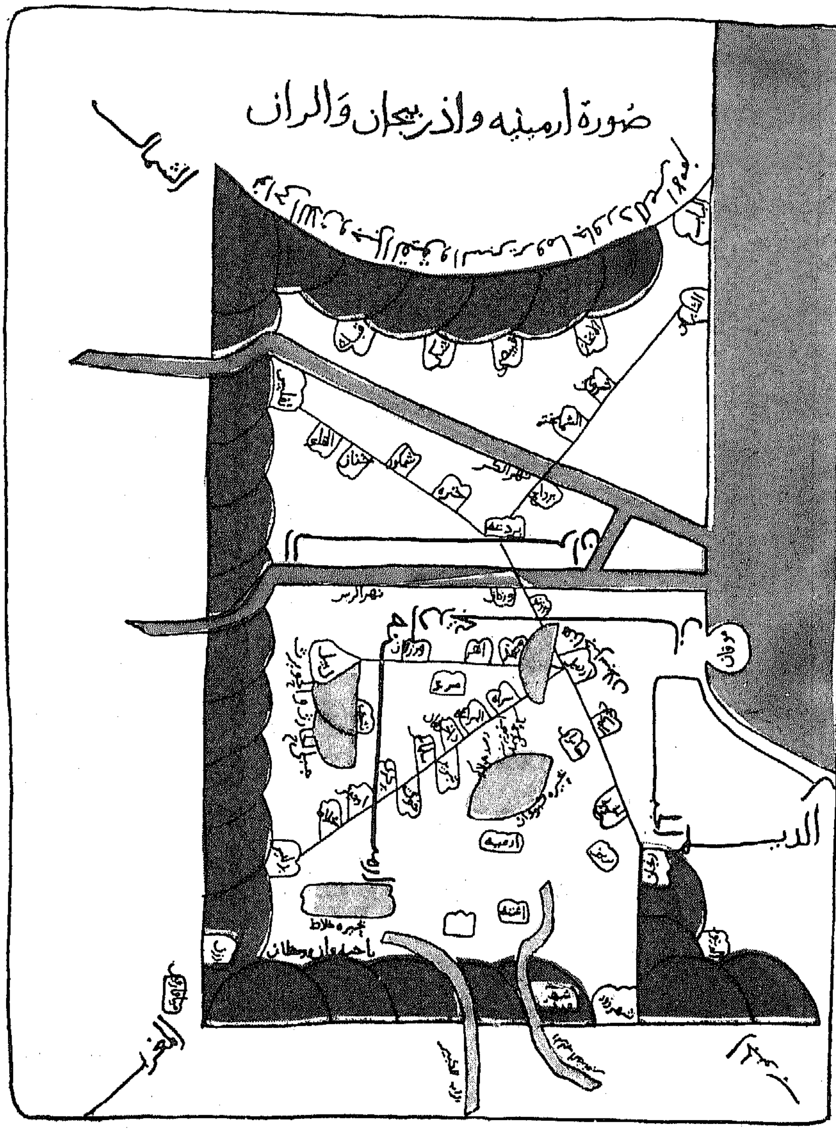
٢ ـ والذي يحيط به مما يلي المشرق فالجبال والديلم وغربي بحر الخزر، والذي يحيط به مما يلي المغرب حدود الارمن واللان وشيء من حـدود الجزيرة ، والذي يحيط به من جهة الشمال فاللان وجبـــال القبق والذي يحيط به من الجنوب حدود العراق وشيء من حدود الجزيرة .

٣ ـ وهذه صورة ارمينية واذربيجان والران .

إيضاح ما يوجد في صورة ارمينية واذربيجان والران من الأسماء والنصوص :

قد كتب في اعلى الصورة صورة ارمينية واذربيجـــان والران وعن يسار ذلـك في الزاويه الشمالي .

ورُسم في اعلى القسم الايمن البحر وعلى ساحله الباب ثم الشابران . وتبتدىء من عند البـــاب سلسلة جبال آخذة الى اليسار وكتب موازياً لطرفها الاعلى نواحي اللان وجبـــل القبق والسرير وما جاور ذلك من الامم . ويتصل بالجانب الاسفل من المدن : اللايجـان ، قبيصى ، شكى ، قبله . ورُسم من اسفل ذلك نهر الكر الذي ينصبّ في البحر وتقع على هذا النهر متصلة بالجبل مدينة تفليس ثم برداج ، ويأخذ طريق من الشابران على مدينتي شروان والشاخيه الى برداج ثم الى


صورة ارمينيه واذربيجان والران
الشمال
المغرب
الدبر

برذعه . ويأخذ من برذعه طريق آخر الى تفليس عليه جنزه ، شمكور ، خنان ، القلعة . وكتب في هذه الساحة الران .

وحد ناحية الران من اسفلها نهر الرس وعليه مدينة ورثان . وتقع عن يمين ورثان قرب النهر برزند . والطريق الآخذ من برذعه الى برزند يمر بعدها على اردبيل والميانج والخونج الى زنجان . وكتب في الساحة تحت نهر الراس اذربيجان وفي قسمٍ من البرّ داخل في البحر عند منتهى هذه الكتابة موقان . وكتب من تحت ذلك على خط عاطف في الساحة بين البحر والجبل الجيل وتحت ذلك الديلم . وتتصل بالجبل من اسفل تلك الكتابة مدينة الدينور . ويقع عن يسار اردبيل جبل كتب عنده هذا جبل سبلان ، ويأخذ من اردبيل طريق الى اليسار على ميمنذ واهر وورزقان الى دبيل ، وتتصل دبيل بجبل كتب عنده جبلي الحارث والحويرث وتتصل بهذا الجبل عن يمينه مدينة نشوى . وكتب في الساحة عن يمين الجبل ارمينيه .

ويأخذ من اردبيل طريق الى مدينة بدليس المتصلة بالقسم الاسفل من الجبال وعلى هذا الطريق من المدن : سراه ، المراغة ، داخرقان ، تبريز ، سلماس ، خوى ، بركرى ، ارجيش ، خلاط . وتقع بين المراغة وورزقان مدينة مرند ، وكتب عند المراغة بغير خط الناسخ رصد هولاكو استحدثه سنة سبع وخمسين وستمائة . ورُسمت من اسفل ذلك بحيرة كبوذان وفي جانبها الاسفل مدينة ارميه ثم من تحتها اشنه وعن يسارها شكل مدينة لا اسم فيها . وتقع عن يمين البحيرة بينها وبين الميانج مدينة جابروان ، وتقع من اسفل الخونج مدينة تبريز ، ورسمت عن يمين بدليس بينها وسلسلة الجبال بحيرة خلاط ، وكتب تحتها ناحية وان ووسطان . وتقع عن يسار ذلك في الجبل مدينة ارزن وعن يسارها خارج الجبل ميافارقين، وكتب تحتها في الزاوية المغرب . ويشق الجبل في اسفل الصورة نهران هما الزاب الكبير والزاب الصغير . وتقع عن يمين الزاب الصغير مدينتا سهرورد وشهرزور . وكتب في الزاوية اليمنى من الصورة الجنوب .

٤ — وأكمل هذه النواحي اذربيجان وأكبر مدنها اردبيل وأجلّها ، وان كانت في وقتنا قد رزحت احوالها لأن بها المعسكر ودار الامارة والدواوين وهذه مدينة تكون أعمالها ثلاثين فرسخاً في مثلها ، والغالب على ابنيتها الطين والآجرّ . وكان عليها سور منيع فهدمه المرزبان بن محمد ابن مسافر السلاّر عندما نقم على أهلها بمنعهم ديسم بن شاذلويه بها في سنة احدى وثلاثين ، فإن عمل عليهم في شرطهم الذي شرطوه استثناءً استحلّ به هدمَه فهدمه بأيدي تجارها وأربابها . وكان الرجل الجليل في نفسه الواسع الحال في ملكه يأتي بثيابه الحسنة التي كان يباشر بها بيعَه من بزّ او عِطر او غير ذلك ، ويأخذ المعول فيهدم ونظيره من التجار يحمل ما يهدمه من تراب وحجارة في طيلسانه وإزاره او في ردائه ، من غير أن

أطلق لهم حمله او اوسع احداً في نقله بغير ثيابهم التي كانوا يتجمّلون بها ويتباهون بلبوسها . من فاخر المرويّ والمنيّر حتى اكتسح جميعه وانتُسِف اثره بعد فقرهم بأخذه لأموالهم والمبالغة في مطالباتهم ، وتشتيتهم من بعد ذلك في الاقطار وتمزيقهم في الجبال والقفار . وذلك انهم كانوا من اسباب العيارة وطرق التمرّد وذكرهم للشطارة بحالٍ ، لا يكترثون بالسلطان معتصمين بالشيطان معتكفين على البلاء والعصيان ، وكانت اموال السافرة بينهم منهوكة ونعمهم منهوبة ودماؤهم مراقة مطلولة . ولقد اخبرني غير إنسان أنه سأل القصّاب منهم أن يعطيه من الشاة مكاناً آثر اخذَه من جملة ما يعطيه ، فقطع من رداء المشتري قطعة وتركها مع اللحم في كفّة الميزان وآخرُ قُطِع من كمّه وآخر من منديله تمرداً وطغياناً وجرأة على الله تعالى وعصياناً ، فأدال الله منهم بعد ما أملى لهم وحلم عنهم فهي كالعليلة في وقتنا هذا قياساً الى ما كانت عليه وبه من العمارة وكثرة التجاوات بالسيارة ، وهي مدينة خصبة وأسعارها رخيصة ولها رساتيق وكور جليلة ، ولها جبل صعوده ونزوله نحو ثلاثة فراسخ يسمّى سبلان عظيم رفيع شامخ مطلّ عليها من غربيّها لا تفارقه الثلوج صيفاً ولا شتاءً ، وهي مدينة لها أنهار جارية وأبآرها طيّبة عذبة وأكثر الأوقات خبزها بالعدد خمسون رغيفاً بدرهم ، ولحمها بمنّها مناً ونصفٌ بدرهم والعسل والسمن والجوز والزبيب وجميع المآكل رخيصة كالمجّان ، وأكثر البلدان المشار اليها بالرخص دونها في رطوبة الحال من وجود سائر المطلوبات .

٥ — ويلي اردبيل في الكبر المراغة وكانت في قديم الأيام المعسكر ودار الامارة وخزانة دواوين الناحية بها ، فنقل أبو القاسم يوسف بن الداوداذ بن الداودشت ذلك الى اردبيل لتوسّطه لجميع البلد ، على ان المراغة مدينة نزهة كثيرة البساتين والأنهار والمياه والفواكه الحسنة والخيرات والغلاّت من جميع الجهات الى كثرة الرساتيق والزروع ووفور الحظ ، من جميع ما تشتمل عليه الأمصار مضاف الى ذلك سيادة رجالها وكثرة تنائها ومشائخها . وبقرية من قراها تُعرف باردهر بطّيخ يُنسب اليها ويقال له الاردهري ، مستطيل الخلق قبيح المنظر غاية في الحلاوة

وطيب الطعم يضاهي بطيخ خراسان الموصوف . وكان على المراوغة سور خرّبه يوسف بن أبي الساج في نحو ما خرّب السلاّر سور اردبيل .

[وتبريز مدينة حسنة عامرة منغصة بالخلق كثيرة الخيرات فيها الأسواق الكثيرة والبيع والشرى وفي قصبة اذربيجان اليوم أعمر مدينة بها ، وخوى مدينة وسطة غير أنها عامرة آهلة كثيرة الخيرات والفواكه والبساتين ، وعليها سور منيع من الآجر وأهلها ألطف طباعاً من أهل تبريز وسلماس مدينة وسطة أيضاً عامرة كثيرة الأهل والفواكه وعليها سور منيع من الحجارة]

٦ — ويلي المراوغة في الكبر ارميه وهي مدينة نزهة كثيرة الكروم والمياه الجارية في المدينة والضياع والرساتيق ، وافرة الحظّ من التجارات والغلاّت وبينها وبين المراوغة بحيرة كَبُوذان ، والمراغة من شرقي البحيرة وأُرميه من غربيّها ولها رساتيق واسعة ونواح خصبة ، وفي ضمن أُرميَه ومضاف الى عملها مدينة اشنه وهي أيضاً مدينة كثيرة الشجر والخضر والخيرات والفواكه والخصب والأعناب ، والمياه الجارية متوفرة القسم غزيرة القسط من سائر ما خُصّت به أُرميه والمراغة من رفق باديتها والتفاف الخيرات بها من جهة أكرادها الهذبانية ، وبها يصيفون وإياها ينتجعون وبها جميع ما يملكون ويدخرون ، وبها أسواق للتجّار في أوقات من السنة مُوْبجة وبيوع حادة وأرباح وافرة ، ويُجلب منها ومن سوادها الأغنام والدواب والعسل واللوز والجوز والشمع وما جانس ذلك من ضروب المتاجر الى بلد الموصل ونواحي بلد الجزيرة من الحديثة وغيرها .

٧ — والميانج والخونج وداخرقان وخوى وسلماس ، ومرند وتبريز وبرزند ووَرْثان ومُوقان والبيلقان والجابروان فهي مدن صغار متقاربة في الكبر والاقتصاد . وكذلك نواحي أبي الهيجاء ابن الروّاد من أهر وورزقان فجميع ذلك مخصوص بالشجر معموم بالخيرات والثمر ، لم يَعْرَ من خيرها مكان دون مكان الى أنهار وبساتين وثمار ورياحين وعمارة تامة بالكِراب والفلاّحين ، مفعَمة بالخيرات مملوؤة بالبركات فواكههم كالباطل ومأكلهم كالمجّان . وكانت داخرقان وتبريز الى اشنه الاذرية وما يحتف بها تُعرف ببني الرُديني خطةً لهم وأملاكاً ، لم تزل بعز السلطان من الاعتراضات سليمةً ، حتى إذا فسد الزمان وهلك السلطان وتحيّف الجيران

فهي لمن غلب . وكان آل الرُدَيني من العرب فأتى عليهم الدهر ومشى فيهم الزمان بالغلبة والقهر ، فعفّى آثارهم وترك اليسيرَ من أخبـــارهم .

[وأما دوين فدينة كبيرة كثيرة الخيرات والبساتين والفواكه والزروع وعليها سور من طين ، وفيها عيون ومياه جارية والغالب على زروعهم الأرز والقطن ، وقد اختل أحوال أهلها في زماننا هذا بمجاورتهم للكرج ؛ فانهم نهبوا المدينة وأحرقوها وفي كل وقت يجدون فرصة يشنون عليهم الغارات ، والآن فقد عمروا في وسط المدينة المسجد الجامع وسوروه بسور آخر وحوله خندق ، وفيه عين ماء في وسط المسجد يلتجئون اليه حين يفجأهم عسكر الكرج وبينها وبـــين الرس نحو فرسخين ،)

٨ — ومدينة بَرْذعَه فهي أُم الران وعين تلك الديار لم تزل على قديم الزمان كبيرة ، وتكون نحو فرسخ طولاً في أقل منه عرضاً وكانت من النزهة والخصب وكثرة الزرع والثمار والأشجار والأنهار بمجالٍ سنيٍّ ومحل سري هني . ولم يكن بين العراق وطبرستان بعـد الري واصبهان مدينة أكبر منها ولا أخصب ، ولا أحسن موضعاً ومرافق وأسواقاً الى فنادق وخانات ودور وحمامات وأموال وتجارات ، فاختل حالها بمجاورة الكرج لها ، قد حلها ما حل بغيرها من رغبة السلاطين وتوسط الكتاب المتمردين من استحلال المحظور لأموال أهلها ، وقصد أربابها بالمصادرات والمطالبات بغرائب العدوان في الجبايات فواهاً لها ولأهلها ، ولقـد بلغني أنها وقتنا هذا من سوء الحال واختلال الأسباب بما أصارها الى ان جميع من يخبز بها خمسة خبازين ، ولقد كان بها منهم أكثر من ألف ومائين . وكان منها على أقل من فرسخ ناحية بموضع يُدعى الاندراب ما بين كزنه وتصوب من أنزه مكان رأيتُه ، وأقطاره اكثر من مسيرة يوم في مثله مشتبكة البساتين والعمارات طيبة المنتزهات والباغات ، ولها فواكه كثيرة وغلاّت خطيرة ومتاجر عظيمة ومرابح جسيمة ومقاصد قريبة . وكانت لما رأيتها كالمشمّة حسناً تشتمل أجنتها على البندق والشاه بلوط ونادر الفواكه في غريب المطاعم والمآكل ، الى نوع كان بها من الفاكهة يسمّى الروقال في تقدير كبار الغُبيراء وله نواء حـــلو الطعم إذا أدرك لذيذ وبه عفوصة قبل ان يُدرِك ويستدرك ، وببَرْذعه تين يحمل من تصوب يفضل على ما كان من جنسه ، ويرتفع بها من الابريسم شيء عظيم جسيم كثير غزير ،

وذلك ان توتهم مباح لا مالك له ولا يباع ولا يُشترى ، فأكثرهم لهذه الحـــال يربي الدود ويُتّخذ القز ويُجهز عنهم الى فارس وخوزستان منه جهاز كثير مُوبح ، وبرذعه من نهر الكرّ على نحو ثلاثة فراسخ وفي نهر الكر السمك المعروف بالسُرمَاهى ، ويكون في نهر الرس منه بورثان وغيرها ما يُحمل منه الى اردبيل والرّى والعراق لطيبه ولذته ويُستهدى من أهلها وتجارها ، وفي الكر والرس أيضاً سمك يُعرف بالدراقن وقلمن يثبت لأكله من شدة سمنه ، وفيها القشوبة سمك في غير صوريها وهو لذيذ . ومن أبواب برذعه باب يُعرف ببـــاب الأكراد على ظاهره سوق يُعرف بسوق الكُركيّ مقداره فرسخ ، ويجتمع فيه الناس كل يوم احدٍ وينتابونه من كل مكان وأوب ، ويجتمع فيه اهل القرى حتى يكاد يداني سوق كورسره وقد غلب اسم السوق على اسم اليوم لدوامه وقولهم يوم الكُركي ، حتى ان كثيراً منهم إذا عدّ ايام الجمعة قـــال الجمعة والسبت والكُركي والاثنين ؛ يريد بالكركي الاحد ، ولهم مسجد جامع حسن فسيح وفيه بيت مال الناحية كالذي اتخذه بنو أميّة بمصر وغيرها وهو من عملهم . وأسواق برذعـه فكانت في ربضها منغصّةً مُرصّصة وفيما بين ذلك فنادقهم وخاناتهم وحمّاماتهم عامرةً آهلة ، وبعد ان دخلها الروسيّة في غاية الانتظام والتمام . [فاختلّ حالها بمجاورة الكرج لها ، وجنزه مدينة حسنة كثيرة الخير عامرة بعمارة تامة منغصة بالخلق وأهلهـــا ذوو مروؤة وأخلاق طيبة مرضية ومجاملة ومحبة للغرباء وأهـل العلم] .

٩ ـ ومدينة باب الابواب مدينـــة على بحر الخزر في وسطها مرسىً للسفن ، وفي هذا المرسى الخارج من البحر اليها بنـاء قد بُني كالسُدّ بين جبلين مطلّين على ماء هذا المرسى الخارج ماؤه من بحر الخزر ، وفي هذا السدّ باب مغلق على الماء قد استحكم من وصيده بعقدٍ قد عُقد على نفس الماء والماء من تحته . وللسفن مدخل مقلوب من ناحية بابه وعلى فم المدخل الذي تدخل فيه السفن سلسلة ممدودة كالتي بصور وبيروت بالشأم ، وعلى خليج القسطنطينية . وعليها قُفل لمن ينظر في امر البحر فلا يخرج المركب ولا يدخل إلا بأمر صاحب القُفل والسدّ من صخر ورصاص وبحر الخزر

بحر طبرستان . ومدينة الباب اكثر من اردبيل زروعاً وثمارها قليلة إلا ما يُحمل اليهم من النواحي ، وهذه مدينة عليها سور منيع من حجارة وآجرّ وطين، وهي فرضة بحر الخزر والسرير واللان وسائر بلدان طبرستان وجُرجان وبلدان الكُفر والديلم . ويرتفع منها ثياب كتّان في عروض الأبدان وليس بالران وأرمينيه وأذربيجان ثياب كتان إلا هناك ، وبها زعفران كثير ويقع اليها رقيق كثير من سائر دور الكفر المصاقبة لها .

١٠ — وتفليس مدينة دون باب الأبواب في الكبر وعليها سوران من طين، ولها ثلاثة أبواب وهي خصبة حصينة كثيرة الخيرات رخيصة الاسعار، يزيد رخاؤها على سائر البلدان الراخية والنواحي الرفهة والخَصِبة . ولقد ذكر بعض من اشترى العسل ذات يوم انه اشتراه على نحو عشرين رطلاً بدرهم . وهي ثغر جليل كثير الأعداء من كل جهة ، وبها حمّامات كحمّامات طبريّة ماؤها سخين من غير نار . وهي على نهر الكُر ولها فيه عروب يطحن فيها الحنطة كما تطحن عروب الموصل والرقّة وغيرهما في الدجلة والفرات . [والآن فهي بيد الكرج اخذوهـا في العشر الاخير من سني خمسمائة ، وملك الكرج مع كفره يراعي اهلها ويمنع جانبهم من كل اذيّة وشعار الاسلام بها قائمة كما كانت ، ومسجد الجامع ممنوع من كل دنس يوقده الملك بالشمع والقناديل وما يحتاج اليه ، والأذان في جميع مساجدها يجهر لا يعرض لهم احد بسوء البتة وقد اختلط الآن المسلم والكرجي] . وأهلها قوم فيهم سلامة وقبول للغريب وميل الى الطارىء عليهم وأُنس بمن له أدنى فهم وانتساب الى شيء من الادب ، وهم أهل سُنّة محضة على المذاهب القديمة يكبّرون علم الحديث ويعظّمون أهله ، مع أني لقيتُ جماعة وغير ثقة فاضل ممن طرأ اليها وأقام بها السنة والاكثر ، مصطلحين على أنه لم يبت احد منهم في منزله بوجه ولا قَدَرَ على ذلك . ولقد تبيّنتُ من رغبتهم في ذلك وحرصهم عليه أني دخلتُها وقد آليتُ ان لا آكل لاحدٍ بها طعاماً إيثاراً لان املك نفسي وأنقطع الى ما هو أولى بي من حوائجي ، فعُقِدَ لي مجلسٌ للمناظرة على هذه اليمين في دار أميرها وحضر القاضي ابن سُمَيعٍ فابتدأ دونهم فقال : أيّدك الله ، إنّ المأكول في بلدنا أقل من ان نُكرِهك على ان تناله من غير مالكَ ، وأنت تنال

منه باليسير في دورنا اذا تكلّفه لك خدَمُنا من صُلب مالكَ ما لا يقصّر بمشيّة الله عمّا الفتَه او تُربحنا الثواب بخدمتك ، وليس لك ان تنقُص لنا سيرةً ولا تغيّر لنا سُنّة ، فإنا مذ أدركنا شيوخنا نسمع تفاوضهم أنه لا يجوز ان يبيت غريب ببلدنا في منزله ولا خادم له إن كان واحداً ، اللهمّ إلا أن يكونوا من الكثرة بحال من يؤنس بعضهم بعضاً وقلّما تُرِكوا برأيهم ، حتى ربّما حصل المالك لرقابهم بمكان وهم معه او بمكان غير المكان الذي هو فيه يؤنِسون ويأنَسون . ولستَ تخلو من أن تكون موضعاً ممن تستفيد العلمَ اذا وجدتَه مع قيّم به او تكون بصورة من يُستفاد منه ويُرغب فيما عندك او ممن لا يرغب فيه اذا وجده عند أهله ، ولا لديه منه ما يُرغَب فيه ؛ واذا كنتَ بإحدى الخلّتين الأخيرتين فالرحيل عنّا بك اولى وراحتنا من النظر اليك أحسن والينا أشهى وقد ثقلتَ على قلوبنا . وبعدُ فأيما البَيعةِ يلزمني حنثها لتكفّرنّ عن يمينك في يومنا هذا تسليماً للحديث المروي عن النبي ﷺ او لأُكفّرنّ عنك، يا بنيّ امضِ الى بابه فاسمُر عليه بإذن الأمير بخشَبَة وثيقةٍ واطبَع عليها بخاتمي ، ووكّل الجيرَةَ بمراعاتها ولا تُطلِق له أيّده الله الدخول اليها إلا بعد رأينا ومطالعتنا والسلام . وحيلَ بيني وبين رَحلي وما كان معي فكنتُ عنده ليلتين وعند غيرة ليلةً مبروراً ، وبضاعتي في خلال ذلك تباع وما يدعوهم اليه حسن النظر مما عاد بصلاحي يُشترى ، حتى قُضيت جميع حوائجي وأبو بكر القنّاد مطّلع على جميع ذلك الى ان قال لي ذات يوم : تحبّ العَود الى جُرجان ؟ فقلت : لو وجدتُ الى ذلك وسيلةً او كان لي فيه حيلة ؛ فقال : وما يمنعك ؟ وأطلعني على الصورة فبقيتُ باهتاً ساكتاً فقال : ما لي أراك وكأنّك لا تراني ؟ فقلتُ : يا ويحك ! هذا يُشبه حديث اسحاق بن ابراهيم الموصليّ مع يحيي بن خالد، وكنتُ قد حدّثتهم به فقال : يشهد الله لقد استربتُ غير وقت بذلك الحديث ، ولقد أراني فعلُ هؤلاء بالامكان والقُدرة على ما يتوخّونه وقلة الحفل بما يتولّونه ، أن ذلك الحديث حقّ لا يشوبُه كذبٌ وصدق لا يتخوّنه إفكٌ ، لأنهم لا يلزمهم فيما يتولّونه ويفعلونه

كلفة" سوى الأمر به ، وكذلك ما كانت البرامكة تفعله وتأتيه من غير كلفة سوى الامر به ، لنفوذ اوامرهم واتساع احوالهم .

١١ — وليس بالران مدينة اكبر من برذعه والباب وتفليس ، فأما البيلقان وورثان وبرديج والشماخية وشروان واللايجان ومشابران وقبله وشكي وجنزه وشمكور وخنان ، فهي ممالك صغار ومدن لطاف متقاربة في الكبر خصبة واسعة المرافق .

١٢ — وأما دبيل ونشوى فإن دبيل مدينة اكبر من اردبيل ، وهي أجلّ ناحية وبلدة بأرمينية الداخلة ، وهي قصبة ارمينية فيها دار الامارة منها دون جميع نواحي ارمينية ، كما ان دار الامارة بالران ببرذعه وبأذربيجان بأردبيل . وعليها سور ، والنصارى بها كثيرة ومسجد جامعها الى جنب البيعة كمسجد حمص في مشاركة البيعة ومصاقبتها وملاصقتها . ويرتفع بها ثياب مرعزّي وصوف من بُسطٍ ووسائدَ ومقاعدَ وأنماطٍ وتككٍ وغير ذلك من أصناف الارمنيّ المصبوغ بالقرمز ، وهو صبغ احمر يُصبغ به المرعزّي والصوف وأصله من دودٍ ينسج على نفسه كدودة القزّ ، اذا نسجت على نفسها القزّ ويرتفع منها بزيون كثير . فأما بزيونهم فله نظير كثير في بلد الروم وإن كان في نفسه مرتفعاً . وأما ما يُعرف من عملهم بالارمنيّ من البتوت والمقاعد والبُسط والستور والأنخاخ والمساور والوسائد والأنماط ، فلا نظير لها في شيء من الارض بوجه من الوجوه والأسباب كلها .

١٣ — وكانت في قديم الايام لِسنْباط بن اشوط ملك الارمن قاطبة ولأجداده ، ولم تزل في أيدي الكبراء منهم فأزالها ابو القاسم يوسف بن ابي الساج عنهم وأخرجها من أيديهم ، وبأيديهم عهود للصدر الاول بإقرارهم على حالهم واخذ الجزية منهم على ما جرت به مقاطعتهم ، وكان بنو أمية وبنو العباس قد أقرّوهم على سكناتهم ويقبضون الرسوم عليهم من جباياتهم فتحيّفهم وقصدهم ، فلم يُفلح بعد عذرهم ولا ارتفعت له راية الى اليوم . والغالب على ارمينيه النصرانية وللسلطان عليها كالخراج في كل سنة ، وكأنهم اليوم في عهد على حسب ما كانوا عليه بغير حقيقة تطرقهم السلاطين المجاورون

لهم ، فيسبونهم ويؤذونهم ويحقرون ذمتهم وكان رقيقهم لا يباع ببغداد وأدركته كذلك الى سنة خمس وعشرين وثلاثماية احدٌ لانهم في ذمة معروفة ومعهم غير عهد ، وهما ارمينيتان : فإحداهما تعرف بالداخلة والاخرى بالخارجة ، وفي بعض الخارجة مدن المسلمين وفي أيديهم لم يزل يليها المسلمون ، وقد قوطع عليها الارمن في غير وقت وهي لملوك الاسلام كارجيش ومنازجرد وخلاط . وحدودها ظاهرة فحدها من المشرق الى برذعه ، ومن المغرب الى الجزيرة ، ومن الجنوب الى اذربيجان ، ومن الشمال الى نواحي بلد الروم من جهة قاليقلا . وكانت قاليقلا في وسط بلد الروم ثغراً عظيماً لاهل اذربيجان والجبال والري وما والاها وهي مدينة الداخلة . وقد تقدم انها ارمينيتان فالداخلة دبيل ونشوى ، وقليقلا وما والى ذلك من الشمال ، والخارجة بركرى وخلاط وارجيش ووسطان والزوزان وما بين ذلك من البقاع والقلاع والنواحي والاعمال . ولهم مدخل الى بلد الروم يعرف باطرابزنده ، وهي مدينة يجتمع فيها التجار من بلد الاسلام فيدخلون منها الى بلد الروم للتجارة ويخرجون بها ، ويخرج اليها لسان من خليج القسطنطينية المارّ الى البحر المحيط ، ولمتملك الروم على صاحبه المقيم باطرابزنده في وقتنا هذا مال جسيم وضمان عظيم كان في الوقت الاول دونه بكثير ، وقد تقدم ذكر ذلك في أضعاف ذكر بلد الروم وأكثر ما يخرج الى الاسلام وبلده من الديباج والبزيون ، وثياب الكتّان الرومي وثياب الصوف والاكسية الرومية من اطرابزنده . وليس بين نشوى وبركرى وخلاط ومنازجرد وبدليس وقاليقلا وارزن وميافارقين وسروج كبير تفاوت ، لان مقاديرها تتقارب (إلا ان خلاط قد عمر خارج المدينة مثل ما هي أضعافاً مضاعفة وأهلها ذوو مال ويسار ، وبها اليوم المتاجر والاسواق الجادة ومقصد التجار والغالب على أخلاق أهلها الشراسة وبغضة للغريب .) ولا تشبه دبيل في العظم والكبر منها شيء وهي بأجمعها خصبة عامرة كثيرة الخير ، وقد نالها من برسام زماننا ما نال سائر الأقاليم باختلال أحوال السلطان وتغير أهل الزمان . وأكثر العلماء بحدود النواحي يرون ان ميافارقين من ارمينيه وقوم يعدونها من أعمال الجزيرة ، وهي من شرقي دجلة وعلى مرحلتين منها فلذلك تحسب

من ارمينيه ، وبهذه البلاد وفي اضعافها من التجارات والجـــالب وأنواع المطالب من الدواب والاغنام والثياب المجلوبة الى النواحي والفرش والتكك الارمنية الرفيعة والمقاربة التي تعمل بسلماس ، تباع التكّة من دينار الى عشرة دنانير ولا نظير لها في سائر الارض ، والمقاعد الارمني المحفور بمرند وتبريز والانخاخ ما يقل نظيره ولا يوجد ككثرته وجودته ، وكذلك السبنيّات والمقارم والمناديل المعمولة بميافارقين وبمواضع من ارمينية .

١٤ ـــ فأما الانهار بهذه البلاد التي تجري فيها السفن فنهر الكرّ ، وهو نهر كبير ويكون كالزابي الاصغر الخارج الى دجلة ، وكيجيجان والبردان في ارض الثغر ، ونهر الرسّ وهما متقاربان في غُزْر الماء وكثرته . ونهر سبيذرون الذي بين اردبيل وزنجان فنهر يصغُر عن جري السفن فيـه . والكرّ نهر عذب مرىء خفيف يخرج من ناحية جبل القبق على حـــدود جنزه وشمكور ، مقبلاً من ناحية تفليس وقبل ان يمرّ عليها يمرّ على قلاع في بلدان الكفر مُنصبّاً الى بحيرة الخزر على نواحي برذعه . ونهر الرسّ ايضاً نهر عذب خفيف طيّب يخرج من نواحي ارمينية الداخلة حتى ينتهي الى باب ورثان ، ثم يمرّ فيقع بعضه في الكرّ وبعضه في بحـيرة طبرستان وهو الرسّ الذي ذكر الله ما فعل بقومه ، وهو اذا تأمّله المتمكّن منه ومرّ على جانبيه من مدينة ورثان صاعداً ونازلاً رأى عليه آثار مـــدنٍ قد قُلِبت وخسِفت وهُوِّر بعضها وقُلِبَ اعاليها اسافلَها ، وهي في اقبح مرأى ومنظر تصديقاً لقوله : وعاداً وثموداً وأصحابَ الرسِ وقروناً بين ذلك كثيراً وكُلاًّ ضربنا له الامثال وكُلاًّ تبَّرنا تتبيرا[١] .

١٥ ـــ والبحيرة التي بأذربيجان بين المراغة وأُرميه ، وتعرف بكبوذان ، مالحة الماء وليس فيها دابة ولا سمك ، وفيها مراكب كثيرة تختلف بالتجارة بين البلدان وأعمال تبريز وداخرقان وحواليها من جميع جهاتهـــا عامرٌ ما استدارت قُرىً ورساطيق ، وبين أرميه وبينها فرسخان من غربيّها وبينها وبين المراغة من شرقيّها خمسة فراسخ ، وبين اوائل داخرقان وسيف هذه

١ ـــ (وعاداً ... تتبيراً) سورة الفرقان (٢٥) الآية ٤٠ .

البحيرة أربعة فراسخ، وطولها نحو اربع مراحل بين الشمال والجنوب بسير الدوابّ وعرضها فيما بين المراغة وأرميه نحو عشرين فرسخاً، ويكون فيها امواج عظام في الشتاء ومصائب كبار وفي وسطها جبال مسكونة مأهولة على مياهٍ زهيدة وعيشٍ شظف، وسكانها اصحاب المراكب ونواتيّها المختلفون بالامتعة والركّاب بين شطّيها، ولهم مَعزٌ يقوم برَمقهم ولا شيء عندهم إلا ما جُلِب اليهم .

١٦ — وفي جنوب بركري وخلاط وارجيش بحيرة آخذة من المشرق الى المغرب، ويكون طولها بضعة عشر فرسخاً يُخرج منها سمك صغار أشبار يُعرف بالطرّيخ، فيملّح ويُحمل الى كثير من الاقطار كالموصل ونواحي الجزيرة والعراق وأصقاع الشام، [وفي هذه البحيرة حصن يعرف باختار] . وفي اطراف هذه النحيرة ملح البورَق ويُحمل ايضاً الى العراق وغيرها للخبّازين، وبالقرب منها بل في جبل في جنوبها مقالع الزرنيخ المجلوب الى سائر الارض وهو أصل الزرنيخ ومنه الاحمر والاصفر، ويُحمل ايضاً من بعض سواحل كبوذان بورَق الصاغة للحام الفضّة والذهب، وذلك ان في بعض مياهها ما يستحجر فيكون منه هذا البورق فيُحمل الى فجاج الارض وأعماقها وسهلها وجبلها، ويُصيب التجار فيه المرابح النفيسة الغزيرة . ويُجلب من الزوزان ونواحي ارمينية والران من البغال الجياد الموصوفة بالصحة والجلَد والفراهة والصبر الى العراق والشام وخراسان، وغير ذلك ما يُستغنى بشهرته عن وصفه وذكره . والزوزان ناحية وقلاع لها ضياع الغالب عليها الجبال، ويكون بها الشهاريّ الحسنة الموصوفة بالجمال والفراهة ما يُقارب شهاريّ طخارستان، وربما زاد عليها وعلى نتاج الجوزجان .

١٧ — وجبالها تتصل من جهة الحارث والحويرث بجبال أهر وورزقان، فتمرّ الى تفليس في الشمال ويتصل هناك بها جبل القبق تجاه سياه كويه وهو جبل عظيم، ويقال ان عليه ثلاثمائة ونيفاً ألسنة مختلفة، وكنت أنكِر هذا حتى رأيتُ لسبلان جبل اردبيل غير قرية، ولاهل كل قرية لسان يتخاطبون به غير لسان الفارسية والاذرية، وتتصل جبال القبق بجبل سياه كُويه الذي وراء بلاد الخزر في بلد الغُزّيّة راجعاً الى المشرق

من وراء بحيرة خُوارزم الى جبال خوارزم وجبال فرغانه ، وذلك ان جميع الجبال على ما ذكرته متناسبة متفرعة من الجبل الخارج من بلد الصين ذاهباً على الخط المستقيم الى البحر المحيط من بلد السودان بالمغرب وبنواحي ورثان وبرذعه وجزيرتي باب الابواب اللتين في وَسَط بحيرة الخزر فُوّة غزيرة كثيرة فائقة في الجودة ، تحمل في بحيرة الخزر الى جُرجان ويُقصد بها بلاد الهند على الظهر ، وهذه الفُوّة في جميع بلد الران من حد باب الابواب الى تفليس وقُرب نهر الرّس الى نواحي خزَران ، وهي مملكة تحت يد صاحب اذربيجان في جبال تتصل بجبال الطرم المتصلة من غربي بحر الخزر بجبال الري وطبرستان وجرجان الى نيسابور .

١٨ — ولهذه الجبال ملوك واصحاب لهم نِعَم فخمة وضياع وقلاع نفيسة وخيول وكُراع الى مدن مضافة اليهم ، ونواحٍ ذات رساتيق واقاليم عامرة كالمِلك لهم موفرة عليهم غلاّتها ونعمها . وبهذه الجبال والنواحي والمدن والبقاع التي ذكرتها من الرخص والخصب والمراعي والمواشي والسوائم والخيرات والبركات والمشاجر والانهار والفواكه الرطبة واليابسة ، والخشب على سائر ضروبه من خلجة وكرْمة وجَوزة ما لا يحاط بعلمه ولا يُبلغ كُنهه ، وملوكها بها من سعة الاحوال وتمتعهم بالنعم والملاذّ والتترّف بالطيب والثياب والخدم الروقة والخيول والبغال ذوات المراكب من الفضة والذهب ، وقنية الجواري الروقة من المغنيات والشهوريات والطباخات والنفقات الدارة السابغة ، وكثرة الآلة من الذهب والفضة والآنية الرفيعة الثقيلة المخرّشة بالسواد من الصواني والاطباق والارطال والطُسوت والاباريق والاسطال ، في غرائب الصنعة من اللُجَين والعَسجَد الى ما يشاكل ذلك من الزُجاج المحْكم والبلور المخروط الثمين والجوهر من الحبّ والياقوت ، وكان اكثر هؤلاء الملوك عليهم كالضرائب القائمة واللوازم تحمل في كل سنة الى ملوك اذربيجان ، فلا تنقطع ولا تمتنع وكلهم في طاعة من ملكها فثقّفها ، وكان ابن الساج يرضى منهم بالقليل مرة وبالتافه أخرى على طريق الهدية ، فلمّا صارت هذه المملكة الى المرزبان ابن محمد بن مُسافر المعروف بالسَلاّر ، جعل لها دواوين وقوانين ولوازم

يخاطِب على مرافقها وتوابعها وبقاياها ، ومن اكبر من ادركتُ من ملوكها شروان شاه محمد بن احمد الازدي وملك اللايجان بعده ، وله الملك المتصل ببعض جبال القبق ونواحيه يعرف بلايجانشاه ، واليه الصناري المعروف بسنحاريب وهو نصراني في دينه كابن الديراني صاحب الزوزان ووان ووسطان ، وسأُبين محل كل واحد من هؤلاء بذكر ما عليه ويلزمه من المال والضريبة والهدايا عند ذكر ارتفاع الناحية والفراغ من ذكر مسافاتها وحالها .

١٩ — فأما لسان اهل اذربيجان واكثر اهل ارمينيه فالفارسية تجمعهم ، والعربية بينهم مستعملة ، وقلَّمن بها ممن يتكلم بالفارسية لا يفهم بالعربية ويُفصح بها من التجار وارباب الضياع ، ولطوائف من في الاطراف من ارمينيه وما شاكلها ألسنة أُخَر يتكلمون بها كالارمنية مع اهل دبيل ونشوى ونواحيها ، ويتكلم اهل برذعه بالرانية . ولهم الجبل المشهور المعروف بالقبق ويحيط به ألسنة مختلفة كثيرة للكفار وقد تقدم ذكره ، ويجمع الكثير منهم لسان واحد ، ونقود اذربيجان والران وارمينيه الذهب والفضة ، واكثرهم اهل عافية وسلامة ورغبة في الخير واهلِهِ وطلب المعاش والستر لما دهمهم من المصائب وتكانف عليهم من النوائب ، وفيهم وقتنا هذا من هو على مذاهب اهل الحديث والقول بالحَشْو وكثير من الباطنية البقلية فيهم ، وليس بجميع اذربيجان وارمينيه والرانين متكلم ولا متعصب للكلام والنظر ، وفيهم اطباء فضلاء ادركتهم اجلاء مياسير بصناعة الطب ارباب ضياع ونعم وكراع ، يرون ان المنطق كفر وصنعة النظر شغل قاطع عن الواجبات وصاد عن اكثر اسباب السياسات .

٢٠ — ذكر الطرق بها والمسافات بهذه النواحي : فالطريق من برذعه الى اردبيل فمن برذعه الى مُويان قرية سبعة فراسخ ، ومن مويان الى مدينة البيلقان سبعة فراسخ ، ومن البيلقان وهي مدينة طيبة كثيرة المياه والاجنّة والاشجار والطواحين الواسعة على انهارها الى ورثان وهي مدينة اكبر من البيلقان وافسح واكثر اهلًا واسواقاً ومتاجر ، وبها ما يكون بالمدن الكبار من الاعمال والفنادق وعليها سور ، ولها ربض فيه أسواقها سبعة فراسخ ، ومن ورثان الى بلخاب سبعة فراسخ ، وهي قرية آهلة فيها

ورباطات وفنادق للسبيل تنزلها السيارة ، ومن بلخاب الى برزند وهي مدينة قريبة الحال من البيلقان سبعة فراسخ ، ومن برزند الى اردبيل خمسة عشر فرسخاً بين قرّى ومنازل عن يمينٍ وشمالٍ لا تنقطع ولا تغيب عن الناظر والطريق من برذعه الى باب الابواب فمن برذعه الى برديج مدينة صالحة على نهر الكر فيها متاجر ومجالب ثمانية عشر فرسخاً ، ومن برديج يعبر الكر الى الشماخيّة اربعة عشر فرسخاً ، ومن الشماخية الى شروان ثلاثة أيام ، ومن شروان الى اللايجان يومان ، ومن اللايجـان الى جسر سمور اثنا عشر فرسخاً ، ومن جسر سمور الى الباب عشرون فرسخاً ، ويكون الجميع نحو تسعين فرسخاً . والطريق من برذعه الى تفليس فمنها الى جنزه مدينة صالحة تسعة فراسخ ، ومن جنزه الى شمكور عشرة فراسخ ، ومن شمكور الى خنان مدينة أحد وعشرون فرسخاً ، ومن خنان الى قلعـة ابن كندمان عشرة فراسخ ، ومن القلعـــة الى تفليس اثنا عشر فرسخاً الجميع اثنان وستون فرسخاً . والطريق من برذعه الى دبيل فمنهـــا الى قلقاطوس الى متريس ثلاثة عشر فرسخاً ، ومنهـا الى دوميس اثنا عشر فرسخاً ، ومن دوميس الى كيلكوين ستة عشر فرسخاً ، كيلكوين الى السيسجان ستة عشر فرسخاً ، وهي مدينة طيّبة مقتصدة، ومن السيسجان الى دبيل ستة عشر فرسخاً .

٢١ — والطريق من برذعه الى دبيل في الارمن وجميع هذه القرى التي في ضمنها والمدن مملكة سِنباط بن اشوط الارمني التي قبضها عنـه يوسف ابن ابي الساج غدراً منه وظلماً، وخلافاً لله تعالى ولرسوله ﷺ اذ يقول: أنا احقّ مَن وُفي بذمّته ليس لامامٍ ولا لمن تبع إماماً أن يُؤذِن ذمّيّاً تعنّتاً ولا تعصّباً في شيء من اسعار اهل الذمّة إلا تأديباً وتثقيفاً . وقال عليه السلام : المسلمون تتكافأ دمـاؤهم يقوم بذمّتهم أدناهم وهم حَرْبٌ على من سواهم . فلو أن رجلاً من أفناء المسلمين رَضيَته فئة منهم وهم في ثغرٍ وأمّرتـهُ عليهم واختبرتـهْ فوجدتـهْ عالماً عدلاً ، وحكم فيه على طريق النظر والمصلحة لهم ولمَن وراءهم من المسلمين بشروط رآهـــا فيمن جاوره من دور الحرب، لم يكن لاحدٍ نقضها شطراً وبطراً وذهاباً

بالاعجاب الى ما ليس للانسان فعلُه . فكيف بالصدر القديم والامام العَدل الكريم عليه السلام وقد عقد عقداً ورأى رأياً ظاهرُهُ صلاحٌ للمسلمين وشرفٌ الى يوم الدين ، بقبضه جزية ملك عظيم واستخدامه مع التمتع برجاله فيما ناب المسلمين ودَهِمَهم ، وهذه الصورة ونظائرها وتردّد من اليه النظر من فاسق ينظر فيها مخموراً بعين جاهل ويعتمد الى نقضها ، وهو يعلم انه مخالف مُصِرّ ما أصار المسلمين الى ما هم عليه وبه وليتهم بَقوا على ما نحن فيه بلا زيادة .

٢٢ – الطريق من اردبيل الى زنجان فمن اردبيل الى قنطرة سبيذروذ مرحلة ، ومن سبيذروذ الى سراه مرحلة ومن سراه الى توى يوم ، ومن توى الى زنجان مرحلتان . والطريق من اردبيل الى المراغة فمن اردبيل الى كورسره قصر بحصن عظيم ، وله إقليم فسيح ورستاق جليل جسيم وله أسواق في كل شهر ومواعيد من السنة في رؤوس الاهلّة ، أدركتُها قديماً ودخلتُها وأنا حديث السن وفيها من الامم لسُوق اجتمعوا فيه ، ومعهم من المتاع والتجارات من البزّ والسقَط والبرهار والعِطر والجلّ من الفُرش ومتاع السرّاجين بعجيب ما تحتمله اسباب السراجة ، من السروج والسيوف والحُزم والغواشي والسيور المراغيّة الى اسباب السلاح . وكان فيه من آلة الصُفر المجلوب من العراق والذهب والفضة المصوغة والخيل والبغال والحمير والبقر والغنم ما لو قيل أن الارض والناحية وما فيها ، وتستقلّ به في وهادها وعلى جبالها ورُباها اوسعُ من ارض الموقف ممتلئة بالناس وما معهم ، وأكثر من الموقف انضماماً وانغصاصاً بما ذكرتُه من الاجناس التي وصفتُها لم يقابل ذلك بغير التسليم والتصديق . وإن كانت ارض الموقف بجبالها الى عرفات نحو ثلاثة فراسخ ومن يقوم بها من الامم اهل اليمن ومصر والعراق والمغرب والشام وخراسان ، الى من ضامّهم من أسقاع الارض . وكان فيمن حضره ابو احمد بن عبد الرحمن الشيزيّ المراغيّ سيّد تجار اذربيجان وتنّائها ، فقال له كاتبه ابو الفتح بن مَهدي : قد باع ابو إسحاق الماجرداني ماله وانصرف ولم يحمل الينا ما لنا عنده . فقال : كم باع ؟ فقال : مائة الف رأس فاستثبتُ ذلك من ابي

احمد دفعات فقال : أبرمتَ انصرفَ ابي رحمه الله من هـذا الموقف غيرَ سوق بألف الف شاة ، فأعدتُها عليه فقال : نعم وشُعيب بن مهران بمثلها ، ووقفتُ بعد ذلك منه على حكاياتٍ عن هذا السوق والمواضع أيام يوسف ابن ابي الساج ليست من شرط هـذا الكتاب ، وفيما ذكرتُه كفاية في الدلالة على حال هذا السوق إن صدّقه متصفّحها — اثنا عشر فرسخاً[1] ومن كورسره الى المراغة اثنا عشر فرسخاً . ومدينة سراه بين كورسره واردبيل مدينة طيّبة كثيرة الخير والمير والبساتين والمياه والفواكه والزروع والطواحين ، ولها اسواق حسنة وفنادق نظيفة وكان لها تانئة أجِلّة من آل زانُبوّ وغـيرهم ، فهلكوا وبادوا ادركتُ مشائخهم والمروؤة فيهم فاشية وأحوالهم مع السلاّر متماسكة . ومن اردبيل الى الميانج عشرون فرسخاً مدينة صالحة في نفسها رفهة بأهلها رفيقة بسكانها ورُخصها وخيرها . ومن الميانج الى الخونج مدينة ايضاً بها مرصدٌ على ما يخرج من اذربيجان الى نواحي الريّ ولوازم على الرقيق والدواب ، وأسباب التجارات كلها من الاغنام والبقر ، ومقاطعة هذا المرصد دائماً مائة الف دينار وزائد الى الف الف درهم وناقص في السنة ، وليس له ولما يجتاز به شبه في جميع اقطار الارض . الطريق من اردبيل الى آمد واعمال الثغور الجزريّة ، فمن اردبيل الى المراغة نحو اربعين فرسخاً ، ومن المراغة الى أُرميه على الظهر وفي البحر نحو ثلاثين فرسخاً ، ومن ارميه الى سلماس مرحلتان ومن سلماس الى خوي تسعة فراسخ ، ومن خوي الى بركري ثلاثون فرسخاً ومن بركري الى ارجيش يومان ، ومن ارجيش الى خلاط ثلاثة أيام ومن خلاط الى بدليس ثلاثة أيام ، ومن بدليس الى ارزن الى ميافارقين اربعة أيام ومن ميارفين الى آمِد يومان ، ومن آمد الى حرّان على الطريق الذي تسلكه الغزاة والمجاهدون الى شمشاط وعلى سُمَيساط الى ملطيه نحو خمسة ايام . والطريق من المراغة الى دبيل على أُرميه وسلماس الى خوي

١ — الظاهر ان نص هذه الفقرة مختلط هنا بما ادرج فيـه من صفة سوق كورسره ، ثم مدينة سراه ، فالزم ذلك تأخير صفة الطريق من اردبيل الى الميانج ، ثم الى خونج الى غـير موضعه في هذه الفقرة .

ثلاثة وخمسون فرسخاً ، ومن خوى الى نشوى خمسة ايام ، ومن نشوى الى دبيل اربع مراحل . ومن المراغة الى الدينور ستون فرسخاً لا منبر فيها . وهذه جوامع مسافاتها وذكر طرقها وجميع احوالها .

٢٣ — وأما حالها التي ادركتُها عليها وكانت بها، فانّ جباياتها وضرائبها على ملوك اطرافها تُعرب عن حالها وتدلّ على حقيقة وصفها ، وإن كانت تزيد وتنقص في بعض الاوقات ، ومن اوسط ما جُبيَت وأعدل ما رُفِعَت لسنة أربع وأربعين وثلاثمائة . وقد تولّى مواقفاتها ابو القاسم علي ابن محمد جعفر صاحب زمام ابي القاسم يوسف بن ابي الساج المرزُبان بن محمد وهو يزر له ، فواقف محمد بن احمد الأزدي صاحب شروان شاه وملكها على الف الف درهم ، ودخل في مواقفته اشجانيق صاحب شكى المعروف بأبي عبد الملك ؛ دواقف سنحاريب المعروف بابن سواده صاحبَ الربع على ثلثمائة الف درهم وألطاف من بعد ذلك . وصاحب جرز وشقان ابن موسى على مائتي الف درهم . وواقف أبا القاسم الويزوري صاحب ويزور على خمسين الف دينار وألطاف . وأبا الهيجاء بن روّاد عن نواحيه باهر وورزقان على خمسين الف دينار وألطاف ؛ وأبا القاسم الجيذاني عن نواحيه وبقايا كانت عليه على أربع مائة الف درهم ، فرام النقصان وثقّل بالمسألة فزيد على مواقفته تبرّماً بما فعله ثلاثمائة الف درهم ومائة ثوب ديباج رومي . وألزم بني الديراني حسب ما كانت موافقتهم عليه في كل سنة مائة الف درهم وتركها لهم لأربع سنين مكافأةً لهم بدفعهم اليه ديسم بن شاذلويه، وكان قد استجار بهم فأسلموه وغدروه . وواقف بني سنباط عن نواحيهم من ارمينيه الداخلة على الفي الف درهم ونظر لهم من بعد بمائتي الف درهم ، واوقف سنحاريب صاحب خاجين على مائة الف درهم وألطاف وكراع بخمسين الف درهم، فبلغت المواقفة من عينٍ وورقٍ وتوابعَ والطافٍ من بغالٍ ودواب وحلي عشرة آلاف الف درهم ، وخراج جميع النواحي من اذربيجان وارمينيه والرانين وحواليها وجميع مرافقها من وجوه أموالها خمس مائة الف دينار . وهذه جملة ما وقفتُ عليه من حالها وما كان لدي من اخبارها واوصافها على ما أدّت اليه استطاعتي وناله وسعي .

الجبال

١ — والجبالُ وأعمالها مصاقبة لهذه الناحية ، وهذا العمل والذي يشتمل على ما هي الكوفة والبصرة وما يتصل بهما مما أدخلته في اضعافها ، فحدها الشرقي الى مفازة خراسان وفارس واصبهان وشرقي خوزستان ، وحدّها الغربي اذربيجان والشمالي بلاد الدّيلم وقزوين والري ، وانما تفرد الري وقزوين وابهر وزنجان عن الجبال وتضم الى الديلم لأنها محتفة بجبالها على التقويس ، وحدها الجنوبي العراق وبعض خوزستان .

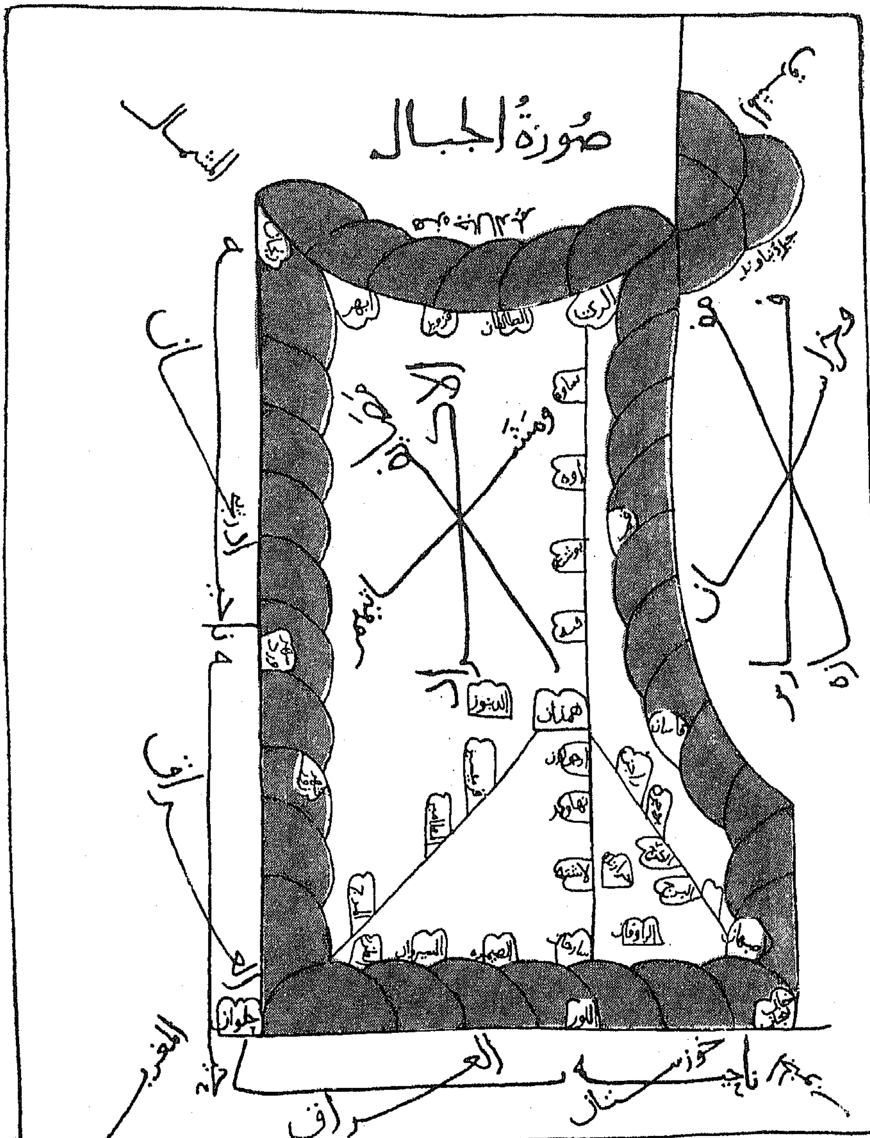
٢ — وهذه صورة الجبال ،

إيضاح ما يوجد في صورة الجبال من الأسماء والنصوص :

كتب في اعلى الصورة صورة الجبال وعن يمين ذلك في الزاوية المشرق وفي الزاوية اليسرى الشمال ، ورسم تحت ذلك اربع سلسلات جبال تحيط بساحة مربعة الشكل ، وكتب موازياً للسلسلة الفوقانية هذه جبال الديلم ، ويتصل بالطرف الأيمن من هذه السلسلة جبل كتب عنده جبل دنباوند ، ويوجد بين السلسلة اليمنى وطرف الصورة كتابة تشتبك خطوط كلماتها على شكل صليبي وهي مفازة فارس وخراسان ، وكتب تحت السلسلة السفلى ناحية خوزستان ثم ناحية العراق كلاهما على شكل صليبي وعن يمين هاتين الكتابتين في الزاوية الجنوب وعن يسارهما المغرب ، وتعطف كتابة ناحية العراق الى الفوق موازية للسلسلة اليسرى وتليها الى الاعلى كتابة ناحية اذربيجان .

ويتصل بداخل السلسلة العليا من المدن : الري ، الطالقان ، قزوين ، ابهر ، ثم زنجان في الزاوية وبداخل السلسلة اليمنى : قم ، قاسان ، اصبهان ، ثم تتصل بداخل السلسلة السفلى : شابرخاست الصيمره ، السيروان ، الطزر ، ورسمت في هذه الجبال متصلة بخطها التحتاني : خان لنجان اللور ، ثم متصلة بالزاوية اليسرى مدينة حلوان ، وفي السلسلة اليسرى من المدن شهرزور وسهرورد ،

ويأخذ من الري طريق الى شابرخاست عليه من المدن : ساوه ، اوه ، بوسنه ، روذه ، همذان الروذراور ، نهاوند ، لاشتر ، وعلى الطريق الآخذ من همذان الى اصبهان : رامن ، بروجرد ،


صورة الجبال
الشمال
المغرب
العراق
خوزستان
همذان
الرى
ابهر
قزوين
الطالقان
ساوه
الدينور
نهاوند
الصيمرة
السيروان
اللور
حلوان
قاسان
اصبهان

الكرج ، البرج ، ثم شكّل مدينة لا اسم فيه ويجوز انها خونجان ؛ وفي الساحة بين هذا الطريق والطريق الاول تقع فراونده والدارقان . وعلى الطريق من همذان الى ناحية حلوان : قرميسين ، المطامير ، المرج ، وتقع عن يسار همذان مدينة الدينور .

وتوجـد في الساحة عن يسار الطريق من الري الى همذان كتابـة مشتبكة وهي مصائف الاكراد ومشاتيهم .

٣ ـ والجبـال تشتمل على مدن مشهورة ومعظمها همذان والدينور واصبهان وقم ، ولها مدن أصغر من هذه مثل فاسان ونهاوند واللور والكرج والبرج ، وسأذكر ما تقع الحاجة الى معرفته منها .

٤ ـ فأما المسافات بها فالطريق من همذان وهي مدينة كبيرة حسنة جليلة المقدار ، لها أنهار واشجار وعمل واسع وغلاّت من سائر الغلاّت وبها اهل تناية فيهم ادب وفضل ومروؤة وهي على مر الايام والاوقات رخيصة الاسعار كثيرة الاغنام والالبان والاجبان وضروب التجارة من الزعفران المتخذ بالروذراور ، وهو عمل من أعمالهـا ويزكو به . ومنها الى اسداباذ وهي مدينة ايضاً صالحة قوية الاهل واسعة الرساتيق والدخل خمسة عشر فرسخاً ، ومن اسداباذ الى قصر اللصوص سبعة فراسخ ، وهي مدينة وفيها منبر استحدثها مُونس المظفّر . ومن قصر اللصوص الى ماذران سبعة فراسخ ، ومن مـاذران الى قنطرة النعمان خمسة فراسخ ، ومن قنطرة النعمان الى قرية ابي أيوب اربعة فراسخ ، ومنها الى بهستون جبـل عظيم فرسخان وقرية هناك تدعى سايسانان . وفي هذا الجبل المذكور كهف فيه الفَرسُ المصوّر عليه كسرى ويُعرف بشبداز . ومن بهستون الى قرميسين ثمانية فراسخ وهي مدينة لطيفة فيها مياه جارية وشجر وثمر ورُخص وأب ، وسائمة كثيرة وعيون متدفّقة وخيرات وتجـارات . ومن قرميسين الى الزبيديّة منزل صالح ثمانية فراسخ ومن الزبيدية الى مرج القلعة وهي مدينة عليها سور لطيف وهي لطيفة ولها مياه جارية وأغنام كالجبّان تسعة فراسخ . ومن المرج الى حلوان مدينة قد مرّ ذكرها في وصف العراق لأنها اول حدّها من نواحي الجبال عشرة فراسخ . الطريق من همـذان الى الدينور فمن همذان الى مادران اربعة فراسخ ، ومن مـادران الى

راوذار اربعة فراسخ ، ومنها الى اسداباذ مدينة قد مرّ ذكرها تسعة فراسخ ومن اسداباذ الى صحنه تسعة فراسخ ، ومن صحنه الى الدينور ثمانية فراسخ ، فجميع ذلك ثلاثون فرسخاً . الطريق من همذان الى الريّ فمن همذان الى ساوه ثلاثون فرسخاً ، وساوه مدينة طيّبة على الطريق الى العراق صالحة الحال كثيرة الجمال ، وأكثر الحجّاج يحجّون على جمالهم لانهم مع قنيتهم الجمال جمّالون ، فيحملون اهلَ ما وراء النهر الى ما دون ذلك الى مكّة ومن ساوَه الى الرَيّ ثلاثون فرسخاً . الطريق من همذان الى اذربيجان : فمن همذان الى بارسيان عشرة فراسخ ، ومن بارسيان الى اوذ ثمانية فراسخ ومن اوذ الى قزوين يومان وليس بين قزوين وهمذان مدينة . ومن قزوين الى ابهر اثنا عشر فرسخاً ومن ابهر الى زنجان عشرون فرسخاً ، وكانت ابهر مدينة جليلة فأناخ عليها الأكراد وعلى تلك النواحي والدَيلم فتغيّرت . وهذا الطريق اولاً كان المعروف فأما اذا قلّ أمنهم فإنهم يأخذون من همذان الى زِنجان على سهرورد وبينهما ثلاثون فرسخاً .

٥ — والطريق من همذان الى اصبهان : فمن همذان الى رامن سبعة فراسخ وهي مدينة صالحة الحال ، ومن رامن الى بروجرد أحد عشر فرسخاً ، وبروجرد مدينة كبيرة أكبر من رامن وأحسن حالاً في جميع الوجوه ، ومن بروجِرد الى الكَرج عشرة فراسخ وهي ايضاً مدينة فوق بروجرد من كثرة الأهل وسداد الاحوال ووجود ما تدعو اليه الحاجة . ومن الكرج الى البرج اثنا عشر فرسخاً وهي ايضاً مدينة حسنة الحال ، ومن البرج الى خونجان منزل عشرة فراسخ ومن خونجان الى اصبهان ثلاثون فرسخاً لا مدينة فيها . ومن همذان الى خوزستان : فمن همذان الى الروذراور سبعة فراسخ ، والروذراور إقليم حسن وناحية شريفة ينبت فيها الزعفران الذي ليس بجميع الارض لها شبه ، ومن الروذراور الى نهاوند سبعة فراسخ وهي مدينة جليلة كثيرة التجارة والرساتيق والعمارة ، ومن نهاوند الى لاشتر عشرة فراسخ ومن لاشتر الى الشابرخاست اثنا عشر فرسخاً ، ومن الشابرخاست الى اللور ثلاثون فرسخاً لا مدينة فيها ولا قرية . ومن اللور الى قنطرة اندامش مدينة فرسخان ومن قنطرة اندامش الى جندى سابور فرسخان ،

ومن همذان الى ساوه ثلاثون فرسخاً ومن ساوه الى قُم اثنا عشر فرسخاً تقطع في يومين، ومن قم الى قاسان اثنا عشر فرسخاً ؛ وقم وقاسان مدينتان جليلتان كثيرتا الخير والمير والدخل على السلطان ، والغالب على قم التشيّع وعلى قاسان الحشو ، ومن الري الى قزوين ثلاثون فرسخاً ولم يكن لقزوين نظير في كثير من اعمال الجبـــال بل في كلها من يسار اهلها وتمكنهم من الادب ونفوذهم في العلم وتعلق اهلها بجميع وجوهه ، وتمسكهم قبل دخول الديلم عليهم بأسباب المروؤات والتفضّل الى غير ذلك من احوال السيادة والكرم وعلو النفوس والهمم ، وكم تخرج بها من نفيسٍ وعُرِفَ بالعراق وغيرها لهم من رئيسٍ ومن همذان الى الدينور نيف وعشرون فرسخاً ومن الدينور الى شهرزور اربع مراحل ، ومن حلوان الى شهرزور اربع مراحل ، ومن الدينور الى الصيمرة خمس مراحل ، ومن الدينور الى السيروان اربع مراحل ،ومن السيروان الى الصيمرة يوم ، ومن اللور الى الكرج ست مراحل ، ومن اصبهان الى قاسان ثلاث مراحل ، ومن قم الى قاسان مرحلتان .

٦ — والمشهور من مدن الجبال ما ذكرته وهي : همذان والروذراور ورامن وبروجرد والكرج وفراونده ونهـــاوند ، وقصر اللصوص ونهر زرنروذ وهو نهر اصبهان يسيرُ ، وهـــذه المدن عليه تسايره وتصحبه : كاسداباذ والدينور وقرميسين والمرج وطزر وحومة سهرورد وشهرزور وزنجان وابهر وسمنان وقم وقاسان وروذه وبوسته والكرج والبرج واصبهان وخان لنجان وبارمه ، مدينة محدثة ، والصيمرة ونواحي السيروان ودور الراسبي والطالقان .

٧ — ذكر أحوالها ومقاديرها في ذاتها : فهمذان مدينة كبيرة مقدارها فرسخ في مثله محدثة إسلامية ولهـا سور وربض ، وللمدينة اربعة ابواب حديد وبناؤهم من طين ولها مياه وبساتين كثيرة وزروع سيح وبخوس خصبة من جميع الخير كثيرة التجـارات والمير . والدينور فإنها كثلثي همذان وهي مدينة ايضاً كثيرة الثمار والزروع خصبة ، واهلها احسن طبعاً من اهل همذان ، وفيها مياه .ومستشرف وان قلت أنها تزيد على همذان

من جهة آداب اهلها وتصرفهم في العلم واشتهارهم به صدقت . ومنهم أبو محمد عبدالله بن قتيبة الدينوري صاحب الكتب المؤلفة ، وابو حنيفة صاحب كتاب الأنواء ، وهو كتاب في غاية الحسن والجمال وله كتاب النبات في وجوه اللغة وغير ذلك من التآليف .

٨ — واصبهان مدينتان إحداهما تعرف باليهودية والأخرى شهرستان ، وبينهما مقدار ميلين كقُرطُبَه والزهراء بأرض الاندلس متباينتان ، وفي كل واحدة منهما منبر واليهودية اكبرهما ، وهي مثلا شهرستان في الكبر وبناؤهما من طين ، وهما اخصب مدن الجبال وأوسعها عرصةً واكثرها مالاً وأهلًا وتجارة وسابلةً ونعماً وخيراتٍ وفواكه وطيّبات ، وهي فرضة لفارس والجبال وخراسان وخوزستان وليس بالجبال كلها اكثر جِمالاً للحمولات منها . ويرتفع منها العتّابي والوشي وسائر ثياب الابريسم والقطن ما يجهّز بذلك الى العراق وفارس وسائر الجبال وخراسان وخوزستان ، وليس كعتّابي اصبهان في الجودة والجوهرية ، وبها زعفران وفواكه تجلب الى العراق والى سائر النواحي ، وليس من العراق الى خراسان بعد الرَيّ مدينة أكثر من اصبهان تجارة .

٩ — وهي ذات نواحٍ نزهةٍ ورساتيق حسنةٍ ومن وصل الى قربها من طريق فارس وصعد عقبة سرفراز ، أشرف على المدينتين والرساتيق المتصلة بالبلد ، ورأى أنزه مكانٍ واطيبه مما يستوقف النظر وترتاح له النفس ولا يسأمه البصر ، ومن كرائم هذه الرساتيق رستاق جى ، وبه من الضياع الحسنة والقرى الخطيرة ما يُذكر انها على عدد ايام السنة . ويقال ان الاسكندر عند ابتنائه سور شهرستان جعل فيه ثلاثمائة وخمسة وستين بُرجاً لكل ضيعة بُرج ، ليتحصّن فيه عند الفزع ويأوي اليه أهلها عند الحصار وتغلّب الأشرار ، وذلك ان نواحي اصبهان كانت في قديم الايام ثغراً من ثغور الترك والدَيْلم ، ومن الرساتيق المحيطة بالبلد : رستاق لنجان ومهرين وجُنْبَه وكراج وكدر وكهكاوسان وبرخوار وبرآآن ؛ وبهذه الرساتيق ضياع كبار آهلة غزيرة الغلاّت ، ومنها ذوات منابر وخطباء واسواق وحماماتٍ ، وبالمدينة دور فاخرة وقصور لرؤسائها وأكابرها كقصر أبي علي

ابن رستم والساباط ، وبناؤه من جص وآجُرّ وبالقرب منه الأرحية في نهر زرنوذ ، وهو نهر لذيذ الماء طيبه حسن المنظر بالقصور التي تركبه وتطل عليه ، وله جانبان ففي الشرقي قصر عبد الرحمن بن زياد وقصر ابن أبي الفضل في سور كرينه ، ومن الجانب الغربي زوركاباذ وتاجه محلتان كبيرتان ، وفيهما يُعمل السقلاطون والعَتّابيُّ الرفيع والخزف وغيره ، ولكرينه سوق يجتمع فيه الناس كالموسم للشرب والقصف والعزف إبان النيروز سبعة أيام بانواع الملاذ وغرائب الزينة ، قد تأنّق حاضروه في الاستعداد لمآكلهم ومشاربهم وادخر اهل البلد ومن قصده من البعد واطراف نواحيهم النفقات الواسعة والزينة الرائعة والملابس الحسنة والاحتفال للعب والطرَب ، فيعتكفون على لذاتهم ويتبارون في مجالسهم ونشَواتهم بحُذّاق المسْمِعين والمسْمِعات على شاطىء الوادي ، وفي القصور قد ركبوا السطوح وغصّوا الاسواق بنهاية الاحتفال في المآكل والمشارب والأنقال ، موصولاً ليلهم بنهارهم لا يفترون ولا يعارَضون ولا يُمْنَعُون قد أوسعهم سلاطينُهم ذلك ، واتصلت العادة على مر الاوقات واختلاف السنين والساعات بترك العرض لهم والأخذ على أيديهم . ويقال ان نفقاتهم في هذا السوق عند حلول الشمس الحملَ يبلغ مائتين ألوف دراهم ، مع مُكنتهم من الفواكه الحسنة اللذيذة والمآكل الطيبة الفاخرة والمشارب التي كالمجّان لرخصها وكثرتها إذ العنب يباع لديهم بمَنّهم ، وهو اربع مائة درهم مائة منّا بخمسة دراهم ، ويكون المستخرج من عصيره نحو سبعين منًّا يقوم بخمسة دراهم . واما فواكههم فلجودتها وحلاوتها وصحتها يلحق عتيقها بطراوة حديثها : كالكمّثرى والصينيّ والسفرجل والرمان والتفاح الكلماني ؛ وكلمان ضيعة نفيسة بقرب اليهودية ، ولتُفّاحها ذكاءٌ في الرائحة ولذة في الطعم وحسن في المنظر وتُعلّق أعنابهم في المخازن والأهراء . وبالقرب من المدينة ماربانان ويقال ان بساتينها في مساحة فرسخ عن يمين وشمال منها ، وهي من غربي اصبهان ويقال إن خراجها بمائة الف درهم ، والمعوّل في الجمد والثلج على ما يُعمل بهذه القرية لكثرته وتمكّنهم من عمله ، وقد يُعمل الجَمدُ الكثير بغيرها ، وبها من الفواكه الغزير الكثير وهي من

جانب النهر الغربي ، وبأسفل منها على نهر الوادي ضيعتان كبيرتان تُدعى إحداهن بتروكان والأخرى مهروكان في أنزه صقع ومكان وأنضره ويخرج من مهروكان ماء من عين عظيمة غزيرة دائمة الجري تدعى بياسرم، وعليها ضياع عدّة وهذه العين في شاطىء زرنروذ وبينها وبين النهر رمية سهم . وأصل وادي زرنروذ من خانان من اصل جبـــل عظيمٍ شاهقٍ سامقٍ ، ويخرج من شرقيّه ماء اصبهان ومن غربيّه مـاء الأهواز ، ويسمّى نهر الاهواز عند خروجه مانان . ووادي زرنروذ في اصله واديان متباينان : أحدهما من خانان ، والآخر من خنكان من ناحية يقال لهـا فريذين ، وبهذه الناحية ضياع كثيرة ورساتيق واسعة غزيرة ويُحمل منها ضروب المتاجر والمآكل كالعسل والسمن والزبيب وأنواع الغلاّت من الحبوب، وبها من ماشية الغنم والبقر والخِصب والخير والسعة ما يضاهي به الأماكن المشار اليها بالكمال من الخصب وأنواع المحاسن ولين العيش . وبينها وبين اصبهان نحو عشرين فرسخاً ، وهـذا الوادي يقع في وادي خانان بقرب الروذبار وله غلاّت غزيرة وأنواع من ذلك كثيرة خطيرة متصلة الميرة . وكانت في قديم الأيام هذه الناحية في حيّز الصعاليك وأهل الفساد والدعارة ، وكان مغيض مياهها الى خان لنجان وخان لنجان مدينة صغيرة خصبة كثيرة الخير ، ولها ناحية ورستاق كأطيب ما يكون بمياهه ومشاجره ، وبها من الخوخ الحسن اللذيذ ، ولها قلعـة عظيمة وهي خزانة لأمرائهم تشرف على خان لنجان ونواحيها الى قرب اصبهان، وبينها وبين المدينه تسعة فراسخ؛ وبعض هذا الماء على رستاق مَهرين، وبها تل عظيم كالجبل وعليه قلعة وفيها بيت نار، فيقال أن ناره من قديم النيران الأزليّة وقد توَكّل بهذه النار سَدَنَةٌ عليها من المجوس وحَفَظَةٌ لها فيهم يسارٌ شائع ، لأنهم يتّخذون الأشربة فيعتّقونها ويُقصَدون لجودتها عندهم فيبيعونها ويربحون فيها . وقد مرّ القول أن ماء زرنروذ يجري على باب شهرستان عند السور نفسه، ويقع فيه اودية وعيون كثيرة فيقع عليها القسمة والحساب بحق المشارب حتى لا يضيعَ من ماء زرنروذ شيء بوجهٍ . ويخرج من جملة هذا الماء تسعة أيام في الشهر لرستاق رويدست وبراآن، وهي ناحية جليلة وبها نحو عشرة

منابر ولها غلاّت واسعة وأكثر ميَر اصبهان تُجلب منها . ويُصرف ماء زرنروذ بأجمعه أيام الإرواء ووقت اشتغال الناس بالبزور أربعين يومـاً اليها الى حين يفرغ الزرع . وآخر مياه زرنروذ يصل الى الضيعة المدعوّة برزند وهي للمجوس خاصة ويغيض في الارض بينها وبين قورطـان ضيعة يُعمل بها البُسط ، ويقال أن هذا الماء يغور بكرمان في بحيرة تُعرف بطهفيروز ويكون المكان الذي يقع اليه هذا الماء نحو تسعة فراسخ كالسبخة ، فلا يقدر الانسان أن يمشي عليها إلا على دفّتين من خشب او كُفّتين من حبال تكون تحت قدميه ، وهي على طرف مفـازة خراسان من نواحي كرمان . وفي ضمن اصبهان ناحيتان جليلتان يقال لاحداهما برخوار ، وبها نحو مائة ضيعة ومياه هذه الناحية في القنّى مصرّفة في اقطانهم وسماسمهم وضروب غلاّتهم من الدُخن وغيره ، وبها من الجِمال والجمّالـين للحمولات الغزير الكثير . والناحية الأخرى تُعرف برستاق كه كاوسان وبها حمّة موصوفة للأورام والعِلل القديمـة والأسقام ، وتُقصَد من جميع نواحيهم فيرجع المُقعَدُ منها على رجليه سليماً ماشياً والمريض صحيحاً ويدور بها رساتيق كثيرة . ويقال ان اصل اصبهان كان هناك في قديم الأيام وسالف الدهر الى أيام بخت نصر وقدوم اليهود من الشام ناقلةً الى هذه الناحية، وكانوا قد استصحبوا من تُربة بلدهم ومياههم وهربوا من ناحيتهم فقالوا : نقصد موضعاً يشاكل ناحيتنا ويُشبه بلدنا وتربتنا . ونزلوا بالمكان المعروف اليوم باليهوديّة وبالموضع الذي يُعرف منها بأشكهان وأشكهان كلمة باليهودية ، وقايسوا التربة والماء فقالوا بلسانهم اشكهان أي نقعُد هاهنـا . وكان المكان في الوقت أرضاً بوراً غامرةً لا ساكن بها ، فأحدثوا المنـازل وتصرّفوا في وجوه العمارة والفلاحة وأسباب الغروس والزراعة وسكنوا. وكان بنواحي صايك مدينة يرتفق أهلها بمراعي هـذه الناحية ويتصرّفونها فثقُل عليهم ما حدث بجوارهم من الأسباب فيقال إنهم مانعوهم عما أرادوه من بعض متصرّفاتهم ، فجرت بينهم حروب واتصلت بينهم وقائع وشغُوب وتطاولت بهم المشاغبة والمواثبة الى أن صارت الغلبة لليهود ، وتمّ بذلك ما حاولوه من تأسيس اليهودية وتصرّف أربابهم في الغروس على الميـاه

واستنبطوها من مظانها وأجروها في عماراتهم ، وكثرت إصاباتهم بالزروع في الأراضي البَور واقتنوا الماشية وما يضطر اليه أهل الأمصار وتمصرت، فسكنها من رغِب في رفاهة العيش ورغدِه وتوطّنها كبار دهاقين الجاهلية وسَراة تُنّاء الاسلام وأرباب النِعم . وقرأتُ في بعض الكتب أن خراجها في بعض الأوقات كان يبلغ اثني عشر ألف ألف درهم . والغالب على أربابها الرغبة في الخير وحسن ذكر السلف وحبّ المعروف وفِعله وكان منهم . . . . وكانت المدينة أحسن حالاً واكثر تجارة وأموالاً من اليهودية وكان بها قوم سراةٌ ووليها سادة من الولاة وقصدها عالِمٌ من النَاقلة والطُراة ومنهم . . . . (١)

. . . .

١٠ - والكرج مدينة متفرّقة ليس لها اجتماع المدن وتُعرف بكرج أبي دُلَفَ ، وكانت مسكناً له ولآله وأولاده الى أن زالت أيامهم ، وبناؤهم كبناء الملوك قصور عالية وأبنية واسعة وفضاء وفسحة ، ولها زروع ومواشٍ وليس بها كثير بساتين ومنتزهات ، وفواكههم من بروجرد وغيرها وبناؤهم من طين ، وهي مدينة طويلة نحو فرسخين ولها سوقان : أحدهما على باب مسجد الجامع وهو مديد طويل ، وسوق آخر وبينهما صحراء كبيرة وتصاقبها الأبنية والمنازل والمساكن والحمّامات . وبروجرد مدينـــة استحدث فيها منبراً حَمُويه بن عليّ وزير آل أبي دُلفَ وهي مدينة خصبة كثيرة الخير تحمل فواكهها الى الكرج وغيرها حتى الى همذان والدينور ، وطولها أكثر من عرضها وطولها نحو نصف فرسخ وبها زعفران كثير . ونهاوند على جبل وهي مدينة بناؤها من طين وفيها أنهار وبساتين وفواكه كثيرة ، تُحمل الى العراق لجودتها وكثرتها . وبها جامعان : أحدهما عتيق ، والآخر محدث . واليها يرتفع زعفران الروذراور وهو رستاق كبير عظيم يُزرع فيه الزعفران مشهور المحلّ والمقدار ، والمنبر منه بموضع يُعرف بكرج الروذراور وله قرى كثيرة . وهي مدينة صغيرة

(١) بياض في الأصل .

بناؤهـا من طين وهي خصبة بها ميـاه وثمار وزروع ، ويرتفع منهـا من الزعفران ما لا يرتفع من غيرها من مدن الجبال فيجهّز الى العراق وسائر النواحي لكثرته وجودته .

١١ — وحُلوان مدينة في سفح الجبل المطلّ على العراق وهي مصوّرة في ضمنه [ويزعم بعض الناس أن حلوان من العراق ويزعم الأكثرون أنها جبلية يسقط فيها الثلج وهي من الجبال بلا منازعة] وبناؤها من طين وحجـارة وهي نحو نصف الدينور ، ويكون الثلج منها على فرسخين غير منقطع أبداً وهي مدينـة حارّة فيها نخيل وشجر تين كثير موصوف ، ومياه وأودية تتخرّق في أعمالها ورُمانها موصوف وتينهـا مشهور وبالحلاوة معروف ، وقد نالهـا بعض اختلالها في سوادها . وأما الصيمرة والسيروان فمدينتان صغيرتان غير أن الغالب على بنائها الجصّ والحجر كمدينـة الموصِل وتكريت في أبنيتهما ، وفيهما الثمر الكثير والجوز والدستنبويه وما يكون في بلاد الصرود والجروم ، وفيهما مياه وأشجار وزروع وهما نزهتان تجري المياه في دورهم ومحالّهم . وشهرزور مدينة صغيرة قد غلب عليها الاكراد وعلى ما قاربها ودنا من العراق ، وليس بها أمير من قبل السلطان ولا عامل على وجوه أموالها وهي من رغد العيش وكثرة الرخص وحسن المكان وخصب الناحية بحالة واسعـة وصورة رائعـة . وكذلك مدينة سهرورد كشهرزور في الأوصاف التي قدمتُها من ذكر خيراتها ، وقد غلب عليها الاكراد ، وهي كهي في قدر مساحتها ورقعتها وكان اكثر أهلها الشراةَ فانتقلوا عنها . ومن سقطت نفسه ورضي بالهوان أقام لمحبة المنشأ والوطن وهما حصينتان عليهما سوران .

١٢ — وقزوين مدينة عليها حصن وفي داخـل المدينة جامعها ، وهي منهل الديلم وكانت في بعض ايام بني العباس ثغراً يغزون الدّيلم منه ، وبينها وبين مستقرّ عُتاة الديلم اثنا عشر فرسخاً والطالقان أقرب الى الديلم منها ، وليس لقزوين ماء جار إلا مقدار شُربهم ويجري هـذا الماء في مسجد الجامع في قناةٍ وهو ماء وبيءٌ ، ولهم أشجار وكروم وزروع كلها عِذيٌ تزكو حتى تحمل من عندهم . وكان لهـا أهلٌ شراةٌ لا يُغبّهم

الزوار والطُراةُ وفيهم خير بالطبع واصطناع له ، ومنهم أبو القاسم علي ابن جعفر بن حسّان المتكلم على مذاهب البصريّين ، وكان من كبار اهل الفلسفة المعدودين بالحفظ وتوكّتُه في جملة حاشية أبي جعفر العُتبي وشمله ويتصرف في أعمال البريد بما وراء النهر .

١٣ — وقُم مدينة عليها سور وهي خصبة وشِرب أهلها من آبارها ومياه بساتينها من سوانٍ ، وبها فواكه وأشجار فستق وبندق وليس بتلك الناحية من البندق إلا بمدينة لاشتر ففيها منه الكثير الغزير ، وليس بجميع الجبال نخيل الا بالصيمرة والسيروان وما بشابرخاست وهي نخيل قليلة غير أنها لقربها من العراق جياد ، وجميع أهل قم شيعة لا يغادرهم أحد والغالب عليهم العرب ولسانهم الفارسية . وقاسان مدينة صغيرة بناؤها وبناء قم من الطين ، وسائر ما ذكرنا من مدن الجبال سوى الري فإنها بالجص وجميعها لطاف متقاربة .

١٤ — وليس بجميع الجبال بحيرة صغيرة ولا كبيرة ولا اتصال بشيء منها ، ولا نهر يجري فيه السفن غير النهرين المفضيين بين جبال الجزيرة جائية من نواحي ارمينيه على جبال داسن ، ويُعرفان بالزابيين وكأنهما وإن كانا من الجبال يخرجان فليسا منها لأنهما الى الدجلة يفرغان وفيهما يقعان ، ورأيتُهما جميعاً ومخرجهما من جبال الجزيرة وتلقاء اذربيجان الى نواحي الموصل .

١٥ — والغالب على هذه المدن المذكورة والنواحي الموصوفة الجبال الشاهقة العالية والأوعار الصعبة المنيعة ، إلا ما بين همذان الى الري والى قم فإن الغالب عليها السهل والجبال بها قليلة ، والذي يحيط بالجبال الصعبة من حد شهرزور الى آمد فيما بين حدود اذربيجان والجزيرة ونواحي الموصل وهو من طولها ، وربما كان عرضها في غير موضع الثلاثين فرسخاً والى الأربعين وأزيد وأنقص ، فلا يُرى فيها مرحلة واحدة في سهل وهذه الجبال مسكونة مأهولة بالأكراد الحميدية واللارية والهذبانية ، وغيرهم من أكراد شهرزور وسهرورد ومن شهرزور الى حُلوان والصيمرة والسيروان واللور واصبهان وحد فارس راجعاً على قاسان الى همذان حتى ينتهي الى

قزوين ونواحي الديلم وتمتد الجبال في اذربيجان بين وعرٍ وسهلٍ وجبلٍ الى جبل القبق على جبال الخُرَّميّة ، وأسافل هذه الجبال من نواحي شهرزور الى نواحي قاسان وحدود خوزستان تعرف بالماهين : ماه الكوفة وماه البصرة .

١٦ — وإنما أُضيفت جبال الديلم اليهم إذ كانت قائمة بأنفسها ولها ملوك وكأن اتصالها واحد من جهة المشرق بجبال طبرستان وجرجان ومن جهة المغرب بجبال ذربيجان ، وليس بينهما حاجز تستحق إفراداً به وقد أضيفت الديلم في غير وقت الى عمل خراسان ومرّةً الى اذربيجان ، والرَّي مدينة ليس بعد بغداد في المشرق مدينة أعمر منها إلا أن نيسابور أكبر منها عرصة وأفسح رقعة . فأما اشتباك البناء ويسار الأهل والخصب والعمارة فهي أعمر ومقدارها فرسخ ونصف في مثله ، والغالب على بنائها الطين وبها الجص والحجر في بعض أبنيتها . ومن الجبال المذكورة بهذه النواحي جبل دنباوند مرتفع حتى يرى فيما بلغني من خمسين فرسخاً لارتفاعه وما بلغني ان أحداً ارتقاه ويتحدث عنه بخرافاتٍ كثيرة من أمر السحر ، وان السحرة من جميع أقطار الأرض تأوي اليه .

١٧ — وجبل بهستون جبل منيع لا يُرتقى الى ذروته أيضاً وطريق الحاج من نيسابور الى حلوان تحته وفي بعضه ، ووجهُه من أعلاه الى أسفله أملس قد عُمِلَ وجُرِد ويكون من الري الى حلوان بهذه الصفة ، حتى كأنه قد نُحِتَ منه مقدار قامات كثيرة من الارض ، ويزعم بعض الناس وأظنه عمرو بن بحر الجاحظ في كتاب البُلدَان ، له وهو كتاب نفيس له في معرفة الأمصار ان بعض الأكاسرة أراد ان يتخذ بجوف هذا الجبل سوقاً ليدلّ به على قوّته وسلطانه . وعلى ظهر هذا الجبل مما يقرب من الطريق الآخذ الى العراق مكان يُشبه الغار ، فيه عين ماء تجري وهناك صورة دابّةٍ كأحسن ما يكون من الصور ، ويزعمون أنه صورة دابّة كسرى المسمّى شَبداز وعليه صورة كسرى من حجر وصورة امرأته شيرين في سقف هذا الغار ، وأخبرني من رأى في هذا الجبل على الغار من فوقه بمسيرةٍ بعيدةٍ صورة مكتبٍ ومعلّم وصبيانٍ من حجارة ، وبيد

معلمهم كالسير يُومىء به لضرب الصبيان ، وأنه رأى هناك مطبخاً وطبّاخه قائماً وقدوره منصوبة على أثافٍ معمولةٍ منقوبةٍ ، وبيد الطبّاخ مغرفة كل ذلك من حجارة ، وليس بهذه النواحي جبل مذكور مشهور غير ما ذكرته ، وجبل سبلان المطل على مدينة اردبيل عندي أعظم من دنباوند ، غير أنه منقطع عن الجبال التي تصاقبه فهو يُرى في دون منزلته من العلو والسمو وما رأيتُ من رقى ذروته . وجبل الحارث بدبيل أعظم منهما ، وجبال الخرميّة جبال منيفة فيها الخرميّة وكان بابك منها ، ولهم بقراهم مساجد ويقرأون القرآن ويتقول عليهم في خلال ذلك انهم لا يدينون في الباطن بدين غير الاباحة .

١٨ — ونقود أهل هذه النواحي الذهب والفضة ويغلب الذهب على الفضة . وأما اوزانهم فإن من همذان والماهات أربع مائة درهم ، وليس بجميع الجبال معدن ذهبٍ ولا فضةٍ غير ان بقرب اصبهان معدنا للكحل مصاقباً لفارس ، والغالب على أهل الجبال كلها قِنية الأغنام وعلى مطاعمهم الألبان وما يكون منها ، ولهم مما يتخذ من اللبن أنواع طيبة لذيذة كالمايستنج والجبن المحمول الى كثير من أعمال الأرض ويوصف بالجودة . وكان السَراة من أهلها والتُنّاء من رجالها يختصون بضروب من المروءة وأنواع السيادة والرياسة . وأما الديوان منها ودار الامارة بها في وقتنا هذا فبالريّ لأن ملكها كان أبا عليّ الحسن بن بُويه ، وقد كان قطن بها واستوطنها وهي بأجمعها له وفي يديه وجبايتها واصلة الى أهله من بعده ، والمرتفع منها الى المقيم بها في هذا الوقت .

الديلم وطبرستان

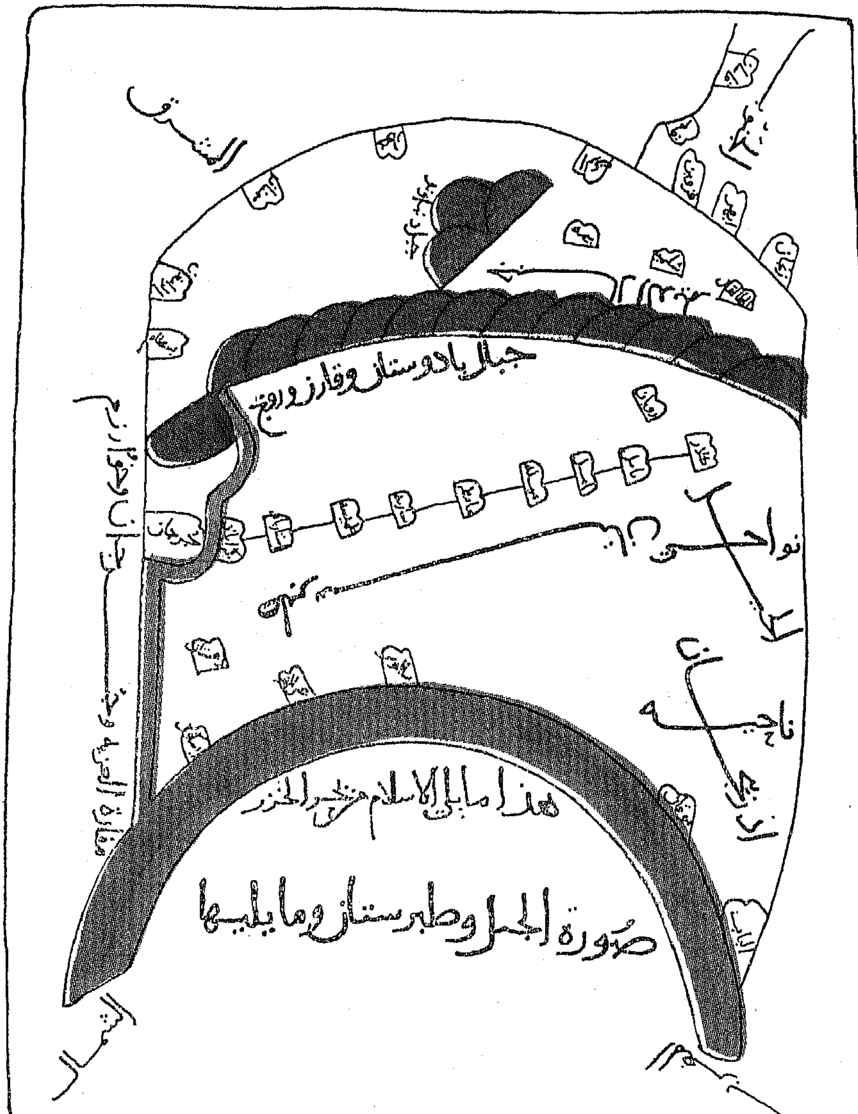
١ – فأما الديلم وما يتّصل بها فمن ناحيـة الجنوب قزوين والطـَرم وشيء من اذربيجان وبعض الريّ ويتصل بها من جهة المشرق بقية أعمال الري وطبرستان ويتصل بها من الشمال بحر الخزر ومن المغرب شيء من اذربيجان وبلدان الران ، وقد ضممتُ الى ذلك ما يتصل به من جبـال الروينج وباذوسبان وجبال قارن وجُرجان ، وأما بحر الخزر فقد أفردتُ صورته بذاتها وأتيتُ به وبها على جهتها وهي التي تلي صورة الدَيْلم وبما يتصل به من تلك النواحي التي لم أذكرها ولا صوّرتُها .

٢ – وهذه صورة الجيل وما يليها من الديلم وطبرستان .

إيضاح ما يوجد في صورة الديلم وطبرستان من الأسماء والنصوص :

قد كتب موازياً لطرف الصورة الأسفل : صورة الجيل وطبرستان وما يليهـا . وفوق ذلك : هذا ما يلي الإسلام من بحر الخزر ، ويحيط بهاتين الكتابتين في شكل نصف دائرة رسم البحر وكتب في الزاوية اليمنى عند منتهى البحر المغرب وفي الزاوية اليسرى الشمال .

ويتصل بساحل البحر ابتداء من اليمين من المدن : الباب ، موقان ، شالوس ، عين الهم ، أبسكون ، ومن أعلى أبسكون في البر دهستان ، وعن يسار أبسكون مصب نهر يأتي من الفوق وكتب موازياً لهذا النهر عن يساره : مفازة الغزيه وجرجان وخوارزم ، وتتصل بالنهر عند عطفه الى اليمين مدينة جرجان ، وتقابلها عن يمين النهر مدينـة بكراباذ ، ويأخذ من بكراباذ طريق الى اليمين عليه من المدن : استاراباذ ، طميسه ، ساريه ، مامطير ، ميله ، أمل ، ناتل ، كلار ، وتقع من فوق المدينتين الأخيرتين رويان ، وكتب في الساحة تحت هذا الطريق موازياً له طبرستان ، وعن يمين ذلك على شكل صليبي نواحي الجيل ثم من أسفل ذلك على شكل صليبي أيضاً ناحية اذربيجان ، ورسمت سلسلة جبال تحد هذه الساحة من أعلاهـا وكتب عند نصفها الايسر : جبال فاذوسبان وقارن وروينج .


المشرق
جبال بادوستان وقارن
هذا ما يلي الإسلام من بحر الخزر
صورة الجبل وطبرستان وما يليها
الشمال

، كتب موازياً لاعلى النصف الايمن من الجبال جبال الديلم ، ثم يحيط بالساحة فوق الجبال خط مقوس يتصل به من المدن ابتداء من اليمين : زنجان ، ابهر ، قزوين ، الري ، خوار ، سمنان ، الدامغان ، بسطام ، ورسم في وسط هذه الساحة جبل دنباوند ويقع عن يمينه من المدن: بيمه ، شلنبه الطالقان ، ويأخذ عن يسار قزوين طريق الى الفوق عليه : قم وقاسان ، وكتب عن يمين ذلك في الزاوية الجنوب وفي الزاوية اليمنى المشرق .

وهذا ما يلي الاسلام من بحر الخزر :

٣ — فأما ناحيـة الديلم فسهل وجبل والسهل للجيل ، وهم مفترشون على شط بحر الخزر تحت جبال الديلم وسكان هذه الجبال فهم الديلم المحض ، وهي جبال منيعة والمكان الذي كان به قعدد الملِك يسمّى الطَـرْم وبه منام آل جَستان ورياسة الديلم فيهم . وزعم أبو بكر محمد بن دريد أن الديلم طائفة من بني ضبّة . وناحيتهم كثيرة الشجر والغياض وأكثر ذلك للجيل في الوجه الذي يقابل البحر وطبرستان . وقراهم مفترشة وهم أهل زرع وسوائم وليس عندهم من الدواب ما يستقلون بها . ولسانهم منفرد عن الفارسية والرانية والارمنية وفي بعض الجيل فئةٌ وطائفة تخالف لسان الجيل والديلم . والغالب على خلقهم النحافة وخفة الشَعَر والعجلة والطيش والبدار وقلة المبالاة والاكتراث . وكان الديلم أكثر أيام الاسلام كفّاراً يُسبَى رقيقهم الى أيام الحسن بن زيد بن محمد بن اسماعيـل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طـالب عليهم السلام ، فتوسطهم العلوية وأسلم بعضهم وفيهم الى يومنا هذا في الجبال كفّارٌ .

٤ — والرُوينج وجبال فاذوسبان وقارن هي جبال منيعة وبكل جبل منها رئيس ، والغالب عليها الأشجار العالية والغياض والمياه ، وهي خصبة جداً . فأما جبال قارن فهي قرًى لا مدينة فيها غير شهمار على مرحلة من ساريه ، ومستقر آل قارنٍ بموضعٍ يسمّى بريم وهو موضـــع حصنهم وذخائرهم ومكان ملكهم ، ويتوارث أصحاب الجبل المملكة بها من أيام الأكاسرة . وجبال باذوسبان جبال مملكة ورئيسها يسكن قرية تسمّى ارم وليس بجبال باذوسبان منبر وبينها وبين ساريه مرحلة . فأما جبال روينج فإنها كانت لرعاياهم يملكونها وفي هذا العصر هي لملوكهم وهي بين الري

وطبرستان ، فما كان من جهة الري فمن حدود الري وما كان من وجه طبرستان فمن طبرستان ، والمدخل الى الديلم من طبرستان على شالوس وهي على نحر البحر ، ولها منعة إذا استوثق منها بالشحنة لصعوبة المسلك على الديلم الى طبرستان ، وبين الجبال من حد الديلم الى استاراباذ والى البحر أكثر من يوم ، وربما ضاق حتى يضرب لماء الجبل ، فإذا جاز الجائز الديلم الى الجبل اتسع البر حتى يصير بينه وبين البحر مسيرة يومين واكثر .

٥ — ونواحي قزوين فالذي يتصل بها من المدن : ابهر وزنجان والطالقان ويتصل بالري خوار وشلنبه وبيمه ، ويقع في قومس : سمنان والدامغان وبسطام ، ويقع بطبرستان : آمل وناتل وشالوس وكلار والرويان وميله وتريجى وعين الهمّ ومامطير وساريه وطميسه ، ويقع في عمل جرجان : جرجان واستاراباذ وابسكون ودهستان ، فأما جبال روينج وباذوسبان وقارن فما بها مدينة ولا منبر غير شهمار وهي في جبال قارن .

٦ — وأعظم مدينة في هذه الناحية الري وقد مرّ ذكرها ، وذلك ان طولها فرسخ ونصف في مثله وهي مدينة بناؤها من طين ويستعمل فيها الآجرّ والجص ، ولها حصن حسن مشهور له ابواب مشهورة منها باب ماطاق يُخرج منه الى الجبال والعراق ، وباب بليسان يُخرج منه الى قزوين ، وباب كوهك يخرج منه الى طبرستان ، وباب هشام يخرج منه الى قومس وخراسان ، وباب سين يخرج منه الى قُمّ . ومن اسواقها المشهورة : رُوذَه وبليسان ودهك بُرّ ونصراباذ وساربانان وباب الجبل وباب هشام وباب سين ، وأعظمها الرُوذَه وبها معظم التجارات والخانات وهو شارع عريض مشتبك الابنية والعقارات والمساكن . ولها مدينة عليها حصن وفيها مسجد الجامع واكثر المدينة خراب والعمارة في الربض ، ومياههم من الآبار ولهم ايضاً قنيّ وفي المدينة نهران للشرب يسمى احدهما سورينى ويجري على رُوذه ، والآخر الجيلانيّ يجري على ساربانان ومنهما شربهم . ولهم قني كثيرة ما يفضل عن مشربهم ويتفرع الى ضياعهم . ونقودهم الدراهم والدنانير وزيّ أهلها زيّ أهل العراق ويرجعون الى مروؤة ولهم دهاء وفيهم تجارب . وبها قبر محمد بن الحسن الفقيه الكوفيّ

وقبر الكسائي والفزاري المنجّم . ومدينة خوار فهي مدينة لطيفة صغيرة نحو رُبع ميل، وهي عامرة وبها ناس يرجعون الى مروؤات وسَرْو وعلم وديانات . وفيها ماء جارٍ يخرج من ناحية دنباوند ، ولها ضياع ورساتيق وحال حسنة . وأما ويمه وشلنبه فهما من ناحية دنباوند وهما مدينتان صغيرتان أصغر من خوار الريّ وأكبرهما ويمه، ولهما زروع ومياه وبساتين وأعناب كثيرة ، وخوار أشد تلك النواحي برداً . وللريّ سوى هذه المدن قرىً تزيد في قدرها وجلالتها على هذه المدن كثيراً ولا منابر فيها مثل سد وورامين وارنبويه وورزنين ودزك وقوسين ، وغير ذلك من القرى التي بلغني ان في أحدها ما يزيد من أهلها على عشرة آلاف رجل ، ومن رساتيقها المشهورة القصر الداخل والقصر الخارج وبهنان والشبر وبشاويه ودنبا ورستاق قوسين وغير ذلك . ويرتفع من الري بالجلب منها الى غيرها من البلاد القطن المحمول الى العراق واذربيجان وغيرهما والثياب المنيرة والأبراد والأكسية .

٧ — وليس بجميع هذه النواحي نهر تجري فيه السفن، وأمّا الجبال فمن حدّ عمل الري دنباوند ، وهو جبل رأيتُه من وسط رُوذه بالري وبلغني أنه يُرى من قرب ساوَه، وهو في وسط جبالٍ يعلو فوقها كالقبّة ويحيط بالموضع الذي يعلو عليه نحو أربعة فراسخ، ولم أسمع ان احداً ارتقاه الى أعلاه ويرتفع من قُلّته دخانٌ دائم الدهر كله ، وحول هذه القبة قرًى منها قرية ديبران ودرمنه وبوأ وغيرها من القرى ، وكان علي بن شروين الذي أسرَ على وادي جَيْحون منها وبلغ به الحال ان نافسته نفسه الى ملك خراسان فلم يُسْعِدْهُ القَدَر . والقلة التي يرتفع دخانها على كاهل دنباوند هو جبل أقرع ، وعلى ما دون القلة أشجار قليلة ولا نبات معها وليس بسائر الجبال ونواحي الديلم وما يتصل بها أعظم منه جبلًا .

٨ — وقومس فإن أكبر مدينة بها الدامغان ، وهي أكبر من خوار الري وسمنان أصغر منها وبسطام أصغر من سمنان . والدّامغان قليلة الماء وهي متوسطة العمارة وبسطام أكثر منها عمارة واكثر فواكه ، ويُحمل من فواكهها الى العراق الكثير الغزير ، ويرتفع من قومس أكسية معروفة

وتحمل الى الأمصار وهي فاشية في جميع الأرض .

٩ — وقزوين مدينة عليها حصن وداخلها مدينة صغيرة عليها حصن ومسجد الجامع في المدينة الداخلة ، وهي مدينة ماؤها من السماء والأبآر وليس بها نهر إلا قناةٌ صغيرةٌ للشُرب ، وقد ذكرتُ أنها لا تفضُل عن شربهم وهي خصبة مع قلة مياهها ويكون مقدارها ميلاً في مثله ، وابهَر وزنجان مدينتان صغيرتان حصينتان كثيرتا المياه والأشجار والزروع ، وزِنجان اكبر من ابهَر غير أن اهل زنجان تغلُب عليهم الغفلة والجبال موجود فيهم .

١٠ — وطبرستان فأكبر مدنها آمُل وهي مستقرّ وُلاتها في هذا العصر ، وكانوا في قديم الأيام يسكنون ساريه . وطبرستان بلد كثير المياه والثمار والاشجار الجليلة العظيمة ، والغالب عليها الغياض وكثرة الأشجار وأكثر ابنيتها الخشب والقصب، وهو إقليم كثير الأمطار وربما اتصل المطر سنةً جرداءَ فلا يرون فيها الشمس وسطوحهم مسنّمة بالقراميد . وآمُل أكبر من قزوين وهي مشتبكة البناء والعمارة وما اعلم على قدرها أعمر منها في نواحيها . ويرتفع بجميع طبرستان الابريسم ويُحمل منه الى جميع الآفاق ، وليس بسائر الارض في مُلك الاسلام والكفر ناحية تقارب طبرستان في كثرة الابريسم، وبها من الخشب الخلنج والكرم الملوّن المجزّع خشبُه بسوادٍ وحمرةٍ والشمشار والشوحط ما ليس بمكان مثله . والغالب على أهل طبرستان وُفُورُ الشعر واقتران الحواجب وسرعة الكلام والعجلة والطيش، وعلى طعامهم خبزُ الأرُزّ والسمك والثوم وكذلك الديلم والجيل . ويرتفع من طبرستان أصناف من الثياب الابريسم والأكسية الصوف الثمينة والبرّكانات العجيبة ، وليس بجميع الارض اكسية تبلغ قيمة اكسيتهم وبرّكاناتهم ومطارفهم واذا كانت بالذهب فهي كما بفارس او أزيد بقليل . وليس بجميع طبرستان نهر تجري فيه سفينة غير ان البحر منهم قريب على أقلّ من يوم . ويُعمل بطبرستان مناديل قطن وشرابيّات ودساتك ساذجة ومذهّبة ، وليس لذهبها نظير هذا الى بقاءٍ معروفٍ في ثيابهم القطنيّة ، وأكثر قُطنهم يضاهي قطن صَعدة وصَنعاء وفيه صفرة ولِما

يُعمل منه جوهر حسن ويستحسنه اهل العراق . وجميع طبرستان يغلب عليها المياه والغياض والشجر إلا ما كان في المواضع المستعلية في الجبال ففيها قلّة رُطوبة ويبس، وبطن طبرستان سقيع نقيع يغلب عليها النزوز ونجل الارض .

١١ — وجُرجان وأعمالها وجبالها مصاقبة لطبرستان وحومتُها كبيرة، وليس بتلك النواحي لها شِبه وبناؤها من طين، وهي أيبس من آمُل تربةً وأقل مطراً مع أنه لا تخلو جرجان وطبرستان شتاءَهم وصيفَهم من الأمطار الدائمة الكثيرة العظيمة المؤذية المضجرة، القاطعة للغريب عن الاشغال الصادّة عن المُهمّات من الاعمال، وكان اهل جرجان أحسن وقاراً وأكثر مروؤةً ويساراً، وقد تغيّر الجميع وهلكت الموادّ وغلب عليها السلاطين . وجرجان جانبان بينهما نهر يجري كثير الماء عظيمه في الشتاء وعليه قنطرة معقودة بين الجانبين، فجرجان الجانب الشرقي وبكراباذ الجانب الغربي وهي اقل من جرجان سعةً . وأكثر ما يُعمل الابريسم ببكراباذ وأصل إبريسم طبرستان من جرجان لانه لا يزكو ما بطبرستان من بزر حريرهم، وإنما يستعملون بزور جرجان لأنها أزكى وأتمّ ولا يتمّ من بزور طبرستان حرير بتّة . ولها مياه كثيرة وضياع عريضة وقلاع واسعة ولم يكن في المشرق بعد أن تجاوز الريّ والعراق مدينة أجمع ولا أظهر خصباً على مقدارها من جرجان، وذلك أن بها الثلج والنخل والأترج وفواكه الصرود والجروم والتين والزيتون وسائر الفواكه . وكان لأهلها مروؤات يتبارون فيها ويأخذون انفسهم بها وبالتأتي للأخلاق المحمودة، فبدّدهم عدل السلطان واختلاف العساكر عليهم وغيّرهم ذلك وحقيقٌ بالتغيير . وتخرّج منهم رجال كثيرون شهروا بالفضل وعُرفوا ووُصفوا بالسرو كالعمركي صاحب المأمون وكان من العلم والأدب بمكان . ونقودهم نقود طبرستان الدنانير والدراهم ومنّهم ستمائة درهم . وكذلك منّ طبرستان والريّ وقومس منُّها ثلاثمائة درهم . ولجرجان فُرضة على بحر طبرستان يركبون منها الى الخزر وباب الأبواب والجيل والديلم وغير ذلك، وتعرف بابسكون مدينة صالحة كثيرة البَعوُض والناموس وليس بجميع النواحي

المذكورة فرضة أجل من ابسكون، وكان لهم رباط يُعرف برباط دهستان مدينة قصدة ولها منبر، وهي ثغر للغزّية الأتراك وقد شَرِبَتْ من الاختلال شربة ليست بالقوية . ويتصل حد جرجان بالمفازة التي تلي خوارزم ومنها يقصدهم الأتراك . والغالب على أعمال جرجان الجبال والقلاع المنيعة، وبها من القلاع في وقتنا هذا ما لم يصل وشمكير بن زيار اليه ولا خرج من يد أهله على قول أهل البلد أكثر من الف قلعةٍ، ولكل قلعة منها الضيعة والضيعتان ولمن يملك جرجان عليهم مال يقبضه كالمقاطعة، وربما منعوا أنفسهم عن دفع ما يجب عليهم مُدّةً ولا يمكن في أكثرهم إلا المسالمة وأخذ ما يتيسر على الرفق والمداراة، وإذا عُنِفَ بهم دَفَعُوا عن أنفسهم لأنه لا يُقدَر على مطاولتهم . وجرجان وطبرستان منذ سنين بين عملي خراسان والري، فربما غلب عليهما أصحاب خراسان فدعوا لآل سامان، وربما غلب عليهما أصحاب الأمير ركن الدولة، فدُعِيَ لآل بُويه كالحسن بن فيروزان وغيره .

١٢ — ذكر المسافات بهذه النواحي : الطريق من الري الى حدود اذربيجان، فمن الري الى قزوين أربع مراحل، ومن قزوين الى ابهر مرحلتان، ومنها الى زنجان يومان صعبان، ومن أراد الطريق القصد لم يمض على قزوين ومضى على يزداباذ من رستاق دشته . والطريق من الري الى نواحي الجبال فمن الري الى قسطانه مرحلة، ومنها الى مشكويه مرحلة ومنها الى ساوه تسعة فراسخ، وساوه ربما ارتفعت في أعمال الجبال وربما ضمّت الى الري . ومن الرّي الى طبرستان فمن الري الى برزيان مرحلة خفيفة، ومن برزيان الى نامهند مرحلة كبيرة ومنها الى اشك مرحلة، ومن اشك الى بلور مرحلة ومنها الى آمُل مرحلة . ومن الري الى خراسان على قومس، فمن الري الى افريدِين قرية مرحلة ومن افريدين الى كهده مرحلة، ومن كهده الى خوار مرحلة ومن خوار الى قرية الملح مرحلة، ومن قرية الملح الى رأس الكلب مرحلة ومن رأس الكلب الى سمنان مرحلة، ومن سمنان الى علياباذ مرحلة، ومن علياباذ الى جوجوى مرحلة، ومنها الى الدامغان مرحلة ومنها الى الحدادة مرحلة، ومن الحدادة الى

بذش مرحلة ومن بذش الى مورجان مرحلة كبيرة ، ومن مورجان الى هفدر مرحلة ومن هفـــدر الى اسداباذ مرحلة ، ومن اسداباذ الى نواحي نيسابور واسداباذ اول عمل نيسابور .

١٣ — والطريق من طبرستان الى جُرجان ، فمن آمُل الى ميله فرسخان وهي مدينة ، ومنها الى تريجي ثلاثة فراسخ ومن تريجي الى ساريه مرحلة ومن ساريه الى بارست مرحلة ومن بارست الى اباذان مرحلة ، ومنها الى طميسه مرحلة ومنها الى استاراباذ مرحلة ، ومن استاراباذ الى رباط حفص مرحلة ومن رباط حفص الى جرجان مرحلة . ومن اراد ان يخرج من آمل الى مامطير مرحلة ومنها الى ساريه مرحلة ، ولا يكون الطريق على تريجي وهو اقصد وإنما ذكرتُ الطريق الاول لأن فيه منبرين . والطريق من آمُل الى الديلم فمن آمل الى ناتل مرحلة ومن ناتل الى شالوس مرحلة خفيفـة ، ومن شالوس الى كلار مرحلة ومن كلار الى الديلم مرحلة . ومن آمُل الى البحر الى عين الهمّ مدينة مرحلة خفيفة ، وفيها نهر آت من آمل . والطريق من جرجان الى خراسان فمن جرجان الى دينارزارى مرحلة ، ومنها الى املواتلوا مرحلة ومن املواتلوا الى اجغ مرحلة ، ومنهـــا الى سنداسب مرحلة ومن سنداسب الى اسفرايين مرحلة . والطريق من جرجان الى قومس فمن جرجان الى جهينه مرحـــلة وهي وادٍ لقرية حسنةٍ ومن جهينه الى بسطام مدينة مرحلة ومنها الى وسط قومس مرحلة .

١٤ — وأما ارتفاع جُرجان بعد انحلالها واختلالها في وقتنـا هذا لوشمكير بن زيار ولبهستون بن وشمكير بن زيار وما هو في ضمنهـا من الجبايات والقبالات وحقوق السلطان ، وما يؤخذ من المراكـب الواردة والصادرة في بحيرة طبرستان بابسكون فمن مائتي الف دينار الى الفي الف درهم . وارتفاع طبرستان غير متحصّل منذ سنين كثيرة لأنها متداولة بأيدي السلاطين وكان في القديم ارتفاعها كارتفاع جرجان ، لانها قليلة الغــلاّت تافهة الحال من زروع الحنطة والشعير .

بحر الخزر

١ — وبحر الخزر فإن شرقيّه بعض الدَّيلم وطبرستان وجرجان وبعض المفازة التي بين جرجان وخُوارزم ، وغربيّه الران وحدود السرير وبلاد الخزر وبعض مفازة الغزّيّة ، وشماليّه مفازة الغزّية بناحيـــة سياه كويه ، وجنوبيّه الجيل والدَّيلم وما داني ذلك .

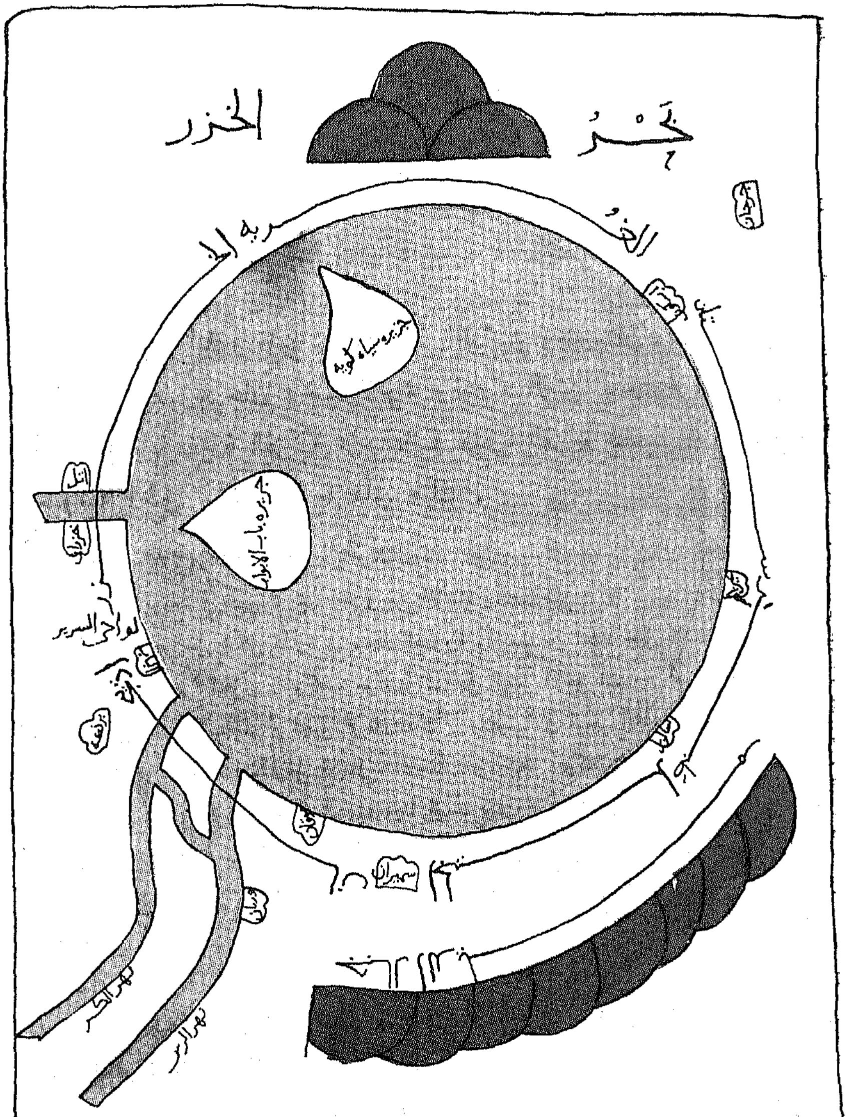
٢ — وهذه صورة بحر الخزَر .

إيضاح ما يوجد في صورة بحر الخزر من الأسماء والنصوص :

قد رُسم البحر على شكل دائرة في وسط الصورة ورُسم من أعلاه جبل لا اسم عنده ، وهو بين كلمتي كتابة بحرُ الخزر . وكتب موازياً لساحل البحر الاعلى الغـزيه ثم يلي ذلك موازياً للساحل الخزر ثم اذربيجان ثم الجيل ثم طبرستان . ويصبّ في البحر آخذاً عن اليسار نهر رُسم على شاطئه الاعلى مدينـة اتل وعلى الشاطىء الاسفل خزران . وكتب في الساحة من اسفل ذلك نواحي السرير، ثم تقع على ساحل البحر مدينة الباب وعن يسارها الى الاسفل برذعه . ثم يصب في البحر عن يمين ذلك نهران هما نهر الكر ونهر الرس ، وعلى نهر الرس مدينـــة ورثان ثم عن يمين مصب هذا النهر على ساحل البحر موقان . ويليها على بعد من ساحل البحر مدينة سميران ، ثم يلي ذلك على الساحل من المـــدن : شالوس ، عين الهم ، ابسكون ، وعن يمين ذلك في البر جرجان .

ورُسم في البحر جزيرتان هما جزيرة سياه كويه وجزيرة باب الابواب ، ومن اسفل البحر في أيمن الصورة سلسلة جبال كتب عندها جبال الديلم .

٣ — وهذا البحر ليس له اتصال بشيء من البحار التي على وجه الأرض بطريق المادة والاختلاط إلا ما يدخل اليه من نهر الروس المعروف بآتل وهو متصل بشُعبة تفضي منه الى الخليج الخارج من ارض القسطنطينية الى البحر المحيط . ولو ان رجلًا طاف بهذا البحر لرجع الى مكانه الذي ابتدأ


بحر الخزر
جزيرة سياه كويه
جزيرة باب الابواب
لواحى السرير
نهر الكر
نهر الرس

به لا يمنعه مانع ولا يقطعه قاطع إلا نهر يجذب اليه ويقع فيه ، وهو بحر مالح ولا مد له ولا جزر مظلمٌ قعرُه بخلاف بحر القلزم وغيره ، لأن قعره طين آجن آسن وبحر فارس يتبين في كثير من بقاعه أرضه لصفو ما تحته من الحجارة البيض ، ولا يرتفع من هذا البحر شيء سوى السموك ويُركب فيه للتجارة من أراضي المسلمين الى أرض الخزر ، وهو فيما بين الران والجيل وطبرستان وجرجان . وليس فيه جزيرة مسكونة فيها عمارة كما في غيره جزائر فيها سكان ومياه ومدن ، والذي فيه من الجزائر فيها مياه وأشجار ولم يسكنها في الإسلام أحد . منها جزيرة سياه كويه وهي كبيرة بها عيون واشجار وغياض ودوابُّ وَحْشٍ . واليها جزيرة تجاه الكُرّ وبالقرب من الباب وهي كبيرة أيضاً فيها غياض وأشجار ومياه ، ويرتفع منها الفُوّة ويخرج اليها من نواحي برذعه مُنتجعة لإثارَةِ الفُوّة ، والعَمَلِ فيها الأيام الطويلة الكثيرة ويحملونها الى ورثان وبرذعه فينالون منها خيراً ، ويحمل الى جزيرة الباب الدوابُّ من نواحي برذعه وورثان وكثير من المواضع فتسرَح فيها وتسمن لكثرة كلائها ومرعاها .

٤ — وليس من ابسكون الى الخزر عن اليمين على شط البحر قرية ولا مدينة سوى موضع من ابسكون على خمسين فرسخاً منها يسمّى دهستان كالقرية ، فيها قوم قلة وفي مائهم غور وماء البحر بهذه الناحية قصير القعر وهي كالدِخلة في البحر فترسى فيها السفن في هيجان الريح والبحر ويقصد هذا الموضع خلق كثير من النواحي ، فيقيمون به للصيد ولا أعرف غيره مكاناً يقيم به احدٌ إلا سياه كويه فإن به طائفةً من الأتراك الغُزّيّة ، وهم قريبو العهد بالمُقام به لاختلافٍ وقع بين الغُزّيّة وبينهم فانقطعوا عنهم واتّخذوه داراً ومأوىً ، وفيه مراعٍ واسعة ولديهم عيون وهذا المكان عن يمين هذا البحر من ابسكون . ومن ابسكون على اليسار الى الخزر عمارةٌ متصلة إلا شيئاً يسيراً بين باب الأبواب والخزر ، وذلك انك اذا اخذتَ من ابسكون على حدود جُرجان وطبرستان والدَيلم والجيل تدخل في حدود الران اذا جُزتَ على موقان الى ناحية باب الأبواب على مسيرة يومين من بلاد شروان شاه ، وعملُه الى نواحي سمندر اربعة أيام عمارة

ايضاً ومن سمندر الى اتل سبعة ايام مفاوز . ولهذا البحر زنقة بناحية سياه‌كويه يخاف على السفن اذا اخذتها الريح هنـــاك أن تنكسر ، واذا انكسرت السفن هناك لم يتهيّأ جمع شيء منها من غلبة الاتراك عليها فإنهم يستولون على ما فيها .

٥ ــ وأما الخَزَر فاسم الاقليم وقصبته تسمّى أتُل ، وأتُل اسم النهر الذي يجري اليهم من الروس وبُلغار ويفيض في بحر الخزر [وقيل منبع هذا النهر من الظلمات لا يعرف احد أوّله ولا وصل الى منبعه] . والبلد قطعتان : إحداهما من غربي النهر المسمّى اتل وهي أكبرهمـا ، والاخرى من شرقيّه ، والملك يسكن في الغربية منهما وتُسمّى خزران ، والشرقية تُسمى اتل ويُسمى الملك بلسانهم باك . وتكون القطعتـان في الطول نحو فرسخ ويحيط بهما سور غير أنها مفترشة البناء وأبنيتهم كالخركاهـــات من خشب قد غُشّيت بلبودٍ إلا شيئاً يسيراً بُني من طين ، ولهم أسواق وحمّامات وفيهم خلق من المسلمين . ويقال انهم يزيدون على عشرة آلاف مسلم وبهـا نحو ثلاثين مسجداً ، وقصر ملكهم بعيد من النهر وهو من آجرّ وليس لأحدٍ بنـاء من آجرّ غيره ولا يُسوّغ الملك ذلك لغيره . ولسور البلد ابواب اربعة منها باب يلي النهر وآخر الى ما يلي الصحراء على ظهر المدينـة . والملك يهوديّ ويقال أن له من الحاشية نحو اربعة آلاف رجل ، وبهاتين الناحيتين مسلمون ونصارى وعبدة الأوثان وأقل الفِرَق فيهم اليهود وأكثرهم المسلمون إلا أن الملك وخاصّته يهودٌ . والغالب على اخلاقهم اخلاق اهل الاوثان من سجود بعضهم لبعض عند التقائهم وأحكامٍ يُمضونها على رسوم قديمـــة تخالف دين الاسلام واليهود والنصارى . ويقال أن جميع جيش خزران اثنا عشر الفاً مُثبتين بالراتب اذا مات منهم رجل أُقيم مكانَه غيره ، وليس لهم جراية دارّة ولا ارزاق معلومة في شهر معلوم بل يوصَل اليهم اليسير في المدّة الطويلة والاوقات المتراخية ، اذا حزبهم خوف او لزمهم حرب اجتمعوا له . وأبواب مال هذا الملك من الأرصاد وعشور التجارات على رسومٍ لهم من كل طريقٍ سابلٍ اليهم ، وله وظائف على اهل المحـــالّ والنواحي من كل صنف ما يحتاج اليه من طعام وشراب وغير ذلك .

٦ ـ وللملك سبعة من الحُكّام من اليهود والنصارى والمسلمين وعبدة الأوثان، واذا عرض للخاصّة والعامّة امرٌ حكم فيه هؤلاء الحكام ولا يصل اهل الحوائج الى الملك نفسه، وإنما يصل الى هؤلاء فيخاطبون في الحوائج وفيما يعرِض؛ وبين هؤلاء النفر وبين الملك سفيرٌ يراسلونـــه فيما يجري ويشجر بينهم ويطلعونه على ما يكون منهم، فيرد عليهم أمرُه عند ذلك بما يعملون عليه. وربما جرىٰ في أحكامه أشياءُ كالخرافة؛ ومنها ما حكاه المعتضد وقد ذُكِر بين يديه فازدراه ذاكره فقال المعتضد: كلا إنـــه لمروي عن النبي صلى الله عليه أنه قال: إن الله جلّ اسمه لم يُوَلِّ رجلًا قوماً إلا وأيّده بضربٍ من التسْديد وان كان كافراً. ومن ظريف ذلك ان رجلًا من أهل خزران كان له ولد قد تصرّف في التجارة ومهر في الأخذ والعطاء، فأخرجه الى بُلغار الداخل ولم يزل يجهّز عليـه التجارة وتبنى بعد إخراج ابنه عنه عبداً كان له، فخرّجه وبصّره فحسُنت بصيرته فيما ندبه له من التجارة حتى دعاه بالبُنوة لقربه من طاعته وقلبه، وطالت غيبة الابن ومُقام الغلام في خدمة الأب الى ان هلك الرجل وأقبل الابن على الجهاز ولم يُعْلَم بموت أبيه، والغلام يحصّلُ ما يرد عليـه ولا يجهز عوضاً مما يرد اليه وكاتب الابن الغلام لينفذ اليه الجهاز على رسمه، فرد عليه الأمرَ بالقدوم عليه ليحاسبَه عما بيده ويقبضَ منه ما لأبيه عنده، فورد على الابن ما أسرع به الى مستقرّ أبيه من خزران وتنازعا الخصومة في ذلك والحِجاج بالبيّنات، فكان اذا قام لأحدهما ما قد ظنّه كافياً من الحجة جاء الآخر من الشُبهة بما وقف حاله. واكثر أحكامهم مبني على مثل ذلك وطال بهما التنازع حولاً كاملًا، وإذ طالت الخصومة وصارت الأمر في التشاجر والمنازعة الى حال الوقوف اتّلى الملك الحكم بين الخصمين، فجلس لهم وأحضر جميع الحكام وأهل البلد وأعادا دعواهما منذ ابتداء الخصومة، فلم يرَ الملك لاحدهما على الآخر سبيلًا لتكافؤ البيّنات عنـده فقال الملك للابن: أتعرف قبر ابيك على الحقيقة؟ فقال: عُرِّفتُه ولم أشهد دفنَه فأحُقّه. فقال للغلام المدّعي: انت تعرف قبر ابيك؟ فقال: نعم أنا تولّيتُ دفنَه. فقال: عليَّ منه برمّةٍ إن وجدتموها؛ فأتى الغـــلام

القبرَ فانتزع منه بعض عظامه البالية وجيء بها اليه فقال للغـــلام المدّعي بنوّة التاجر : افصد نفسك ؛ ففصد ثم أمر فألقى دمه على العظم فتسرّب الدم عنه ولم يعلق بشيء منه وفصد الابن وطرح دمـــه على ذلك العظم فنَشِفَه وَعلِق به ، فأدّب الغلامَ وعزّرَه ودفعه ومالَه الى الابن .

٧ — وليس لهذه المدينة كثير قرىً غير ان مزارعهم مفترشة يخرجون في الصيف بأجمعهم الى ما يرومون زرعَه فيحرثونه ويفلحونه ، ويكون بالقُرب وبالبُعد الى نحو عشرين فرسخاً فاذا حصدوا زرعهم ضمّوه بالعجل الى النهر والى مواضع تقرب منه ، وينقلون ما اجتمع الى النهر في السفن وما قرب من البلد نُقل بالعجل الى البلد . والغـــالب على قوتهم الأرز والسمك والذي يُحمل من عندهم من العسل والشمع والوَبَر إنما يُحمل اليهم من ناحية الروس وبُلغار ، وكذلك جـــلود الخزّ التي تُحمل الى الآفاق ولا تكون إلا في تلك الانهار الشمالية التي بناحية بُلغار والروس وكويابه . والذي بالاندلس من جلود الخزّ شيء من الانهار التي بنواحي الصقالبة وتشرع الى الخليج الذي بلد الصقالبة عليه ، وقد مرّ وصف هذا الخليج . وأكثر هذه الجلود وجُلّها يوجد في بلد الروس وينزل اليهم والى ناحيتهم من ناحية ياجوج وماجوج ، وقد يصعد الى بُلغـار ولم يزل كذلك الى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، فإن الروس أخربوا بلغار وخزران . وقد يخرج الخزّ والأوبار النفيسة الى خوارزم لكثرة دخول الخوارزميّة البُلغارَ والصقالبةَ وغزوهم إياها والغارات عليهم وسبيهم . ومصبّ تجارة الروسيّة على دائم الاوقـــات الى خزران ، وكان عليهم فيما يوردونه نحو العُشر من اموالهم . وقد مرّ ان الملك يسكن في النصف الغربي من الجانبين وحاشيته وجنده الخزر الخلّص معه ، ولسان الخزر غير لسان التُرك ولسان الفارسيّة ولا يشاركهم في لغتهم لسان من ألسنة الامم .

٨ — ونهر أتُل له شعبة من جانبه الشرقي فتخرج من ناحيـة خرخيز وتجري فيما بين الكيماكيّة والغزّيّة ، وهي حدّ ما بين الكيماكية والغزّية ثم يذهب مغرّباً على ظهر بُلغار ، ويعود راجعاً الى ما يلي المشرق حتى يجوز على الروس ثم على بلغار ثم على برطـاس حتى يقع في بحر الخزر .

ويقال انه يتشعّب من هذا النهر نيّف وسبعون نهراً ويبقى عمود النهر جارياً الى خزران حتى يقع في البحر . ويقال أن هذه المياه اذا كانت مجتمعة بأعلاه في نهر واحد ، زاد على جيحون كثرةً وغُزرَ ماءٍ وفسحةً على وجه الارض . ويبلغ من كثرة هذه المياه وغزارتها أنها تنتهي الى البحر عن اماكن تتساقط اليه يقرب بعضها من بعض ، ويجري في البحر داخلَ مائه مسيرة يومين ، ويغلب على ماء البحر حتى يجمدَ في الشتاء في وَسَطه لعذوبتها وحلاوتها ويتبيّن في البحر لونه من لون ماء البحر .

٩ — وللخَزَر ناحية ولها مدينة تُسمَّى سمندر ، وهي فيما بينها وبين باب الابواب . وكانت بها بساتين كثيرة يقال أنها كانت تشتمل على نحو أربعين الف كرم ، وسألتُ عنها بجرجان سنة ثمان وخمسين لقريب عهدٍ بها فقال : وهناك كرمٌ او بستانٌ ماله على المساكين صدقة إن كان بقي هناك ورقةٌ على ساق ، وقد أتى عليها الروسيّة ولم يبق بالبلد عِنَبةٌ ولا زبيبة . وكان يسكن هذا البلدَ المسلمون وطبقات أهل الملل والوثنيُّون فجلَوا ولفضل ارضهم وحسن ريعهم فلن تمضيَ ثلاث سنين إلا وقد عاد كما كان . وكان بسمندر مساجد وبِيَع وكنائس فأتوا في خَرجتهم هذه على جميع ما كان على نهر اتل من خزر وبُلغار وبرطاس ، واستولوا عليهم فلجأ أهل اتل الى جزيرة باب الأبواب وتحصّنوا بها وبعضهم في جزيرة سياه كويه وهم مقيمون خائفون . وكانت منازل سمندر خركاهاتٍ وأبنيتهم من خشب قد نُسج وسُنِّمت سطوحهم ، وملكهم قرابة لملك الخزر وبينهم وبين حد السرير فرسخان ، وبين صاحب السرير وملك سِمَندر هُدنة . وأهل السرير نصارى ويقال أن هذا السرير كان لبعض ملوك الفرس ، وهو من ذهب ولمّا زال ملكهم حُمل الى هذا الموضع مع ذخائرَ تشاكله ، وكان حامله من ولد بهرام والملك الى يومنا هذا باسم هذا السرير فيهم . ويقال أنه سرير عُمل لبعض الاكاسرة في سنين كثيرة وبين اهل السرير والمسلمين هُدنة . وليس بجميع بلاد الخزر مجتمع للناس غير سِمندر .

١٠ — وبرطاس أمم متاخمة للخزر ليس بينهم وبين الخزر لسان غيرهم ، وهم قوم مفترشون على وادي اتل وبرطاس اسم الناحية ، وكذلك الروس.

والخزر ، والسرير اسم للمملكة والناحية لا للناس والقبيل .

١١ — وليس يشبه الخزرُ الترك اذ الخزر بأجمعهم سودُ الشعور وهم صنفان : فصنف يسمّون قَراخَزَر وهم سُمرٌ يضربون لشدّة السُمرة الى السواد كأنهم صنف من الهند ، وصنف بيض ظاهرو الحسنِ والجمال . والذي يقع من رقيق الخزر فهم اهل الاوثان الذين يستجيزون بيع اولادهم واسترقاق بعضهم لبعض . فأمـا اليهود منهم والنصارى فإنهم يتديّنون بتحريم استرقاق بعضهم لبعض . وليس يرتفع من بـلد الخزر نفسه شيء يُحمل الى القرب او البعد غير غِرى السمك ، فأما الرقيق والعسل والشمع والخزّ والأوبار فمجلوبة اليهم . ولباس الخزر ومن داناهم القَراطق والاقبية وليس عندهم شيء من الملبوس يزيد على كفايتهم ، وإنما يُحمَل اليهم من نواحي جُرجان وطبرستان واذربيجان والروم وما يصاقبهم من الاعمال الملبوسُ .

١٢ — فأما سياستهم وأمر المملكة فيهم فإنها تنتهي الى عظيمهم المسمّى خاقان خزَر ، وهو أجلّ من مَلِك الخزر لأن مُلكَ الخزر به ينعقد وهو الذي يقيمه ويثقّفه ، واذا ارادوا ان يقيموا مَلكاً بعد هلاك ملكهم جاء هذا الخاقان به فذكّره اللهَ ووعظه وعرّفه ما عليه وله من حقوق المُلك وأثقاله ، وما ينوبه من الاثم والوزر فيما يتكلّفه إن قصّر فيه او عمل بغير الواجب منه وأتى غير الصواب والحق في أحكامـه ، فربّما لم يُجبهُم من عملوا على ولايته اذا سمِع ذلك القول ورَعا وزُهْداً ورغبةً عما يسمَعه مما يناله ، فيما يزعم أن الله يجعـله له بتركه الولايةَ وضعفِه عن القيام بها ويقبلها غيره بما يحسُن في نفسه وعقله فإذا جاءوا به ليُقعدوه في المملكة ويُسلّموا عليه بها خنقه خاقان الخزر بحريرةٍ ، فاذا قارب أن ينقطعَ نفسُه قالوا له : كم تُحبُّ ان تكون مُـدّة ملككَ ؟ فيقول : كذا وكذا . فإن مات دون تلك المـدّة فبقضاء الله مات ، وإن بقي بعد ما ذكره بلسانه قُتِلَ بعد بلوغه الأجـل . ولا تصلح الخاقانيّة إلا في اهل بيت معروفين وليس لخاقان من الامر والنهي في الخزر شيء غير أنه يعظّم ويسجد له الجميع حتى الملك اذا دخل اليه ، ولا يصل اليه أحد

إلا لحاجةٍ واذا دخل عليه المرء تمرّغ له في التراب وسجد وقام من بعدُ حتى يأذن له بالقعود . واذا حزبهم امرٌ عظيمٌ او حربٌ أُخرج فيه الخاقان فلا يراه احد من الاتراك وغيرهم ممن يصاقبهم من اصناف الكفر إلا انصرف له ولم يقاتله تعظيماً له ، واذا مات خاقانُ ودُفِن لم يَمرّ بقبره أحد إلا ترجّل له وسجد ولا يركب ما لم يَغب عن قبره . ويبلغ من طاعتهم لملكهم أن احدهم ربّما وجب عليه القتل ويكون من اكرمهم عليه وأوجبهم حقاً وحُرمةً ، وهو من اكبرهم منزلةً لديه ولا يحبّ الملك قتله ظاهراً فيأمر الملك أن يقتل نفسَه فينصرف الى منزله ويقتل نفسه . وقد ذكرتُ أن الخاقانيّة في اهل بيتٍ وقومٍ معروفين لا تتعدّاهم ، وفيهم الموسِرُ والمعسِرُ المُقتِرُ فاذا بلغته الخاقانية عُقد له ولا ينظر الى ما حاله عليه . ولقد اخبرني من اثق به أنه رأى في بعض اسواقهم شاباً يبيع الخُبز فإنهم كانوا يقولون إن هلك خاقانهم فليس احدٌ احق بالخاقانية منه ، وكان مع ذلك مسلماً ولن تنعقد الخاقانية إلا لليهود . ولهم سرير في قبّة ذهب لا يضرب إلا لخاقان عند بروزه ومضاربه اذا برزوا لحرب او امر يدهمُهم فوق مضارب الملك ومسكنه في البلد ارفع من مسكنه ، وله جراياتٌ وقوانينُ تصل اليه من رسوم على جميعهم .

١٣ — وبرطاس اسم الناحية وهم اصحاب بيوت خشب وهم مفترشون في نواحيهم لكثرتهم وقوّتهم . وبشجرت اسم الناحية ايضاً ، وهم صنفان: فصنف في آخر الغُزّية على ظهر بُلغار ومبلغهم نحو الفي رجل ممتنعون في مشاجر لا يُقدر عليهم وهم في طاعة بُلغار ، ولبشرت ديار متاخمة لبجناك وهم وبجناك اتراك في جوار الروم . ولسان البلغار كلسان الخزر ولبرطاس لسان آخر وكذلك لسان الروس غير لسان الخزر وبرطاس . وبلغار اسم للناحية والمدينة وهم مسلمون، وفي البلد مسجد جامع وبقربهم مدينة اخرى تسمّى سوار وفيها مسجد جامع . وأخبرني من كان يخطب بها أن مقدار عدد الناس بهاتين المدينتين نحو عشرة آلاف رجل وأبنيتهم من خشب يأوونها في الشتاء وبالصيف يفترشون الارض في الخركاهات . وأخبرني الخطيب بها ان النهار بها في وقت الشتاء لا يتهيأ للانسان ان

يسير فيه فرسخين ، وفي الصيف يطول النهار ويقصر الليل حتى يكون ليل الصيف مثل ليل الشتاء . وشاهدتُ ما يدلّ على ذلك عند قربي من ديارهم ان النهار بقدر ما صلّينا الأربع صلوات وكل صلاة في عقب الاخرى مع ركعات بين الأذان والاقامة ليست بالكسرة . والروسُ ثلاثة أصناف : فصنف هم أقرب الى بُلغار وملكهم بمدينة تسمّى كويابه وهي أكبر من بُلغار ، وصنف أعلى منهم يسمّون الصلاوية وملكهم بصلا مدينة لهم ، وصنف منهم يسمّون الارثانية وملكهم مقيم بارثا مدينة لهم . ويبلغ الناس في التجارة معهم الى كويابه ونواحيها ، فأما ارثا فلم أسمع احداً يذكر انه دخلها من الغرباء لأنهم يقتلون كلّ من وَطِيءَ أرضهم من الغرباء ، وإنما ينحدرون في الماء يتجرون ولا يُخبرون بشيء من أمرهم ومتاجرهم ، ولا يتركون احدا يصحبهم ولا يدخل بلادهم . ويُحمل من ارثا السمور الاسود والثعالب السود والرصاص وبعض زيبق . والروس قوم يحرقون أنفسهم إذا ماتوا ويحترق مع مياسيرهم الجواري منهم بطيبة أنفسهن كما يفعل الهند وأهل غانه وكوغه وغيرهم . وبعض الروس يحلق لحيته وبعضهم يَفتِلها كمثل أعراف الدواب او يضفرها ولباسهم القراطق الصغار ، ولباس الخزر وبلغار وبجناك القراطق التامة . ولم تزل الروس يتجرون الى الخزر والى الروم . وبُلغَارُ الأعظمُ متاخمون للروم في الشمال وهم عدد كثير وقد ضربوا قديماً على ما يليهم من بلد الروم الأخرجة والضرائب . وببُلغار الداخل نصارى ومسلمون ولم يُبقَ في وقتنا هذا للبُلغار ولا لبرطاس ولا للخزر أهلُ الروس بقيةٌ إلا شَعِثَةٌ ناقصةٌ قد جاسوها ، وذلك بقصدهم الجميع وبلوغهم في سائر مجاوريهم فوق آمالهم . وقد بلغني ان كثيراً منهم رجعوا الى اتل وخزران بإعْزَازِ محمد بن أحمد الازدي صاحب شروان شاه لهم ، وتأييدهم برجاله وقومه وهم راجون مؤمّلون ان يعاهدوهم ويكونوا تحت طاعتهم بشيء من البر يقيمونه لهم .

١٤ — ذكر المسافات بين الخزر ونواحيه : فمن ابسكون الى بلاد الخزر عن اليمين نحو ثلاثمائة فرسخ ، ومن ابسكون عن اليسار لقاصد الخزر نحو ثلاثمائة فرسخ أيضاً . ومن ابسكون الى دهستان متياسراً نحو

ست مراحل . ويُقطع هذه البحر إذا طابت الريح عرضاً من طبرستان الى باب الابواب في أسبوع . وأما من ابسكون الى بلاد الخزر فإنه زائد على العرض لانه مزوّى . ومن اتل الى سِمندر ثمانية ايام ومن سمندر الى باب الابواب أربعة أيام . وبين مملكة السرير وباب الابواب ثلاثة ايام ، ومن اتل الى اول حد من برطاس عشرون يوماً ومن اول برطاس الى آخره نحو خمسة عشر يوماً . ومن برطاس الى بجناك عشرة ايام ومن اتل الى بجناك مسيرة شهر . ومن اتل الى بلغار على طريق المفازة نحو شهر وفي الماء شهران في صُعود والحدور نحو عشرين يوماً ، ومن بلغار الى اول حدود الروم نحو عشرة أيام ، ومن ُبلغار الى كويابه نحو عشرين مرحلة ومن بجناك الى بشجرت الداخل عشرة ايام ، ومن بشجرت الداخل الى بلغار خمس وعشرون مرحلة .

مفازة خراسان وفارس

١ ـ وأما مفازة خراسان وفارس فالذي يحيط بها من شرقيّها حد مُكران وشيء من حدود سجستان ، وغربيّها حدود قومس والري وقم وقاسان ، وشماليّها حدود خراسان وشيء من سجستان ، وجنوبيّها حدود كرمان وفارس وشيء من حدود اصبهان .

٢ ـ وهذه صورة مفازة ما بين فارس وخراسان .

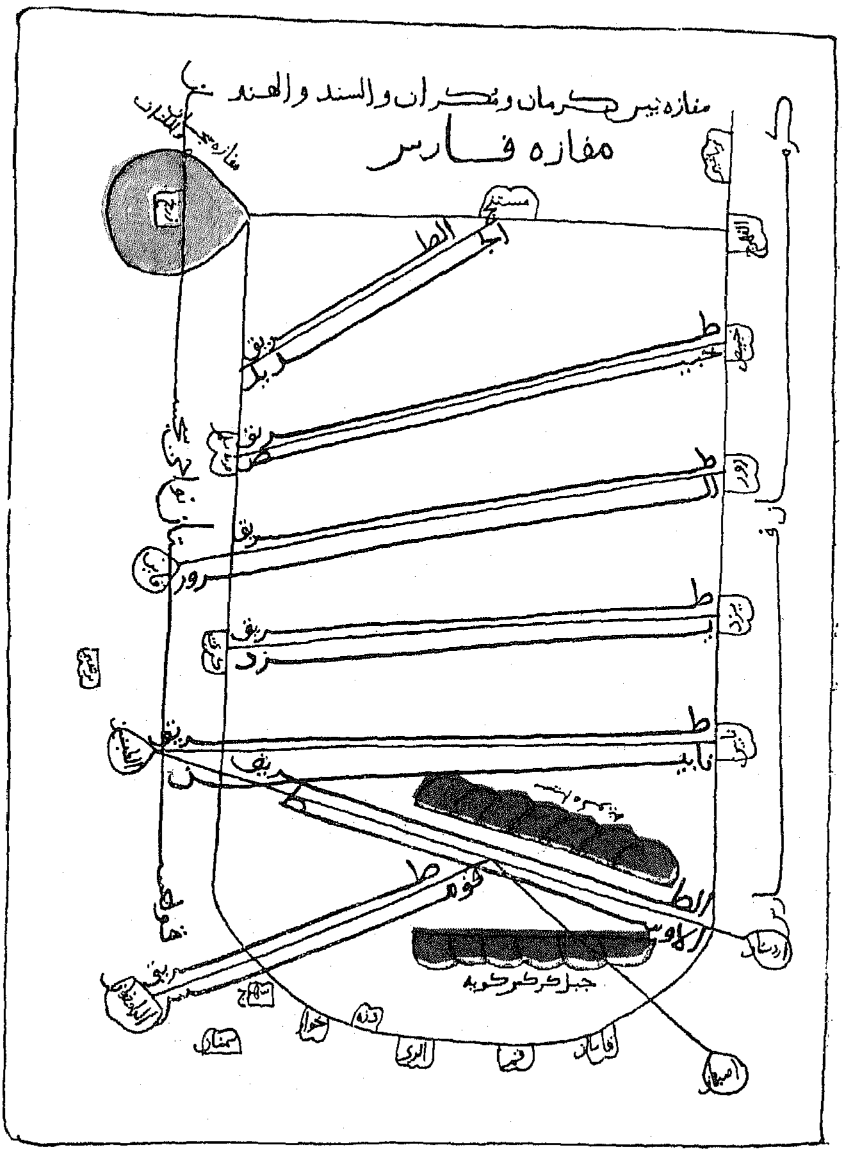
إيضاح ما يوجد في صورة مفازة خراسان وفارس من الاسماء والنصوص :

قد كتب في أعلى الصورة مفازة بين كرمان ومكران والسند والهند وتحت ذلك مفازة فارس ، ويوازي طرف الصورة الأيمن كتابة كرمان ثم فارس ويوازي الطرف الأيسر كتابة قوهستان ثم نواحي سجستان ، وتتصل بخط كلمة سجستان مدينة زرنج وهي في وسط بحيرة ، وكتب من فوق البحيرة مفازة سجستان والملتان ، وتتصل بخط كلمة قوهستان مدينتا قاين والطبسين وبينهما الى اليسار ترشيز ، ومن أسفل ذلك في الزاوية اليسرى مدينة الدامغان وعن يمينها سمنان ، ثم في الزاوية اليمنى اصبهان وفوقها متصلة بآخر كلمة فارس اردستان .

وفي وسط الصورة ساحة تحيط بأطرافها الاربع أربعة خطوط ويتصل بالخط الاعلى سبيج ثم بالخط الايمن : نرماشير ، الفهرج ، خبيص ، زاور ، يزد ، نايين ثم بالخط الاسفل المقوس الشكل : قاسان ، قم ، الري ، دزه ، خوار ، سهرج ، ثم بالخط الأيمن :

كرى وقرية سلم .

وهذه المواضع تصلها بعضها ببعض عدة طرق ، وأول هذه الطرق ابتداء من الفوق الطريق الجديد الآخذ من سبيج الى نقطة في الخط الأيسر ، ثم طريق خبيص بين خبيص وقرية سلم ، ثم طريق الزاور بين زاور وقاين ، ثم طريق يزدبين يزد وكرى ، ثم طريق نايين بين نايين والطبسين ، ثم الطريق الاوسط بين اردستان والطبسين . ورُسم من فوق هذا الطريق سلسلة جبال كتب عندها سياه كويه ومن أسفله سلسلة اخرى كتب عندها جبل كركس كويه ، ويأخذ من منتصف هذا الطريق طريقان : أحدهما الى الدامغان كتب عنده طريق قومس، والآخر الى اصبهان .


مفازة بين كرمان ومكران والسند والهند
مفازة فارس
جبل كركس كوه

٣ ـ هذه المفازة من اقل مفاوز الاسلام سكّاناً وقرىً ومدناً على قدرها ، لأن مفاوز البادية فيها مراعٍ وأحياء للعرب ومدن وقرىً لا تكاد تخلو نجد وتهامة وسائر نجودها ونواحيها والحجاز وما يشتمل عليه من بقاعه وأصقاعه ان تكون في حيّز قبيلةٍ يترددون فيها على المراعي ، وكذلك عامّة اليمن إلا ما بين عُمان واليمامة مما يلي البحر الى حدود اليمن ، فإن ذلك الموضع خالٍ فارغٌ من ديار العرب عن السُكان . وكذلك المفازة التي في أضعاف كرمان ومكران والسند عامتها مسكونة بالاخبية والاخصاص وغيرها . ومفاوز البربر ايضاً القاصية المتصلة بالبرّية التي لا تُسلك في الجنوب الى البحر المحيط عامرةٌ ، أعرفُ ذلك وأقفُ عليه بأحياء البربر في مراعيهم ، وليس يُستدرك من مفازة فارس وخراسان غير علم الطريق وما يعرض في أضعاف طرقها من المنازل والرباطات الموقوفة على سابلة الطريق ، ليُستجار بها في شدّة البرد من الثلوج وفي شدّة القيظ من الحر وليس فيما عدا اطرافها كثير عمارةٍ ولا سكان .

٤ ـ وهذه المفازة من اكثر المفاوز لصوصاً وفُسّاداً ، وذلك أنها ليست في حيّز إقليم بعينه فيرعاها اهل ذلك الاقليم بالحفظ ، وتُحيط بها أيدٍ كثيرةٌ من سلاطين شتى ؛ فبعض هذه المفازة من عمل خراسان وقومس وبعضها من عمل سجستان وبعضها من عمل كرمان وفارس واصبهان وقمّ وقاسان والريّ ، فاذا افسد القاطع في عملٍ دخل عملاً آخر ، ومع ذلك فهي مفازة يصعب سلوكها بالخيل وإنما تُقطع بالابل ؛ فأما دوابّ عليها أحمال فلا تسلكها إلا على طرق معروفةٍ ومياه معلومة إن تجاوزها في أعراض هذه المفازة متجاوزٌ هلك . وقد سلكتُها على الوجهين جميعاً فمرّةً مع المُفردة وأخرى مع الجمال المحمّلة . وللصوص في هذه المفازة ملجأ يعتصمون به ويأوون اليه ويُخفون فيه الاموال والذخائر يُعرف بجبل كركس كوه ، وكركس اسم المفازة التي تتاخم الرَيّ وقُمّ الى مسيرة أيام عنه من شرقيّ هذه المفازة ، وكركس كوه هذا فجبل ليس بالكبير الطويل وهو منقطع عن الجبال والمفازة محيطة به . وبلغني أن دور أسفله نحو فرسخين ولم اقف على ذلك لانني لم أمض به إلا مجتازاً عليه . وبهذا

ماء تُسمى آب بيده ووسط هذا الجبل كالساحة ، وفي مجاهل شعاب هذا الجبل مياه قليلة وهو جبل وعر المسلك الى ذُرواه فيه معاطف ومسالك وحشة ، ولا يكاد يُظهر على من يتوارى فيه . واذا صرت الى آب بيده كنتَ كأنك في حظيرة والجبل محيط بك . ويتصل من هذه المفازة جبل كركس كويه بوعرٍ يكون نحو فرسخين رُبىً ووهاداً تصله بجبالٍ من نواحي الري الى أنْ يتصل بجبال الجيل ، والجبل الآخذ من المشرق الى المغرب .

٥ — وليس في هذه المفازة قرية ولا مدينة سوى سبيج وهو من عمل كرمان في المفازة على طريق سجستان ، ويحيط بها من جميع نواحيها هذه المفازة ، وفي المفازة على طريق اصبهان الى نيسابُور موضع يُعرف بالجرمق وهو ثلاث قرًى ويحيط بها هذه المفازة . ومن مشاهير المدن التي تلي فارس نايين ويزد وعقده واردستان من اصبهان ، ومن حد كرمان خبيص وزاور ونرماشير ومن حد الجبال قم وقاسان ودزه ، وسواد الري وخوار الري جميعاً يتاخمان المفازة . وسمنان والدامغان من قومس ويحادها من خراسان مدن قوهستان وهي الطَبَسين وقاين بسوادهما المنتهي الى المفازة.

٦ — والطرق المعروفة من هذه المفازة طريق اصبهان الى الري وهو أقربُها ، وطريق من كرمان الى سجستان وطريقان من فارس وكرمان الى خراسان ، فمنها طريق يزد في حـد فارس وطريق شور وطريق زاور وطريق خبيص من حدود كرمان الى خراسان ، وطريق يُعرف بالطريق الجديد من كرمان الى خراسان . وهذه الطرق المعروفة ولا اعلم فيهـا طريقاً مسلوكا غير ما ذكرته . وهناك ايضاً طريق قلما يُسلك من اصبهان يخرج على قومس ولا يُسلك إلا عند ضرورة ، والمسلك فيه على السَمْت والقصد بالنَجْم . وسأصف مسافات هذه الطرق وما فيها وما يحتاج الى علمه ان شاء الله عزّ وجلّ .

٧ — فأما الطريق من الري الى اصبهان : فمن الري الى دزه مدينة فيها منبر ، ولها ماء جارٍ في نُهَيْرٍ صغيرٍ مرحلة وليس من الري اليها عمارة غير مقدار فرسخين في وسط الطريق ، ومن دزه الى دير الجص مرحلة

وبين دزه ودير الجص مفازة محـــاذية لكركس كويه وسياه كويه ، ودير الجص رباط من جص وآجر يسكنه بَذرقَةُ السلطان ، وهو منزل المارة وليس به زرع ولا شجر وفيه بئر مالح الماء غير شروبٍ ، وماؤهم من المطر يدخر في مأجَنين خارجين من هذا الدير والمفازة تحيط به . ومن دير الجص الى كاج مرحلة ايضاً مفازة وكاج قرية كانت فخربت ولا ساكن فيها ، وهي المنزل وماؤها من الامطار ايضاً في مواجن وأبآرها مالحة . ومن كاج الى قم مرحلة والطريق في مفـازة حتى تنتهي الى فرسخين من المدينة ثم تنتهي الى قرية ثم الى المدينة ايضاً مفازة . ومن قم الى قرية المجوس طريق عامر مرحلة وبهذه القرية مجوس يسكنونها ولا يخالطهم غيرهم . ومنها الى قاسان مرحلة في عمارة على جنب المفازة ، ومن قاسان الى حصن يعرف بدزه مرحلتان ، والطريق بعضه مفازة وتحيط بدزه العمارة وهو حصن لأهله به زرع وفيه خمسون مسكناً او أكثر . ومن دزه الى رباط أبي علي بن رستم مرحلة كبيرة مفازة تتصل بمفازة كركس كويه ، وكان يسكن هذا الرباط رجّالة على نُوَبٍ للسلطان وهو منزل المارة ، وله ماء جار من قرية بالقرب منه الى حوض في الرباط . ومن هذا الرباط الى دانجى مرحلة ودانجى قرية كبيرة عامرة . ومن دانجى الى اصبهان مرحلة خفيفة والطريق من دانجى الى المدينة عامر ، والطريق من الري الى اصبهان بين سياه كويه وكركس كويه ، وكركس كويه عن يسار السائر وسياه كويه عن يمينه ، وبسياه كويه أيضاً مأوى للصوص وليس بقربه عمارة ، ومن كركس كويه الى دير الجص أربعة فراسخ ومن دير الجص الى سياه كويه خمسة فراسخ وسياه كويه جبلٌ اسود قبيح المنظر والمخبر وبين سياه كويه وكركس كويه تسعة فراسخ أوعارٌ ورُبى ووِهادٌ على دير الجص ، ومن كركس كويه الى دزه سبعة فراسخ .

٨ — والطريق من نايين الى خراسان : فمن نايين الى مزرعة في المفازة مرحلة وربما كان بها رجلان او ثلاثة ، وتدعى بونه وفيها عين ماء يزرع عليها هؤلاء النفر . ومنها الى جرمق اربع مراحل وفي الطريق في كل فرسخين او ثلاثة جنبذة وبركة ماءٍ ، وجرمق هذه تدعى سهده وتفسيرها

ثلاث قرىً : اسم احداهنّ بيادق ، والاخرى جرمق ، والثالثة ارابه . وتُعدّ من خُراسان وبها نخيل وزرع ومواشٍ كثيرة وفي الثلاث قرى نحو الف رجل وكلها في رأي العين قريبة بعضها من بعض . ومن جرمق الى نوجاي اربع مراحل في كل ثلاثة فراسخ او اربعة جُنبذة وبركة ، ومن نوجاي الى رباط خوران مرحلة ، ومن الرباط الى قرية تُسمَّى اتشكهان مرحلة خفيفة ، ومن اتشكهان الى طبس مرحلة ، ومن أراد من نوجاي الى دسكردان مرحلة ومن دسكردان الى بن مرحلة كبيرة ومن بن الى تُرشيز مرحلتان ومن ترشيز الى نيسابور خمس مراحل ، وطريق من يزد وشور ونايين يجتمع بكرى وهي قرية فيها نحو الف رجل ولها رستاق كبير وبين طبس وكرى ثلاثة فراسخ .

٩ — وطريق شور فطريق مضاف الى اسم ماء مالح في المفازة وليس باسم قرية ولا مدينة . ولرايين بمفازة شور قرية تدعى بيره وهي قرية صغيرة بها دون العشرة الأنفس من حدود كرمان . ومنها الى عين ماء يُسمَّى مغول مرحلة وليس بها ماء ، ومنها الى غَمْر سُرخ وهو غَمْر كبير في وهدة طينٍ احمر وجبل عليه مطلّ احمر مرحلة . ومنه الى منزل يدعى جاهُبر قرية وبها بئر وقباب مرحلة وليس بها احد . ومنها الى حوض هزار وهو قرار يجتمع فيه ماء المطر مرحلة . ومن حوض هزار الى شور وهي عين ماء مالح شروب وعليها قباب مرحلة وليس به احد . ومن شور الى منزل يسمَّى مغول ايضاً عين ماء وقباب مرحلة . ومن مغول الى كرى مرحلة كبيرة وعلى اربعة فراسخ من كرى بركة يجتمع فيها ماء السيل . وفي مفازة شور بين ماء شور وبين برّ عن يمين الذاهب من خراسان الى كرمان على نحو فرسخين منها صورة الفاكهة من اللوز والتفّاح والكُمّثرى ونحوها من حجارة ، وفيها صور تقارب صور الناس والاشجار وغير ذلك من حجارة .

١٠ — وطريق زاور وهي قرية عامرة عليها حصار ولها ماء جار وهي من حدود كرمان . فمنها الى مكان يدعى دركوجوى وفيه ماء عين ضعيف المسيل وليس هناك بناء مرحلة . ومنه الى شور دوازده مرحلة

وهناك رباط قد خرب وشعب فيه نخيل ، وليس به احد وهو مكان مخوف قلمّا يخلو من اللصوص . ومنه الى دير بردان وهناك أبار وهي صحراء لا بناء فيها مرحلة . ومن دير بردان الى منزل فيه حوض يجتمع فيه ماء المطر مرحلة وليس هناك بناء . ومن هذا الحوض الى نابند وهو رباط فيه مقدار عشرين مسكناً ، وفيه ماء يجري عليه رحىً صغيرة ولهم زرع على ماء عين ولهم نخل وقبل نابند بفرسخين عين ماء، وعندها نُخيلات وقباب وليس بها احد وهي ملجأ للصوص غير أن اهل نابند يتعاهدون هذه النخيل ويجتنونها . ويُسار من نابند مرحلتين الى مكان يسمى ترشك وبين كل فرسخين وثلاثة قباب وحياض ماء، وليس بها احد وبترشك بئر طيّبة الماء . ومن ترشك الى خور مرحلة ليس بها احد ومن خور الى خوسب مرحلتان ومن خور الى كرى ثلاث مراحل .

١١ — والطريق من خبيص : فأن من خبيص وهي مدينة على شفير المفازة من جروم كرمان ماؤها جارٍ ، وبها نخيل كثيرة وهي خصبة رخيصة الأسعار على مرّ الأوقات . ومنها الى مكان يعرف بالدروازق مرحلة وفيه ابنية ما مدّ البصر متهدّمة وبها تلال عظام تدل على ابنية كانت شاهقةً فتكافأ بعضها على بعض وليس بها اثر ماء من نهر ولا بئر ولا عين . ومنها الى مكان يسمى شورروذ مرحلة ، وهو واد يجري فيه سيول الامطار ولا يجري من غير مطر وسيل ومجراه على ارض سبخة فيأتي السيل فيه مالحاً ، وهذه المفازة مالحة التربة . ومنه الى بارسك جبل صغير مرحلة ، ومنه الى مكان يدعى نيمه مرحلة ، ومن هذا المكان الى مكان يعرف بالحوض وهو حوض يجتمع فيه ماء المطر ، ومنه الى رأس الماء مرحلتان وفيه عين ماء يجتمع في حوض يسقي زرعاً برأس الماء وبه رباط يكون فيه الواحد والاثنان ، ومن رأس الماء الى كوكور قرية على رأس المفازة وهي من حد قوهستان مرحلة ، ومن كوكور الى خوسب مرحلتان ، وفي مفازة خبيص على فرسخين من رأس الماء مما يلي خراسان حجارة سود صغار نحو اربعة فراسخ . ومن بارسك الى قبر الخارجي حصىً صغار بعضها في لون الكافور بياضاً وبعضها اخضر في لون الزجاج،

وليس في هذه المفازة اذا جزتَ فرسخين من رأس الماء الى جبل بجنوبه نبات نحو مرحلة .

١٢ – والطريق من يزد الى خراسان : فمن يزد الى انجيره مرحلة بها حوض ماء ويجتمع في الحوض ماء المطر وليس بينهما عمارة ، ومن انجيره الى خزانه مرحلة وليس بينهما عمارة ؛ وخزانه قرية فيها نحو مائتي رجل وبها زرع وضرع وبساتين وكروم في وادٍ من قبليّها ، ولها عين ماء جارية من تحت حصن خزانه نفسها ، وذلك أنها على مدرة مرتفعة في جنب واد قد استقامت على جنبتيه البساتين والكروم الأعداء وعندهم خصب على مرّ الاوقات ، ومن خزانه الى تلّ سياه سبيذ مرحلة وليس بينهما عمارة وهو خان ليس فيه احد وفيه حوضان لمجتمع ماء الامطار ، ومن تل سياه سبيذ الى ساغند مرحلة وليس بينهما عمارة وساغَند قرية فيها نحو اربعمائة إنسان وعليها حصن لها عين ماء جارٍ يُزرع عليها ، ولها قنىً وبساتين عامرة وخزانه اعمر منها واحصن ، ومن ساغند الى بشت باذام مرحلة كبيرة وليس بينهما عمارة وبها خان ومنزل ومياهها من الأبار ، ومن بشت باذام الى رباط محمد مرحلة خفيفة وليس بينهما عمارة وهو رباط فيه نحو ثلاثين رجلاً ولهم زرع وعيون ماء ، ومن رباط محمد الى الريك مرحلة وهو منزل فيه حوض ماء وخان ليس فيه ساكن والريك رمل قدره نحو فرسخين ، ومن الريك الى المُهلّب مرحلة وهو خان وعين ماء وعنده جبل وليس بينهما عمارة ، ومنه الى رباط خوران مرحلة وهو قصر من جصّ وحجارة ويكون فيه ثلاثة نفرٍ او اربعة يحفظونه وبه عين ماء وليس له زرع . ومن رباط خوران الى زاذاخره مرحلة ، وزاذاخره بئر ماء وخان ليس فيه ساكن وليس بينهما عمارة ، ومن زاذاخره الى بشتاذران مرحلة وهي قرية فيها نحو ثلاثمائة إنسان وفيها ماء جار من قناة وزروع كثيرة وأغنام وسائمة وكروم وليس بينهما عمارة . ومن بشتاذران الى بُن مرحلة خفيفة ، وبن قرية عامرة وفيها نحو خمس مائة رجل ولهم ماء جارٍ وزروع وماشية وخصب ، ومن بن الى زاذونه مرحلة وليس بينهما عمارة ، وزاذونه منزل فيه بئر ماءٍ وخان وليس فيه ساكن ، ومن

زاذونه الى ريكن مرحلة وليس بينهما عمارة وريكن رباط فيه زرع وماء جارٍ وفيه ثلاثة او أربعة نفر ، ومن ريكن الى اسنيشت مرحلة ليس بينهما عمارة ، واسنيشت منزل فيه حوض ماء للمطر وخان وليس فيه ساكن ، ومن اسنيشت الى ترشيز مرحلة ، وهي حومة بشت نيسابور وهي مدينة حسنة كثيرة الخير والأهل وفي كل فرسخين وثلاثة خان وحوض ماءٍ.

١٣ — وطرق هذه المفازة على الترصيف : فمن اصبهان الى الري طريق ثمّ يليه طريق اردستان الى الطبسين وفيه طريق قومس من اردستان تعدل من نصف طريق الطبسين الى الدامغان ، ويليه طريق نايين الى الطبسين الى خراسان ويليه طريق يزد الى خراسان ، ويلي ذلك طريق شور ثم طريق زاور ثم يلي ذلك طريق خبيص ثم يلي ذلك الطريق الجديد ثم يلي ذلك طريق سجستان الى كرمان . واما الطريق الجديد فإنك تأخذ من نرماشير الى دارستان مرحلة وهي قرية فيها نخيل وليس وراءها عمارة ، ومنها الى رأس الماء مرحلة . ومن رأس الماء وهي عين ماء يجتمع في بركة ثم تقطع عرض المفازة الى قرية سلم أربع مراحل مفازة كلها مخوفة ، ويقال ان قرية سلم من كرمان ، ومن قرية سلم الى هَراة عشرة أيام ، ومن شاء أخذ من نرماشير الى سبيج خمس مراحل ومن سبيج الى قرية سلم خمسة أيام على عيون ماءٍ قليلةٍ . وأما طريق سجستان فإن المدخل اليها من نرماشير الى سبيج خمسة ايام في حد كرمان ومن سبيج الى سجستان سبع مراحل ؛ وقد أثبتُّها في صفة سجستان وكرمان أيضاً ، [فهذه الطرائق كلها سلكتها وعرفت منازلها ثم صورتها وشرحناها لك وسنشرح بعض هذا في صورة سجستان] .

سجستان

١ ـ وأما سجستان وما يتصل بها مما قد جمعتُ اليها في الصورة فإن لذي يحيط بها مما يلي المشرق مفازة بين كرمان وأرض السِنْد وبين سجستان وشيء من عمل الملتان ومما يلي المغرب خراسان وشيء من عمل الهند ومما يلي الشمال أرضُ الهِند ومما يلي الجنوب المفازة التي بين سجستان وكرمان ، وفيما يلي خراسان والغور والهند تقويس .

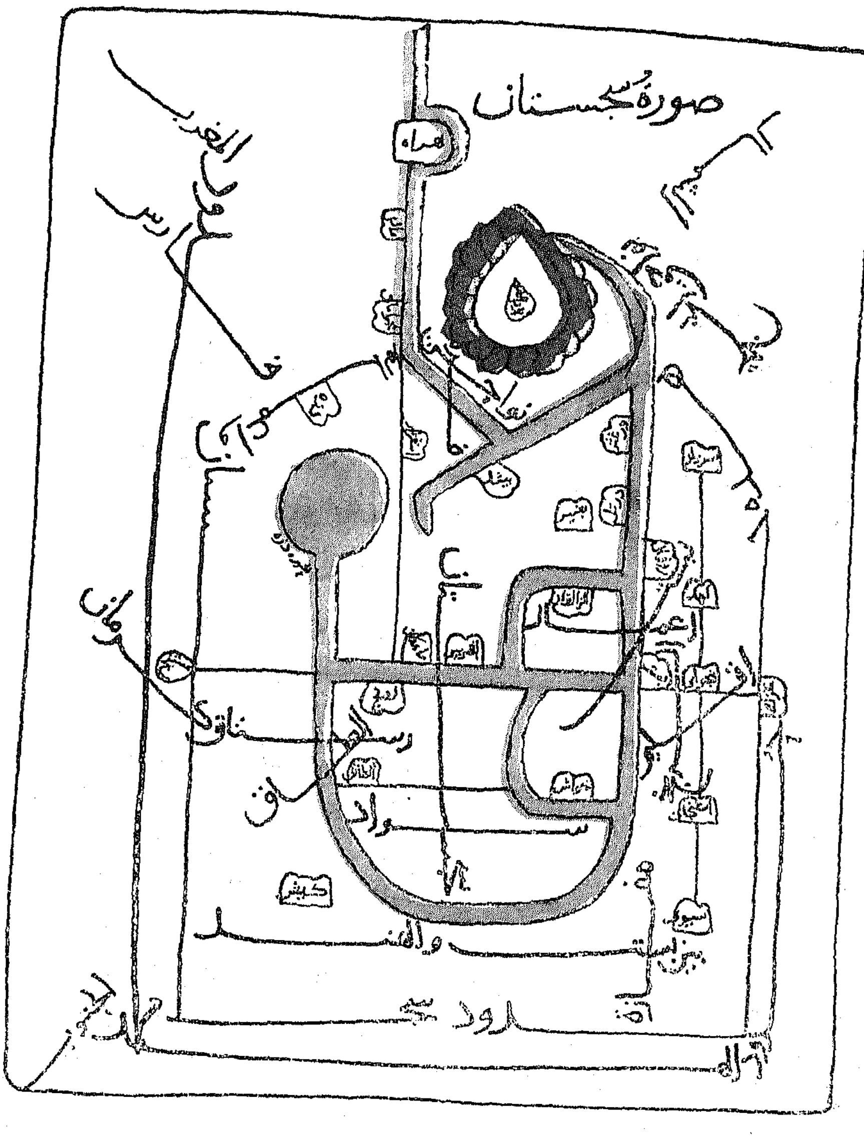
٢ ـ وهذه صورة سجستان .

إيضاح ما يوجد في صورة سجستان من الاسماء والنصوص :

قد كتب في اعلى الصورة صورة سجستان وعن يمين ذلك في الزاوية الشمال وفي الزاوية اليسرى المغرب ،

ويأخذ من وسط اعلى الصورة نهر الى الاسفل عليه من المدن : هراة ، مالن ، كواسان ، ثم يعطف النهر الى اليمين وكتب عند قسمة هذا على شكل صليبي نواحي فره ، ورسمت عن يمين النهر سلسلة جبال مدورة الشكل تحيط بساحة كتب في وسطها بلاد الغور ، ويخرج من أعلى هذه الجبال نهر يأخذ أولا الى اليمين ثم الى الاسفل وكتب عن يمين مبتدئه نواحي الخلج ، وتخرج من هذا النهر ذراع الى اليسار وينصب في هذه الذراع النهر الآتي من هراة بحذاء مدينة بشلنك ،

ويمر عمود النهر الآتي من جبال الغور وعلى شطه الأيسر من المدن درغش ودرتل وعن يسار درتل في البر بغنين ، ثم تقع على شطه الايمن روذان وبست وكتب من أعلى بست على شكل صليبي قاطعاً للنهر أعمال بست ، وبعد ذلك يعطف العمود الى اليسار ثم الى الفوق الى ان ينصب في بحيرة زره المرسومة على شكل مدور ، وتأخذ بحذاء بست شعبة الى اليسار منتهية الى القسم الآخر من العمود وعليها من المدن : القرنين ، ماهكان ، زرنج ، ويأخذ من حذاء زرنج طريق الى الاعلى عليه مدينة اسفزار ، ويأخذ من عمود النهر شعبة أخرى بحذاء روذان وعليها الزالقان ثم تعطف الى الاسفل الى ان ينصب في الشعبة الآخذة من بست ، وتأخذ من اسفل بست


صورة سجستان

شعبة ثالثة الى اليسار عليها خواش وتعطف بعدهـا الى الفوق الى ان تنصبّ في الشعبة الاولى ، وكتب في الساحة عن يسار هذه الشعبة الثالثة بينها والعمود سواد سجستان وتقع فيها بقرب قسم العمود الأيسر مدينة الطاق وكتب من اعلاها قاطعاً للنهر رستاق الطاق .

وتقع عن يمين عمود النهر مقابلة لدرغش مدينة سروان ويأخذ منها طريق الى الأسفل موازياً للنهر عليه : كهك ، بنجواي ، اسفنجاي ، وينتهي الى سيوى ، ويأخـذ طريق من بست على بنجواي الى غزنه ، وكتب في الساحة بين بنجواي وبست واسفنجاي اقليم الرخج وتبتدىء من أسفل سيوى كتابة مفازة بين بست والهند وهي صليبي الشكل، وتقع فوق كلمة الهند مدينة كش .

وتطيف بكل ذلك مبتدئة من عند ابتداء عمود النهر وموازياً للاطراف الأيمن والأسفل والأيسر من الصورة منتهيةً الى عطف النهر الآتي من هراة كتابة : هذه حدود سجستان وأعمالها وتتصل بخط كلمة سجستان في الطرف الايسر مدينة سبيج وبخط كلمة وأعمالها مدينة نه، وتبتدىء من اسفل غزنه موازية للكتابة المتقدمة بينها وبين طرف الصورة ثم موازية للطرف الأسفل كتابة حدود الهند ، وكتب في الزاوية اليسرى الجنوب ، ثم تأخذ من هنا الى الفوق كتابة حدود تقطعها على شكل صليبي كلمتا كرمان وفارس المضافتان اليها .

٣ ــ وسجستان فالذي يقع في أضعافها مما يحتاج الى معرفته من المدن فإنه زرنج وكش ونه والطـــاق والقرنين وخواش وفره وجزه وبست وروذان وسروان والزالقان ، وبغنين ودرغش ودرتل وبشلنك وفنجواى وكُهك ، وغزنه والقصر وسيوى واسفنجاي وماهكان .

٤ ــ ومدينتها العظمى زرنج وهي مدينة عليها حصن ولها ربض واسع الأبنية كثير السكان ، وفيه دور الامارة لآل الصفّار الى غير ذلك من المحال والفنادق ، وعليه سور وحصن دائر بالربض وخنـــدق على الربض حصين ، وفيه ماء وماؤه ينبع من مكانه ويقع فيه فضل من المياه الجارية اليها . ولها خمسة ابواب : احدها الباب الجديد ، والآخر البـاب العتيق وكلاهما يُخرج منهما الى فارس وبينهما قريبُ مسافةٍ ، وباب كركويه يُخرج منه الى خراسان ، والرابع باب نيشك يُخرج منـــه الى بست ، والخامس يُعرف بباب الطعام يُخرج منه الى الرساتيق ؛ وأعمر ابوابها باب الطعام وكلّها حديد . وللربض ثلاثة عشر باباً فمنها باب مينا يأخـذ الى فارس ، ويليه باب دخان ثم يليه باب شيرك ثم يليه باب شاراو، ثم يليه باب شعيب ويليه باب نوجويك ويليه باب آكان ويليـه باب نيشك ، ثم

يليه باب كركويه ويليه باب اسبريس ويليه باب غنجره ويليه باب بارستان، ويليه باب روذكران. وأبنيتها كلها من طين آزاج معقودة لان الخشب بها يأرضُ ولا يلبث، ومسجد الجامع في المدينة منها دون الربض اذا دخلتَ باب فارس منها، ودار الامارة في الربض بين باب الطعام وباب فارس خارج المدينة، والحبس في المدينة عند الجامع وهناك أيضاً دار إمارة على ظهر الجامع عند الحبس قديمة ومنها نقلت الى خارج بالربض. وبين باب الطعام وباب فارس قصران ليعقوب بن الليث ولعمرو بن الليث ودار الامارة في دار يعقوب بن الليث. وداخل المدينة بين باب كركويه وباب نيشك أبنية عظيمة تسمّى ارك كانت خزانة لعمرو بن الليث بناها. وأسواق المدينة الداخلة حوالي مسجد الجامع وهي أسواق على غاية العمارة وأسواق الربض أسواق عامرة أيضاً، منها سوق يُسمّى سوق عمرو بناه ووقفه على مسجد الجامع والبيمارستان والمسجد الحرام، وغلة هذا السوق في كل يوم نحو الف درهم. وفي المدينة الداخلة أنهار منها نهر يدخل من الباب العتيق والثاني من الباب الجديد والثالث من باب الطعام مدخله، ومقدار هذه الانهار إذا اجتمعت ما يدير الرحَى. وعند مسجد الجامع حوضان عظيمان ويدخلهما الماء الجاري ويخرج ويتفرّق في بيوت اهل البلد وسراديبهم كجري مياه الرجان في سراديب البلد ودورهم بالقنى. ومعظم دور المدينة والربض ذوات مياهٍ جاريةٍ وبساتين، وفي ربضها أنهار تأخذ من هذه الانهار التي تدخل المدينة. والسوق ممتدة من باب فارس من المدينة الى باب مينا متصل ذلك غير منقطع نحو نصف فرسخ.

٥ — وأرضها سبخة ورمال وهي بلاد حارة بها نخيل ولا يقع بها الثلوج، وهي أرض سهلة لا يُرى منها جبل وأقرب جبالها بناحية فره وتشتد رياحهم وتدوم حتى أنهم قد نصبوا عليها أرحيةً لطحن قموحهم يديرونها بالريح. وتنقل رمالهم من مكان الى مكان ولولا أنهم يحتالون فيها بسياساتٍ قد توارثوها قديماً يقيمونها بهندسةٍ يتّليها رجال منهم لطمّت القرى والمدن بها، وذلك ان جميع البلد رمل. وبلغني أنهم إذا أحبّوا نقل الرمل من مكان الى مكان من غير ان يقع على الارض التي الى

جانب المكان الذي قد ضرّهم كون الرمل فيه ، جعلوا زرياً وسياجاً كالحائط من خشب وشوك او غيرهما مما يجدونه حول الرمل الذي يحبون نقله ، وفتحوا في أسفله باباً من تلقاء الريح ، فتدخله الريح وتطير به وتصير بأعلاه كالزوبعة وترتفع الى حيث آثروا نقله اليه . وأخبرني من صدر عنهم في سنة ستين الى مصر وقد جمعنا الطريق فتذاكرنا حالهم هذه فقال : تواترت علينا الرياح في السنة الماضية بما لم تجر لنا بمثله عادة وأكبّت الرياح بالرمل على الجامع ، وتزايد الامرُ على البلد بالأذى والبلاء فدعوا القومَ الموسومين بعلم هذه الصنعة والمرسومين بدفعه ، فعجز أكثرهم واعترف بأنه لا يعلم كيفية مدافعته لفظاعته ولأنهم لا يقفون من أين مادته وكانت الريح مضطربة ، وانتدب حدثٌ منهم فقال : علم ذلك عندي وأن أُعْطِيتُ ما أؤمِلُهُ دفعتُه وهو عشرون الف درهم فلم يلتفتوا الى كلامه لعظم سَوْمِهِ وزاد الامر بلاءً ، فأيقنوا بأنه ان أقام عليهم يومَهُ وليلتَه القابلة هلك البلد فصاروا الى الرجل بما طلبه من المال فقبله وقال : قد زاد علي التعب ولكنكم منه في أمانٍ ورَكَضَ ومن رام مَعُونَتَهُ معه ثمانية عشر فرسخاً من البلد على غير قصد الريح وعارضها بما أوقعه من حيلته . فأصرف الريح عن البلد وعدل بها الى حيث لا يضرهم وكفاهم الشغلَ به من حيث ابتدأ بصرف الريح الى غير جهة المدينة ، ورأسَ القوم الذين كانوا يتقدمون في علم ذلك وفاز بحسن الذكر ثم عدل الى الرمل الذي سقط في البلد بريح اخرى فانتسفه .

٦ — ويقال إن المدينة القديمة في أيام العجم كانت فيما بين كرمان وسجستان بالقرب من دارك بحذاء راسك عن يسار الذاهب من سجستان الى كرمان على ثلاث مراحل ، وأبنيتها وبعض بيوتها قائمة الى هذه الغاية واسم هذه المدينة رام شهرستان ، ويقال أن نهر سجستان كان يجري عليها فانقطع ببَثْقٍ كان بسكر من هيل مند وانخفض الماء عنه ومال فتعطّلت فتحوّل الناس وبنوا زرنج .

٧ — فأما أنهارها فأعظمها هيل مند ويخرج من ظهر الغور حتى يمر على حد الرُخّج وبلدى الداور ، ثم يجري على بُست حتى ينتهي الى سجستان

ثم يقع في بحيرة زره ، وزره هذه بحيرة يتسع الماء فيها وينتقص بقدر زيادة المياه ونقصانها ، وطولها نحو ثلاثين فرسخاً من ناحية كوين على طريق قوهستان الى قنطرة كرمان على طريق فارس ، وعرضها مقدار مرحلة وهي عذبة الماء ويرتفع منها سمك كثير وقصب ، وحواليهـا كلها قرىً سوى الوجه الذي يلي المفازة . ونهر هيل مند هو نهر واحد من بُست الى ان ينتهي الى مرحلة من سجستان ، وينشعب منه مقاسم الماء فأول نهر ينشق منه نهر باب الطعام فيأخذ على الرساتيق حتى ينتهي الى حـدّ نيشك ، ثم يأخذ منه نهر ناشيروذ فيسقي من رساتيقها الكثير ، ثم يأخذ منـه نهر يُعرف بسَناروذ فيجري على فرسخ من سجستان وهو النهر الذي تجري فيه السفن من بُست الى سجستان اذا امتد الماء ولا تجري إلا في زيادته . وأنهار مدينة سجستان كلها من سناروذ ، ثم ينحدر فيأخذ منه نهر شعبه فيسقي مقدار ثلاثين قرية ثم يأخذ منه نهر ميـلى فيسقي تلك النواحي ويقع فضلته في بحيرة زره ، ونهر بشلنك فيخرج من قرب الغور فيسقي تلك النواحي وقلما يفضل منه لبحيرة زره .

٨ ـ وسجستان ناحية خصبة كثيرة الطعام والتمور والاعنـاب وأهلها ظاهرو اليسار . ويرتفع من مفازة سجستان فيما بينها وبين مكران غلّة عظيمة من الحلتيت حتى أنه قد غلب على طعامهم ، ويجعـلونه في عامّة أطعمتهم .

٩ ـ وبالش اسم الناحية ومدينتها سيوى غـير أن الوالي فيهم بالقصر واسفنجاي اكبر من القصر . ورخج اسم الاقليم ومدينتها بنجواي ، ولها من المدن كهك ورخج إقليم بين بلدي داور وبالش وعامّتهـا صوافٍ . يرتفع لبيت المال منها مال عظيم جسيم ويتسع اهـل تلك النواحي بغلّاتها وهي على غاية الرفاهـة والخصب والسعة . وبلد الداور إقليم خصب وهو ثغر الغور وبغنين وخليج وبشلنك نواحٍ لهـا مدن بأسمائها ، وخاش مدينة وليس عليها سور ولها قلعة . وبلد الداوَر اسم إقليم ومدينته درتل وله من المدن درغش ، وهما على مجرى هيل مند على الشط غير ان بغنين وخلج وكابُل والغور نواحٍ ، وفي بعض هذه النواحي من قد أسلم وهم

مسالمون وهي من الصرود والخُلّج صنف من الاتراك ، وقعوا في قديم الايام الى الارض التي بين الهند ونواحي سجستان في ظهر الغور ، وهم أصحاب نعم على خلق الاتراك وزيهم ولباسهم . وبُسْت مدينة ليس في أعمال سجستان بعد زرنج أكبر منها ، وهي وبئة في نفسها ، وزي أهلها زي أهل العراق ويرجعون الى مروؤةٍ ويسارٍ ، وبها متاجر الى بلد الهند وبها نخيل وأعناب وهي خصبة جداً .

١٠ — والقرنين مدينة لها قرًى ورساتيق ، وهي على مرحلة من سجستان عن يسار الذاهب الى بُسْت على فرسخين من شروزن . ومنها آل الصفّار الذين تغلّبوا على فارس وخراسان وكرمان وسجستان ، وكانوا اربعة إخوةٍ : يعقوب وعمرو وطاهر وعلي بنو الليث ، فأما طاهر فقُتِلَ بباب بُسْت ، ويعقوب مات حَتْفَ أنفه بجُنْدَى سابور بعد رجوعه من بغداد وقبره هناك ، وعليّ فأنه كان استأمن الى رافع بجرجان ومات بدهستان وقُبِرَ هناك ، ويعقوب فكان أكبرهم وكان غلاماً لبعض الصفّارين ، وعمرو فكان مكارياً وكان في بعض أيامه بَنّاءً وكان علي بن الليث أصغرهم سناً . وكان السبب في خروجهم وارتفاع أمرهم ان خالاً كان لهم يُسمّى كثيرَ ابن رقادٍ شارياً في بعض الحصون ، وكان قد تجمّع اليه وعنده جمعٌ فيه وجوه الخوارج فحُوصر في قلعة كانت له وقُتِل ، وتخلص هؤلاء ووقعوا الى ارض بست وكان رجل بتلك الناحية عنده جمع كثير يُظهر الحِسْبَة في الغزو وقتال الخوارج، يُعرف بدرهَم بن نصرٍ ، فصار هؤلاء الاخوة في جملة أصحابه وقصدوا سجستان والوالي بها إبراهيم بن الحسين من قبل الطاهرية ، وكان في ضَعْفٍ فنزل على باب المدينة ، وكان درهم بن نصر يُظْهِرُ أنه من المطّوِّعة وأنه قصد قتال الشراة مُحتسباً فاستمال العامّة فأطاعته ودخل المدينة وخرج منها واليها الى بعض النواحي ، ولم يزل حتى تمكن من البلد وقاتلوه الشراة وكان لهم رئيس يُعرف بعمّار بن ياسر فانتدب لقتاله يعقوب بن الليث فقاتله وقُتِلَ عمّارُ ، وكان لا يحزبهم أمر شديد إلا انتدب له يعقوب ، فكان يرتفع ذلك الأمر له على ما يحبه واستمال أصحاب درهم بن نصر حتى قلّدوه الرياسة وصار الأمر له ، وكان

درهم بن نصر بعد ذلك في جملة يعقوب وأصحابه ولم يزل محسناً الى درهم بن نصر حتى استأذنه في الحج فأذن له ، فحجّ وأقام ببغداد مدة وعاد الى عمرو رسولاً من امير المؤمنين ، فقتله يعقوب واستفحَلَ أمرُهُ وأمْرُ إخوته بعد ذلك حتى استولوا على فارس وكرمان وخراسان وبعض العراق وخوزستان .

١١ — ومدينة الطاق على مرحلة من زرنج وتكون على ظهر الجائي من سجستان الى خراسان ، وهي مدينة صغيرة ولها رستاق وبها كروم وأعناب كثيرة يتسع بها أهل سجستان . ومدينة خواش من قرنين على مرحلة عن يسار الذاهب الى بُست ، وبينها وبين الطريق نحو نصف فرسخ وهي أكبر من قرنين ، وبها نخيل وأشجار ولها وللقرنين مياه جارية وقني من تحت الأرض كثيرة . وفره مدينة اكبر من هذه المدن ولها رستاق يشتمل على نحو ستين قرية ، وبها نخيل وفواكه وزروع وعليها نهر فره وأبنيتها طين وهي ارض سهلة . وجَزه متصلة بعمل فره عن يمين الذاهب من سجستان الى خراسان على نحو مرحلة ، وهي ناحية مائية صغيرة نحو القرنين ولها قرى ورساتيق وهي خصبة وماؤهم من قنيّ لهم ، وأبنيتهم ايضاً من طين . وسروان مدينة صغيرة نحو القرنين إلا أنها أعمر وأكثر أهلاً ، وبها فواكه واسعة تُحمل ونخيل وأعناب وكروم تُجلب منها وتُنقل ، وهي من بُست على مرحلتين ولها ناحيتان لمنزلين يسمى احدهما فيروزقند والآخر هو سروان على طريق بلدى الداور . والزالقان من بُست على مرحلة وبها فواكه ونخيل وزروع ، وأكثر أهلها حاكةٌ وماؤهم انهار جارية وبناؤهم من طين وهي نحو القرنين في الكبر . وروذان اصغر من القرنين وهي بقرب فيروزقند عن يمين الذاهب الى الرُخج ، وأكثر غلاّتها المنج ولهم مع ذلك زروع وفواكه ومياه جارية .

١٢ — وأما المسافات فإن الطريق من سجستان الى هراة اول مرحلة تسمّى كركويه ، ومن كركويه الى بشتر اربعة فراسخ والعبر على قنطرة تجري فيها فضل مياه هيل مند ، ومن بشتر الى جوين مرحلة ومن جوين الى البست مرحلة ، ومن البست الى كنكره مرحلة ومن كنكره الى

سرشك مرحلة ، ومن سرشك الى قنطرة وادي فره مرحلة ومن قنطرة الوادي الى فره مرحلة ، ومن فره الى دزه مرحلة ومن دزه الى كويسان مرحلة ومن كويسان الى خاشان وهي من الاسفزار مرحلة ، ومن خاشان الى قناة سرى مرحلة ومن قناة سرى الى الجبل الاسود مرحـــلة ، ومن الجبل الاسود الى جدمان مرحلة ومن جدمان الى هراة مرحلة . والطريق من سجستان الى بُست فأوّل مرحلة الى زانبوق ، ومن زانبوق الى شروزن قرية عامرة سلطانيّة مرحلة ومن شروزن الى حرورى قريـــة عامرة سلطانية ايضاً وبينهما نهر نيشك وعليه قنطرة من آجرّ مرحلة ، ومن حرورى الى دهك والمنزل رباط مرحلة ومن هذا الرباط المفازة فمنزل منها رباط يسمّى آب شور ومن آب شور الى رباط كروين مرحلة ، ومن رباط كروين الى رباط هفشيان مرحلة ومنه الى رباط عبدالله ومن رباط عبدالله الى مدينة بُست ومن رباط دهك الى مسيرة فرسخ من بست كلها مفازة . والطريق من بست الى غزنه فإن من بست الى رباط فيروز منزلاً ومنه الى رباط ميغون منزل ، ومنـــه الى رباط كثيرٍ منزل ثم الى مدينة الرُخج المسمّاة بنجواى منزل ، ومنها الى بكراباذ منزل ، ثم الى خرسانه منزل ثم الى رباط سراب منزل، ثم الى الاوق وهو رباط منزل ثم الى رباط جنكل اباذ منزل ثم الى قرية غرم مـــنزل ، ثم الى قرية جابشت منزل ثم الى قرية جومه منزل ، ثم الى خابسان منزل وهو أول حدّ غزنه ثم الى قرية خسراجى منزل ، ثم الى رباط هــدوا وهي قرية عامرة ثم الى غزنه منزل . وغزنه مدينة جليلة في نفسها كبيرة بجالهــا وتجاراتها . والطريق من سجستان الى بالش على المفازة فإنك تأخذ من مدينة الرُخج أعني بنجواى الى رباط الحجرية منزل، ثم الى رباط كنكى منزل ثم الى رباط بر وهو المنزل ثم الى اسفنجاي مـنزل . والطريق من سجستان الى كرمان وفارس فإن أول منزل من سجستان خارون ، والثاني دارك ومنها الى برين منزل ، ومنه الى كاونيشك منزل وهما رباطان ثم الى رباط الناسى منزل ثم الى رباط القاضي منزل ، ثم الى رباط كراغان منزل ثم الى سبيج منزل وسبيج مدينة لكرمان . وحـــدّ سجستان اذا جُزت

كاونيشك وبينها وبين كندر رباط بناه عمرو بن الليث ، وهذا المكان يُعرف بقنطرة كرمان وليس هناك قنطرة بل هي بالاسم دون الشخص .

١٣ — وسائر المسافات بسجستان مجملة ، فمن سجستان الى جزه ثلاث مراحل بين فره والقرنين، وبينها وبين فره ايضاً مرحلتان . وبين نه وفره مرحلة واجحة وهي بجذائها مما يلي المفازة . وبين كش وسجستان ثلاثون فرسخاً فيما يلي حد كرمان والطاق على طريق كش على خمسة فراسخ . وخواش على نحو فرسخ من طريق بست ، وبينها وبين القرنين منزل . ومن بست الى سروان مرحلتان على طريق بلد الداور ثم تعبر هيل مند على مرحلة من سروان ، فتدخل درتل وتمضي مرحلة وأكثر الى درغش على شط هيل مند وكلاهما من جهة واحدة ، ومن درتل الى بغنين يوم في قبائل بشلنك في جنوبي بغنين . وبنجواي على ظهر غزنه وبينها وبين كهك مقدار فرسخ على غربي بنجواي، ومن بنجواي الى اسفنجاي ثلاث مراحل والقصر بجذائها وبينهما فرسخ ، واسفنجاي حصن حسن ومن اسفنجاي الى سيوى مرحلتان .

١٤ — فأما ارتفاع هذه النواحي التي جمعتُ صورتها وذكرتُها من الأعمال المجاورة لسجستان فإني لم أجد بدّاً من إلصاق بعضها الى بعض بالمجاورة ، فإنها مختلفة الحال متباينة العمال لكل ناحية منها قاضٍ وصاحب خبرٍ وبريد، وصاحب معونة وكاتب سلّةٍ يُعرفِ بالبندار يطالب بالخراج ووجوه الاموال الواجبة للسلطان وأكثرها لصاحب خراسان ، وما غادره من هذه الاموال والجبايات فلمن يَعتزي اليه ويُقيم دعوته وينتمي الى دولته ، فهي طُعمةٌ له وعليه فيها بعض لوازم يرفعها او هدايا يوردها كصاحب بست لأنه يقوم بجيش لديه ورجال وعساكرَ جمّةٍ من رسومها المجتباة بتلك الناحية لصاحب خراسان ، وفي بعضها ما هو كالمتغلّب عليه وعلى ماله إدلالاً من المتّلين له بما يلزمهم من النفقات وعليهم من المؤن والكُلفِ ، وهم معتزون الى صاحب خراسان كمحمد بن إلياس قديماً والبتكين الحاجب اذا كان حيّاً بكابل وبلد الهند ، وقد استولى على غزنه وما صاقبها من الاعمال . ومنها ما هو مجموع على جهته ومحمول بذاته

بالحسبانات القائمة والعِبَر والارتفاعات والمساحة العدْلة . ومن ذلك هراة وهي ناحية جليلة وسآتي بذكرها في ضمن خراسان وما اوجبته الصورة من تكرار ذكرها وعود ما لا بد منه من خبرها ، وهي من النواحي التي يُقبض خراجها في كل عام دفعتين اذ في كثير من اعمال خراسان ما يجري هذا المجرى ، وقد رُسم بهذا الرسم . وبها ما هو بغير هذه الصورة مما يُقبض خراجه دفعةً واحدةً وبها ما لا يطالب بخراج . فأما عبرة هذه النواحي وما يُقبض من وجوه أموالها ، فمنها الجوزجان على ما تقدم ذكره مائة الف دينار ومن الورق مع توابعه أربع مائة الف درهم . وسجستان والرُخج دون بست عن جميع أعمالها وجباياتها وقوانين أدائها مائة الف دينار ومن الورق ثلاثمائة الف درهم . وبُست عن وجوه جباياتها من أموالها ومقاسماتها وخراجاتها وتوابعها مائة الف دينار ، ومن الورق ثمان مائة الف درهم . وغزنه وكابل وما يصاقب هذه الأعمال من أعمال الهند ، فاجتباه البتكين الحاجب مائة الف دينار ومن الورق ستّمائة الف درهم . وفي قديم أوقاتها والسنين الماضية الخالية في طرق العدل ما كانت جباياتها عن هذا المقدار أكثر وبركاتها أغزر وغلاّتها اوفر . وهذه جملة ما علمتُه من حال هذه الناحية وعرفته من أخبار هذا الصقع وما خلتُ ان في ذلك تقصيراً عن ما يحتاج الى علمه والوقوف على رسمه .

خراسان

١ ـ وأما خراسان فتشتمل على كوَرٍ عظام وأعمال جسام ، وخراسان اسم الاقليم والذي يحيط به من شرقيّه فنواحي سجستان وبلد الهند ، لأني ضممتُ الى سجستان ما يتصل بها من ظهر الغور كله الى الهند وجعلتُ ديار الخلج في حدود كابل ووخان على ظهر الخُتّل كلّه ، وغير ذلك من نواحي بلد الهند ، وغربيّها مفازة الغُزّية ونواحي جُرجان ، وشماليّها بلد مـــا وراء النهر وشيء من بلد الترك يسير على ظهر الخُتّل ، وجنوبيّها مفازة فارس وقومس الى نواحي جبال الديلم مع جُرجان وطبرستان والري وما يتصل بها . وجعلتُ ذلك كلّه إقليماً واحداً وضممتُ الخُتّل الى ما وراء النهر لأنه بين نهري وخشاب وخرباب ، وضممتُ خوارزم الى ما وراء النهر لان مدينتها العظمى وراء النهر ، وهي أقرب الى بخارا منها الى مدن خراسان ، وبخراسان مما يلي المشرق زنقة فيما بين مفازة فارس وبين هراة والغُور الى غزنه ، ولها زنقة في المغرب في حد قومس الى ان تتصل بنواحي فراوه ، فيقصر ما بين الزنقتين عن تربيع سائر خراسان . وفيها من حدود جرجان وبحر الخزر الى خُوارزم تقويس على العمارة .

٢ ـ وهذه صورة خراسان .

. . .

إيضاح ما يوجد في القسم الاول من صورة خراسان من الأسماء والنصوص :

قد رُسمت في الزاوية اليمنى من اعلى الصورة بحيرة زره ويقع فيه نهر يأتي من جبال الباميان الواقعة في القسم الآخر من الصورة وتقطع هذا النهر كتابة الجنوب المتجاوز آخر خطهـا طرف

هذا القسم . ومن تحت بحيرة زره الى اليسار رُسمت بحيرة فيها مدينة زرنج وعن يسارها سلسلة جبال دائرة الشكل كتب في داخلها جبال الغور ، ويأخذ من يمين هذه الجبـــال نهر يعطف الى الاسفل على شاطئه مالن ثم هراه ، ويجتمع هذا النهر بحذاء هراة مع نهر آخر يأتي ايضاً من جبال الباميان ، ويأخذ من مالن طريق الى زرنج عليه كواسان ثم فره وتقع عن يسارهـــا في البر ادرسكن، وتوازي الطريق المذكور عن يمينه كتابة نواحي اسفزار وتحت ذلك صورة خراسان. وتبتدىء من اسفل بحيرة زره عاطفة على بحيرة زرنج ثم متجاوزة الى القسم الآخر من الصورة كتابة سجستان ، وتقع من اسفل جبال الغور مدينتا كوشك وكواران ، وعلى الطريق الآخذ من حذاء هراة الى اليسار مدينتا ببنه وكيف .

وكتب من تحت بحيرة زره آخذاً الى الأسفل قوهستان، ويوازي هذه الكتابة عن يمينها كتابة مفازة سجستان وخراسان وفارس تقطع هذه الاسماء الثلاثة كلمة مفازة على شكل صليبي . وتتصل بخط كلمة مفازة مدينتا خور وكرى ثم تقع عن يسارهما : طبس ، تون ، قاين ، وكتب موازياً لكلمة مفازة بينها وبين طرف الصورة المغرب .

ويأخذ من قاين طريق الى بوسنج الواقعـــة على النهر من اسفل هراة وعلى ذلك الطريق من المدن : زوزن ، خركرد ، فركرد ، وتقع في وسط الساحة التي من اسفل ذلك الطريق مدينـــة نيسابور ، وعلى الطريق من قاين الى نيسابور : بون ، ينابذ ، كندر ، ترشيز ، ثم على الطريق من نيسابور الى بوسنج : كواخرز وبوزكان ، وتقع في الساحة التي فوق هـــذين الطريقين : سنكان ، خايمند ، سلومك ، مالن ، ويأخذ من نيسابور طريق الى الاسفل يميناً حيث توجـــد كتابة حدود قومس ، وعلى هذا الطريق من المدن : سبزوار ، خسروجرد ، بهمناباذ ، مزينان، ويأخذ من نيسابور ايضاً طريق الى اليسار الى سرخس على النهر الآتي من الفوق وتقع من اسفل هذا الطريق طبران وتروغوذ ثم تحت ذلك كتابة طوس وتحت هذه الكتابة نوقان وبنواذه كتب عن يسارها بغير خط الناسخ ُبيايه ، ثم رايكان ، سنج ، دزك ، وعن يسار كتابة طوس راوينج وريوند ، وكتب تحتها بغير خط الناسخ جوين ولايت صاحب ديوان عزّ نصره ، ثم تحت ذلك خداشاه كه مدرسه ساخته اند ، وتقع من اسفل ذلك الى اليسار مدينتـــا ديواره وازاذوار ، وتقع من اسفل ازاذوار جرجان ويأخذ منها طريق الى اليسار عليه اسفرايين .

وتوجد من تحت هذا الطريق كتابة مفازة بين جرجان وفراوه يسلكها حجاج خوارزم ، وقطعهم إياها على السمت وقصد مياه بها لا على جادّة وجميعها رمل فيه مراع . وتقع عن يسار هذه الكتابة مدينة فراوه وكتب فوقها الشمال وآخر هذه الكلمة في القسم الآخر من الصورة .

. . .

إيضاح ما يوجد في القسم الثاني من صورة خراسان من الاسماء والنصوص :

وقد ُرسمت موازيةً لطرف الصورة الاعلى سلسلة جبال تقع بنهايتها اليمنى مدينة غزنه ، وفي وسطها اندراب وفي نهايتها اليسرى بذخشان ، وتأخذ سلسلة صغيرة من بذخشان الى الاسفل فيها الطايقان وورواليز ، ويمتد خط هذه السلسلة الى خلم ثم الى بلخ . وترجع من بلخ سلسلة ثالثـــة

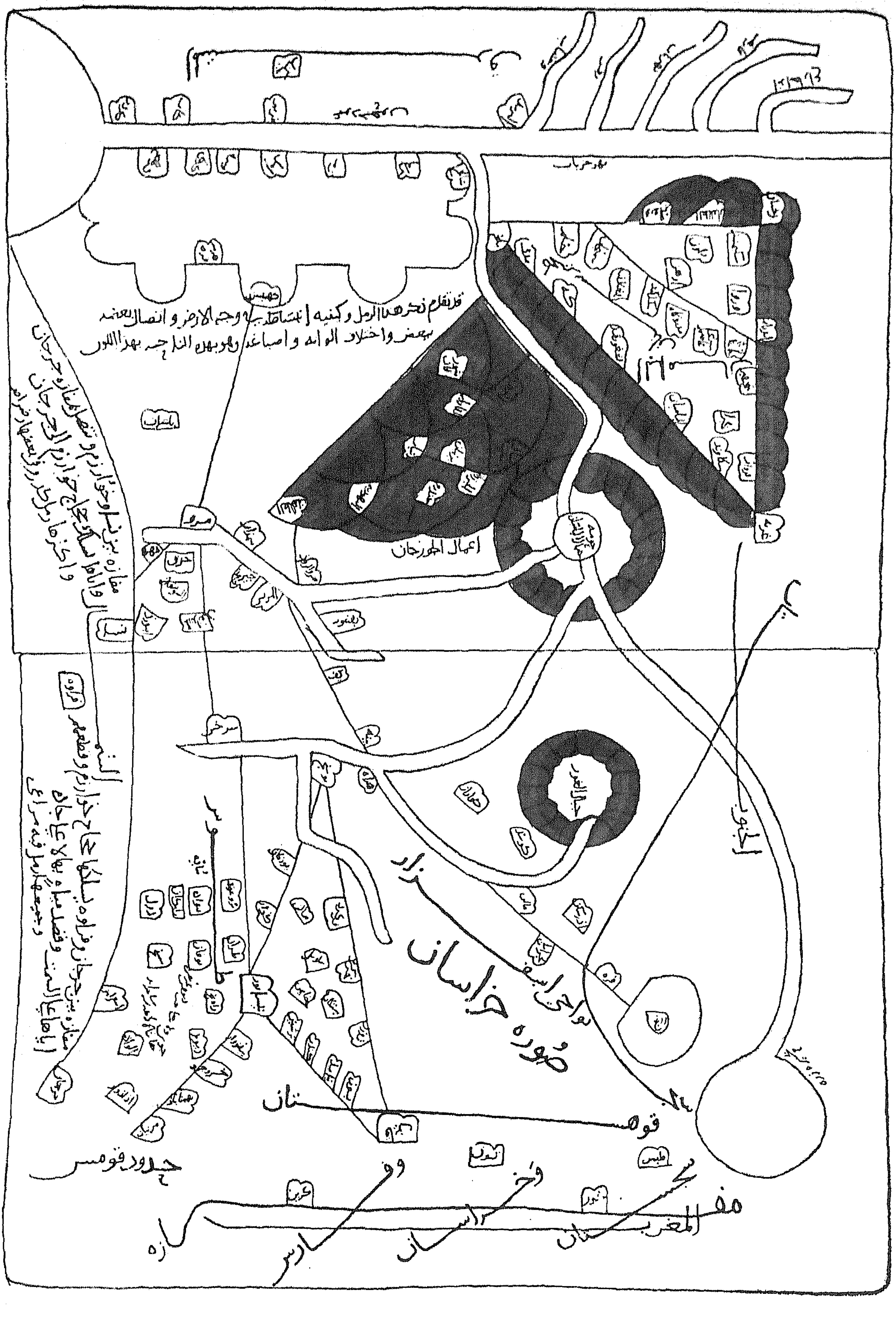
الى غزنه على خط منحرف ويتصل بداخل هذه السلسلة من المـدن : مذر ، كه ، بشغورقند ، الباميان ، سكاوند ، وتتصل بالسلسلة العليا من فوق سكاوند فروان وعن يسارهـا بنجهير ، وتقع بين بنجهير وسكاوند مدينة نجرا ، وكتب من اسفل بنجهير الباميان وعن يسار ذلك الى الاسفل طخيرستان ويوازي هذه الكتابة خط آخذ من اندراب الى قرب خلم وتقع عن يمينه : خسب اندراب ، سراي عاصم ، مذروكاه ، سكلكند ، بغلان ، سمنجان ، وعن يسار الخط في الزاوية روا ، سكيمشت ، راون ، ارهن .

ويتصل بأول السلسلة المبتدئة من عند بلخ نهر يأتي من سلسلة جبـال دائرة الشكل كتب في وسطها : حومة جبال الباميان ، ورُسمت بحذا هذا النهر متصلة بجبال الباميان كتلة جبال كتب عن يمينها : اعمال الجوزجان ، وتقع في داخل جبال الجوزجان ابتداء من الفوق من المـدن : سان ، اندخذ ، الجرزوان ، نريان ، الفارياب ، اشبورقان ، كندرم ، انبـار ، اليهوديه ، الطالقان .

ويأخذ من جبال الباميان نهر الى الاسفل تقع على شاطئه الايسر : مرو الروذ سمذار ، مرو ، وينصبّ في هذا النهر بحذاء مرو الروذ نهر آخر تقع عليه بغشور ثم من أسفل ذلك على شاطىء عمود النهر القرينين وجيرنج ، وعلى الطريق الآخذ من مرو الى اليمين الى سرخس مدينة الدندانقان ، وتقع من اسفل هـذا الطريق : خرق ، السوسقان ، مهنه ، ابيورد ، وتتصل بأبيورد من اسفلها مدينة نسا ، وكتب عن يسارها مفازة بين نسا وخوارزم وتتصل بمفازة جرجان وإياها يسلك حجاج خوارزم الى جرجان ، وأكثرها رمل كدر وفي بعضها رضراض. ويأخذ من مرو طريق الى اليسار ينتهي الى كشميهن الواقعة في طرف ساحة رمـال كتب عن يمينها : قد تقدّم ذكر هذا الرمل وكيفية انبساطه في وجه الارض واتصال بعضه ببعض واختلاف الوانه وأصباغه وهو بهذه الناحية بهذا اللون . وتقع من اسفل كشميهن بطرف هذا الرمل هرمزفره وفي الساحة من أسفل طريق مرو الى كشميهن باشان .

ورسم موازياً لطرف الصورة الايسر نهر كبير كتب عن يساره عمود جيحون ، ويقع على يمين هذا النهر ابتداء من الاسفل من المدن : كركانج ، جرجانيه ، ويزه ، امل ، زم ، كيلف ، شالخ ، وينصبّ هنا النهر الآتي من بلخ ، وكتب من فوق مصبّ هذا النهر عند عمود منهر : نهر خرباب ، ويقع على شاطىء النهر الكبير عن يساره من المـدن : كردر ، كاث ، فربر ، الترمذ ، وعن يسار فربر مدينة بيكند وعن يسار بيكند بخـارا وكتب بينهما موازياً للطرف المشرق ، وينصبّ في العمود عند الترمذ نهر وخشاب وتليه الى الفوق اربعه انهار كتب عندها : باخشوا ، بربان ، فارغر ، انداجاراغ .

٣ ــ اما كور خراسان الـتي تجتمع على العمال وتفرق فيها الحـكام وأصحاب البرد والبنادرة وما بما وراء النهر لصاحب خراسان من آل سامان فكالعمل الواحد ، وهي نيّف وثلاثون عملاً تدل أرزاق المتصرفين فيها على


صورة خراسان
اعمال الجوزجان
قوهستان
حدود قومس
المغرب

مقادير أحوالها في ذاتها وتعرب عن محل أهلها في أنفسهم مع نزور جباياتها ، وكل عمل منها لا يخلو من قاضٍ وصاحب بريد وبندارٍ وصاحب معونة ، هذا الى غير عمل من أعمالها فيه قضاة يتصرفون عن قاضي الناحية التي هو بها ، وأصحاب أخبار وبردٍ يُنهون أخبارهم الى صاحب ناحيتهم ، وجُباةٌ للخراج والضمانات للبندار الأجل بالكورة وأصحاب معاون وأُمراء دون امير الصُقع . وسآتي بذلك مع أرزاق المتّلين لهذه الاعمال في الناحيتين إذ كانتا جميعاً لصاحب خراسان والمتصرفون فيهما من تحت يده وأمره ونهيه .

٤ ــ وان اعظم هذه النواحي منزلة وأكثرها جيشاً وشحنة وأجلّها منزلة وجباية نيسابور ومرو وبلخ وهراة . وبخراسان وما وراء النهر كور دون هذه في المنزلة وصِغَر الحال فمنها : قوهستان وطوس ونسا وابيورد وسرخس واسفزار ، وبوسنج وباذغيس وكنج رستاق ومرو الروذ والجوزجان وغرج الشار والباميان وطخيرستان وزم وامل . وخوارزم فيما وراء النهر لان مدن ذلك من وراء النهر وخوارزم على السمت أقرب الى بخارا منها الى خراسان . ولنيسابور كور لا تفرد عنها لأنها مجموعة اليها في الأعمال وسأذكر كلّها هو مضاف الى غيره من أعمال نيسابور وطخيرستان المضافة الى بلخ والمجموعة اليها ، وهي في الدواوين مفردة ومدنها وبقاعها عنها متميزة منفصلة . وليس في تفريق هذه الكور وجمعها دركٌ أكثر من استيفائها وتأليفها في الصورة ، ومعرفة مكان كل شيء منها في صورة خراسان وإثباته في شكل ما وراء النهر .

٥ ــ ونيسابور تعرف بابرشهر ؛ وفيها يقول ابو تمام حبيب بن أوس الطائي :

« أَيَا سَهَرِي بِلَيْلَةِ أَبْرَشَهْرٍ ذَمَمْتَ إِلَيَّ نَوْماً في سِوَاهَا »

وهي مدينة في أرض سهلة أبنيتها من طين وهي كانت مفترشة البناء نحو فرسخ في مثله [الى سنة تسع وأربعين وخمس مائة عند كسرة الغز للسلطان سنجر بن ملك شاه ، واستيلائهم على خراسان ففي هذه السنة دخل الغز اليها ونهبوها وقتلوا اكثر أهلها ، وانجلى الباقون ثم تواترت عليهم نوائب الزمان وصروف الحدثان الى ان خربت ، ثم لما تقاصرت عنهم أيدي الظلمة وعطف الله عليهم بالرحمة عادوا الى موضع قريب من المدينة على غربيها يعرف

بشايكان ، ثم تل عال فبنوا هناك دوراً وقصوراً وأسواقاً وحمامات وفنادق ومساجد ، وعادت الآن الى احسن ما كانت عليه من العمران وسموها نيسابور . وسمعت في سنة ثمانين وخمس مائة ان العمارة قد اتصلت الى الموضع القديم وذلك التل قد ابتنوا عليه حصاراً منيعاً حصيناً]

ولها مدينة وقهندز وربض ، وقهندزها وربضها عامران ومسجد جامعها في ربضها بمكان يُعرف بالمعسكر ، ودار الامارة بمكان يُعرف بميدان الحسين والحبس عند دار الامارة ، وبين الحبس ودار الامارة وبين المسجد الجامع نحو ربع فرسخ ، ودار الامارة بها من بناء العاتي عمرو بن الليث ، ولقهندزها بابان وللمدينة أربعة أبواب : فأحدها يُعرف بباب رأس القنطرة ، والثاني بباب سِكة مَعقل ، والثالث بباب القهندز ، والرابع بقنطرة درميكين . وقهندزها خارج عن مدينتها ويحفّ بالمدينة والقهندز جميعاً الربض وللربض أبواب : فأما الباب الذي يخرج منه الى العراق وجُرجان فإنه يُعرف بباب القباب ، والباب الذي يخرج منه الى بلخ ومرو وما وراء النهر فإنه يعرف بباب جيك ، والباب الذي يخرج منه الى فارس وقوهستان فإنه يعرف بباب احوص اباذ ، والباب الذي يخرج منه الى طوس وعدة ابواب لا أقف على جميع أسمائها ، ولها باب يعرف بباب سوخته وباب يعرف بباب سرسبريس وغير ذلك ، فأما اسواقها فإنها خارج من المدينة والقهندز في الربض وخيرة اسواقها سوقان : إحداهما تعرف بالمربّعة الكبيرة والأُخرى بالمربعة الصغيرة ، فإذا اخذتَ من المربعة نحو الغرب فالسوق ممتد الى مقابر الحسينيين . وفي خلال هذه الاسواق خانات وفنادق يسكنها التجّار بالتجارات ، وفيها الخانبارات للبيع والشرى فيقصد كل فندق بما يُعلم انه يغلب على اهله من انواع التجارة ، وقل فندق منها لا يُضاهي أكابر أسواق ذوي جنسه ويسكن هذه الفنادق اهل اليسار ممن في ذلك الطريق من التجارة ، وأهل البضائع الكبار والأموال الغزار ، ولغير المياسير فنادقُ وخاناتٌ يسكنها أهل المِهَن وأرباب الصنائع بالدكاكين المعمورة والحجَر المسكونة والحوانيت المشحونة بالصُنّاع ، كالقلانسيين في سوقهم غير فندق فيه الحوانيت والحجر المملوؤة بهم ، وكذلك الأساكفة والخرّازون والحبّالون الى غير ذلك في أضعاف أسواقهم الفنادق المملوؤة

بذوي الصنائع منهم ، وأما فنادق البزّازين وخانباراتهم بها وبيعهم فيها وشراهم فأكثر البلدان يشركهم في ذلك ولا يقصرون عنهم . وشرب البلد ومياهه فأكثره من قني تجري تحت مساكنهم وتظهر خارج البلد في ضياعهم ، ومنها قني تظهر في البلد وتجري في دورهم وبساتينهم بقصبة نيسابور . ولهم نهر كبير يعرف بوادي سغاوذ ويجتمع اليه كثير من قني البلد فيُسقى منه بعض أجنّة البلد ورساتيق كثيرة ، وعلى هذا الوادي قوّامٌ وحفظة عليه وعلى قنيّهم في عمق الارض وربما كان منها شيء بينه وبين وجه الارض مائة درجة ، ويزيد وينقص في نفس نيسابور . وليس بخراسان مدينة أصح هواءً وأفسح فضاءً وأشد عمارة وأدوم تجارة واكثر سابلة وأعظم قافلة من نيسابور . ويرتفع عنها من أصناف البز وفاخر ثياب القطن والقز ما يُنقل الى سائر بلدان الاسلام وبعض بلدان الشرك لكثرته وجودته ، لايثار الملوك والرؤساء لكسوته اذ ليس يخرج من بلدٍ ولا ناحيةٍ كجوهريته ولا يشاكله لرفعته وخاصيّته .

٦ — ولنيسابور حدود واسعة ورساتيق عامرة وفي ضمنها مدن معروفة كالبوزجان ومالن المعروفة بكواخرز وخايمند وسلومك وسنكان وزوزن وكندُر وترشيز ، وخان روان وازاذوار وخسروكرد وبهمناباذ ومزينان وسبزوار وديواره ، ومهرجان واسفراين وخوجان وريوند . وان جُمِع الى نيسابور طوس فمن مدنها : الرايكان وطبران ونوقان [وتروغوذ] وقبر علي بن موسى الرضى عليهما السلام بظاهر مدينة نوقان ويجاوره قبر الرشيد في مشهدٍ حسن بقريةٍ يقال لها سناباذ ، عليها حصن حصين منيع وفيه قوم معتفكون . وبنوقان معدن القدور البرام وتحمل الى سائر بلاد خراسان من جبلها ، وفي هذا الجبل غير معدن من النحاس والحديد والفضة والفيروزج والخماهن والدهنج ، ذكر غير إنسان ان فيه معادن ذهب غير أنها تقصُر عن المؤنة وبه شيء من البلّور غير صافٍ

٧ — وكانت دار الامارة بخراسان في قديم الأيام بمرو وبلخ الى أيام الطاهرية فإنهم نقلوها ان نيسابور ، فعَمَرَتْ وكَبِرَت وغَزُرَت وعَظُمَت أموالها عند توطّنهم أيّاها وقطونهم بها ، حتى انتابها الكتّاب والأُدباء

بمُقامهم بها وطرأ اليها العلماء والفقهاء عند إيثارهم لها ، وقد خرّجت نيسابور من العُلماء كثرة ونشأ بها على مر الايام من الفقهاء من شُهِرَ اسمه وسمق قدره وعلا ذكره .

٨ — ومدينة مرو قديمة تعرف بمرو الشاهجان ازلية البناء ، ويقال ان قهندزها من بناء طهمورث والمدينة القديمة من بناء ذي القرنين . وهي في أرض مستوية بعيدة من الجبال فلا يُرى منها جبل بالقرب وليس في شيء من حدودها جبل وأرضها سبخة كثيرة الرمال وأبنيتها من طين . فيها ثلاثة مساجد للجُمعات فأمّا أوّل مسجد أقيمت فيه الجمعة فمسجد بُنِيَ داخل المدينة في أوّل الاسلام ، فلمّا كَثُرَ الاسلام بُنِيَ المسجد المعروف بالمسجد العتيق على باب المدينة ويصلّي فيه أصحاب الحديث ، وبُنِيَ من بعد ذلك المسجد الذي على ماجان . ويقال أنّ ذلك المسجد والسوق ودار الامارة من بناء أبي مسلم . ودار الامارة على ظهر هذا المسجد . وفي هذه الدار قبّة بناها ابومسلم كان يجلس فيها وفيها يجلس أمراء مرو . وبها قهندز خراب ومقداره مقدار مدينةٍ وهو مرتفع وقد سيقت اليه قناةُ ماءٍ يجري فيه الى يومنا هذا ، وربما زُرع عليها مباقل ومباطخ وغير ذلك . [وفي زماننا هذا وهي سنة ثمانين وخمسمائة ليس بمرو مسجد جامع عامر غير المسجد الذي بناه ابومسلم على ماجان ، وذكر لي عدّة اناس من اهل مرو مشائخ أنهم لم يروا بمرو مسجداً جامعاً غير هذا وأن المسجدين الآخرين خراب] . فأما أسواقها فعلى قديم الايام كانت على باب المدينة جنب الجامع ، فنقلها ابو مسلم الى ماجان وهي من انظف الاسواق وأوجدها لسائر ما يُحتاج اليه من ليل ونهار . ومُصلّى العيد في محلّة رأس الميدان في مربّعة ابي الجهم ويطوف به من جميع جوانبه ونواحيه البُنيان والعمارات ، وهو بين نهر هرمزفره وماجان . والبلد ارباعٌ معروفة الحدود ولأرباعه أنهار معروفة فمنها نهر هرمزفره ، وهو نهر عليه ابنية كثيرة من البلد وهو مما يلي سرخس . وللمدينة الداخلة اربعة ابواب فأحدها الذي يلي مسجد الجامع وباب يُعرف بباب سنجان وباب بالين وباب درمسكان ؛ ومن هذا الباب يُخرج الى ما وراء النهر وعلى هذا الباب عسكرَ المأمون وضرب مضربه أيام مُقامه بها

الى ان انتهت اليه الخلافة .

٩ — ولمرو نهر عظيم تتشعّب هذه الانهار منه وأنهار الرساتيق عنه ومبتداه من وراء الباميان ، ويُعرف بنهر مَرغاب وتفسيره مَروآب أي ماء مَروٍ ، ومنهم من يزعم ان النهر منسوب الى مكان يخرج منه الماء ويُعرف بنهر مرغاب ومجرى هذا النهر على مَرو الروذ وعليه ضياعهم ، وأول حد هذا النهر من عمل مَرو الروذ لوكرين وخوزان والقرينين فخوزان من مرو الروذ والقرينين من مرو . ومقاسم الماء من زرق قريةٍ بها مقسم ماء مرو وقد جُعل لكل محلّةٍ وسكّةٍ من هذا النهر ساقية صغيرة عليها ألواح خشبٍ فيها ثُقَبٌ مقدّرة لا يُترك احدٌ يزيدُ فيها ولا ينقص ، ويأتي كل قوم من شربهم بمقدار إن زاد الماء دخلت عليهم الزيادة وإن نقص نقصوا بأجمعهم لا إيثار لقوم على قوم [وهذه الالواح منصوبة بقرية تسمّى بُخس آب على مقدار نصف فرسخ من المدينة] ومتولّي هذا الماء أمير مُفرَد وهو أجلّ من والى المعونة بمرو ، وبلغني أنه يرتزق على هذا الماء زيادة على عشرة آلاف رجل لكل واحد منهم على هذا الماء عمل .

١٠ — وكانت مَرو مُعسكر الاسلام في اول الاسلام ومنها استقامت مملكة فارس للمسلمين ، لان يزدجرد ملك الفُرس قُتل بها في طَاحونة الزرق ومنها ظهرت دولة بني العباس ، وفي دار آل ابي النجم المُعَيطيّ صُبِغَ أول سوادٍ ولبسته المسوّدة ومن صحة فواكههم أن بطيخهم يقدّد ويُحمَل الى كثير من الآفاق ولا أعلم هذا يمكن في بلد غيره . وفي مفازتها يكون الاشترغاز الذي يُحمل الى اكثر المواضع . ويرتفع من مرو الابريسم والقزّ الكثير ، ويقال أن اصل الابريسم بجرجان وطبرستان على قديم الأيام وقع من مرو ، ومنها يرتفع القطن الذي يُنسب في سائر الأقطان اليها جودته وهو الغاية في اللين والثياب التي تجهّز منها الى كثير من البلاد . ولها منابر مضافة اليها وبرسمها فمنها كشميهن وهي على مرحلة منها في نفس الرمل ، بها منبر ولها نهر كبير وأشجار وفواكه وسوق صالحة وفنادق ورباطات وحمّامات . وبهرمزفره منبر وبسنج منبر وبجيرنج منبر وبالدندانقان منبر وبالقرينين منبر ، وبباشان منبر وبخرق منبر

وبالسوسقان منبر وهذه منابر مضافة اليها ومدنها القريبة منها .

١١ — وأما هراة فهو اسم المدينة وكان عليها حصار وثيق ، وخارجها وداخلها مياه ومن داخلها القهندز ولها ربض ومسجد الجامع بها ودار الامارة خارج الحصن بمكان يُعرف بخراسان اباذ منقطع عن المدينة ، وبينها وبين المدينة نحو ثُلث فرسخ على طريق بُوسنج من غربي هَراة ، وبناؤها من طين . والمدينة مقدار نصف فرسخ في مثله وكان لمدينتها الداخلة أربعة أبواب : فالباب الذي يخرج منه الى بلخ مما يلي الشمال يُعرف بباب سراي . والباب الثاني الذي يخرج منه الى نيسابور غربي يسمّى باب زياد والباب الذي يخرج منه الى سجستان جنوبي يسمّى باب فيروزاباذ ، والباب الذي يخرج منه الى الغور مشرقي يُعرف بباب خشك ، وكانت أبوابها خشباً غير باب سراي فإنه كان حديداً ، وعلى كل باب سوق وفي داخل المدينة والربض مياه جارية . وللحصن أربعة أبواب بحذاء كل باب من أبواب المدينة بابٌ لهذا الحصن ، ويسمّى باسم ذلك الباب . وخارج الحصن جدار يطوف بالحصن كله أطول من قامة وكان بينهما أكثر من ثلاثين خطوة . فاتفق على أهل المدينة حرب وخلع طاعتهم مع والٍ كان لهم من قبل صاحب خراسان يعرف بمحمد بن الجرّاح ، رأيتُه وكان محسناً اليهم فعصوا بعصيانه ومنعوه من صاحب خراسان بغلق الابواب دونه ، وتطاولت ايام خلافه الى ان ظفر بهم أشعث بن محمّد فافتتح المدينة صُلحاً والحصن الذي في داخلها عنوة وقهراً ، وأمر صاحب خراسان ان يُلحق سورها بالحضيض وأقام عليه من طمس آثاره ومحا معالمه، فكأنه لم يُرَ لها قط سورٌ ولا كان عليها حصن . والمسجد الجامع في المدينة وحواليه الأسواق والسجن على ظهر قبلة مسجد الجامع ، وليس بخراسان وما وراء النهر وسجستان والجبال مسجد أعمر بالناس على دوام الايام من مسجد هراة ومسجد بلخ واليه مسجد سجستان ، فإن بهذه المساجد كثرة من الفقهاء وزحمةً من أرباب القرآن على رسم الشأم والثغور . وهي فرضة لخراسان وسجستان وفارس .

١٢ — والجبل من هراة على فرسخين على طريق بلخ ، ومحتطبهم من

مفازةٍ بينهم وبين اسفزار وليس لهذا الجبل محتطب ولا مرعى وإنما يرتفقون منه بالحجارة للأرحية والفرش وما أشبه ذلك ؛ وعلى رأس هذا الجبل بيت نارٍ يُدعى سرشك وهو معمور وبينه وبين المدينة بيعة للنصارى وليس بينها وبين المدينة مياه ولا بساتين سوى نهر المدينة ، على باب المدينة ، فإذا عبرتَ القنطرة لم تر بعدها ماء ولا خضرة الى البلد . وعلى سائر الأبواب والجهات مياه جارية وبساتين ، وأعمر أبوابها باب فيروزاباذ . ومخرج مائهم من قرب رباط كروان وإذا خرج من حد الغُور الى هراة ينشعب منه أنهار كثيرة : فمنها نهر يعرف بوخوى يسقي رستاق سنداسنك ونهر يسمّى بارست يسقي رستاق كواسان وسياوشان ومالن وتيزان ورروامز ، ونهر اذربيجان يسقي رستاق سوسان ، ونهر يعرف بشكوكان يسقي رستاق شغله ، ونهر يُعرف بكراغ يسقي رستاق كوكان ، ونهر يُعرف بغوسجان يسقي رستاق كوك ، ونهر يعرف بكبك يسقي رستاق غوتان وكربكرد ، ونهر يُعرف بسبغر يسقي رستاق سوخين في حدّ بوسنج ، ونهر يُعرف بانجير يسقي مدينة هراة والبساتين المتصلة على طريق سجستان مقدار مرحلة .

١٣ — وأكبر مدينة بنواحي هراة بعد هراة كروخ واوفه ، ويرتفع من كروخ الكشمش المجلوب الى الآفاق والزبيب الطائفي المحمول الى العراق وسائر البلاد ومُعظمه يرتفع من مالن . وكروخ مدينة قَصدة وأهلها شُراة ومسجد الجامع بمحلّة منها تُعرف بسبيذان ، وبناؤها من طين وهي في شعب بين جبال مقدار عشرين فرسخاً وجميعها مشتبكة البساتين والمياه والاشجار والغياض والقرى العامرة . وأُوفه اهل جماعة وهي نحو كروخ في القدر ، ولها بساتين ومياه وبناؤها من طين ايضاً . ومالن اصغر من كروخ وهي ايضاً مشتبكة البساتين والمياه والاشجار والكروم عامرة . وخيسار قليلة الاشجار والمياه ، وهي اصغر من مالن واهلها اهل جماعة . واستربيان اهلها خوارج وهي اصغر من مالن ، ولها مياه وبساتينهم قليلة والغالب عليهم في غلاّتهم الزروع دون الكروم وهي في جبال وعرة . وماراباذ فكثيرة البساتين والمياه وهي مدينة اصغر من مالن ، ويرتفع منها

أرزّ كثير يُجلب الى النواحي . وباشان مدينة اصغر من مالن، ولهم زروع وهي قليلة البساتين على كثرة مياهها . وباسفزار اربع مدن واكبرها كواسان وهي مدينة اصغر من كروخ، ولها ميـــاه وبساتين كثيرة . وكواران وكوشك وإدرسكن وهي متقاربة في الكبر ولها مياه وبساتين واسفزار اهلها اهل جماعة .

١٤ ـــ وأما بُوسنج ففيها من المدن خركرد وفركرد وكره، وأكبرها بوسنج وهي مدينة نحو نصف هَراة وهي وهراة في مستواة، ومن بوسنج الى الجبل نحو فرسخين وهو الجبل الذي من هراة اليه فرسخان، وبناؤهم من جِبس وليس كبناء هراة ولهم مياه وأشجار كثيرة، ولهم من اشجار العَرعر ما ليس بجميع خراسان في بلد ويُحمل هـــذا الخشب الى سائر النواحي . وماؤهم من نهر هراة وهو النهر الذي يجري الى سرخس وينقطع دون سرخس في اكثر الاوقات، وينضب في الصيف ويصل اليها الماء في الشتاء فيمرّ في وسط البلد . ولبوسنج حصار وعليه خنـدق وله ثلاثة ابواب : فباب يُعرف بباب عليّ يفضي الى طريق نيسابور، وباب هراة يشرع الى هراة، وباب قوهستان يأخـذ الى قوهستان . واكبر المدن بها بعد بوسنج كوسرى وهي مدينة خصبة ولها ماء وبساتين قليلة، وهي نحو الثلث من بوسنج وبناؤهم من طين . وخركرد لها ماء وبساتين كثيرة وهي اصغر من كوسرى . وفركرد اصغر من خركرد وماؤها الجاري قليل وهم اصحاب سوائم وليس لهم بساتين كثيرة . وكره لهـــا بساتين ومياه كثيرة وهي نحو فركرد في الكبر .

١٥ ـــ وباذغيس بها من المدن جبـل الفضة وكوه وكوغناباذ وبست وجاذوا وكابرون وكالوون ودهستان ومقام السلطان بكوغناباذ، وأعمرها وأكبرها دهستان وتكون نحو نصف بوسنج، وبناؤها من طـــين ولهم أسراب كثيرة في الارض، وهي على جبل ولهم ماء جارٍ قليل وليست لهم بساتين ولا كروم وهي مباخس؛ وكذلك كوه وجبل الفضة وكوه اكبر من جبل الفضة . وجبل الفضة على جبل كان فيه معـدن للفضة فتعطل لقلّة الحطب . وأما كوه فهي في صحراء، وبكوغناباذ وبست وجاذوا بساتين

ومياه ولهم مباخس كثيرة . وكالوون وكابرون ليس لهما بساتين ولا مياه جارية وإنما مياههم من الأمطار والآبار ، وهم اصحاب زروع مباخس وأغنام . وجبل الفضة على طريق سرخس من هراة . وباذغيس أهل جماعة ، وخجستان قرية احمد بن عبدالله فإنّ أهلها شُراة غُلاة بأجمعهم .

١٦ — وكنج رستاق مدينتها ببن ولها كيف وبغشور ، ومنها ابومنصور البغوي صاحب بريد نيسابور وأيسر من بخراسان وأكثرهم كتباً وأحسنهم إنشاء ، وألكنهم بالعربية وأفصحهم بالفارسية ، وهو أخطرُ من رأيتُ بخراسان وأكثرهم صامتاً وناطقاً وتجاراتٍ وضياعاً وكراعاً وأوثقهم عند سلطانه حكايةً . وسلطان هذه الناحية مقيم ببن وهي اكبر هذه المدن ، وبين اكبر من بوسنج وبغشور نحو بوسنج وكيف نحو بغشور ، ولبن وكيف مياه كثيرة جارية وبساتين وكروم وبناؤهما من طين . وأما بغشور ففي مفازة وهي أعذاء وزروعهم كلها بخوس وماؤهم من الآبار ، وهم اصحاب زروع وبساتين وكروم وهي مدينة صحيحة التربة والهواء . وهذه المدن كلها على طريق مرو الروذ .

١٧ — ومرو الروذ بها من المدن قصر احنف ، ودزه ومرو الروذ أكبرها وهي أكبر من بوسنج ، ولها نهر كبير وهو النهر الجاري الى مرو ولهم عليه بساتين وكروم كثيرة وهي طيّبة الهواء والتربة ؛ وقصر أحنف على مرحلة منها على طريق بلخ ودزه على طريق انبار على اربعة فراسخ ؛ ولقصر أحنف ماء جارٍ وبساتين وكروم وفواكه حسنة . ويشقّ نهر مرو الروذ وسط دزه فيجعلها نصفين ، وبينهما قنطرة ولهما بساتين وكروم وفواكه حسنة ومن مرو الروذ الى النهر غلوة . والطالقان مدينة نحو مرو الروذ في الكبر ولها مياه جارية وبساتين قليلة وبناؤها من طين وهي أصحّ هواءً من مرو الروذ . ومن مرو الروذ الى الجبل ثلاثة فراسخ مما يلي المغرب ومن جانب الجبل منه على فرسخين مما يلي المشرق . والطالقان في جبل متصل بجبال الجوزجان ، ولها رساتيق في الجبل كثيرة عامرة .

١٨ — والفارياب مدينة من الجوزجان أصغر من الطالقان إلا انها اكثر بساتين ومياهاً من الطالقان ، وبناؤها من طين وبالفارياب مسجد

جامع وهي مدينة صالحة تجمع سائر ما يكون في المدن من الصنائع وليس لمسجد جامعها منارة . ومن مدن الجوزجان اليهودية وهي مدينة ايضاً مقتدرة جامعة للصنائع والتجارة ولمسجد جامعها منارتان ، وان ذكرت ما مر لي في استحداث منارة بالفارياب مع اهلها وأميرها وجلّة اهلها لطال ، وهم يأبون إلا قولهم هذه سنة وقبيح بالخلف تغيير رأي رآه السلف والجوزجان اسم الناحية ، ومن كبار مدنها اليهودية واشبورقان واندخذ رستاق وناحية ومدينته أشُتُرج وكندرم ومن مدن الجوزجان انبار وسان ، ونقامش اسم لمدينة جلار واشبورقان ونريان مدينة بين اليهودية والفارياب . وأكبر مدينة بالجوزجان انبار وبها مقام آل افرغون وسلطانهم في الشتاء ومقامهم في الصيف بالجرزوان ، وهي مدينة بين جبلين أشبه بلدٍ بمكّة وشعابها كشعابها . وانبار أكبر من مرو الروذ ولها مياه وكروم وخصب وبساتين وبناؤهم من طين ؛ وقد تقدّم القول ان مدينة سان صغيرة لها مياه وبساتين وهي من الجبل ، واليهودية اكبر من سان ولها مياه وبساتين وهي في الجبل . وكندرم من الجبل وهي مدينة كثيرة الكروم والجوز واللوز والخيرات . واشبورقان بها من المياه الجارية فوق كفايتهم ، والغالب عليهم الزروع وبساتينهم قليلة وفواكههم مجلوبة ، وهي اكبر من كندرم ومن سان ايضاً وتقارب اليهودية في الكبر . واندخُذ مدينة صغيرة في مفازة لها سبع قرىً وبيوت للأكراد من ارباب الاغنام ولهم إبل . ويرتفع من الجوزجان الجلود المدبوغة بها فتعم خراسان وما وراء هذا النهر . والجوزجان ناحية عامة الخِصب كثيرة اسباب التجارة والمجالب وفي أهلها دهقنة . [والجوزجان سوى هذه المدن التي ذكرتها رساتيق وقرى ذات مياه جارية وفواكه كثيرة ، فأما ما يقبض من اموالها فمائة الف دينار وأربعمائة الف درهم في كل سنة] ، والمسافات بها فمن اشبورقان الى انبار مرحلة في ناحية الجنوب ، ومن اشبورقان الى اليهودية طريق يرجع الى الفارياب في مرحلتين وكسر ، ثم منها الى اليهودية مرحلة ومن اشبورقان الى اندخذ مرحلتان في الشمال ، ومن اشبورقان الى كندرم اربعة أيام ثلاثة منها الى اليهودية ومن اليهودية اليها مرحلة .

١٩ – وغرج الشار لها مدينتان احداهما تُعرف ببشين والأُخرى شورمين وهما متقاربتان في الكبر ، وليس مُقام سلطانهما في شيء منهما والشار الذي تُنسب اليه هذه المملكة مقيم بقرية في جبل تُعرف ببلكيان وكانت هذه ناحية ملكٍ عظيم فيما سلف وتقدّم من الزمان ، يُعرف بملك الغرجه . وهاتان المدينتان لهما بساتين ومياه ويرتفع من بشين أرزٌ كثير يُحمل الى بلخ وغيرها من البلدان المجاورة لها ، ويرتفع من شورمين زبيب كثير يُحمل الى النواحي . وبين بشين وبين دزه مرو الروذ مرحلة في المطلع وهو من نهر مرو الروذ على غــلوةٍ من شرقيه ، ومن بشين الى شورمين مرحلة مما يلي الجنوب وهي في الجبل .

٢٠ – وأما الغُور فإنها دار كفر وإنما تُذكر في الاسلام لأن بها مسلمين ، وهي جبال عامرة ذات عيون وبساتين وأنهار وهي حصينة منيعة وفي اوائلهم مما يلي المسلمين قوم يُظهرون الاسلام وليسوا بمسلمين . ويحتفّ بالغور من عمل هراة الى فره ومن فره الى بلدى داور ومن بلدى داور الى رباط كروان من عمل محمد بن افرغون ، وهو صاحب الجوزجان ، ومن رباط كروان الى غرجستان ومنها الى هراة وهذا الذي يطيف ببلد الغور . وجميع البلاد المطيفة به للمسلمين من جميع النواحي وليس في جميع بلد الاسلام ناحية كفر يشتمل على أقطارها وحدودها المسلمون غير الغور ، وهم في وسطهم وقبائل برغواطه الذين بنواحي فاس والسوس وسجلماسه وماسه ، وهم قوم في زنقة من الارض يحيط بها البحر المحيط . وأكثر رقيق الغُور يقع الى هراة وسجستان ونواحيها . وتمتدّ جبال الغور في حدود خراسان وظاهر الباميان الى البنجهير حتى تدخل بلاد وخان وتمرّ في بلاد الترك على حدود الشاش الى خرخيز ، وهذا الجبل من اوله الى آخره معادن للفضة والذهب وأغزر معادنه ما قرب من خرخيز ومرّ على نواحي فرغانه واشروسنه ، ولو عُمل لزاد على ما بالبنجهير .

٢١ – وأما سرخس فمدينة بين نيسابور ومرو وهي في ارض سهلة ، وليس بها ماء جارٍ إلا نهر يخرج اليهم فضله في بعض السنة ولا يدوم ماؤه ، وهو فضل مياه هراة وزروع سرخس بخوس وهي مدينة تكون

نحو نصف مرو عامرة صحيحة التُربة ، والغالب بعد الزرع على نواحيها المراعي وهي قليلة القرى ومعظم أملاكهم الجمال والأغنام وهي مطرح لحمولات ما وراء النهر ، ومدن خراسان وماؤهم من أبار وأرحيتهم على الدواب وليس بها طواحين الماء وجميع ابنيتهم من طين . ونَسا مدينة خصبة كثيرة المياه والبساتين وهي في الكبر نحو سرخَس ومياههم جارية في دورهم وسككهم وهي نزهة ولها رساتيق واسعة خصبة ، وهي في أضعاف جبال . وفراوه مدينة ثغرٍ في وجه البرّية على الغزّية وهي منقطعة عن القرى وفيها منبر ويقيم بها المرابطون ، وهم عدد يسير إلا أنهم يرجعون الى عُدّة وافرة وينتابهم الناس للرباط عندهم ، وليس لهم قرية ولا يتصل بهم عمارة ولهم عين ماء يجري ومنها شِربهم وممرّها في وسط القرية ، وليس لهم بساتين ولا زرع ولا مباقل ويكونون دون الف رجل ذي بأس ،

٢٢ — وقوهستان ناحية من خراسان على مفازة فارس وليس بها مدينة بهذا الاسم وقصبتها تسمّى قاين ، ولها من المدن ينابذ والطبسين وتُعرف بكُرى وخور والطبس وتُعرف بطبس مسينان . فأما قاين فهي في الكبر نحو سرخس وبناؤهم من طين ولها قهندز وعليه خندق ومسجد جامع ودار الامارة في القهندز، وماؤهم من القنيّ وبساتينهم قليلة وقراها متفرّقة وهي ناحية من الصرود . والطبسين مدينة اصغر من قاين وهي ناحية جروميّة وبها نخيل وعليها حصن وبناؤهم من طين ، وماؤها من القنيّ ونخيلها اكثر من بساتين قاين ولا قهندز لها . وخور اصغر من الطبسين وهي بقرب خوسب وليس بها منبر والمنبر بخور وأبنيتها من طين وليس لها حصن ولا قهندز ، ولها بساتين قليلة وشربهم من القنيّ وبناؤهم ضيق وأهلها أهل سوائم وهي على طرف المفازة . وأما ينابذ فمدينة اكبر من خور وبناؤها من طين ولها قرىً ورساتيق وشربهم من ماء قنيّ لهم . والطبس اكبر من ينابذ وماؤها ايضاً من القنيّ ولها حصن خراب ولا قهندز لها . والنخيل التي بقوهستان بالطبسين وسائر ما ذكرنا من مدنها من الصرود . وجميع المدن والقرى التي بقوهستان متباعدة في أعراضها

مفاوز ، وليس العمارة بقوهستان مشتبكة اشتباكها بسائر نواحي خراسان ، وفي أضعاف هذه المدن والقرى التي بقوهستان مفاوز يسكنها الأكراد وأصحاب السوائم من الابل والغنم . وفي حدّ قاين منها على مسيرة يومين مما يلي نيسابور هذا الطين النجاحيّ الذي يُحمل الى الآفاق للأكل . وليس بجميع قوهستان نهر يجري إلا قناة أو بئر ويرتفع منها أنواع من الكرابيس فتُحمل الى كثير من النواحي ولهم مسوح معروفة مشهورة .

٢٣ — وبلخ مدينة يتصل بعملها طخيرستان والختل وبنجهير وبذخشان وأعمال الباميان وما يتصل بها . فأما مدن طخيرستان فإنها خُلم وسمنجان وبغلان وسِكِلكَند وورواليز وارهن ، وراون والطايقان وسكيمشت وروا وسراى عاصمٍ وخسب اندراب واندراب وسذروكه . واما الختّل ومدنها فإن مدينتها هلاورد ولاوكند وهما مدينتا الوخش وكاونك وتمليات وهلبك وسكندره ومنك ، وانديجاراغ وفارغر ورستاق بيك والخُتل فيما وراء النهر ، وعمل الباميان وما يتصل بها فإن مدينتها الباميان وبشغورقند وسكاوند وكابل ونجرا وفروان وغزنه . وبنجهير مدينة فردة فذة تسمّى بنجهير . وبذخشان إقليم له رساتيق ومدينتها بذخشان وهي مملكة ابن الفتح .

٢٤ — وأما بلخ فمدينة جليلة مثل مرو وهراة ، وهي في مستواة وبينها وبين اقرب الجبال اليها نحو اربعة فراسخ ، وهي بربضها نحو فرسخ في مثله [فخربت في سنة خمسين وخمسمائة على يد الغز ، والآن فقد عاوَد أهلها ونقلوا العمارة الى موضع آخر بالقرب من المدينة الخرابة وهي أيضاً في ارض مستوية] . وبناؤها الطين ولها أبواب فأشهرها : باب النوبهار وباب واخته وباب الحديد وباب الهندوان وباب اليهود ، وباب الشستمن وباب يحيى وعليها سور يشرع منه هذه الأبواب وربضها حسن آخذ من شرقها وجنوبها وغربها وقد حفّ بها ، ومسجد جامعها بالمدينة في وسطها وأسواقها تحفّ بمسجد جامعها وهو مسجد معمور بالناس على مرّ الأوقات وتعاقب الايام والساعات . ولها نهر يسمى دهاس ومعناه يدير عشر أرحية ماراً على باب النوبهار ويسقي رساتيقها الى سياه‌جرد وتحتف بأبوابها كلها البساتين والكروم ، وسور المدينة من طين

وهي مدينة قديمة أزلية تجمع جميع التجارات وتقصد بالأمتعة من سائر الجهات ، وفي أهلها علم ويغلب عليهم الأدب ودقة النظر في الفقه والعلوم الغامضة وقد خرّجت غير رئيسٍ وعُرِفَ من أهلها غير نفيسٍ .

٢٥ — وأما طخيرستان فإن أكبر مدنها الطايقان وهي مدينة في مستواة وبينها وبين الجبل غلوة ، ولها نهر كبير وبساتين وكروم ومقدار الطايقان نحو رُبع بلخ . ثم يليها في الكبر مدينة ورواليز ويلي ورواليز في الكبر اندرابه وهي مدينة في شعب جبالٍ واليها تجمع الفضة التي تقع من جاربايه وبنجهير ، وبها نهران أحدهما يعرف بنهر ابدراب والآخر بنهر كاسان ولها كروم وأشجار كثيرة . وجميع ما بقي من مدن طخيرستان متقارب في الشبه والكبر وجميعها دون الطايقان وورواليز واندرابه ذوات أنهار وأشجار وزروع كثيرة عامرة خصبة .

٢٦ — وأما مدن الختل فإنها كلها ذوات أنهار وأشجار وعلى غاية الخصب ، وجميعها في مستواةٍ مطمئنةٍ في وجه الارض غير سكندره فإنها في جبالٍ على ان الختل بأجمعه جبالٌ إلا الوخش . وأكبر مدينة بالختل منك ثم يليها هلبك والسلطان بهلبك . والخُتّل بين نهر وخشاب ونهر بذخشان ويُدعى خرباب ، وفي أضعافها أنهار كثيرة تجتمع كلها قبل الترمذ بقرب القواذيان فتصير كلها بجيحون . ومنك مدينة تكون نحو اندرايه في القدر ، وهلبك أصغر منها وأبنية هذه المدن من طين وسور منك من جصّ وحجارة . ويليها من دور الكفر وخان وكران . وبذخشان أصغر من منك ولها رساتيق كثيرة عامرة خصبة ، ولها كروم وأشجار وأنهار وهي على نهر خرباب من غربيّه . وبالختل النتاج المشهور بالكثرة والوفور ويجلب منها الخيل والبغال والرميك حسب ما يجلب من طخيرستان ، وإن لم يواز ذلك فدونه . ويرتفع من بذخشان البجاذى الرفيع والحجارة ذات الجوهر النفيس التي تداني الياقوت في الحسن والرونق البديع من الأصباغ الموردة والرمانية والأحمر القانىء الرفيع والخمري الصبغ ، وهي أصل اللازورد ولها معادن كثيرة في جبالها ويرتفع اليها من المسك التبتي على وخان الكثير .

٢٧ — وبنجهير مدينة على جبل وتشتمل على نحو عشرة آلاف رجل ، ويغلب على أهلها الغبث واللعب والفساد ولهم مزارع صالحة ويغلب على نهرهم البساتين . وجاربايه مدينة أصغر من بنجهير وكلاهما معدن للفضة ومقام أهلها على ما يستخرجونه من الفضة وغيرها من اللازورد والجوهر ، وليس بجاربايه بستان ولا زرع ويشق وسط المدينة نهر بنجهير وهو نهر جاربايه وينثني الى فروان حتى يقع في ارض الهند .

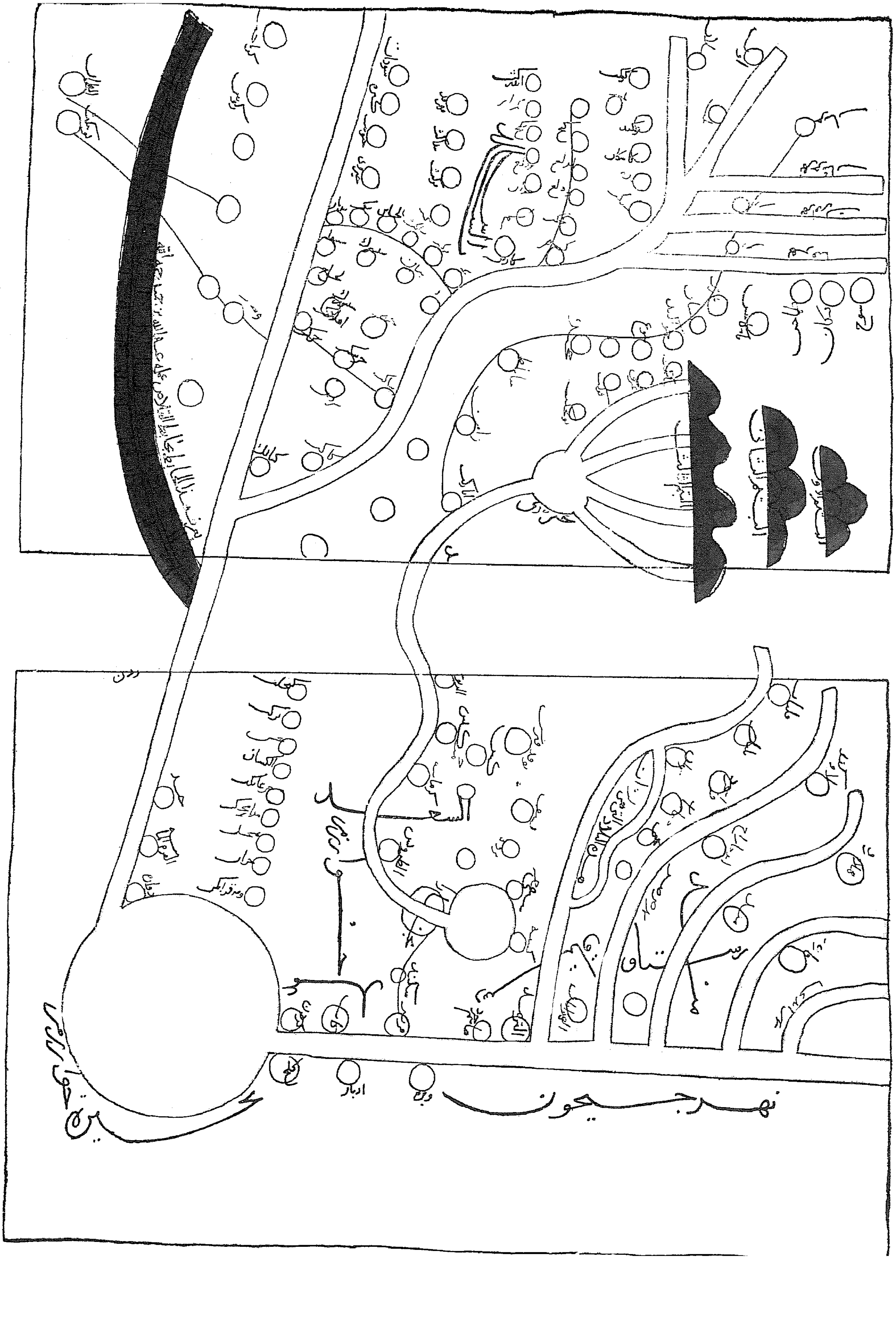
٢٨ — وأما عمل الباميان فأكبر مدنها الباميان وتكون نحو ثلث بلخ في القدر ، وتنسب هذه المملكة الى شير الباميان وليس للباميان حصار وهي على جبل ويجري بين مدنها نهر كبير ويقع الى غرجستان ، وفواكههم تجلب اليهم وليس لهم بساتين وتنقل الثمار من ارسف وغيرها . وليس بنواحي الباميان مدينة على جبل سواها وجميعها ذوات أنهار وأشجار وثمار إلا غزنه فإنه أيضاً لا بساتين بها ولا نهر . وليس بهذه النواحي والمدن التي هي في نواحي بلخ أكثر مالاً وتجارة من غزنه لأنها فرضة الهند ، وإن كانت قد تغيرت في سنة خمس وخمسين بإكباب الحاجب البتكين عليها وإناخة عسكره بها . ومدينة كابل مدينة لها قهندز موصوف بالتحصن والمنعة واليه طريق واحد وفيها المسلمون ولهم ربض فيه الكفار واليهود ، ويزعمون ان الشاهيّة لا يستحقها الملِك إلا بأن يُعقد له المُلك بكابُل وان من كان منها على بعدٍ فيستحق ذلك بالمصير اليها ، وعقد الشاهيّة له هناك على شروط كانت لهم قديمةٍ وقد حفظوا منها التافه اليسير وتمسكوا بالقليل . وهي أيضاً فرضة للهند وطريقها سابل الى كل جهة لهم ويباع بها من النيل في كل حَوْل مما يُعمل بقصبتها وسوادها دون الباقي منه بأيدي التجار على ما يذكره تجارهم بألفي الف دينار وزائد ، والذي شاهدتُ دون ذلك لأسباب جرت من الفتن بدخول الجيش مع الحاجب اليهم ، والخلاف بينه وبين الملوك المجاورين لها ومطالبتهم بما بَعُدَ عهدُ سلَفِهِم به من الضرائب القديمة والكُلَف السالفة، وجباية الأموال الجسيمة كالجزية عن رؤوسهم والأخرجة من بلادهم . ويرتفع من كابل ثياب من القطن حسنة يُعمل منها السَبَنِيّاتُ الفاخرة والشرابيّات المثمنة وتخرج الى

خراسان وتدخل الى الصين وتنبتّ بالسند وأعمالها ، وبها معادن حديدٍ كثيرة . وكابل جروم ولا نخيل بها ويقع في بعض نواحيها ثلج .

١٢٩– ويرتفع من بلخ وأعمالها في نفسها النوق المتقدّمة على سائر ما في جنسها لصحة مراعيها وخلوص نتاجها والبخاتى التي بها فتختار ، غيرَ أن بخت سمرقند أصلب وأشد وأبدن من نوق بلخ ولا نظير لها في جميع الارض . وبها الأترجّ الحسن الفائقُ الكباب والنينوفَر وقصب السُكّر وما لا يكون إلا بالبلدان الحارّة الجروميّة غير انه لا نخيل بها . وبها من انواع النواوير الحسنة المختلفة الاشكال الطيّبة الارائيج والاصباغ ما ليس بكثير من الاماكن كهو . ويقع بها وفي نواحيها الثلوج العظيمة وهي من أكابر بلاد الصرود ويجمد بها الماء . ونجرا وسكاونـد وكابل جروم حارّة غير انه لا نخيل بها، وشاوغر ناحية من وراء جيحون وهي وخوارزم معاً في صفة ما وراء النهر .

٣٠ – وآمُل وزم مدينتان متقاربتان في الكبر على شط جيحون ، وبهما مياه جارية وبساتين وزروع وبهما مجمع طرق خراسان الى ما وراء النهر ، وخوارزم على ساحل جيحون وبحيرة جيحون هي بحيرة خوارزم وبآمُل أعظم معابر خراسان . وزم دون آمل في العمارة إلا أن بها معبراً من ما وراء النهر الى خراسان، ويحيط بهما جميعاً مفازة تتصل من حدود بلخ الى بحيرة خوارزم، والغالب على هذه المفازة الرمال وليس بها عيون ولا انهار وبها أبار ومراعٍ الى ان تنتهي الى طريق مرو الى آمُل ، ثم تصير بينها وبين بلاد الغُزّية مفازة قليلة الأبار والسوائم .

٣١ – وأكثر السوائم بخراسان من الابل بناحية سرخس وبلخ، وأما الغنم فأكثرها ما يُجلب اليهم من بلاد الغُزّية ومن الغور والخلّج . وبخراسان من الدوابّ والرقيق والاطعمة والملبوس مما يحتاج الناس اليه ما يسعهم يُنقل الى سائر الأقطار عنهم . وأما الدواب فأنفسها ما يقع من نواحي بلخ، وأنفس الرقيق ما يقع من بلاد الترك ولا نظير لرقيق الترك في جميع رقيق الارض ، ولا يدانيه في القيمة والحُسن وغير غُلام رأيتُه قد بيع بخراسان بثلاثة آلاف دينار ، وتبلغ عندهم الجارية التركية ثلاثة


نهر جيحون

آلاف دينار ، ولم أر بجميع أقطار الارض من الرقيق ما بلغ هذه القيمة من غلام ولا جارية روميّة ولا مولّدة، ولا سُمع في خبر ولا اثر إلا ما كان معه آلة السماع مع الحذق البارع والأداء الصحيح ، ومن هذا الجنس كثير في دور آل سامان وعند الجلّة والقوّاد من أهل خراسان . وأنفس ثياب القطن والابريسم ما يرتفع من نيسابور ومرو . وأخير لُحمان الغنم وألذّه ما يُجلب من بلاد الغزّية، وأعذب المياه عندي وأخفّها ماء جيحون وذلك أن البرد يُسرّعُ اليه والحمّ في اقرب وقت من الزمان . وأيسر أهل خراسان أهل نيسابور ، وأنجب بلدان خراسان اهل بَلخ ومرو في الفقه والدين والنظر والكلام ، وأزكى اراضي خراسان سقي نيسابور والأعذاء ما بين هراة ومرو الرُوذ . وليس بخراسان جروم إلا ما كان بناحية قوهستان فيما يلي فارس وكرمان وأشدّها برداً وثلوجاً نواحي الباميان وخوارزم وسيأتي على ما تقدّم الذِكرُ له بما وراء النهر .

٣٢ ــ ذكر المسافات بخراسان ، ولم أستقص ذكر المنازل هاهنا والفراسخ لأني بنيتُ الكتاب على بعض التحرير في مثل المواضع المشهورة وقد ذكرتُ جوامع منها إذ كان ذلك غير متعذر على من أراد تقصّي معرفته من كتاب أبي الفرج قُدامة وكتاب الجيهاني وكتاب أبي القسم الكعبي . ومن نيسابور الى آخر حد خراسان فيما يلي قومس الى قرية الأكراد بقرب اسداباذ سبع مراحل ، ومن قرية الاكراد الى الدامغان خمس مراحل . ومن نيسابور الى سرخس ست مراحل ومن سرخس الى مرو خمس مراحل ومن مرو الى آمل على شط نهر جيحون ست مراحل . فالجميع من أول عمل نيسابور مما يلي قومس الى وادي جيحون على السمت ثلاث وعشرون مرحلة . ومن نيسابور الى اسفرايين آخر عمل نيسابور خمس مراحل . ومن نيسابور الى بُوزجان أربع مراحل ومن بوزجان الى بوسنج أربع مراحل ، ومن بوسنج الى هراة مرحلة ومن هراة الى اسفزار ثلاث مراحل ومن اسفزار الى دزق وهو آخر عمل هراة مرحلتان ، ومن دزق الى سجستان سبعة أيام فالجميع من آخر عمل نيسابور على اسفزار الى دزق تسع عشرة مرحلة . ومن نيسابور الى طوس ثلاث مراحل على

الدواب وقد يصعد الناس رجالة من نيسابور العقبة التي نيسابور في سفحها الى طوس في مرحلةٍ . ومن نيسابور الى نسا الى فراوه أربع مراحل ، ومن نيسابور الى قاين قصبة قوهستان نحو تسع مراحل ومن قاين الى هراة نحو ثماني مراحل ، ومن مرو الى مرو الروذ ست مراحل ومن مرو الى هراة اثنتا عشرة مرحلة ، ومن مرو الى ابيورد ست مراحل ومنها الى نسا أربع مراحل ، ومن هراة الى مرو الروذ وهو طريق بلخ ست مراحل ، ومن هراة الى سرخس خمس مراحل وقد مرّ الطريق من هراة الى نيسابور والى آخر حدها مما يلي سجستان والى قصبة قوهستان ، والطريق من بلخ الى مرو الروذ اثنا عشر يوماً ومن بلخ الى شط جيحون في في طريق الترمذ يومان ، ومن بلخ الى اندرابه تسع مراحل ومن بلخ الى الباميان عشرة مراحل ، ومن الباميان الى غزنه نحو ثماني مراحل ، ومن بلخ الى بذخشان ثلاث عشرة مرحلة ، ومن بلخ الى شط الوادي على طريق الختل والنزول برباط ميله لأبي الحسن محمد بن الحسن ماه رحمه الله ثلاث مراحل ، وذلك انه كان نضرّ الله وجهه من أرغب خلق الله في الخيرات واقتناء الصالحات ، وله هذا الرباط وهو أجلّ رباطٍ حسناً في نفسه ونفعاً في موضعه لشدة الحاجة اليه في مكانه وكثرة ضرورة الناس الى الاستغاثة والاستعانة به في المخاوف ، وعند إناخة العدو والثلوج وتوقع المتالف ، وهو حصين في ذاته منيع بعلوّه وسمكه فسيح المباني واسع الأفنية ، لو نزل به عسكر لأقلّه وملك عظيم لستر جيشه وأظله وأكنه هذا الى ما هو أجلّ منه من رباطاته في أقطار ما وراء النهر وبخراسان وما له منها بالقواذيان ومن أحسنها رباطاته بالترمذ مع الجرايات التي على نزّالها والنفقات الدارة على سُكانها من المتفقهة وطلاب العلم ، والبيمارستان الذي اتخذه بالترمذ ووقف عليه من نفائس ضياعه ما يقوم بمُؤنه ورباطاته بشومان وصرمنجي والصغانيان ، وكلٌ منها نفيس في ذاته وعليه الحبس لنفقاته ومؤنه ومَرَمّاته .

٣٣ — وأما عرض خراسان ممن بذخشان على شط وادي جيحون الى بحيرة خوارزم مسافته من بذخشان على شط وادي جيحون في سمت النهر

نحو ثلاث عشرة مرحلة الى الترمذ ، ومن الترمذ الى زم نحو خمس مراحل ومن زم الى آمُل نحو أربع مراحل ، ومن آمُل الى مدائن خُوارزم نحو اثني عشرة مرحلة ، ومن كاث حومة خوارزم الى بحيرتها نحو ست مراحل فيكون الجميع أربعين مرحلة .

٣٤ – وهذا ذكر المسافات بين المدن التي في عملها المشهورة بخراسان وغيرها ، وسنذكر لكل مدينة مشهورة جوامع من المسافات بين المدن التي ما شُهِرَ من أمصارها وَخفِيَ مكانها لقلة الصادر اليها والوارد منها . فإن من نيسابور الى بوزجان اربع مراحل ومن بوزجان عن يسار الجائي من هراة الى نيسابور على مرحلة مالن مدينة وتعرف بمالن كواخرز، وليست بمالن هراة ، ومن مالن الى خايمند مرحلة ومن خايمند الى سنكان يوم ومن سنكان الى ينابذ يومان ، ومن ينابذ الى قاين يومان وسلومك إذا عدلتَ عن يسار سنكان على يومين ، ومن سلومك الى الزوزن يوم ومن الزوزن الى قاين ثلاثة أيام . ومن نيسابور الى ترشيز أربع مراحل ومن ترشيز الى كندر يوم ومن كندر الى ينابذ يومان ومن ينابذ الى قاين يومان . ومن نيسابور الى حسروجرد أربعة ايام وسبزوار قبل خسروجرد بنحو فرسخين . ومن خسروجرد الى بهمناباذ مرحلة كبيرة وبين بهمناباذ وبين مزينان على طريق قومس نحو فرسخ . ومن نيسابور الى خان روان مرحلة ومن خان روان الى مهرجان يومان ، ومن مهرجان الى اسفرايين يومان . وإذا خرجت من بهمناباذ الى مهرجان فإلى ازاذوار يوم ومن ازاذوار الى ديواره يوم ومن ديواره الى مهرجان يومان .

٣٥ – وأما مسافات مدن مرو فإن من مرو الى كشميهن مرحلة وهرمزفره بحذاء كشميهن على مقدار فرسخ عن يسارها ، وعليها طريق مفازة سيفايه التي تؤدي الى خوارزم وباشان قبل هرمزفره بفرسخ على طريقها . وسنج على مرحلة من المدينة فيما بين طريق سرخس وطريق مرو الروذ . وجيرنج على ستة فراسخ من المدينة قبل مدينة زرق بفرسخ على الوادي ومرورم على هذا الطريق على أربعة فراسخ من مرو على الوادي . والدندانقان على مرحلتين من مرو وهي على نفس طريق سرخس ، والقرينين

على اربع مراحل من مرو على وادي مرو . وخرق على نحو ثلاثة فراسخ من المدينة بين طريق سرخس وايبورد ، والسوسقان يسرة خرق غير أنها أبعد منها بفرسخ .

٣٦ – وأما مسافات مدن هراة وما يتصل بها من بوسنج وباذغيس وكنج رستاق فإن من هراة الى اسفزار ثلاث مراحل ، ومدن اسفزار هي أربع مدن وقد سمّيتُها وجميعها في أقل من مرحلة . وبين هراة ومالن هراة يوم وبين هراة وكروخ ثلاثة ايام ، وبين هراة وبوسنج يوم وبين بوسنج وكره أربعة فراسخ عن يسار الذاهب الى نيسابور ، وبينهما وبين الطريق الجادة نحو فرسخ . ومن بوسنج الى فركرد يومان ومن فركرد الى خركرد يومان ، ومن خركرد الى الزوزن يوم . ومن هراة الى باشان هراة مرحلة ومن باشان الى خيسار مرحلة ، ومن خيسار الى استربيان مرحلة ومن استربيان الى ماراباذ مرحلة خفيفة، ومن ماراباذ الى اوفه مرحلة ومن اوفه الى خَشْت يومان، وتدخل من خشت في حدّ الغور . ومن هراة الى بينه مرحلتان ومن بينه الى كيف مرحلة ، ومن كيف الى بَغْشُور يوم .

٣٧ – مسافات مدن بلخ : فمن بلخ الى خُلْم يومان ومن خلم الى ورواليز يومان ، ومن ورواليز الى الطايقان يومان ومن الطايقان الى بذخشان سبعة أيام . ومن خلم الى سمنجان يومان ومن سمنجان الى اندرابه خمسة ايام ، ومن اندرابه الى جاربايه ثلاث مراحل ومن جاربايه الى بنجهير يوم ، ومن عسكر بنجهير الى فروان مرحلتان . ومن بلخ الى بغلان ست مراحل : منها الى سمنجان اربع مراحل والى بغلان مرحلتان ، ومن بلخ الى مذر ستّ مراحل ومن مذر الى كه مرحلة ، ومن كه الى الباميان ثلاث مراحل . ومن الفارياب الى الطالقان ثلاث مراحل ومن الطالقان الى مرو الروذ ثلاث مراحل .

٣٨ – مسافات مدن قوهستان : فمن قاين الى زوزن ثلاث مراحل ومن قاين الى طبس مسينان يومان ، ومن قاين الى خور يوم ومن خور الى خوسب فرسخان ، ومن قاين الى الطبسين ثلاث مراحل ، فهذه جمل مسافات خراسان وتفصيلها .

ما وراء النهر

١ — وأما ما وراء النهر وما يحيط به من شرقيه فقامر والراشت وما يتاخم الخُتَّل من ارض الهند على خط مستقيم ، وغربيّه بـلاد الغُزّيّة والخرلخيّة من حدّ الطراز ممتدًا على تقويس حتى ينتهي الى باراب وستكند وسُغد سمرقند ونواحي بخارا الى خوارزم حتى ينتهي الى بحيرتها، وشماليّها الترك الخرلخيّة من اقصى بلد فرغانة الى الطراز على خط مستقيم، وجنوبيّه نهر جيحون من لدن بذخشان الى بحيرة خوارزم على خط مستقيم ايضاً . وخوارزم والختّل في ما وراء النهر لأن الختّل بين نهر وخشاب وخرباب وعمود جيحون خرباب وما دونه من وراء النهر وخوارزم مدينتها وراء النهر ، وهي الى مدن ما وراء النهر اقرب منها الى مدن خراسان وقد كررتُ ذلك مراراً فيما تقدّم .

٢ — وهذه صورة ما وراء النهر وهي آخر صور الكتاب :

إيضاح ما يوجد من الاسماء والنصوص في صورة ما وراء النهر الموجودة في نسخة كتاب الأصطخريّ المحفوظة في الخزانة البلدية بمدينة هامبورغ :

القسم الاول : قد رسمت في اسفل الصورة في الزاوية اليمنى بحيرة مدوّرة توازي جانبها كتابة بحيرة خوارزم ، ويصب فيها نهر آت من الفوق كتب عن يمينه نهر جيحون ، ويتصل بجانبه الايمن من المدن : ويزه ، اسباس ، كركانج ، ويصب في نهر جيحون خمسة انهار : اولها نهر (باحشو) وتقع بينه والنهر الثاني مدينة (فارغر) وبين الثاني والثالث منك وهلاورد ، وتقطع النهر الثالث كتابة رستاق بيلك ، وبين النهر الثالث والرابع انديجاراغ ولاوكند ، وكتب من اسفل انديجاراغ قاطعاً للنهر نهر صرمنجي ، وينتسب هذا الاسم ايضاً الى المدينة الواقعة بحذاء النهر ، وبين النهر الرابع والخامس من المدن : تمليات ، (هليك) ، واشجرد ، شومان ، (الصغانيان) ، صرمنجي ، (جرمنقان) ، القواذيان ، ويأخذ من النهر الخامس عند شومان

شعبة ترجع من بعد الى العمود ، وكتب بين الشعبة والعمود : هذه البلاد التي هي (لوخشاب) ، وتقطع هذا النهر كتابة رستاق .

وتقع تحت مصب النهر الخامس عن يسار جيحون مدينة الترمذ ثم من اسفلهـا على شط جيحون : هاشم جرد ، فربر ، كاث ، كردر ، وكتب في الساحة عن يسار هـاتين المدينتين عمل خوارزم ، ويأخذ من فربر طريق الى اليسار على بيكند الى بخارا وهي من جانبي نهر يأتي من اليسار ويفضي فوق المدينة الى بحيرة مدوّرة ، ويقع على النهر الى اليسار من المدن : الطواويس ، كرمينيه ، خديمنكن ، الدبوسيه ، وتقطع النهر كتـابة السغد ، ويقع في الساحة فوق النهر من المدن : كش ، نوقد قريش ، نسف ، بزده وعلى طرف البحيرة اسكيفغن وكسبه .

ويصب في بحيرة خوارزم نهر يأتي من اليسار تقع على جانبـه الاعلى : خواره ، القرية الحديثة ، جند ، ويوازي النهر في الساحة التي فوقه من المدن قرية : قراتكين ، خجاده ، نمجكث ، مذيامجكث ، خرغانكث ، الكشانيه ، اشتيخن ، فرنكث ، كينجكث ، ويوجـد تحت النهر في طرف الصورة آخر اسم مدينة كدر .

القسم الثاني : رسمت في القسم الايمن من اعلى الصورة ثلاث سلسلات جبلية كتب عندها البتم الأول ، البتم الثاني ، البتم الثالث ، ويخرج من البتم الثالث اربعة انهار تصبّ في بحـيرة جن ويخرج منها النهر الجاري الى بخـارا في القسم الاول من الصورة ، ويرى فوق النهر في طرف الصورة آخر اسم مدينة سمرقند وتقع عن يساره مدينة اباركث، ويأخذ من هذه المدينة طريق الى اليسار ثم الى الاعلى عليه : زامين ، ساباط ، خجنده ، (كند) سوخ ، خواكنـد ، رشتان ، زندرامش ثم عبر النهر اوش ثم عبر النهر الثاني (اورست) ثم عبر النهر الثـالث خرشاب ويجوز أن هذا الاسم على الصحيح (اوزكد) ، وكتب عند النهر الاول نهر قبا وعنـد النهر الثاني نهر اورست وعند النهر الثالث نهر خرشاب ، ويوازي نهر قبا عن يمينه من المـدن : بامكاخس ، طاخس ، مسكان ، سوخ وهذا الاسم الاخير غلط ولعلّ الصحيح (اسبره) ، ويقع عن يسار أيسر الأنهار الخارجة من البتم الثالث بينه وبين الطريق المذكور من المدن : بومجكث ، فغكث ، غزق ، ارسيانيكث .

وتقع الثلاثة الأنهار المذكورة في نهر يجري الى الاسفل ثم الى اليمين ويصب هذا النهر في نهر آخر يأتي من اوسط طرف الصورة الايسر ويجري الى اليمين الى ان يصب في بحيرة خوارزم في القسم الاول من الصورة . ويوازي هذا النهر عن اسفله سد كتب عنده : يعرف هـذا الحائط بحائط القلاص عمله عبدالله بن حميد رحمه الله ويقع من اسفل هذا الحـائط في الزاوية اليسرى : بذخكث والطراز ومن فوق الحـائط بينه والنهر من اليمين الى اليسار : (جينانجكث) ، (ستوركث) ، (دنفغانكث) ، (بنكث) ، (خاتونكث) ، بركوش ، خركانكث .

ويقع على شط النهر من فوقه من المـدن : تكالك ، حذينكث ، غناج ، (استبيغوا) ، بالايان ، ثم تليها موازياً للنهر : جبوزن ، جبغوكث ، كبرنه ، غدرانك ، ويأخذ من بالايان

طريق الى الفوق منتهياً الى شط النهر الآتي من الفوق وعلى هذا الطريق من المدن بعد بالايان : (نوكث) ، بانجخاش ، سكاكث ، ثم مدينة لا يبين اسمها ، ثم على النهر (تونكث) ، ويقع عن يمين هذا الطريق سامسيرك ، (بسكث) ثم مدينة لا يبين اسمهـا . وفي الساحة عن يمينها : اردلانكث وخمرك ثم خرشكث على الطريق من حذينكث الى بناكث على النهر ، وعن يمين خرشكث (غركنده) وعن يمينها على النهر نجاكث ، ويقع عن يمين النهر بينه وبين النهر المار بسمرقند: (خرقانه) ، (ديزك) ، (ويذار) .

وتوجد في الساحة عن يسار النهر المار على تونكث كتابة بلد الشاش ، ويوازيها من تحتها : (بغنكث) ، فرنكث ، (كذاك) ، (وردوك) ، ويوازي الكتابة من فوقها صف من المدن وهي من اليمين الى اليسار : (خاوس) ، كهسيم ، (خاش) ، نموذلغ ، اربلخ ، (كنكراك) ابرذكث ، ويلي هذا الصف من فوقه صف آخر كأنه كرّر فيه اسماء مدن الصف الاول ، ثم يلي ذلك من الفوق موازيـاً للنهر : اخشيكث ، (كند) ، كاسان ، (غرجند) ، (دخكث) ، (كركث) ، ثم فوق ذلك عبر النهر ثلاث وفوقه على شط النهر التالي : (استياكند) و (اوال).

. . .

إيضاح ما يوجد من الاسماء والنصوص في صورة ما وراء النهر الموجودة في النسخة المرقومه ٢٥٧٧ المحفوظة في خزانة آيا صوفيا باستنبول :

القسم الاول : قد رسم في اسفل الصورة في الزاوية اليمنى قسم من بحيرة خوارزم على شكل ربع دائرة ويصب فيه نهر آتٍ من الفوق كتب عن يمينه المغرب ، وتقع عليه من هذا الجـانب مدينة خوارزم وتقطع النهر فوق ذلك كلمة عمل ، ويقع على شاطئ النهر الايسر ابتـداء من الاسفل من المدن : كردر ، كاث ، فربر ، هاشم جرد ، الترمذ ، ويصب فوق الترمـذ في النهر نهر يأتي من اعلى الصورة وتقع عن يمين ابتدائه مدينة شومان، ثم الى الاسفل صغانيان ويلي هذا النهر نهر آخر عليه مدينة نودز .

ويصب في بحيرة خوارزم نهر آخر يأتي من اليسار ويقع على شاطئه الاسفل من المـدن : باراب ، كدر ، شاوغر ، صبران ، وكتب تحت ذلك موازياً لطرف الصورة بلد الغزّية، ومن فوق هذا النهر : خواره ، القرية الحديثة ، جند ، وسيبج ، سلجى ، ويبتـدىء من فوق مصب هذا النهر سد يوازي النهر ثم يعطف الى الاسفل قاطعاً النهر وكتب من تحته : هذا حائط عبدالله ابن حميد ويعرف بحائط القلاص، ويوازي هذا السد من فوقه من المدن ابتداء من اليمين: بيكند، (مغكان) ، قرية قراتكين ، خجاده ، نمجكث ، مذيا مجكث ، خرغانكث ، الكشانية، اشتيخن ، فرنكث ، كينجكث ، ويذار ، ديزك ، ثم مدينة كأنها ديزك مرة ثانية .

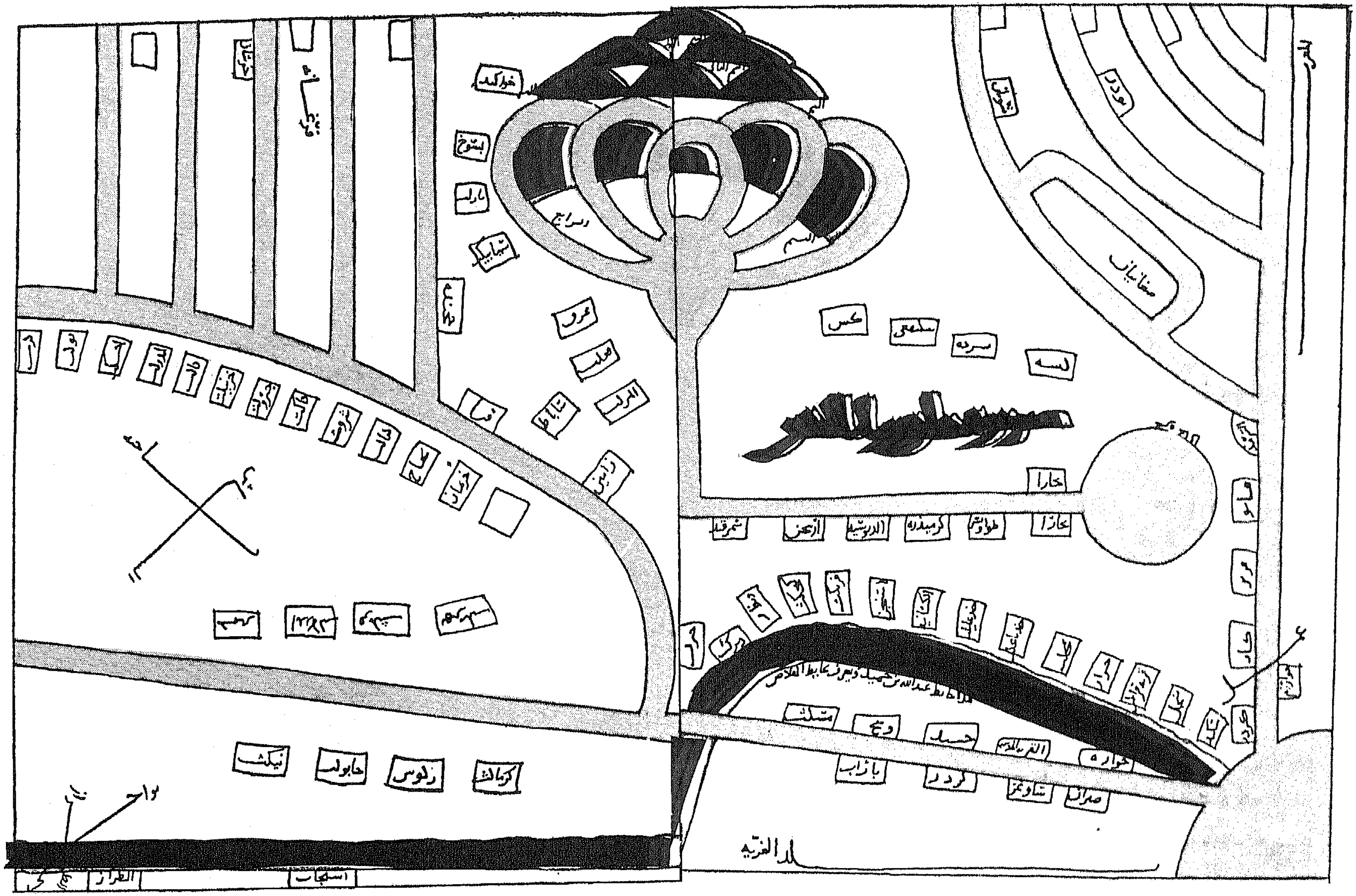
ويوازي ذلك من الفوق نهر يصب من اليمين الى بحيرة بخارا ، وتقع على هـذا النهر من جانبيه مدينة بخارا ثم الى اليسار : طواويس ، كرمينيه ، الدبوسيه ، اربنجن ، سمرقند، وكتب في الساحة من اعلى النهر بحروف كوفية صورة ما وراء النهر ويقع فوق هذه الكتابة من المدن : كسبه ، بزده ، اسكيفغن ، كش .

ويأتي النهر المار بسمرقند وبخارا من ستة أنهار تخرج من جبال مصفوفة على اربعة صفوف يوجد نصفها الأيسر في القسم الثاني من الصورة ، وكتب تحت الجبل الاعلى البتم الاول ، ثم تحت الثاني البتم الثاني ، ثم تحت الثالث البتم الثالث ، وتحت الصف الاسفل البتم الرابع .

القسم الثاني : يوازي طرف الصورة الاسفل باقي حائط القلاص وتقع تحته مدينة اسبيجاب ثم الطراز وكتب عن يسار ذلك على شكل صليبي : نواحي الطراز ، ويقع من فوق الحائط من المدن : خركانكث ، بركوش ، خاتونكث ، بنكث ، ويمر من فوق ذلك النهر الجاري الى بحيرة خوارزم ، ويقع في الساحة فوقه من المدن : (تونكث) فرنكث ، اردلانكث ، خمرك ، وكتب في الساحة فوق ذلك : ناحية الشاش .

ويمر من فوق ذلك نهر يأتي من اوسط طرف الصورة الايسر فينصب في النهر المتقدمَ ذكره، ويقع من اسفل ذلك النهر ابتداء من اليمين من المدن: مرغينان ، غناج ، (نجاكث) ، اشروسنه، (بناكث) ، جيفوكث ، خذينكث ، (سكاكث) ، ابرذكث ، اخشيكث ، (نوكث)، (كركث)، ويتصل بشط هذا النهر مدينتا قبا وزامين وبينهما الى الفوق ساباط، ثم عن يمين ذلك: اباركث، فغكث ، غزق ، ويصب في هذا النهر عن يسار قبا نهر يأتي من الفوق عليه خجنده ويقع فوق ذلك بين النهر وجبال البتم : ارسيانيكث ، (باریاب) ، سوخ ، خواكند ، ويلي النهر المذكور الى اليسار اربعة أنهار كتب بين النهر الثاني والثالث فرغانه وعلى شاطىء النهر الثالث خرشاب.

٣ ــ وما وراء النهر إقليم من أخصب أقاليم الأرض منزلةً وأنزهها وأكثرها خيراً ، وأهله يرجعون الى رغبةٍ في الخير واستجابةٍ لمن دعاهم اليه مع قِبْلة غاية عالية وسلامة ناجية ، وسماحة بما ملكت أيديهم مع شدة شوكة ومنعة وبأس ونجدة وعِدّة وعُدّة وآلة وكراع وبسالة وسلاح وعلم وصلاح . فأما الخصب بها فليس من إقليم ذُكر في هذا الكتاب إلا يقحط أهله مراراً قبل ان يقحط ما وراء النهر مرة واحدة ، ثم إن أُصيبوا ببرد او بحرّ او آفة تأتي على زرعهم وغلّاتهم ففي فضل ما يسلم في عروض بلادهم ما يقوم بأودهم ، حتى يستغنوا به عن شيء يُنقل اليهم من غير بلدهم وليس بما وراء النهر مكان يخلو من مدن او قرى تسقى او مباخس او مراعٍ لسوائمهم . وليس شيء لا بُدّ للناس منه إلا وعندهم منه ما يقوم بأودهم ويفضل عنهم لغيرهم . فأما أطعمتهم في السعة والكثرة فعلى ما ذكرناه ، وأما مياههم فإنها أعذب المياه وأبردها وأخفّها قد عمّت جبالها وضواحيها ومدنها ، هذا الى التمكن من الجمد في جميع أقطارها والثلوج من جميع نواحيها ، وأما الدواب ففيها من النتاج ما فيه كفايتهم على كثرة



ارتباطهم لها ، وكذلك البغال والابل والحمير والأغنام تجلبها ما يفضل عن كفايتهم من الخرلخية ، ولهم من نتـــاج الغنم الكثير والسائمة المفرطة ، وكذلك الملبوس أيضاً فإن لهم من الصوف والقز وطرائف الكرابيس والبزّ ما يفضل عنهم . وببلادهم من معادن الحديد ما يفضل عن حاجتهم وينيف على تجارتهم ، وبها معادن الذهب والفضة والزيبق الذي لا يقاربه في الغزارة والكثرة معدن ما بسائر بلدان الاسلام ، وان كانت معادن بنجهير الوافرة الحظ من هذه الخلال فهي لهم ومضافة اليهم . ولم أعلم ان في شيء من بلد الاسلام النوشاذر إلا في ما وراء النهر حتى رأيتُ منه شيئاً بصقليه ، وليس كنوشاذرهم في القوة . ولهم الكاغد الذي لا نظير له في الجودة والكثرة . وأما فواكههم فإنك إذا تبطنتَ السُغد واشروسنه وفرغانه والشاش رأيتَ من كثرتها ما يزيد على سائر الآفاق حتى ترعاها لكثرتها دوابهم . وأما الرقيق فيقع اليهم من الأتراك المحيطين بهم وبإقليمهم ما يفضل عن كفايتهم ، ويُنقل الى الآفـــاق من بلادهم وهم خير رقيق وأفرههم وأحسن ما يحيط بالمشرق وأكثره ثمناً . ولهم من المسك الذي يجلب اليهم من التُبَّت وخرخيز ما يُنقل الى سائر الآفاق والأمصار فيفوق غيره جوداً وثمناً . ويرتفع من الصغانيـان الى واشجرد من الزعفران والأوبار من السمّور والسنجاب والثعالب وغيرها ما يُنقل الى كل موضع مع طرائف من الخدنك والختو والبُزاة الرفيعة القرطاسية الشهب والدرهمية المغرنقة ، وغير ذلك مما يتنافس به الملوك ويحتاج اليه ويستهديه .

٤ — وأما سماحتهم فإن الناس في أكثر ما وراء النهر كأنهم في دار واحدة ، ما ينزل أحد بأحد إلا كأنه رجل دخل في داره لا يجد المُضيف من طارق يطرقه كراهية بل يستفرغ جهدَه في إقامة أوده ، من غـــير معرفة تقدمت ولا توقّع لمكافأة بل اعتقاداً للسماحة في أموالهم ، وهم كل امرىء على قدره فيما ملكت يده التنوّق والقيام على نفسه ومن يطرقه . وبحسبك أنك لا ترى صاحب ضيعة يستقل بمؤنته إلا كانت همته اقتنـاء قصرٍ فسيح ومنزلٍ للأضياف رحيبٍ ، فتراه عامّة نهاره متنوّقاً في إعداد ما يصلح لمن يطرقه وهو متشوّق الى واردٍ عليه ليكرمه ، فاذا حلّ

بأهل ناحيةٍ طارقٌ تنافسوا فيه وتنازعوه . وليس من أحدٍ يتصرّف بما وراء النهر في مكان به ناس من ضيعة او غيرها بليل او نهار عن مثل هذه الحال . وهم فيما بينهم يتبارون في مثل هذا الشأن حتى يجحف في اموالهم وأملاكهم كما يتبارى سائر الناس في الجمع ويتباهون بالملك والمكاثرة بأموالهم . ولقد شهدتُ آثار منزلٍ بالسُغد معروفٍ بأن قد ضُربت الأوتاد على باب داره ، وصحّ عندي أن بابها مَكَثَ لم يُغلق زيادة على مائة سنةٍ لا يمتنع من نزولها طارق ، وربّما نزل به ليلًا عن بغتةٍ من غير استعداد المائة والمائتان والأكثر من الناس بدوابّهم وحشمهم ، فيجدون من علف دوابّهم وطعامهم ودثارهم ما يغنيهم عن استعمال رحالهم من غير أن يتكلّف صاحب المنزل امراً بذلك او يتجشّم عَناءً، لدوام ذلك منهم ومنه قد أقيم على كل عمل من يستقلّ به وأُعدّ ما يحتاج اليه على دوام الأوقات مما لا يحتاج معه الى تجديد أمرٍ عند طروقهم إياه ، وصاحب المنزل في البشاشة والاقبال والمساواة لأضيافه بحيث يعلم كل من شهد سرورَه بذلك وإيثارَه للسماحة فيما أتاه وتوخّاه . ومع ذلك فإنك لا تجد في بلد الاسلام أهل الثروة إلا والغالب عليهم صرف نفقاتهم الى خاصّ أنفسهم في الملاهي وما لا يرضاه الله ، والى المنافسات فيما بينهم والأشياء المذمومة إلا القليل . وترى الغالب على اهل الاموال بما وراء النهر صرف نفقاتهم الى الرباطات وعمارة الطرق والوقوف على سُبُل الجهاد ووجوه الخير وعقد القناطر ، إلا القليل من ذوي البطالة . وليس من بلد ولا منهل مطروق ولا قرية آهلة إلا وفيها من الرباطات ما يفضل عمن ينزل به ممن يطرقه . وبلغني أن بما وراء النهر زيادة على عشرة آلاف رباط ، وفي كثير منها إذا نزل النازل أقيم علف دابّته وطعامه إن احتاج الى ذلك . وقلّما رأيتُ خاناً او طرف سكّة او محلّة او مجمع ناس الى حائط بسمرقند يخلو من ماءٍ مُسبَّلٍ بجَمَدٍ . وذكر لي من يرجع الى خِبرَةٍ أن بسمرقند ، في المدينة وحيطانها فيما يشتمل عليه السور الخارج ، زيادة على الفي مكان يسقى فيها ماء الجمد مُسبَّل عليه الوقوف ، من بين سقاية مبنيّةٍ وحبابِ نحاسٍ منصوبةٍ وقلالٍ خزَفٍ مُثبَتةٍ في الحيطان مبنيّةٍ.

٥ — فأما بأسهم وشوكتهم فليس في الاسلام ناحيــة أكثر حظاً في الجهاد منهم، وذلك أن جميع حدود ما وراء النهر الى دور الحرب أقرب، ومن ذلك خُوارزم الى ناحية اسبيجاب فهم ثغر الترك الغزّية . وأمـا اسبيجاب الى اقصى فرغانه فتَغَرُ الخرلخيّة ، ثم تطوف حدود مـا وراء النهر من الشقنيّة وبلد الهند من حدّ ظهر الخُتّل الى حدّ الترك في ظهر فرغانه، والمسلمون يقهرونهم وجميع من جاورهم بهذه النواحي، ومستفيض أنه ليس للاسلام دار حرب هم أشد شوكة من الترك وهم ثغر المسلمين في وجه الترك يمنعونهم من دار الاسلام ويصدّونهم عن انتهاكها . وجميع ما وراء النهر ثغور تغزوها الترك ويبلغهم النفير والانذار بالغدوّ والعشيّ ، ومستفاض عمن كان مع نصر بن احمد رحمه الله في غزاة شاوغر يستوفر أنهم كانوا يحزرون ثلاثمائة الف ، وأن أربعة آلاف رجل انقطعوا عن العسكر فضلّوا أياماً قبل أن يتهيّأ لهم الرجوع الى العسكر ، وما كان فيهم من غير ما وراء النهر كثير عددٍ وكانوا يعرفون بأعيـانهم . وفي بعض الاخبار أن المعتصم سأل عبدالله بن طاهر او قيل كتب اليه كتاباً يسأله عمن يمكنه حشده من خراسان وما وراء النهر ، فأنفذ بالكتاب الى نوح بن اسد بن سامان فكتب اليه : إن بخراسان وبما وراء النهر ثلاثمائة الف قرية اذا خرج منها فارس وراجل لم يبن على أهلهم فقدهم؛ وفي هذه الحكاية نظر في وقتنا هذا . ويقال أن بالشاش وفرغانه من الاستعداد والعتاد ما لا يُوصف مثله عن ثغر من الثغور في وقتنا هذا ، حتى أن الرجل الواحد من الرعيّة عنده من بين مائة دابّة الى خمسمائة الى عشرين دابّة وليس بذي سلطان . وهم على بُعد دارهم اول سابق الى الحج بكثرة الأموال وسعة الاحتفال وجودة الجمال ، ولا يدخل البادية مثلهم كثرةً وهم مع ذلك احسن الناس طاعةً لكبرائهم وألطفهم خدمة لعظمائهم وفيما بينهم ، حتى دعا ذلك الخلفاء من بني العباس الى ان استدعوا من اهل ما وراء النهر رجالاً ، وكان الأتراك رجـالهم ، لفضلهم على سائر الجيوش ودهاقينهم أمراء فيهم . وجيوشهم من بين سائر الأجناس في البأس والجرأة والشجاعة والاقدام متقدمون على من سواهم ، ودهاقـين ما وراء النهر

قوّادهم وحاشيتهم وخواصّ خدمهم للطفهم في الخدمة وحسن الطاعة والهيئة في الملبس والزيّ السلطاني ، حتى لصاروا حاشية الخلافة قديماً ورجالها سالفاً ورؤساء عساكرهم كالفراغنة والاتراك الذين كانوا شحنة دار الخلافة، وغلبوا عليها مثل الافشين وابن ابي الساج من اشروسنه والاخشاذ من سمرقند والمرزبان بن كيسفى من السُغد، وعُجَيف بن عَنبَسه من السغد والبخارخذاة وغيرهم من امراء الحضرة وقوّادها وجيوشها .

٦ ـ والملوك على هذا الاقليم وعلى سائر خراسان آل سامان، وهم من أولاد بهرام جوبين الذي سار ذكره في العجم بالبأس والنجدة . وليس بأرض المشرق مُلك أمنع جانباً ولا أوفر عِدّةً ولا أكمل عُـدّة ولا انظم اسباباً ولا اكثر عطيّة ، ولا أدرّ أطماعاً ولا أدوم عشرينيّاتٍ منهم مع قلّة جبايتهم ونزور اخرجتهم وتفه الأموال في خزائنهم . وذلك أن جباية خراسان وما وراء النهر لأبي صالح منصور بن نوح في الوقت الذي كنتُ بنواحيهم محلولاً ومعقوداً، تُحمل في السنة دفعتين في كل ستة اشهر دفعةً عشرون الف الف درهم ، واذا اقتُضيا خراجان كانا اربعين الف الف درهم لامور أوجبت قبضَ ذلك كذلك . فمنها أن الجريب عندهم الصغير خراجه من ربع درهم الى ثلثي درهم الى ثلاثة ارباع درهم . ورأيتُه لنفقاته يُجري الأربعة أطماعٍ في كل سنة دارّةً غير منقطعةٍ ولا ممنوعة، وكلّ طَمَع منها في رأس تسعين يوماً فيخرج اول ذلك الى غلمانه وخاصته وقوّاده ثم الى سائر المتصرفين ، ومبلغ كل طمع خمسة آلاف الف درهم فتستوفى الأربعةُ الأطماعُ الخراجَ الواحد ، ويعم ذلك سائرَ اهل المملكة عند آخر السنة ، وتستوعب اعطيتُهم اكثر جباياته المذكورة عن طيبة نفسٍ ومسرّة وجذَلٍ قلب وغبطة ظاهرة بقوام المعدلة فيهم تامة . ولم يَلِ له ولا لأبيه عملاً ولا خدمهم رجل في سائر النواحي المتقدّم ذكر بعضها إلا وأرزاقه موفرة من هذا المال ، مع المطالبة بما تقتضيه وتوجبه هذه الحال من المعدلة في الرعيّة والنصفة للعامة والأخذ على ايدي الخاصة، ولهذه الحال اعمالهم مشحونة بالقضاة والكُفاة والبنادرة والولاة منزلين على ارزاقٍ تتساوى وأجوالٍ في المواجب تتدانى . وذلك أن رزق القاضي

كرزق صاحب البريد والعامل على جباية الأموال من البنادرة ووالي المعونة رأيتُهم بقدر كل ناحية وحسب كل كورة، وليس ينقص رزق بعضهم عن بعض ولا يزيد ولها عِبَر قديمة ودستورات ورازنامجات. فاذا كان لعامل المعونة بالناحية رسم كان للبندار بها على رسمه، وكذلك فاذا كان للقاضي عطاء كان لصاحب البريد قسط كقسطه ولن يبعُدَ من صاحبيه الأولين بنقصٍ ولا زيادة. ومن ذلك عشرينيات اصحاب البريد بكور خراسان وما وراء النهر وفي ذكرهم ما يدل على حال كل من ذكرناه متصرفاً في أعمالهم.

سمرقند سبعمائة درهم وخمسين	اربنجن ثلاثمائة درهم	اشروسنه ستمائة درهم
خجنده ثلاثمائة درهم	الخُتّل اربعمائة درهم	آمُل وفربر اربعمائة درهم
كورة زم ثلاثمائة درهم	الجرجانيّة ستمائة درهم	مرو تسعمائة درهم
سرخس خمسمائة درهم	ابيورد خمسمائة درهم	باذغيس ثلاثمائة درهم
طُوس ثلاثمائة درهم	الجوزجان ستمائة درهم	الطالقان ثلاثمائة درهم
قوهستان ثلاثمائة درهم	نيسابور ثلاثة آلاف درهم	الصغانيان ثلاثمائة درهم
اشتيخن والكشانية ثلاثمائة درهم	الشاش سبعمائة درهم	ايلاق ثلاثمائة درهم
فرغانه الف درهم	بُست ثلاثمائة درهم	كش ثلاثمائة درهم
خوارزم الف درهم	كنبج رستاق وبغ ثلاثمائة درهم	مرو الروذ ثلاثمائة درهم
بلخ وأعمالها الف درهم	هراة الف درهم	بُوسنج ثلاثمائة درهم
القواذيان مائتا درهم	الترمذ ثلاثمائة درهم	شومان وصرمنجى ثلاثمائة درهم

فإذا قبض أحد المتصرفين المذكورين في البريد درهماً واحداً كان للقاضي مثله اذا كان على تلك الناحية وحاكماً في تلك الجهة، وكذلك لمن تصرّف معهما من البندار وصاحب المعونة. وهذا تمام لما أردتُ به الابانة عن حال دولة اصحاب خراسان ومحلّها في نفسها من الفخم والعظم.

٧ — وليس في الاسلام جيش إلا وهم شُذّاذ القبائل ومُلَفّقة النواحي والبلدان والأطراف، إذا تفرّقوا بهزيمةٍ او تمزّقوا بحادثةٍ لم يلتق منهم جمع بعد ذلك إلا بالحيلة الصعبة والمبالغة في الرغبة والرهبة غير جيش

هؤلاء الملوك ، فإن جيوشهم الأتراك المملوكون رقاً بمالهم وشروى مناطقهم ومن الأحرار والدهاقين من يُعرف داره ومكانه وآله وجيرانه ، فإن قُتل منهم قوم أو ماتوا ففي وفور عددهم ما يفاد من بين ظهرانيهم مثله وإن تفرقوا في حادثةٍ تراجعوا كلهم الى مكان واحد لا يقدح فيهم ما يقدح في سائر عساكر الاسلام . ولا سبيل لهم الى التفرق في العساكر والتنقّل في الممالك كما يكون عليه رسم صعاليك العساكر وشحنة البلدان ، وذلك أنهم غذوا من حُسن السياسة بمحض الرياسة من التفقّد لأحوالهم عند الغيبة عنهم والنظر للبعيد كالقريب منهم ، إن أحْسَنَ لم يُسقَطْ إحسانُه وإن أبْلى لم تؤخّر مكافأته ، وإن اجترم طولب لذنبه وجُرمه وإن أخطأ أُخذ بحوبه وإثمه ، وإن كان نسيباً او قريباً وجب عليه قصاصٌ او قَوَدٌ أُحيل على حكم الله تعالىٰ او بعيداً لزمه حكمٌ او طلبٌ لم يُعْدَل به عن حدود الله تعالى . وإذا اطردت السياسة العقلية صفّت الأمور الكلية وتوفرت المحامد وعلت المنزلة وتأثّل الخدم وأيسر الحشم . ولقد خرج بارس غلام إسماعيل بن أحمد في فتنة عبدالله بن المعتزّ هارباً من احمد بن اسماعيل مولاه لأمر كان إسماعيل حمله عليه وندبه له وعهد اليه عهداً فيه ، وليس هذا موضع ذكره فنزل العراق بعدة هالت السلطان ، والخليفة إذ ذاك المقتدر ، والأمور بعدُ على حالها وأظهر من العُدّة والعدة والآلة والكراع والسلاح والمال والسواد ما لم يكن بحضرة السلطان جيش مثله يوازيه ، ولم يبن على جيش خراسان فَقْدُهُ فأُمِرَ بالمُضِيّ الى الثغر وإنما كان عبداً لهم مملوكاً من جماعة مماليك . وليس في بلدان الاسلام ملوك قد عُرفوا في الملك يتوارثونه بينهم من أيام العجم مثلهم ، وهم من جلّةِ الفُرس مَحتِداً . وذلك ان أبا صالح منصور بن نوح بن نصر بن احمد بن أبي إبراهيم اسماعيل الملك العظيم الخطير المحمود السيرة ، الكثير المناقب والمحاسن والآثار الشريفة والأعمال والأفعال البديعة الرائعة ابن احمد بن أسد بن سامان خُذاه بن جيثمان بن طغماث بن نوشرذ ابن بهرام شُوبين بن بهرام جشنس أعدل ملوك عصره سيرةً وأمثلهم طريقة ، مع ضعفٍ في جسمه وضآلٍ في نفس بنيته وأحزمهم رأياً ،

وأثقبهم في الامور تدبيراً وأصحّهم فيما يَهُمُّ به منها عزيمةً وأصدقهم في ذات الله نيّة وأنظرهم ليومه وغده، فأعماله معمورة وسيرته مشكورة.

٨ — ولم أر ولم أسمع في الاسلام بظاهر بلدٍ أحسن من ظاهر بُخارا لأنك إذا علوتَ قهندزها لم يقع بصرك من جميع النواحي إلا على خضرة تتصل خضرتها بلون السماء، وكأن السماء مكبّة زرقاء على بساط أخضر تلوح القصور فيما بين ذلك كالتراس التبّتيّة والحجَف اللمطيّة، او كالكواكب العُلوية بياضاً ونوراً بين اراضي ضياع مقوّمة بالاستواء مُهَنْدَمة كوجه المرآة بغاية الهندسة. وليس بما وراء النهر من البلاد ولا غيرها من البُلدان أحسن قياماً بالعمارة للضياع منهم، مع كثرة متنزهات في سعة المسافة وفسحة المساحة من أرضهم، وذلك لهم دون غيرهم لأن المشار اليه من متنزهات الارض سُغد سمرقند ونهر الأُبلّة وغوطة دمشق؛ على ان سابور وجُور فارس لا تقصران عن غوطة دمشق، لأنك إذا كنتَ بدمشق ترى بعينيك على فرسخ وأقلّ جبالاً فُراغاً قرعاً من النبات والشجر وأمكنة خالية من العمارة، وأكملُ النزهة ما ملأ البصر وسد الأفق وتناهى في الطيب. وليس بنهر الأُبُلّة ولا بنواحيه مكان يستوقف النظر إلا نحو فرسخ وليس فيه مكان عالٍ ولا له فيدرك النظر اكثر من فرسخ، ولا يستوي المكان المستتر الذي لا يُرى منه مقدار ما يُرى من مكان ليس بمستتر في النزهة، ومكان يستوقف البصرَ منه سعةٌ في العيان وسفرٌ في المنظر ولذةٌ واصلةٌ الى النفس. وسُغد سمرقند فلا نعرف به مكاناً وبلدة اذا علا الناظر قهندزها وقع بصره على جبالٍ خاليةٍ من الشجر او صحراء غبراء، وذلك لأنّ مزارعهم محفوفة بالشجر مشحونة بالخضر. وقد قال ابو عثمان ان غبرة المزارع في أضعاف خضرة النبات من الزينة غير ان الارض الغبرة بالتربة المنتشرة متى عدمت تقويمها من العمارة بالعيان سُلِبَتْ بَهْجَةَ النضرة وبُزّتْ حِليَةَ الزينة، وعدمت حلاوةَ البهجةِ وقعدت بالمتنزه عن اللذة. ويشتمل ما وراء النهر من هذا الأمر على نصيبٍ وافرٍ وقسطٍ زاخرٍ. ولمحيط ببُخارا وقراها ومزارعها سور قُطره اثنا عشر فرسخاً في مثلها كلها عامرة زاهرة ناضرة. وأما

سغد سمرقند فهي أنزه الثلاثة الأماكن الذي ذكرتُ وهي غوطة دمشق ونهر الأُبُلّة ، وقد قال أهل فارس شعب بوّان لان من حد بُخارا على وادي السُغد يميناً وشمالاً ضياعاً تتّصل الى حد البتم ، لا تنقطع خضرتها ولا تتصرّم زهرتها ومقدارها في المسافة ثمانيـــة ايام مشتبكة البساتين والخضرة والرياض والميادين ، قد حُفّت بالأنهار الدائم جريُها والحياض في صدور رياضها وميادينها فخضرة الاشجار والزروع ممتدة على جانبي واديها ، ومن وراء الخضرة عـــن جانبي النهر مزارعها ويحرسها من وراء المزارع مراعي سوائمها وقصورها ، والقهندزات من كل مدينة وقرية منها تبيض في أضعاف خضرتها كأنها ثوب ديباج أخضر قد سُيّر بمجاري مياههـــا ، وزُيّنت بترصيف قصورها فهي أزكى بلاد الله وأحسنها اشجاراً وأعمها وأطيبها ثماراً ، على ان عامّة مساكنهم بالبساتين والحياض والمياه الجارية مرصوفة ، فما تخلو سكة ولا محلة ولا سوق ولا ناحية ولا دار ولا قصبة من نهر جارٍ او بركة واقفةٍ . وبفرغانه والشاش واشروسنه وسائر مـــا وراء النهر من الاشجار الملتفة والثمار الكثيرة والرياض المتصلة ما لا يوجد مثله في سائر الأمصار . وبفرغانه في الجبال الممتدة بينها وبين بلاد الاتراك من الأعناب والجوز والتفاح وسائر الفواكه مـع الورد والبنفسج وأنواع الرياحين مباح ذلك كله ، لا مالك له ولا مانع منه . وفي جبال ما وراء النهر من الفستق المباح ما ليس ببلد غيره ، وباشروسنه ورد وريحان الى آخر الخريف ، وكذلك بالجرزوان من أرض الجوزجان . وفي نواحي خراسان ورد غريب الالوان يوجد الى آخر الزمان من نواوير مختلفة ، فيكون باطن الورقة بلونٍ وظاهرهـــا بغيره من صُفرة مظاهرة بسواد ومن حمرة تخالفها زرقة وكحَلٌ .

٩ – ومما وراء النهر كور عظام وأعمال جسام وفيما يصاقب جيحون كورة بُخارا على معبر خراسان ، ويتصل بها سائر السُغد المنسوب الى سمرقند واشروسنه والشاش وفرغانه وكش ونسف والصغانيان وأعمالهـــا والختل ، ومـــا يمتدّ على نهر جيحُون من الترمذ والقواذيان واخسيسك وخوارزم . فأما باراب واسبيجاب الى الطراز وايلاق فمجموع الى الشاش ،

وأما خُجَنده فمضمونه الى فرغانه ، ويُجمع ما بين واشجرد والصغانيان الى عمل الصغانيان والختل بما وراء النهر ، لأنها بين وخشاب وخرباب وخوارزم حسب ما تقدم ذكرها . وقد كان يُجوز ان تجمع بخارا وكش ونسف كلها الى السُغد، ولكن أفرِدَت لتكون أيسر في التفصيل وأخف وليس في جمع هذه الاطراف بعضها الى بعضٍ ولا في تفريقها كبيرُ دَرَكٍ غير الابانة عما في أعراضها من المدن والانهار ومواقع الكور في صفاتها ، وسآتي بما وراء النهر وأذكره بعد ذكر جيحون .

١٠ — فأما جيحون فعموده نهر خرباب ويخرج من بلاد وخان في حدود بذخشان فتجتمع اليه أنهار في حدود الخُتَّل والوخش فيصير منها هذا النهر العظيم . ومن هذه الأنهار نهر يلي خرباب يُسمَّى باخشوا وهو نهر هلبك ، ويليه نهر بربان ويليه الثالث نهر فارغر ، والرابع نهر انديجاراغ ، والخامس نهر وخشاب وهو أغزرها فتجتمع اليه هذه المياه قبل ارهن ثم تجتمع مع وخشاب قبل القواذيان ، ثم يقع اليه بعد ذلك أنهار تخرج من البتم وغيرها . ومنها أنهار الصغانيان وأنهار القواذيان فتجتمع بقرب القواذيان . وماء وخشاب يخرج من بلاد الترك حتى يظهر في ارض الوخش ويصير في جبل هناك ، فيعبر تحت قنطرة كبيرة ولا يُعلم ماء في حدّ كثرته ثم يضيق مثل ضيقه في هذا الموضع ، وهذه القنطرة الحدّ بين الخُتَّل وواشجرد ثم يجري هذا الوادي في حدود بلخ الى الترمذ ثم على كيلف ثم الى زم ، ثم الى امل حتى ينتهي الى خوارزم والى بحيرتها . ولا ينتفع بماء هذا النهر بالخُتَّل والترمذ الى ناحية زم احد، ويعمر به اهل زم وامل وفربر ثم ينتهي الى خوارزم فيعمر عليه اهلها عامّةَ بقاعهم .

١١ — وأوّل كورة على جيحون مما وراء النهر الخُتَّل والوخش، وهما كورتان غير أنهما مجموعتان في عمل واحد وهما بين خرباب ووخشاب . ومن مدن الخُتَّل : هلبك ومنك وتمليات وفارغر وكاوبنج وانديجاراغ ولمنك رستاق كبير . ومدن الوخش هلاورد ولاوكند، ومنك وهلاورد أكبر من هلبك غير أن مقام السلطان بهلبك . والذي يتاخم الوخش

والخُتّل وخان والشقنيَّة وهما داراكفرٍ ويرتفع منهما المسك والرقيق وبوخان معادن للفضّة غزيرة، وفي اودية الختّل ذهب وتبر كثير يُجمع في السيول يجري من بلاد وخان، وبين وخان والتبّت مسافة قريبة . وأرض الختّل ذات زروع وثمار وهي ناحية على غاية الخصب والسعة وبها من الدوابّ والمواشي الغزير الكثير .

١٢ – ومَن جاز الختّل والوخش الى نواحي واشجرد والقواذيان والترمذ والصغانيان وما في اضعافها فإنها كور مفردة بالأعمال الجليلة والأهل الكثرة من الخاصة والعامة . وأما الترمذ فهي مدينة في نحر جيحون لها قهندز وربض، يحيط بها وبالربض ايضاً سور، ودار الامارة في قهندزها والحبس خارج القهندز في سوق المدينة ، ومسجد الجامع ايضاً والمصلّى داخل السور في الربض، وأسواقها وأبنيتها طين ومعظم سككها وأسواقها مفروشة بالآجرّ ، وهي عامرة آهلة فرضة لتلك النواحي على جيحون وأقرب الجبال اليها على نحو مرحلة وشربهم من ماء جيحون ، ونهر يجري من الصغانيان يجري الى جيحون من تحتها . ولها من المدن: صرمنجى وهاشم جرد ، والقواذيان مدينة لها كورة وهي أصغر من الترمذ بكثير وتسمّى فز ، ولها من المدن نودز وهي مدينة دون القواذيان أيضاً . وواشجرد نحو الترمذ في الحال وشومان أصغر منها . ويرتفع من واشجرد وشومان الى قرب الصغانيان زعفران كثير يُحمل الى كثير من النواحي والبلدان ، ويرتفع من القواذيان الفوّة ويُحمل منها الى بلد الهند الكثير الغزير وللسلطان فيها سهم ، وربما سُعِّرَتْ على من أثارها من الارض وقُبّض عن سهمه عيناً او ورقاً وصارت بأجمعها للسلطان . والصغانيان أكبر من الترمذ والترمذ اكثر أهلاً ومالاً ، وللصغانيان قهندز وهي أصل أبي علي احمد بن محمد بن المظفّر بن محتاج صاحب جيش خراسان ، ولم يُر بخراسان من الأسوارية كهو فضلاً ونُبْلاً وعفّةً وأصلاً في عصره مع رياسةٍ وسياسةٍ ، شهد له الجميع بذلك غير أنه خُتِمَ له بشرٍ فظاهر بالعصيان لصاحبه وبالغ في استئصال نعمه .

١٣ – واخسيسك محاذية لزم ، وزم في أرض خراسان غير ان مجموعهما

بالعمل الى ما وراء النهر ، وهي مدينة خصبة صغيرة والغالب على أطرافها السوائم من الإبل والغنم وعلى ظهر كل نحو منهـا مفازة وأبآر ومراع ومساكن . واما فربر فمدينة لبُخارا موصوفة في جملتها .

١٤ — وخُوارزم اسم الإقليم ، وهو إقليم منقطع عن خراسان وعن ما وراء النهر وتحيط به المفاوز من كل جهة ، وحدّه متصل بحدّ الغزّية مما يلي الشمال والمغرب ، وجنوبيّه وشرقيّه خراسان وما وراء النهر وهي ناحية عريضة وأعمال واسعة ومدن كثيرة ، وهي آخر جيحُون وليس بعدها على النهر عمارة حتى يقع ماء النهر في البحيرة ، وهي ناحيـة على جانبي جيحون ومدينتها الكبرى في الجانب الشمالي من جيحون ، ولها في الجانب الجنوبي مدينة كبيرة تسمى الجُرْجَانيّة ، وهي أكبر مدينـة بخوارزم من بعد قصبتها ، وهي متجر الغزّية ، ومنها تخرج القوافل الى جرجـان وكانت قوافلهم تخرج الى الخزر على مر الايام والى خراسان . وبخوارزم من المدن سوى القصبة . درغان وهزاراسب وخيوه واردخشميثن وسافردز ونوزوار وكردران خواش وكردر وقرية قراتكين ومذمينيـه ومزداخقان والجرجانية .

١٥ — وقصبتها فكانت تعرف بكاث درخاش فهلكت واتخذ أهلهـا بجوارها غيرها كالجرجانية ، وكان لكاث قصبتها قهندز مع المدينة فخرّبها النهر وقد أتى عليهما والجامع الذي كان على ظهر القهندز فلم يبق منهما رسم ولا طلل . وكان في وسط المدينة نهر يسمّى خركرور يشق المدينة والسوق وكانت المدينة على جانبي هذا النهر وطولها نحو ثُلث فرسخ في مثله ، وكانت أسواقها عامرة وتجاراتها دارّةً زاجيةً .

١٦ — واول حد خوارزم يسمّى الطاهرية مما يلي آمل موضع تمتد فيه العمارة من جنوبي جيحون ، وليس في شماليّـه عمارة حتى ينتهى الى قرية غارانخشه ، ثم يكون من غارانخشه الى مدينة خوارزم عامراً من جانبي جيحون جميعاً وقبل غارانخشه بستة فراسخ نهر يأخذ من جيحون فيه عمارة الرساتيق الى المدينة ، ويُعرف هـذا النهر بنهر غاوخواره وتفسيره أكل البقر ، وهو نهر عرضه نحو خمسة ابواع وعمقه نحو قامتين يحمل السفن

ويتشعّب من غاوخواره بعد أن يجري خمسة فراسخ نهر يسمّى كزنه فيُعمر به بعض الرساتيق . وليس للعمارة على شط جيحون من نحو الطاهريّة الى هزاراسب كبير عرضٍ ، ويعرض الماء بهزاراسب فيصير نحو مرحلة الى مقابل المدينة ثم لا يزال يضيق حتى يصير بالجُرجانيــة نحو فرسخين ، ثم ينتهي الى قرية تسمّى كيث على خمسة فراسخ من كركانج ، وهي قريـة بقرب جبل وليس في العرض عمارة غيرها ووراء هذا الجبل المفازة . ومن هزاراسب الى سائر ما على غربي جيحون انهار كثيرة : منها نهر هزاراسب يأخذ من جيحون مما يلي أمل وهو نحو نصف غاوخواره وتعمل فيـــه السفن، ثم على نحو فرسخين من هزاراسب، نهر يعرف بكردران خواش وهو أكبر من نهر هزاراسب ، واليه نهر خيوه ونهر اكبر من كردران خواش ، وتجري فيه السفن الى خيوه ، وبعده نهر مذرى وهو اكبر من غاواخواره مرّتين تجري فيه السفن الى مــذرى ونهر خيوه على نحو ميل من نهر مذرى . ومن نهر مذرى الى نهر وذاك وتجري فيه ايضاً السفن الجرجانية ، وبين نهر وذاك ونهر مذرى نحو ميـــل ومن نهر وذاك الى مدينة خوارزم نحو فرسخين . وأسفل من المدينـة في ناحية الجرجانية نهر يسمّى بوه ، فيجتمع بوه وماء وذاك في حـد قرية تُعرف باندرستان أسفل منها الى ما يلي الجرجانية، ووذاك أكبر من بوه وتجري فيه السفن الى الجرجانية على غلوة ، ثم يكون هناك سكر يمنع السفن . ومن مجتمع ذين المائين الى الجرجانية نحو مرحـلة ، وبين نهر غاوخواره والمدينة اثنا عشر فرسخاً ، وعرض نهر خوارزم عند المدينة فرسخان . ولكردر نهر يأخذ من اسفل مدينة خوارزم على اربعة فراسخ من اربعة مواضع متقاربة ، فيصير نهراً واحداً مثل بوه ووذاك اذا جُمعا . ويقال أن جيحون كان مجراه قديماً في هذا الموضع ، واذا قلّ ماء جيحون ثقل الماء في هذا النهر . وكيث يحاذيها في الجانب الشمالي المدينة المعروفـــة بمذمينيه وهي من جيحون على اربعة فراسخ ، غير أنها من الجرجانية وإنما صار هكذا لأن النهر تحوّل من كردر فقطع ما بين كيث ومذمينيه وليس على الشط بعد مذمينيه عمارة . وبين كردر وجيحون رستاق مزداخقان

وبين مزداخقان وجيحون فرسخان ، وهي تحاذي الجرجانية ولكل قرية بكردر والى المدينة نهر يرتفع من جيحون اليها ، وجميع هذه الأنهار بأسرها منه . ثم ينتهي جيحون الى بحيرة خوارزم بموضع فيه صيادون وليس به قرية ولا ابنية ويُعرف هذا الموضع بخلنجان ، وعلى شط هذا البحر من مقابل خلنجان ارض الغُزّية ، فاذا كان الصلح والهُدنة جاؤوا من هذا الجانب الى قرية قراتكين ومن الجانب الآخر الى الجرجانية وجميع الناحية ثغر . وفي نهر جيحون قبل ان يبلغ نهر غاوخواره بنحو مرحلة جبل يقطع جيحون في وسطه قطعاً ، ويضيّق الماء هناك حتى يعود عرض جيحون الى نحو الثلث منه ، ويُعرف هذا الموضع بأبوقوشه وهو موضع يخاف على السفن فيه من شدة جريه والهوْر الذي عند مخرجه .

١٧ — وبين الموضع الذي يقع فيه نهر جيحون وبين الموضع الذي يقع فيه نهر الشاش من هذه البحيرة نحو عشرة أيام . ووادي جيحون ربما جمد في الشتاء وتعبر عليه الأثقال والبغال والأحمال والجمال ، ويبتدىء جموده من ناحية خوارزم حتى يعلو الى حيث انتهى الجمد ، وكلما علا كان البرد أشد والماء أجمد ، وأبردُ ما على جيحون من البقاع خوارزم . وعلى شط بحيرة خوارزم جبل يُعرف بجغراغر يجمد عنده الماء ويبقى سائر الصيف وله أجمة قصباء . ودور بحيرة خوارزم نحو مائة فرسخ على ما يتواطأ عليه أهل الخبرة بها ، وماؤها مالح وليس لها مغيض ظاهر يقع فيها نهر جيحون ونهر الشاش وغير ذلك من مياه تلك النواحي فلا يعذب ماؤها ولا يزيد فيه على صغرها . ويشبه والله أعلم ان يكون بينها وبين بحر الخزر خرق فيتصل ماؤها بماء بحيرة الخزر ، وقد ذكر قوم ذلك ولم أقف له على حقيقة ؛ وبين البحيرتين نحو عشرين مرحلة على السمت .

١٨ — وخوارزم ناحية خصبة كثيرة الأطعمة والحبوب والفواكه غير أنه لا جَوز بها ، ويرتفع منها من ثياب القُطن والصوف أمتعة كثيرة تصل الى الآفاق . وفي خواص أهلها يسار وقيام على أنفسهم بالمروؤة الظاهرة ، وهم أكثر اهل خراسان انتشاراً وسفراً . وليس بخراسان مدينة

كبيرة إلا وفيها من اهل خوارزم جمع كثير . ولسان أهلها مُفرد بلغتهم وليس بخراسان لسان على لغتهم . وزيهم القراطق والقلانس المعوّجة ولهم في تعويجها زيّ ورسم . وخلقهم لا يخفى فيما بين اهل خراسان ولهم بأس على الغُزّيّة ومنعة ، وليس ببلدهم معدن ذهب ولا فضة ولا شيء من جواهر الارض ، وعامّة يسارهم من متاجرة الأتراك واقتناء المواشي وأكثر رقيق الصقالبة والخزر وما والاهما مع رقيق الأتراك والأوبار من الفنك والسمّور والثعالب والدلق وغير ذلك من أصناف الأوبار فعندهم مُحط ّ وبهم ينزل . ولهم تجار يدخلون الى نواحي ياجوج وماجوج لاستخراج الخزوز والأوبار ، وقلما يدخل لهم ذو لحيةٍ اليهم وأكثرهم خفيفو العوارض والأسبلة ، وأهل الغاف من ياجوج وماجوج مُرد جُرد فإذا دخل اليهم ذو لحيةٍ كثّاء نتفها الملك الذي يدخل بلده من نسل ياجوج وماجوج ، ثم أحسن الى التاجر الذي نتف لحيته وأغناه ؛ وهذا ما على جيحون من الكور .

١٩ – وبُخارا فيها دار الامارة على جميع خراسان وهي مستقيمة على رصيف كور ما وراء النهر ثم يتبعها ما يتصل بها . واسمها بومجكث وهي مدينة في مستواة وبناؤها خشب مشبّك ، ويحيط بهذا البناء المشتبك من القصور والبساتين والمحالّ والسكك المفترشة والقرى المتّصلة ما يكون اثني عشر فرسخاً في مثلها ، ويحيط بأجمعها سور يجمع هذه القصور والأبنية والقرى والقصبة ولا يُرى في أضعاف ذلك كله قفار ولا خراب ولا بور ومن دون هذا السور على خاصّ القصبة ما يتّصل بها من القصور والمساكن والمحال التي تعد من القصبة ، ويسكنها من يكون من اهل القصبة شتاءً وصيفاً . ومن دون هذا السور سور آخر نحو فرسخ في مثله ، ولها مدينة داخل هذا السور يحيط بها سور حصين، ولها قهندز خارج المدينة متصل بها وهو في مقدار مدينة صغيرة وفيه قلعة ومساكن ولاة خراسان من آل سامان في هذا القهندز . ولها ربض عريض طويل ومسجد الجامع بها على باب القهندز في المدينة والحبس بها في القهندز وأسواقها في ربضها ، وليس بخراسان وما وراء النهر مدينة اشد اشتباكاً من بُخارا

ولا اكثر اهلاً على قدرها منها وفي الربض منها نهر السغد يشقّ الربض وأسواقها وهو آخر نهر السُغد ويصير بها الى طواحين وضياع ومزارع ويسقط الفاضل منه في مجمع ماء يجاور بيكند ويقارب فربر يُعرف بسام خاش ، ولبخارا سبعة ابواب حديد : منها باب يُعرف بباب المدينة ، وباب يعرف بباب نور ، وباب يعرف بباب حفره ، وباب يعرف بباب الحديد ، وباب يعرف بباب القهندز ، وباب يعرف بباب بني أسد وهو باب مهر ، وباب يعرف ببني سعد . ولقهندزها بابان احدهما يعرف بالريكستان والآخر بباب الجامع يشرع الى مسجد الجامع . وعلى الربض دروب فمنها درب يخرج الى خراسان يُعرف بدرب الميدان ، وباب يلي المشرق ويُعرف بدرب ابراهيم ويلي هذا الدرب درب يُعرف بالريو ، ويليه درب يُعرف بالمردكشان ، ويليه درب كلاباذ وهذا الباب وباب مُردكشان يُخرج منهما الى نسف وبلخ ، ويلي درب كلاباذ درب النوبهار ، ويليه درب سمرقند فيفضي الى سمرقند وسائر ما وراء النهر ، ويلي درب سمرقند درب بغاشكور ثم يليه درب الراميثنه ثم يليه درب جدسرون ، وهو المفضي الى طريق خوارزم ويليه باب غشج . وفي وسط الربض على اسواقها دروب منها باب الحديد ، ويليه باب قنطرة حسّان ، ويليه بابان عند مسجد ماخ ويليهما باب يُعرف بباب رخنه ، ويليه باب عند قصر أبي هشام الكناني ويليه باب عند قنطرة السويقة ، ويليه باب فارجك ويليه باب دروازجه ويليه باب سكة مغان ويليه درب سمرقند الداخل .

٢٠ — وليس في مدينتها ولا في قهندزها ماء جارٍ لارتفاعها ، ومياههم من النهر الأعظم الجاري من سمرقند ويتشعّب من هذا النهر في المدينة أنهار : منها نهر يُعرف بنهر فشيرديزه فيأخذ من نهر بُخارا في مكان يعرف بالورغ فيجري في درب المردكشان على جوبار إبراهيم حتى ينتهي الى باب البلعميّ ويقع في نهر نوكنده ، وعلى هذا النهر نحو الفي بستان وقصور وأراض كثيرة شربها منه ومن فم هذا النهر الى مغيضه نحو فرسخ ، ونهر يُعرف بجوبار بكار يأخذ من النهر المذكور آنفاً في وسط المدينة بموضع يُعرف بمسجد أحيد ويغيض بنوكنده ، وعلى هذا النهر شرب بعض الربض

ونحو الف دستان وتغرس عليه الاشجار الآن لفسحة مائه وسعة اراضيه ؛ ونهر يُعرف بجوبار القواريريين يأخذ من النهر في المدينة بموضع يُعرف بسجد العارض فيسقي بعض الربض ، وهو أغزر وأعمر للأراضي من نهر بكار ؛ ونهر يعرف بجوغشج يأخذ من النهر عند مسجد العارض ، فيسقي بعض الربض حتى يخرج الى نوكنده وهو نحو جوبار العارض ؛ ونهر يُعرف بنهر بيكند يأخذ من النهر في المدينة عند رأس سكة ختع ، فيسقي بعض الربض ويغيض بنوكنده؛ ونهر نوكنده يأخذ من النهر عند دار حمدونه وهو مغيض للمياه ، وعليه شِرب بعض الربض ويغيض في المفازة وليس عليه شرب لأحد ؛ ويليه نهر الطاحونة فيأخذ من النهر في المدينة بموضع يُعرف بالنوبهار وعليه بيوت بعض اهل الربض ، ويدير أرحية كثيرة حتى ينتهي الى بيكند ومنه شِرب أهل بيكند؛ ونهر يُعرف بنهر كشنه يأخذ من النهر في المدينة عند النوبهار وعليه شرب اهل النوبهار من الربض ، فيفضي الى حصونٍ وضياعٍ كثيرةٍ وبساتين حتى يجاوز كشنه الى ما يمرغ ؛ ونهر يُعرف بنهر رباح يأخذ من النهر المعروف بالريكستان فيسقي بعض الربض ، وينتهي الى قصر رباح فيسقي نحو الف بستان وقصور هناك وأراضٍ كثيرة دون البساتين ؛ ونهر الريكستان يأخذ من النهر بقرب الريكستان ومنه يشرب أهل الريكستان وأهل القهندز ودار الامارة حتى ينتهي الى قصور جلال ديزه ؛ ونهر يأخذ من النهر في المدينة بقرب قنطرة حمدونه تحت الارض الى حياضٍ بباب بني أسدٍ وتقع فضلته في فارقين القهندز ؛ ونهر يُعرف بنهر زغاركنده يأخذ من النهر بمكان يُعرف بورغ فيجري على باب دروازجه ، وعليه بيوت دروازجه الى باب سمرقند حتى ينتهي الى سبيذماشه ويجاوز ذلك بنحو فرسخ وعليه قصور وبساتين وأراضٍ كثيرة ؛ وهذه الأنهار طائفة ببجارا وأجنّتها .

٢١ — ولها رساتيق كثيرة ونواحٍ فاخرة نفيسة وأعمال جليلة وضياع فاخرة ليس مثلها لأهل بلدٍ بوجه ولا بسبب ، وان كان لأهل ناحيةٍ وإقليمٍ من الأقاليم ما يضاهي بعضها فليس كهي على وفورها وغزورها ،

ومنها الذر وبرغيذر وستجن ورستاق الطواويس ، وبردق وخرغانه السفلى ونقرينه ونجارختفر ورستاق كاخشتوان وانديان كنديان وساجن ما وراء وساجن ما دون وفراوز السفلى وفراوز العُليا واروان ؛ وجميع هذه الرساتيق داخل حائطها المحيط بعملها كالسور عليه ، ومن خارج هذا الحائط خذه وشابخش ونشر وهو رستاق كرمينيه وخرغانه العليا ورستاق غرقند وبيكند وفربر .

٢٣ — والنهر الواصل الى بخارا من نواحي سمرقند فاضلة من جبال البتم ويُعرف بنهر السُغد وبالسُغد وسمرقند يُعرف بنهر بخارا ، وينشعب منه في حدّ بخارا خارجاً عن القصبة قبل الحائط الخارج بناحية الطواويس الى ان ينتهي الى باب المدينة أنهار كثيرة تتفرّق في القرى والمزارع التي يشتمل عليها الحائط وعليها عمارة قرى بخارا ، فمنها نهر يعرف بشافرى كام فيأخذ من النهر فيسقي القرى حتى ينتهي الى وردانه ومنه شربهم ؛ ونهر يعرف بخرْغان روذ يأخذ من النهر فيسقي القرى حتى ينتهي الى زاوش وعليه شربهم ؛ ونهر يعرف بنجارختفر فيأخذ من النهر فيسقي القرى حتى ينتهي الى خرميثن ومنه شربهم ؛ ونهر يعرف بنهر جرغ يأخذ من النهر الى جرغ قرية حسنة ومنه شربهم ويعود الفاضل في النهر . ونهر يعرف بنُوكنده ياخذ من النهر فيسقي القرى حتى ينتهي الى فرايه وعليه شربهم ؛ ونهر يعرف بنهر برخشه فيأخذ من النهر ويسقي القرى حتى ينتهي الى برخشه ومنه شربهم ؛ ونهر يعرف بنهر كشنه يأخذ من النهر فيسقي القرى حتى ينتهي الى كشنه وعليه شربهم ؛ ونهر يعرف بنهر الراميثنه يأخذ من النهر فيسقي القرى حتى ينتهي الى الراميثنه ومنه شربهم ؛ ونهر يعرف بفراوز السفلى فيأخذ من النهر فيسقي القرى حتى ينتهي الى باريابه ومنه شربهم؛ ونهر يعرف باروان فيأخذ من النهر فيسقي القرى حتى ينتهي الى بانب وعليه معوّلهم في شربهم؛ ونهر يعرف بفراوز العليا فيأخذ من النهر فيسقي القرى حتى ينتهي الى ديوقان ومنه شربهم ، ونهر يعرف بنهر خامه فيأخذ من النهر فيسقي القرى حتى ينتهي الى خامه ومنه شربهم؛ ونهر يعرف بنهر نوكنده فيأخذ من النهر فيسقي القرى حتى

ينتهي الى نوباغ الأمير ومنه شربهم ؛ وما فضل من ماء نهر السُغد الذي يأخذ منه هذه الأنهار فإنه يجري في نهر يعرف بالذر ، وهو النهر الذي يسقي ربض بخارا والربض عليه ، ومنه أنهار المدينة المتقدّم ذكرها . وأكثر هذه الانهار تحمل السفن كثراً وغُرزَ ماءٍ وجميعها يأخذ من داخل حائط بُخارا من حد الطواويس الى ان ينتهي الى المدينة .

٢٣ ــ وجميع ابنية بخارا كلها على اشتباك البناء والتقدير في المساكن وارتفاع اراضي الابنية فهي محصّنة بالقهندزات والاجتماع . وليس في داخل هذا الحائط جبل ولا مفازة ولا ارض غامرة . وأقرب الجبال اليها جبل وركه ومنه حجارة بلدهم للفرش والابنية ، ومنه طين الأواني والنورة والجص ولهم خارج الحائط ملاّحات ، ومحتطبهم من بساتينهم وما يُحمل اليهم من المفاوز من الغضا والطرفاء . وأراضي بخارا كلها قريبة الى الماء لأنها مغيض ماء السغد ولذلك لا يثبت الاشجار العالية فيها مثل الدُلب والجوز وما اشبهها ، واذا كان من هذا الشجر شيء فهو قصير غير نامٍ ، وفواكه بخارا أصح فواكه ما وراء النهر وألذ طعماً . ومن عمارة بخارا أن الرجل ربما قام على الجريب الواحد من الارض فيكون فيه معاشه وكفافه مع جماعةٍ من شَمْله وعدّةٍ من أهله . ومن كثرة عددهم واتساع نفقاتهم أنّ ما يرتفع من بلادهم يقصر عن كفايتهم لوفورهم وتضاعفهم ، على ما يخرج من ارضهم فتُحمل اليهم المَيرُ من الطعام وسائر ما يحتاجون اليه من سائر ما وراء النهر . والجبل المتصل قتره بقرية وركه فهو جبل يمتد الى سمرقند فيما بين كش وسمرقند ، حتى يتصل بجبال البتم عاطفاً على اشروسنه في عِرض فرغانه ، وحتى يخرج من ناحية شلجى والطراز ثم يمتد فيما اختبرته أنا ، ومن سلك ذلك الطريق معارضاً لقصد من اراد المشرق الى بحر الصين . والمعادن التي باشروسنه وفرغانه وإيلاق وشلجى ولبان الى ارض خرخيز كلها في عمود هذا الجبل وما يتصل به من الجبال . والنوشاذر الذي في عمل البتم والزجاج والحديد والزيبق والنحاس والآنك والذهب والفضة ، والنفط والقير والزفت والفيروزج والنوشاذر الذي بفرغانه والحجارة التي ذكرتها تُحرق عوضاً من الفحم بها ، والثمار التي

تقدّم ذكرها بفرغانه فكل ذلك من هذا الجبل في سفحه او سنامه او ما يتصل به من رباه ووهاده . وبه بناحية البتم وجبال الزابج من نواحي سمرقند مياه حرٌ وبردٌ غير ان فيه عيون ماء يجمد في الصيف اذا اشتد الحرّ وقاظت السموم ، حتى يصير الجَمَد كالأعمدة وينقطع جري مياهها ويكون مياهها في الشتاء حارّة ، وتأوي اليها السوائم لدفائها ودفاء اسقاعها وبقاعها في اوديتها .

٢٤ — ولبخارا مدن في داخل حائطها وخارجة عنه ، فأمّا داخله فالطواويس وهي أكبر منبر لها ، ونجكث وزندنه ومغكان وخجاده وهي كلها من داخل الحائط ، ومن خارجه بيكند وفربر وكرمينيه وخديمنكن وخرغانكث ومذيامجكث . فأما الطواويس فكان لهم سوق ومجمع عظيم ينتابه الناس من أقطار أرض خراسان في وقت معلوم من السنة ويرتفع منها من ثياب القطن ما يُحمل منه لكثرته الى العراق وهي مدينة كثيرة البساتين والماء الجاري خصبة ، وفيها قهندز والمدينة عليها حصار ومسجد جامعها في المدينة . وجميع المدن التي داخل الحائط فمتقاربة في القدر والعمارة ، وبجميعها قهندزات عامرة وأسواق جادة وبساتين كثيرة ومجامع عظيمة ، وعلى كل واحدة منها حصار حصين . وكرمينيه أكبر من الطواويس وأعمر واكثر عدداً وأخصب . وخديمنكن من كرمينيه وهي في ضمنها وتحادها خرغانكث ومذيامجكث والعمارة فيها متقاربة او لاحقة بالسوية . ولكرمينيه قرًى كثيرة وكذلك لكل منبر من هذه المدن كور وقرى ومزارع إلا بيكند فإنها وحدها لا شريك لها في الانفراد من الاعمال ، وبها من الرباطات ما ليس ببلدان ما وراء النهر كهو او ما يقاربه . ويقال ان بها نحو الف رباط ، ولها سور حصين ولها مسجد جامع قد تنوّق فيه وفي بنيانه وزخرف محرابه وليس بما وراء النهر أحسن زخرفة منه . وفربر مدينة من جيحون قريبة ولها قرى عامرة ، وهي في نفسها خصبة مقصودة بفاخر المطاعم والمآكل اللذيذة الطيبة .

٢٥ — ولسان بخارا لسان السغد غير انه يحرّف بعضه ولهم لسان بالدريّة . وأهلها يرجعون من الأدب والعلم والفقه والديانة والامانة وحسن

السيرة وجميل المعاملة وقلة الشر وإفاضة الخير ، وبذل المعروف وسلامة النية ونقاء الطوية الى ما يفضلون بــه على سائر من بخراسان . ونقودهم الدراهم والدنانير كالعَرَض ولهم دراهم يسمّونها الغطريفية ، وهي دراهم من حديد وصُفْر وآنُك وغير ذلك من الاخلاط بجواهر مختلفة قــد رُكّبَتْ ، ولا تجوز هــذه الدراهم إلا ببخارا ومواضع مختصة خلف النهر . ومنها دراهم تعرف بالمحمدّية والسكّة عليها فيهــا صورٌ مصورة بحروف غير مقروؤةٍ وعلاماتها معروفة ، وهي من ضرب الاسلام وعَمَل السلف من آل أسَد بن سامان . ومنها شيء يعرف بالمسيبيّة وهي من ذخائرهم ويفضّلون الجميع على الدراهم الورق الاسماعيلية ، وكان ابو إبرهيم رأى اتخاذ الفضّة أولى من هذه الدراهم فهو المبتدىء بضربها بمــا وراء النهر ، ويتبايعون بالفلوس . ويغلب على زيهم الاقبية والقلانس كزي من وراء النهر في الملبوس . وداخل الحائط وخارجه أسواق متصلة معلومة في اوقات من الشهر ، دارّة لمواعيد تجري فيها للشرَى والبيع في المواشي والثياب والرقيق وسائر الامتعة من الصُفر والنُحاس والاواني واسباب القِنْية مما يتّسع به أهلها ، ويرتفع من بخارا ونواحيها ما يحمل الى العراق وسائر البقاع ثياب تعرف بالبخارية كرابيس ثقال الاوزان غليظة السلك مُبرَمة الغزل ، فيرغب العربُ فيها وكذلك البُسط وثيابٌ من الصوف للفرش في غاية الحسن ومقاعد ومصليات محاريب .

٢٦ — ويتحدث اهل بخارا على قديم الايام بطريف من أحاديثهم ، وهو أنهم يتفاوضون عن غير خلاف ان من بَرَكَة قلعتهم وقهندزهم انه ما أُخرج منها جنازة والٍ قط ، ولا عُقد فيه لواء ولا راية خرجت منه فهُزِمَتْ أبداً ، وهذا من الاتفاق العجيب . ويقال ان اصل بخــارا في قديم الايام ناقلة اصطخر . ومسكن وُلاة خراسان من آل سامان بخارا لانها اقرب مدن مــا وراء النهر الى خراسان ، ومن كان بها فخراسان أمامه وما وراء النهر عن ظهره . ولهم من حسن الطاعــة وقلة الخلاف للولاة ولزوم ما هم بسبيله من متصرفاتهم ما يؤدي الى اختيار المقام بينهم على محاسن من بسائر ما وراء النهر . وكان اول من اتخذها داراً وجعلها

قراراً من آل سامان ابو إبرهيم إسماعيل بن أحمد تجاوز الله عنه ، فإنه جاءته ولاية خراسان وهو مقيم بها فتبرّك بعرصتها واستدام المقـام بها واستلذه واستمرأه ، وبقيت الولاية بها في اولاده وكان ولاة ما وراء النهر مقيمين قبل ذلك إما بسمرقند او بالشاش وفرغانه ، وكان ولاة بخارا يردون مفردين من خراسان الى ان زالت ايام الطاهرية .

٢٧ — وأما خجاده فهي عن يمين الذاهب من بخارا الى بيكند على ثلاثة فراسخ وبينها وبين الطريق نحو فرسخ . ومغكان على خمسة فراسخ عن يمين طريق بيكند وبينها وبين الطريق ثلاثة فراسخ . وزندنه من المدينة على أربعـة فراسخ في شمال المدينة . ونجكث على يسار الذاهب الى الطواويس على أربعة فراسخ وبينها وبين الطريق نحو نصف فرسخ . ومن كرمينيه الى خديمنكن فرسخ فيما يلي السُغد ، وبـين خديمنكن وطريق سمرقند غلوة على يسار الذاهب الى سمرقند . ومذيامجكث وراء وادي السُغد أعلى من خديمنكن بمقدار فرسخ . وخرغانكث حذاء كرمينيه على فرسخ من وراء الوادي .

٢٨ — ويتصل ببخارا من شرقيّها السُغد وأوّلها إذا جزتَ كرمينيه الدبوسية ثم اربنجن والكشانية وسمرقند وكل هـذا بلد السُغد ، على ان من الناس من يزعم أن بخارا وكش ونسف من السغد وهي في أعمـال الديوان مفردة . وقصبة السغد سمرقند وهي مدينة على جنوبي وادي سغد مرتفعة عليه ، ولها قهندز ومدينة وربض وقد جُعل في وقتنا هذا الحبس في القهندز وكانت دار الامارة فيه فخربت ، وعلوتُه فرأيت أحسن منظر عاينه مُبصر وتمتّع به ناظر : شجرٌ أخضر وقصورٌ تزهر وأنهار تطّرد وعمارةٌ تتّقد ، لا يقع الطرف منـه على مكان إلا ملأه وعلى باغٍ إلا استملحه واستصباه ، قد فصّلت ميادينها وتناهت محاسينها وقصّصت بـه أشجار السرو فجُعل منها طرائف الحيوان من الأفيلة والابـل والبقر والوحوش المقبـل بعضها على بعض كالمتناجية ، والمطالب بعضها لبعض كالمتقابلة المتعاتبة . فيا لهُ منظراً ما أتلفه للأموال وآخَذَه بمجامع قلوب الرجال ! هذا الى أنهار تطّرد وبرك مسجورة لا تزال ترتعد ظريفـة

المغاني وقصور ومستشرفات سامقة المباني ، قد رُصّفت فهي مساكن جليلة ومجالس نفيسة وأحوال تدل على ملوكٍ جلةٍ .

٢٩ – وأما سمرقند فيشتمل عليها حصن ولها أربعة أبواب : باب مما يلي المشرق يقال له باب الصين مرتفع عن وجه الأرض يُنزل عنه بدرج كثيرة العدد مطلّ على نفس وادي السُغد ، ومما يلي المغرب باب النوبهار وهو على نشزٍ من الارض ، ومما يلي الشمال باب بخارا ، ومما يلي الجنوب باب كش . وهي مدينة فيها أسواق كبار وفيها ما في المدن العظام من المحالّ والحمامات والخانات والمساكن . ولها مياه جارية تدخل اليها في نهر بعضه رصاص معلّق وهو نهر قد بُني عليه مسنّاة عالية من الارض ، وفي بعض المواضع تل في وسط السوق بناحية الصيارفة من حجارة يجري عليها الماء من الصفّارين الى ان يدخل المدينة من باب كش ، ووجه هذا النهر رصاص كله وذلك ان حوالي المدينة مستغل لأنه استعمل طينه في سور البلد فبقي خندقاً عظيماً بحسب ما خرج منه من التراب والطين ، واحتيج الى مسنّاة في هذا الخندق حتى يجري الماء الى المدينة ، وهو نهر قديم جاهلي في وسط أسواقها وبموضع يُعرف برأس الطاق من أعمر مواضع بسمرقند ، ولهذا النهر على حاشيته غلاّت موقوفة على مرمّاته ومصالحه وعليه حَفَظَة من المجوس شتاءً وصيفاً في شرطٍ عليهم بذلك ، ولا يؤخذ منهم الجزية لبيت المال لهذا السبب . ومسجد الجامع في المدينة أسفل القهندز وبينهما عرض الطريق ، وفي المدينة مياه من هذا النهر وبساتين . وفي المدينة دور الامارة بمكان يُعرف باسفزار لآل سامان غير دار الامارة التي بالقهندز . والمدينة من الربض على جانبه وعلى نحر نهر السُغد الذي هو بين الربض والمدينة ، وذلك أن السوق والربض ممتدّان من وراء وادي السغد من مكانٍ يعرف بأفشينه على باب كوهك حتى يطوف بورسنين ، ثم يطوف على باب فنك وعلى باب الريودد ثم الى باب قصر أسد ثم الى باب غذاوذ ، ثمّ يمتدّ الى الوادي والوادي للربض كالخندق مما يلي الشمال ، وقطر هذا السور المحيط بالربض نحو فرسخين في فرسخين غير أن الربض سُرّته ، ومجمع أسواقه رأس الطاق ثم يتّصل به

الأسواق والسكك والمحالّ ، وفي أضعافه محالّ مفترشة وقصور وبساتين فليس من سكّة ولا دار إلا وفيها ماء جارٍ إلا القليل . وقلّ دار تخلو من بساتين حتى أنك إذا صعدتَ بنظرك نحو قهندزها في المدينة لم يره البصر لاستتاره بالبساتين والأشجار في دُورها وحافات أنهارها وأسواقها . والخانات وصنوف التجار في الربض إلا شيئاً يسيراً في المدينة . وهي فرضة ما وراء النهر وكانت دار الامارة بما وراء النهر الى أيام إسماعيل ابن احمد رحمه الله . وليس لسور الربض أبواب تغلق من خشبٍ ولا حديدٍ لفتنٍ كانت فأمر السلطان بقلعها ، والأبواب شارعة بغير أبواب ومنها باب غداوذ وباب اسبشك وباب شوخشين وباب افشينه ، وباب ورسنين وباب كوهك وباب ريودد وباب فرخشيذ . ويزعم بعض الناس أن تُبّعاً ابتنى مدينتها وأن ذا القرنين أتمّ بعض بنائها . واخبرني ابو بكر الدمشقي قال : رأيتُ على بابها الكبير صفيحة حديد وعليها كتابة زعم أهلها أنها بالحميرية ، وأنهم يتوارثون علم ذلك من أنها من صنعة تُبّعٍ وبعض الكتابة إن من صنعاء الى سمرقند الف فرسخ ، وهذا دليل على أن باني صنعاء أحدثها وكان حُكمه عليها ، ويقال أنه كان يُقيم بصنعاء حولاً وبسمرقند مثله فوقعت الفتنة بسمرقند واحترق الباب الذي كانت عليه الصفيحة ، وأعاده ابو المظفّر محمد بن لقمان بن نصر بن احمد بن أسد كما كان من حديد وتغيرت تلك الكتابة . وتربة سمرقند من أصح تربة وأيبسها ولولا كثرة البخارات من المياه الجارية بها في سككهم ودورهم وكثرة أشجار الخلاّف بينهم لأضرّ بهم فرط يُبْسِها على ما يحكيه بعض الاطبّاء ، وبناؤهم من طين وخشب . وأهلها يرجعون الى جمالٍ وكانوا من الافراط في إظهار المروؤات وتكلف النفقات والقيام على أنفسهم بما يزيدون به على أكثر بلاد خراسان حتى يجحف ذلك بأموالهم . وسمرقند مجمع رقيق ما وراء النهر وخير الرقيق بما وراء النهر تربية سمرقند . وبينها وبين أقرب الجبال اليها مرحلة خفيفة غير أنه يتّصل بها جبل صغير يعرف بكوهك يمتد أصله الى سور سمرقند ، وهو مقدار نصف ميل في الطول ومنه أحجار بلدهم والطين المستعمل في الاواني والنورة والزجاج . وبلغني

ان فيه فضّةً وذهباً غير انه لا يسوغ العَمَل فيه . والبلد كله طرُقه وسككه وأسواقه إلا القليل مفروش بالحجارة .

٣٠ – ومياههم من وادي السغد وهذا الوادي مبدأه من جبال البتم على ظهر الصغانيان ، وله مجمع ماء يعرف بجن مثل بحيرة حواليها القرى وتُعرف الناحية ببرغر فينصبّ منها بين جبالها الماء حتى ينتهي الى بنجيكث ، ثم ينتهي الى مكان يعرف بورغسر وتفسيره رأس السكر ، ومنه تتشعّب أنهار سمرقند ورساتيق تتصل بها من غربيّ الوادي من جانب سمرقند . وأما أنهار الجانب الشرقي على الوادي فإنها تأخذ بحذاء ورغسر بمكان يعرف بغوبار ، وذلك ان بهذا المكان تنفسخ الجبال وتظهر الاراضي التي يمكن فيها الزرع وجري الانهار . فيأخذ من ورغسر أنهار منها نهر برش ونهر بارمش ونهر بشمين ، فأما نهر برش فإنه نهر يمتد على ظهر سمرقند ومنه انهار المدينة والحائط والقرى التي تتصل بها من مبتدئه الى منتهاه . وأما نهر بارمش فإنه يلي هذا النهر من ناحية الجنوب وعليه القرى من أوله الى آخره نحو مرحلة . وأما بشمين فإنه من بارمش مما يلي الجنوب ويسقي من أوله الى آخره قرًى كثيرة غير ان انقطاعه دون انقطاع ذين النهرين . وأكبر هذه الانهار برش ثم بارمش ويحملان جميعاً السفن . وينشعب من هذه الانهار انهار يكثر إحصاؤها حتى يُعمر بها القرى والمزارع ، ومن ورغسر الى آخره رستاق يعرف بالدرغم على عشرة فراسخ في الطول وعرضه نحو أربعة فراسخ الى نحو فرسخ . وهذه الرساتيق تعرف بورغسر ومايمرغ وسنجرفغن والدرغم . وأما الانهار التي تأخذ من غوبار فإنها نهر اشتيخن والسناواب ونهر بوزماجن . ونهر السناواب يمر على ظهر بوزماجن فيسقي قرًى منها حتى يتصل برستاق ويذار ويجاوزه الى حدود عمل اشتيخن ، حتى يكون من أوله الى آخره كالقراح الواحد نحو مرحلتين . ونهر بوزماجن دونه الى ما يلي المدينة يسقي رستاق بوزماجن . ونهر اشتيخن فإنه لا يُنتفع به الى ان يجري من مبتدئه نحو اربعة فراسخ وتتشعّب منه الانهار فيسقي مقدار تسعة فراسخ حتى ينتهي الى اشتيخن ، ثم يسقي اشتيخن ورساتيقها وهو أعظم

هذه الانهار . وهذه اول أنهار الوادي فأما غربيّه فلا يتشعّب منه شيءٌ الى ان يجاوز سمرقند . ومن مبتدأ هذا الوادي الى ان ينتهي الى سمرقند زيادة على عشرين فرسخاً ، فإذا جاوز سمرقند بنحو مرحلتين انشعب منه نهر يعرف بفى ، وليس بالسُغد نهر أوفرُ عمارةً منه ولا اكثر اهلاً ولا أغزر أكرةً ولا أعظم قصوراً وقرًى وماشيةً وعِزّةً ومنعةً من فى ، وهو ثُلثُ السغد وينشعب من فى انهار كثيرة لم اصل الى علمها بالحقيقة ويسقي زيادة على مرحلتين . ثم ينشعب من وادي السغد انهار كثيرة على امتداده تجاه كل مدينةٍ وبلدةٍ ورستاقٍ نهرٌ حتى ينتهي من حد اربنجن الى كرمينيه والى حد بخارا ، ومنها أنهار اربنجن وانهار الدبوسية وانهار كرمينيه الى ان ينتهي الى بخارا . واما شرقيّ هــــذا الوادي فتنشعب الانهار منه بحذاء سمرقند ومنها نهر كينجكث وانهار أُخر لتلك القرى ، فيسقي رستاق كينجكث ورستاق المرزبان وغير ذلك ، وربما كان للقرية الواحدة منها نهران وثلاثة . وللقرى الكثيرة نهر مفرد يشتقّ من الوادي ثم تتفرّع منه أنهار لكلّ قرية تجاوره ما قام بأوَدها وتأخــذ منه أنهار الكشانية وتجاوزها الى حدود حائط بخارا ، ويكثر عدد هــــذه الأنهار لكثرة القرى عليها . ومقدار هذا النهر من ورغسر الى حدّ بخارا حيث تأخذ منه أنهار بخارا المذكورة داخــــل حائطها ستة أيام مشتبكة القرى والبساتين والأنهار . فلو اطّلع مطّلع على وادي السغد من الجبل لرأى خضرة متّصلة لا يرى في أضعافها غير قهندز أبيض او قصر سامق مشيد ، فأما فرجة منقطعة عن الخضرة او أرض بائرة او غامرة فقلّما تُرى هذه الحال . وعلى هذا الماء والٍ جليلٌ بسمرقند وقومٌ مثبتون منزلون لسدّ بثوقه ومجاري أنهاره وسُكوره ، وبورغسر كروم وضياع وناحية قد أزيل عنها الخراج وجُعل مكانه عليهم إصلاح تلك السكور . وإذا انشعبت من هذا الوادي هذه الأنهار التي ذكرتُها جرى منه تحت قنطرة جيرد على باب سمرقند من الماء ما يكون عند امتداده يقارب القنطرة ، وارتفاعها نحو ثلاثة أبواع وزائد وعرضها كطولها ، وفيــه يُحمل خشب السغد الى سمرقند وامتداد هذا الوادي في الصيف من ثلوج جبــال البتم واشروسنه

وسمرقند . وربما زاد الماء حتى يقلب السكرَ لقنطرة جيرد فيُحيّرَ اهل سمرقند في سد ذلك لكثرته وغزارته .

٣١ – وأما رساتيق سمرقند فأولها بُنْجيكَث ، ومدينة بنجيكث بها منبر ثم يليه ورغسر ومدينته ورغسر ، وتلي بنجيكث جبال الشاوذار وليس بها منبر ، وبين الشاوذار وورغسر فيما يلي سمرقند رستاق مايمرغ وسنجرفغن ، وليس بهما منبر غير ان بمايمرغ مكاناً يُعرف بالربودد وكان به مُقام الاخشيذ مَلِك سمرقند ، وهي قرية فيها قصور الاخشيذية ، وسنجرفغن وورغسر كانا من مايمرغ فأُفردا عنها ، ويتّصل برستاق مايمرغ رستاق الدرغم وليس به منبر ، ويتصل بالدرغم رستاق ابغر وليس به منبر وبنجيكث رستاق كثير الثمار خصب الأشجار مطّرد الانهار مُفصل بغلّاته وجودته من جميع الوجوه يابسها ورطبها ، وليس بالكبير . وليس بجميع رساتيق سمرقند لمايمرغ نظير في اشتباك أشجاره وكثرة قُراه واتصال قصوره وأنهاره . وسنجرفغن رستاق صغير يشتمل على قرًى يسيرة . والشاوذار هو الجبل الذي عن جنوبيّ سمرقند ، وليس بنواحي سمرقند رستاق أصحّ هواءً ولا أجود زرعاً ولا أحسن فاكهة منه ، وأهله أصحّ اهل نواحيهم ابدانا واجمل الواناً ، وطول هذا الرستاق زيادة على عشرة فراسخ ، وهو من أنزه الجبال وأحسنها في عمارةٍ لا تنقطع وغلّاتٍ متصلة لا تغبّ ولا تمتنع . وبالشاوذار عُمْرٌ للنصارى فيه مجمعٌ لهم ولهم به قلّايات ومساكن حسنة نزهة أدركتُ فيها قوماً من نصارى العراق ، انتجعوه لطيبته وقصدوه لعُزلته ونزهته وله وقوف ، ويعتكف به قوم منهم ويشرف على مُعظم السغد ، ويعرف هذا الموضع بوزكرده . وللشاوذار فجاج وكل فجٍّ منها انهار جارية الى ضياعٍ في خلال ذلك حسنة زاكية وصيودٍ من غير جنس كثيرة وخِصْب وغِدَق من جميع وجوه العيش والتمتّع به . ورستاق الدرغم من أزكى هذه الرساتيق في زروعه المسقيّة ويُفضَّل ما يُحمل منه من الاعنـاب على سائر الرساتيق وطول الدرغم مرحلة متوسطة . واما أبغر فإنها ناحية مباخس وقراها أعمر وأكثر عدداً من سائر رساتيق سمرقند ، وأموالهم المواشي وليس لهم سيح وبلغني ان

القفيز الواحد ربما راع مائة قفيز وزائداً ، وطول ابغر نحو مرحلتين ويكون للقرية الواحدة من الحوزة نحو فرسخين وأكثر ، ويقال ان زرع ابغر إذا سَلِم كفى السغد بأجمعها ، وهذه رساتيق سمرقند من حد الجنوب وأما شماليّها فإنّ أعلاها يارككث وهي متاخمة لاشروسنه وليس بها منبر وماؤهـا من عيون فلا يصلون الى وادي السغد ، وبها مباخس وسيح ومباخسها اكثر ولهم مراعٍ زكيّة جداً . ورستاق فورغذ مما يلي اشروسنه وليس له مدينة ويشتمل على قرى يسيرة . ثم يتصل بياركث رستاق بوزماجن مما يلي سمرقند ومدينته ابارکث وهو أعرض رستاق في شمال وادي السغد وأكثره قرًى ، ويمتد من غوبار الى قرب سمرقند مرحلةً في مثلها . ويتصل بهذا الرستاق رستاق كبوذنجكث وهو رستاق مشتبك ايضاً بالقرى والشجر ومدينة كبوذنجكث . وعلى ظهر هذا الرستاق رستاق ويذار مدينه ويذار ، وهو رستاق خصب كثير الزرع له سهل وجبل ومباخس وسقي سيح ونواضح . وويذار وكثير من قرى هذا الرستاق لقوم من بكر بن وائل يعرفون بالسباعيّة ، وكانت لهم بسمرقند ولايات ودور ضيافاتٍ وأخلاق حسنة يتواصفونها ويذكرونها ، وأدركتُ منهـا طرفاً دلّ قليله على كثير سلف منه . ويتصل بهذا الرستاق رستاق المرزبان ابن كيسفى المستدعَى الى العراق في جملة دهاقين السغد . والذي بهذا العمل من الرساتيق من شماليّه ستة رساتيق ومن جنوبيّه ستة رساتيق .

٣٢ — فأمـا نقود سمرقند فالدراهم الاسماعيلية والمكسَّرة العِراض والدنانير ، ولهم من نقود بخارا في مقام الاسماعيلية دراهم تعرف بالمحمديّة تركب من جواهر شتى ، وهي من النقد المتقدم ذكره عند وصف بخارا .

٣٣ — واشتيخن مدينة مفردة على غاية النزهة وكثرة البساتين والقرى والرياض والمتنزهات والغياض ، على ان السغد كلها متقاربة في الخصب والنزهة والأشجار والثمار والزروع والخضرة والنضرة إلا الكشانية فإنها قلب السغد وأعمرها . ولاشتيخن قهندز في المدينة وربض وأنهار مطردة وضياع ، ومن بعض قراها عُجَيْف بن عنبسة وله بها قرى ومزارع ، وأسواق اشتيخن التي استصفاها المعتصم وأقطعهـا المعتمدُ محمد بن طاهر .

والكشانية أعمر مدن السغد وهي واشتيخن متقاربتان في الكبر ، غير ان قصبة الكشانية اكبر وأعمر وقراها أغزر واهلها اجلّ واظهر ، وحدود رساتيق اشتيخن أبعد لان حد اشتيخن من ظهر يغان من جبال تعرف بساغرج الى حد الكشانية نحو مرحلتين ، وجميعهما من شمال وادي السغد . والدبوسية واربنجن فمن جنوبيّ الوادي على جادة طريق خراسان واربنجن اكبر وأعمر واكثر رساتيق وقرى منها ، لأنه ليس بالدبوسية كثير رساتيق ولا قرى . وقلب مدن السغد الكشانية وأهلها أيسر مدن السغد .

٣٤ ـ وكش مدينة لها قهندز وحصن وربض ومدينة أُخرى متّصلة بالربض ، والمدينة الداخلة مع القهندز خراب والخارجة عامرة ودار الامارة خارج المدينة ، والربض بمكان يعرف بالمُصلّى والحبس والمسجد الجامع في المدينة الداخلة الخراب وأسواقها في ربضها ، وهي مدينة مقدارها نحو ثلث فرسخ في مثله ، وبناؤها من طين وخشب وهي مدينة خصبة جداً جروميّة تدرك فيها الفواكه أسرع مما تدرك بسائر ما وراء النهر ، وتأتي بواكيرها الى بخارا وهي وبئة . وللمدينة الداخلة اربعة ابواب : فمنها باب الحديد ، وثانيه باب عُبيد الله ، والثالث باب القصّابين ، والرابع باب المدينة الداخلة ؛ وللمدينة الخارجة بابان : احدهما باب المدينة الداخلة ، والثاني باب بركنان ، وبركنان قرية يُنسب اليها الباب . وللمدينة نهران كبيران : احدهما يُعرف بنهر القصّارين ويخرج من جبل سيام ويجري في جنوبي المدينة ، والآخر نهر اسروذ يخرج من رستاق كشك روذ فيجري على شمال المدينة ؛ وهذان النهران يجريان على باب المدينة . وللرساتيق أنهار منها نهر خروذه فيما يلي طريق سمرقند على فرسخ ، والآخر نهر على طريق بلخ يُعرف بخشك روذ على فرسخ من المدينة ، وجمع فضلات هذه المياه الى وادٍ يجري الى نسف . وفي المدينة والربض بعامة دورها مياه جارية وبساتين حسنة وطول عملها نحو اربعة ايام في مثلها ، ولها من المدن نوقد قريش وسوبخ من رستاق خزار واسكيفغن ايضاً من رستاق خزار ويرتفع بكش من الملح المستخرج من الارض ما يحمل الى كثير من

آفاق خراسان ، وفي جبالها العقاقير الكثيرة وبها يسقط الترنجبين ، ومنها بغال ما وراء النهر ويجلب الى اقطار خراسان منها الفره الجياد . ولها رساتيق ذات سوائم ونتاج ، ومن رساتيقها رستاق كشك ورستاق بوزماجن ورستاق سيام ورستاق ارغان ورستاق خروذه ، ورستاق خزارروذ ورستاق خزار ورستاق سورروذه ومنكوره الداخلة ومنكوره الخارجة ورستاق مايمرغ ؛ وهذه جميع رساتيق كش .

٣٥ — ونسف مدينة لها قهندز خراب وربض له اربعة ابواب : فباب منها يُدعى باب النجارية ، وباب يسمّى باب سمرقند ، وباب يسمى باب كش ، وباب غوبذين وهي مدينة على مدرج طريق بخارا الى بلخ في مستواةٍ ، والجبال منها على مرحلتين فيما يلي كش ، والذي بينها وبين جيحون مفازة لا جبل فيها . ولها نهر واحد يجري في وسط المدينة وهو مجمع مياه كش فيصير منها هذا النهر فيسرع الى العراء . ودار الامارة على شط هذا النهر بمكان يُعرف برأس القنطرة وحبسها عند دار الامارة ومسجد الجامع بناحية باب غوبذين ، والمصلّى بناحية باب النجارية داخل الباب وأسواقها في الربض مجتمعة ما بين دار الامارة ومسجد الجامع . وليست لها قرى كثيرة ولا نواحٍ على قدرها ومحلها . ولها منبران سوى المدينة احدهما بزده والآخر كسبه ولها قرى ولا منابر فيها وبزده اكبر من نسف ، والغالب على قراهم المباخس وإن كانت لهم أسقاء فقليلة . وليس بنسف ورساتيقها ماء جارٍ إلا هذا النهر وينقطع في بعض السنة ، وسقيهم بالنواضح لا بالسيح لمباقلهم وأجنّتهم ، والغالب على نسف ونواحيها المضافة اليها الخصب والسعة .

٣٦ — وأما اشروسنه فإنه اسم الاقليم كما ان السغد اسم الاقليم وليس بها مدينة بهذا الاسم ، والذي يطوف بها من أقاليم ما وراء النهر من شرقيّها بعض فرغانه وفامر وغربيّها حدود سمرقند ، وشماليّها الشاش وبعض فرغانه وجنوبيّها بعض حدود كش والصغانيان وشومان وواشجرد والراشت . ومدينتها الكبرى تسمى بلسان الاشروسنيّة بومجكث ، ولها من المدن ارسيانيكث وكركث وغزق وفغكث ، وساباط وزامين وديزك

ونوحكث وخرقانه وهذه مدنها . ومدينتها التي يسكنها الولاة بوبجكث و١ مدينة يجزر رجالها نحو عشرة آلاف رجل وبناؤها طين وخشب . ولها مدينة داخلة منها عليها سور بذاتها وسور على ربضها ولها سور آخر من وراء ذلك ، وللمدينة الداخلة بابان أحدهما يُدعى باب الاعلى والآخر باب المدينة وداخل المدينة مسجد الجامع والقهندز ودار الامارة في الربض في مربّعة الأمير . ويجري بالمدينة الداخلة نهر كبير عليه رحىً ، والسجن في قهندز المدينة والجامع خارج القهندز واسواقها في المدينة الداخلة والربض جميعاً ، وحائط الربض يشتمل على نحو فرسخ ويشتمل الخندق على دور وبساتين ونضور وكروم وزروع ، ويحسب ذلك كله الى السور من المدينة وخارج السور من الرستاق . ولها أربعة أبواب أحدها باب زامين وباب مرسمنده وباب نوجكث وباب كهاباذ . ولهذه المدينة ستة انهار : فأحدها يُعرف بسارين وهو الذي يجري في المدينة ، والآخر ابرجن والآخر يماجن والآخر سنكجن والآخر رويجن والآخر ستينكجن وجميعها من منبعٍ واحدٍ وعينٍ واحدة ويكون مقدار ما يدير عشر أرحية ، ومن المدينة الى منبع الماء اقل من نصف فرسخ . ويلي هذه المدينة في الكبر زامين وهي على طريق فرغانه الى السغد ولها اسم آخر وهو سوسنده ، ولها مدينة قديمة على انها خربت وصارت الاسواق والجامع ومجمع الناس بسوسنده ، وليس على هذا البلد الحادث سور وهو اليوم منزل للسابلة من السغد الى فرغانه ، ولها ماء جارٍ وبساتين وكروم ومزارع وماؤهم من نهر سارين وشربهم منه . وهي مدينة ظهرها جبال اشروسنه ووجهها الى بلاد الغزّيّة وهي صحراء ملساء لا جبال بها . وديزك مدينة في السهل ولها رستاق يعرف بفنكان وبها يرابط اهل سمرقند وفيها رباطات تشتمل على عدد كثير واجلّ رباطٍ في حدودها رباط خديسر وهو منها على فرسخين ، وهو من اشهر رباطات بما وراء النهر بناه الافشين ، وفي وسطه عين ماء ينبع وعليه اوقاف وضياع سبّلها قبل خروجه الى العراق . وهو من اقرب تلك الرباطات الى بلاد العدوّ ولديزك ماء جارٍ وبساتين وهي خصبة . وسائر المدن التي ذكرتها متقاربة

في الكبر والنزهة والبساتين والمياه سوى مرسمنده فإنها مدينة جيدة، وليس بها بساتين ولا كروم ولها ماء جارٍ سيح ويمنعهم الكروم والبساتين شدّة البرد ان تكون بها، والماء بها واسع والتربة جيدة. وبها رياض مؤنقة وكلأ ونضرة وأنورة ومتنزهات. وأما خرقانه وزامين وساباط فعلى طريق فرغانه الى الشاش، ومن أراد من زامين الى خجنده على طريق خاوس فطريقه على كركث. ومن سمرقند الى خرقانه تسعة فراسخ وليس بجميع اشروسنه نهر تجري فيه سفينة ولا بها بحيرة غير ان مزارعها ومراعيها وقراها عامرة خصبة كثيرة الخير، وكل مدينة من هذه المدن لها رستاق كبير ومن رساتيقها التي لا مدينة فيها بشاغر ومسخا وبرغر وفرتانغام ومينك وبسكن واسبيكث.

٣٧ — والبتم جبال شاهقة سامقة منيعة، والغالب عليها النزهة والخضرة والبقلة المعروفة بالطبرخون، وهي قرى آهلة بالناس. وبالبتم حصون منيعة جداً وفيها معادن الذهب والفضة والزاج والنوشاذر الذي يُحمل الى كثير من الأماكن وبقاع الارض. وفي كل جبل منه كالغار قد بُني عليه كالبيت واستوثق من أبوابه وكواه، وفيه عين يرتفع منها بخار يشبه بالنهار بالدُخّان وفي الليل كالنار، فإذا تلبّد هذا البخار في حيطان هذا البيت وسقفِه قُلع منه النُوشاذر وداخل هذا البيت من شدّة الحرّ ما لا يتهيأ لأحد ان يدخله إلا احترق، إلا ان يلبس اللبود المبلولة ويدخل كالمختلس ويأخذ ما يقدر عليه من ذلك، وهذا البخار ينتقل من مكان الى مكان فيُحفر عليه حتى يظهر فإذا خفي في مكان حُفر عليه آخر الى ان يوجد. وإذا لم يكن عليه مبتنى يمنع البُخار من التفرّق لم يضرّ من قاربه حتى إذا اختنق في بيتٍ أحرق من يدخله لشدّة الحرّ. وللبتم جبال تعرف بالبتم الأول والاوسط والبتم الخارج؛ وماء سمرقند والسغد وبخارا من البتم الاوسط بمكان يعرف بجن ويكون نحو ثلاثين فرسخاً، ويجري من هذا الماء الى برغر ثم على بنجيكث الى سمرقند ويخرج من مسخا مياه فتقع الى برغر وتختلط بماء سمرقند. ونهر الصغانيان ونهر فرغانه في ظهر مسخا من قرب رأس ماء جن ومينك والموضع الذي قاتل فيه

قتيبة بن مسلم المسوّدة وهناك حصن يُعرف بالافشين الأكبر وهو صاحب المعتصم وكان قد اتخذه لنزهته وكان يسكن المدينة أيضاً . واشروسنه بلدة افتتحها احمد بن خالد . وآل أبي الساج الداوداذ بن داودشت من القرية المعروفة بجنكاكث وسويدك وهما قريتان متدانيتان . وبناحية مينك ومرسمنده تتخذ آلات الحديد التي تعمّ خراسان ويجهّز الى العراق ، وذلك لان الحديد بفرغانه لـيّن ممكن لما يراد قِنيتُه في أي صَنعة قصد منه ، وتتفتّق لهم الخواطر بالغرائب التي يتّخذونها منه . وبمرسمنده مجتمع سوقٍ ينتابه الناس من الأماكن البعيدة وهو سوق مشهور في رأس كل شهر مرّة .

٣٨ — وأما الشاش وايلاق فمقدار عرضها مسيرة يومين في ثلاثة أيام ، وليس بخراسان وما وراء النهر إقليم على مقدارها في المساحة أكثر منابرَ وقرًى عامرةً وسعةً وبسطةً في العمارة الى قوة شوكة منهم . وحدّ لها ينتهي الى وادي الشاش الذي يقع في بحيرة خوارزم ، وحدّ لها باب الحديد ببرّية بينها وبين اسبيجاب يعرف بالقلاص ، وهي مراعٍ وحدّ لها جبال منسوبة الى عمل الشاش غير انّ العمارة المتصلة الى الجبل وباقيه مفترق العمارة ، وحد لها الى وينكرد قرية للنصارى . والشاش في أرض سهلة وليس في هذه العمارة المتصلة جبل ولا أرض مرتفعةٌ حَزْنةٌ وهي أكبر ثغر في وجه العدو والترك . وأبنيتهم واسعة من طين وعامّة دورهم تجري فيها المياه ، وهي كلها مستترة بالخضرة ومن أنزه بلاد ما وراء النهر ولها مدن كثيرة تتدانى وتتقارب مسافاتها فمنها :

بنكث ودنفغانكث وجينانجكث ونجاكث وفناكث وخرشكث واستبيغوا واردلانكث وخذينكث وكنكراك ، وكلشجك وغركنده وغناج وجبوزن ووردوك وكبرنه وغدرانك ، ونوجكث وغزك وابرذكث وبغنكث وبركوش وخاتونكث وجبغوكث ، وفرنكث وكذاك وتكالك وهذه مدن الشاش ؛ وأما مدن ايلاق فقصبتها تونكث ولها من المدن : سكاكث وبانجخاش ونوكث وبالايان وتكث واربلخ ونموذلغ وخمرك ، ونوجكت وكهسيم ودخكث وخاش وخركانكث .

٣٩ — فأما بنكث وهي القصبة للشاش فإنّ لها قهندزاً ومدينةً ، وقهندزها خارج من المدينة غير ان حائط القهندز والمدينة شيء واحد ، وللمدينة ربض وعلى الربض سور ثم خارج هذا السور ربض آخر وبساتين ومنازل ، ويحيط به سور آخر ، وللقهندز بابان أحدهما الى الربض والآخر الى المدينة ، وسور المدينة عليه ثلاثة أبواب فباب منها يعرف بأبي العباس والآخر يعرف بباب كثير والثالث بباب الجنبذ . وعلى الربض الاول ابواب : فمنها باب يعرف بباب رباط حمدين ، والثاني يعرف بباب الحديد الداخل ، والثالث بباب الأمير ، والرابع بباب الفرخان ، والخامس باب سور كده ، والسادس باب كرمانج ، والسابع باب سكة سهل ، والثامن باب راشديجاق ، والتاسع باب سكة خاقان ، والعاشر باب قصر الدهقان . وعلى الربض الخارج أبواب فمنها : باب فرغد وباب خاشكث وباب سكنديجاق وباب الحديد وباب باكرديجاق وباب سكرك وباب دربفرياد . ودار الامارة والحبس في القهندز ومسجد الجامع على حائط القهندز ، وفي المدينة الداخلة بعض اسواقهم غير ان أكثر الأسواق في الربض . وطول البلد من السور الثالث الى ان يقطع عرضه كلّه مقدار فرسخ ، ويجري في المدينة الداخلة والربض جميعاً المياه وفي الربض بساتين كثيرة ومياهه تزيد على الكثرة وأبنية متفرقة . ويمتد من الجبل المعروف بسافلغ حائط في وجه القلاص حتى ينتهي الى وادي الشاش ، وكأن وضعَه واستحداثه يمنع الترك من الدخول الى الاسلام ، بناه عبدالله بن حُميد بن ثور ومن خرج من هذا الحائط مقدار فرسخ كان هناك خندق من الجبل الى الوادي . وللشاش نهر آخر يقع في الوادي يعرف بنهر برك يخرج بعضه من بسكام وبعضه من جدغل ، وأصل منبعهما من بلد الترك الخرلخيّة فيقع في وادي الشاش في حدّ نجاكث . ولايلاق نهر يعرف بنهر ايلاق يخرج من حدّ الترك فيقع فضله في وادي الشاش حذاء بناكث ومنه شربهم ، وباقي بلد الشاش شربهم من ماء برك . وأمّا قصبة ايلاق فإنها تونكث فهي أقلّ من نصف بنكث ، ولها قهندز ومدينة وربض حولها على نهر ايلاق ودار الامارة في القهندز والمسجد الجامع ،

والحبس عند القهندز وأسواقها داخل المدينة وفي الربض جميعاً ، ولهم في المدينة والربض ماء جارٍ . والشاش وايـــلاق جميعاً لا فصل بينهما في البساتين والعمارة المتصلة ، وهي ناحيتان كالمختلطة العمل من آخر ايلاق الى وادي الشاش بلد متكاثف الشجر والخضر والمراعي والبساتـــين ملتفّ القصور بأسباب النزه والتحاسين غير منقطع . وبايلاق معادن ذهب وفضّة في جبالها ويتصل ظهر هذا الجبل بجدود فرغانه . وبايلاق دار ضرب للعين والورق فيروّج فيها مال كثير من النوعين جميعاً . ويلي بنكث في الكبر خرشكث ، ويليها في الكبر وصلاح الحال واستقامتها ستوركث وباقي مدن الشاش دون ذلك في الكبر . وأكبر مدن ايلاق تونكث وسائر المدن بها دونها وهي متقاربة في أحوالها . وليس بما وراء النهر دار ضرب إلا ببخارا وسمرقند وايلاق فقط .

٤٠ — وأمّا اسبيجاب فإنها مدينة نحو الثُلث من بنكث وتشتمل على مدينة وقهندز وربض ، فأمّا القهندز فخراب والمدينة والربض فعامران ، وعلى المدينة الداخلة سور وعلى الربض أيضاً سور يحيط به مقداره فرسخ وفي ربضه مياه وبساتين وأبنيتها طين وهي في مستواةٍ وبينها وبين أقرب الجبال اليها نحو ثلاثة فراسخ . وللمدينة أربعة أبواب : فباب منها يُعرف بباب نوجكث وباب فرخاذ ، وباب سراكراثه وباب بخارا ، وأسواقها في المدينة والربض جميعاً ودار الامارة والحبس والجامع في المدينة الداخلة ، وهي مدينة ذات خصب وسعة وليس بخراسان كلّها وما وراء النهر بلد لا خراج عليه إلا اسبيجاب . ومما يقع من المدن في نواحيها : بذخكث وسبانيكث والطراز واطلخ وشلجى وكدر وستكند وشاوغر وصبران ووسيج . فأمّا سبانيكث فإنها قصبة كورة كنجده ، وأما كدر فإنها قصبة باراب ووسيج أيضاً من مدن باراب ومنهـــا ابو نصر البارابي صاحب كتب المنطق المفسّر لكتب القدماء والمتقدّم في ذلك على كلّ من كان في زماننا وعصرنا وأيّامنا . وصبران مدينة يجتمع بها الغزّيّة للصلح والهدنة والتجارات إذا كان صلح وهي مدينة حصينة . وباراب اسم للناحيـــة ، ومقدارها في الطول والعرض أقل من يوم وبها منعة واناس فيهم كثرة ،

وهي ناحية سبخة لها غياض ومزارع في عرض الوادي الآخذ من نهر الشاش . وستكند بها منبر وهي مجمع الأتراك وقد أسلموا منهم أحياء شتى ، ودخل في اسم الاسلام قوم من الغُزّيّة والخرلخيّة ولهم بأس ومنعة في الأتراك ، وبين باراب وكنجده والشاش مراعٍ خصبة بينها نحو ألف بيت من الأتراك قد أسلموا ، وهم مقيمون بها في خركاهات لهم على نيهم ولا بناء لهم . والطراز متجر للمسلمين من الأتراك وبينهم حصون منسوبة اليها ولم يتجاوزها احد من الاسلام ، لأن العابر بها داخل في خركاهات الخرلخيّة . والمذكور من هذه الناحية حدودُ الشاش ونواحيها .

٤١ — وأما خجنده فإنها متاخمة لفرغانه وهي في جملتها وهي منفردة في الأعمال ، وهي على نهر الشاش في غربيّه وطولها أكثر من عرضها وكند على فرسخ منها وكلّها كروم وبساتين وليس في عملها مدينة غير كند ، وبساتينها ودورها متفرّقة ولها قرًى يسيرة ومدينة وقهندز وجامعها في المدينة ودار الامارة في الميدان بالربض والحبس في القهندز ، وهي مدينة نزهة بها فواكه حسنة وفي اهلها جمال ولهم مروؤة وهي مدينة تضيق عمّا يعمُّهم من الزروع فيُجلب اليهم من سائر فرغانه واشروسنه ما يقيم أودَهم . وتنحدر اليهم السفن من نهر الشاش وهو نهر عظيم ويعظُم من أنهار تجتمع اليه في حدود الترك والاسلام ، وعموده نهر يخرج من بلد الترك في حدود اوزكند ، ثم يجتمع اليه نهر خرشاب ونهر اورست وقبا ونهر جدغل وغيرها فيعظم ويغزر ماؤه ويمتدّ على اخشيكث ثم على خجنده ثم على بناكث ثم على ستكند ، فيجري الى باراب وإذا جاوز حدّ صبران جرى في برّيّة تكون في حاشية بلد الاتراك الغُزّيّة فتمتدّ الى القرية الحديثة على فرسخ منها ثم يقع في بحيرة خوارزم على مرحلتين من القرية الحديثة ، وهو نهر إذا امتدّ يكون نحو ثلثي جيحون وتحمل فيه المير الى القرية الحديثة إذا كانت الهدنة وكان الاتراك في صلح للمسلمين ، وبالقرية الحديثة مسلمون غير أنها دار مملكة الغُزّيّة ويقيم بها في الشتاء ملك الغُزّية وبقربها جند وخواره ، وبهما من المسلمين تحت سلطان الغُزّية وأكبر هذه الثلاثة المواضع القرية الحديثة وهي من خوارزم

على عشر مراحل ومن باراب على عشرين مرحلة .

٤٢ – وفرغانه اسم الاقليم وهو عمل عريض موضوع على سعة مدنها وقراها وقصبتها اخشيكث ، وهي مدينة على شطّ نهر الشاش على ارض مستويةٍ بينها وبين الجبال نحو نصف فرسخ ، وهي على شمال النهر ولها قهندز في مدينتها ولمدينتها ربض ودار الامارة والحبس في القهندز والجامع خارج القهندز ، ومصلى العيد على شط نهر الشاش واسواقها في مدينتها وربضها ، وأكثر الأسواق في مدينتها ومقدارها في الكبر نحو ثلث فرسخ وبناؤها من طين ، وعلى ربضها سور ، وللمدينة الداخلة أبواب : أحدها باب بجير والآخر باب المرقشه وباب كاسان وباب الجامع وباب رهابه . وفي مدينتها وربضها مياه جارية وحياض كثيرة وكل باب من ابواب ربضها يُفضي الى بساتين ملتفّة وأنهار جارية لا ينقطع مقدار فرسخين ، وبحذائها إذا عبرت نهر الشاش مروج ومراعٍ كثيرة ورمال مقدار مرحلة . ويلي اخشيكث في الكبر قبا وهي مدينة من أنزه تلك المدن وتقارب أخشيكث في الكبر ، ولها قهندز ومدينة وربض والقهندز خراب والجامع في القهندز وأسواقها في ربضها ودار الامارة والحبس في الربض ، وعلى الربض سور محيط به ولها بساتين كثيرة ومياه تزيد على مياه اخشيكث وبساتينها . ويلي قبا في الكبر اوش ولها مدينة عامرة وقهندز عامر ودار الامارة والحبس في القهندز ، وللمدينة ربض وعلى الربض سور وهي ملاصقة للجبل الذي عليه المرقب للأتراك الذي تُحرس فيه مقاتيهم وسرحهم ، ولها ثلاثة أبواب : فباب الجبل وباب الماء وباب مغكذه وأبواب المدينة محصّنة . واوزكند آخر مدن فرغانه ممّا يلي دار الكفر وهي نحو ثلثي اوش ولها قهندز ومدينة محصّنة وربض والأسواق فيه ، وهي متجر على باب الأتراك ولها بساتين ومياه جارية . وليس بفرغانه مدينة إلا ولها قهندز وهي محصّنة ذات بساتين ومياه جارية .

٤٣ – وليس بما وراء النهر أكثر قرًى من فرغانه وربما بلغ حد القرية مرحلةً لكثرة أهلها وانتشار مواشيهم ومراعيهم . ومن كور فرغانه : نسيا العليا ونسيا السفلى واسبره ونقاد وميان روذان وجدغل واورست

وبسفر واشت . فأمّا نسيا العليا فهي أول كورة من فرغانه إذا دخلتَ اليها من ناحية خجنده ومن مدنها وانكث وسوخ وخواكنده ورشتان ؛ ونسيا السفلى تتصل بها ومن مدنها : مرغينان وزندرامش ونجرنك واستيقان واندكان وهلى ؛ وهاتان الكورتان سهل ومروج وليس في أضعافهما جبال واسبره سهليّة جبليّة ومن مدنها طماخس وبامكاخس . وسوخ مدينة على حدة من الجبال ولها ستون قرية وهي كورة جليلة منفردة بأعمالها وحالها وما هي عليه من وفور عدة أهلها . واوال اسم المدينة ولها قرًى وهي كورة منفردة منعزلة . ونقاد مدينة جبلية وهي باسم الكورة ومدينتها مسكان وليس لها مدينة غيرها . واوش اسم المدينة وكذلك قبا ولهما قرى غزيرة العَدد كثيرة العُدد ، وليس في حدّ قبا مدينة غيرها ولا يتصل بها عمل سواها . وفي حدّ أوش مدينة أخرى تسمّى مدوا ؛ واوزكند اسم المدينة ولها إقليم واسع وقرًى فسيحة وليس في عملها مدينة غيرها . وكاسان اسم المدينة واسم الناحية أيضاً ولها قرى ومزارع وماشية وسوائم . وجدغل اسم الكورة ومدينتها اردلانكث وليس في عملها مدينة غيرها . وميان روذان اسم الكورة ولها قرًى وافرة وغلاّت غزيرة ومدينتها خيلام ، وبها مولد أبي الجيش نصر بن أحمد في دار خير بن أبي الخير . وكروان اسم المدينة ولها ناحية فسيحة وقرى ذات عمارة . ونجم اسم لقرًى هناك مجتمعة كثير بصقع هناك فيه من الرجال والكراع والحُماة ما يحمونه ويمنعونه ممّن أراده . واورست لها قرى كثيرة . واستياكند وشلاث فلهما قرى وهما بابان للترك ويفضى اليهما من ميان روذان كما ان اوزكند باب الترك ، ويُعرف هذا الموضع بهفتده يعنى سبع قرى كانت للأتراك فافتتحت في هذا العصر قريباً وهي قريبة من اوزكند وصارت للاسلام .

٤٤ — وقد تقدّم القول ان بفرغانه من معادن الذهب والفضة بناحية نقاد واخشيكث وغيرهما ، ويرتفع الزيبق بسوخ من جبالها وبناحية نسيا العُليا زفت وجراغسنك وفضّة وذهب وفيروزج وحديد وصفر وآنك وباسبره جبل الحجارة السود التي تحترق كالفحم ويُبيّض برمادها الثياب .

وباسبره جبال بلق : فقطعة سوداء حالكة وأخرى حمراء قانية وأخرى صفراء فاقعة . وفي جبال فرغانه شجر الطبرخون الذي يُحمل بزره الى الآفاق والكوذنجان ، ولا يكون إلا عندهم ويرتفع من هذه النواحي ونواحي الترك نوشاذر كثير كالذي يرتفع من البتم .

٤٥ — والمسافات بما وراء النهر فالطريق من وادي جَيحُون بفربر الى فرغانه : فمن فربر الى بيكند مرحلة ومن بيكند الى بخارا مرحلة ، ومن بخارا الى الطواويس مرحلة ومن الطواويس الى كرمينيه مرحلة ، ومن كرمينيه الى الدبوسية مرحلة خفيفة ومن الدبوسية الى اربنجن مرحلة خفيفة ومن اربنجن الى زرمان مرحلة ومن زرمان الى سمرقند مرحلة ، ومن سمرقند الى ابارکث مرحلة ومن ابارکث الى رباط سعدٍ مرحلة ، وفي هذه المرحلة إذا صرتَ الى رباط أبي احمد مفرق طريق فرغانه والشاش ، ومن رباط سعدٍ الى فورغذ مرحلة ومن فورغذ الى زامين مرحلة ، ومن زامين الى ساباط مرحلة ومن ساباط الى اركند مرحلة ، ومن اركند الى شاوكث مرحلة ومن شاوكث الى خُجنده مرحلة ، ومن خُجنده الى كند مرحلة ومن كند الى سوخ مرحلة ، ومن سوخ الى رشتان مرحلة ومن رشتان الى زندرامش مرحلة ومن زندرامش الى قبا مرحلة ومن قبا الى اوش مرحلة كبيرة ، ومن اوش الى اوزكند مرحلة كبيرة وهذا هو الطريق القصد من فربر الى اوزكند وهي آخر ما وراء النهر . ومن أراد من خُجنده الى اخشيكث قصبة فرغانه خرج من كند الى خواقند مرحلة كبيرة ومن خواقند الى اخشيكث مرحلة كبيرة ، ومن هناك طريقان أحدهما في المفازة والرمال سبعة فراسخ الى باب اخشيكث ثم يعبر نهر الشاش الى اخشيكث ، والآخر يعبر النهر الى باب خمسة فراسخ ومن باب الى اخشيكث أربعة فراسخ . فجميع المسافة من فربر الى اوزكند ثلاث وعشرون مرحلة . وأمّا طريق الشاش الى أقصى بلد الإسلام فإنك تخرج من ابارکث الى قطوان دزه مرحلة وطريق الشاش وفرغانه واحد الى رباط أبي أحمد ، ثم تعدل عن يسارك الى الشاش إذا خرجتَ من رباط أبي أحمد فتنزل قطوان دزه ، وإن شئتَ نزلتَ خرقانه ومنها

الى ديزك ومنها الى بئر الحسين ، ثم بئر حُميدٍ ثم وينكرد ثم استوركث ثم بنكث ثم الى رباطٍ بالقلاص ويُدعى انفرن ، ثم الى غركرد قرية ثم الى اسبيجاب ثم الى بذخكث ومن بذخكث الى الطراز يومان لا رباط بينهما ولا عمارة هناك . ومن أراد طريق بناكث فإنه ينزل من اباركث رباط سعدٍ ومنه الى زامين الى خاوس ومن خاوس الى بناكث ثم الى استوركث . والجميع من وادي جيحون الى الطراز اثنتان وعشرون مرحلة.

٤٦ ــ والطريق من بخارا الى الترمذ وبلخ : فمن بخارا الى فراجون مرحلة ومن فراجون الى ميانكال مرحلة ، ومن ميانكال الى مايمرغ مرحلة ومن مايمرغ الى نسف مرحلة ، ومن نسف الى سوبخ مرحلة ومن سوبخ الى الديذكي مرحلة ، ومن الديذكي الى كندك مرحلة ومن كندك الى باب الحديد مرحلة ، ومن باب الحديد الى رباط دارنك مرحلة ومنه الى هاشم جرد مرحلة ، ومنها الى الترمذ مرحلة ومن الترمذ تعبر جيحون الى سياه كرد مرحلة ، ومنها الى بلخ مرحلة والجميع ثلاث عشرة مرحلة . والطريق من سمرقند الى بلخ : فمن سمرقند الى كش يومان ومن كش الى كندك ثلاث مراحل ويتصل طريق بخارا وسمرقند الى بلخ من كندك . والطريق من بخارا الى خُوارزم في مفازة يخرج من بخارا الى فرخشه مرحلة عامرة وتسير ثماني مراحل في مفازة لا منزل بها ولا رباط ولا ساكن ، وإنما هو سير على المرعى والقصد فلذلك لا تُعرف منازله . ومن أحبّ ان يعبر من جيحون الى امل ثم يسير الى خوارزم فإنّ من بخارا الى فربر مرحلتين ، ومن فربر يعبر الوادي الى امل فيسير في حدّ امل الى ويزه مرحلة ومن ويزه الى مردوس مرحلة ، ومن مردوس الى اسباس مرحلة ومن اسباس الى سيفايه مرحلة ، ومنها الى الطاهرية مرحلة ثم الى هزاراسب مرحلة وذلك كله عمارة ، وهذا طريق يفضي الى مدينة الجُرجانيّة من خوارزم ؛ فذلك من بخارا الى خوارزم اثنتا عشرة مرحلة . والطريق الى اشروسنه فقد دخل في طريق فرغانه لأنك إذا دخلتَ في خرقانه وزامين فهي من مدن اشروسنه .

٤٧ ــ والطريق من الخُتّل الى الصغانيان : فمن معبر بذخشان على نهر

خرباب الى منك ستّ مراحل ومن منك الى قنطرة الحجر على وخشاب مرحلتان ، وإذا نزلتَ على نهر وخشاب فإلى ليوكند مرحلتان وتنزل على الماء أيضاً الى هلاورد مرحلة ، وهلاورد وليوكند على شط وخشاب وهما مدينتا الوخش . ومن معبر ارهن الى هلاورد مرحلتان ومن المعبر الى هلبك يومان ، ومن هلبك الى منك يومان وكاوبنج فوق معبر ارهن على نهر خرباب بنحو فرسخ . وتمليات من قنطرة الحجر على أربعة فراسخ في طريق منك . ومن معبر بذخشان الى رستاق بيك مرحلتان ومن رستاق بيك تعبر نهر انديجاراغ ثم تدخلها ، وبين رستاق بيك وانديجاراغ مرحلة ومن انديجاراغ تعبر نهر فارغر ثم تدخل فارغر وبينهما يوم ، ثم تعبر نهر بربان الى هلبك ؛ وهذه مسافة ما بين الوخش والخُتّل ، ومن الترمِذ الى الصغانيان : فإنك تخرج من الترمذ الى جرمنقان مرحلة ومن جرمنقان الى صرمنجى مدينة حسنة ، وفيها رباط حسن لأبي الحسن بن ماه يُصدق فيه بدينار خبزاً في كل يوم مرحلة ، ومنها الى دار زنجى مدينة أيضاً حسنة مرحلة ، ولأبي الحسن رحمه الله فيها رباط ولم أنزله ولا دخلتُه . ومن دار زنجى الى الصغانيان مرحلتان ولأبي الحسن بها غير رباطٍ جليلٍ ونِعمٌ فخمةٌ . والصغانيان مدينة لآل محتاج وفيها وَلدُ أبي علي أحمد بن محمد بن المظفّر بن محتاج صاحب جيش نوح بن نصر بن أحمد على المعونة والصلاة بجميع خراسان على ضياعٍ لهم ونعمٍ هناك بأيديهم ، رعايةً من ولد نوحٍ لسالف أبي علي وخدمة آبائه . والطريق من الصغانيان الى الختل من الصغانيان الى واشجرد الى شومان مرحلتان ومن شومان الى انديان يوم ، ومن انديان الى واشجرد يوم ومن واشجرد الى ايلاق يوم ومن ايلاق الى دربند يوم ومن دربند الى خاوكان يوم ، ومن خاوكان الى القلعة يومان والقلعة من الراشت . ومن الصغانيان الى باسند مرحلتان ومن الصغانيان الى زينور مرحلة ، ومن الصغانيان الى بوارب مرحلة ومن الصغانيان الى ريكر ستّ فراسخ والطريق على بوارب ويجاوزها بفرسخين ثم يجاوز ريكر بثلاثة فراسخ على السَمت ، ومن الترمِذ الى القواذيان مرحلتان ومن القواذيان الى الصغانيان ثلاث مراحل . ومن واشجرد الى

قنطرة الحجارة يوم ؛ وهذه مسافات ما بين الصغانيان الى أقصى الخُتّل .

٤٨ — ذكر مسافات خُوارزم : فمن قصبة خوارزم وهي كاث الى خيوه مرحلة ومن خيوه الى هزاراسب مرحلة . ومن كاث الى الجُرجانية ثلاث مراحل منها الى اردخشميثن مرحلة ومن اردخشميثن الى نوزوار مرحلة ومنها الى الجرجانية مرحلة ، وتعبر جيحون في خلال ذلك . ومن هزاراسب الى كردران خواش ثلاثة فراسخ ومنها الى خيوه خمسة فراسخ ومن خيوه الى سافردز خمسة فراسخ ومن سافردز الى المدينة ثلاثة فراسخ ومن المدينة الى كردر تمضي الى درخاش مرحلتان ومن درخاش الى كردر مرحلة ، ومن كردر الى قرية قراتكين يومان . ومذمينيه وقرية قراتكين متقاربتان على ان الأقرب الى جيحون مذمينيه ، وهي مدينة الى وادي جيحون منها أربعة فراسخ وبين مزداخقان وبين نهر جيحون فرسخان ، وهي تجاه الجرجانية ومحاذية لها . وبين الجرجانية وبين جيحون فرسخ واحد.

٤٩ — والمسافات بين مدن بخارا : فمن بومجكث وهي قصبة بخارا الى بيكند مرحلة ومن بومجكث الى خجاده ثلاثة فراسخ عن يمين الذاهب من بخارا الى بيكند ، وبينها وبين الطريق نحو فرسخ . ومغكان من المدينة على خمسة فراسخ عن يمين طريق بيكند وبينها وبين الطريق نحو ثلاثة فراسخ . وأمّا زندنه فإنها من المدينة على أربعة فراسخ في شمال المدينة . وبين كرمينيه وخديمنكن فرسخ ممّا يلي السُغد ومن خديمنكن طريق سمرقند على غلوة من يسار الذاهب الى سمرقند ومن سمرقند الى اباركث أربعة فراسخ . ومن سمرقند الى ورغسر أربعة فراسخ ومن ورغسر الى بنجيكث خمسة فراسخ . ومن سمرقند الى ويذار فرسخان ، وويذار مدينة يُعمل بها الثياب الويذارية القطنية وهي ثياب تلبس خاماً غير مقصورة ، وفيها قليل صفرة وكأنها للينها خزّ وتجلب الى فارس والعراق وسائر الأقطار فتستحسن ، ولها بقاء معروف وليس بخراسان أمير او وزير أو قاضٍ أو عامّي أو تانئ أو جندي إلا والثياب الويذارية الظاهرة على ما يلبسه من فاخر الثياب في الشتاء ، وجمالهم بها ظاهر وزينتهم بها فاشية وفيها نعمة وهي ثياب صفيقة ترفة ، ويبلغ الثوب منها

من عشرين ديناراً الى دينارين ولبستُ غير ثوبٍ منها خمس سنين ، وتستهدى من العراق وتجلب فيُفتخر بلبوسها . ومن سمرقند الى كبوذنجكث فرسخان ومن سمرقند الى اشتيخن سبعة فراسخ على شمال سمرقند ، ومن اشتيخن الى الكشانية مرحلة والى اربنجن مرحلة .

٥٠ ـ والطريق من كش الى نسف ثلاث مراحل ومن كش الى الصغانيان ست مراحل ، ومن كش الى نوقد قريش خمسة فراسخ على طريق نسف . ومن كش الى سوبخ فرسخان يساراً واسكيفغن على فرسخ من سوبخ وسوبخ أقرب الى اسكيفغن من نسف . ومن نسف الى كسبه أربعة فراسخ على طريق لبُخارا أسفل من الطريق الذي ذكرته وبين نَسَف وبزده ستة فراسخ ؛ وهذه مسافات مدن نسف .

٥١ ـ فأمّا المسافات باشروسنه : فمن خرقانه الى ديزك خمسة فراسخ ومن خرقانه الى زامين تسعة فراسخ ، ومن زامين الى ساباط ثلاثة فراسخ ومن زامين على طريق خاوس الى كركث ثلاثة عشر فرسخاً عن يسار الذاهب الى فرغانه . وبين مدينة اشروسنه وساباط ثلاثة فراسخ فيما يلي الجنوب والمشرق . وبين نوجكث وخرقانه فرسخان فيما يلي المشرق والجنوب من خرقانه . وارسيانيكث على حد فرغانه من شرقي مدينة اشروسنه على تسعة فراسخ وفغكث على ثلاثة فراسخ من المدينة في طريق خجنده ومن فغكث الى غزق فرسخان ومن غزق الى خجنده ستة فراسخ وهذه مسافات مدن اشروسنه .

٥٢ ـ المسافات بين مدن الشاش وايلاق واسبيجاب وما يتصل بها ، وبناكث على نهر الشاش : ومنها الى خرشكث فرسخ ومن خرشكث الى خذينكث فرسخ ومنها الى استوركث ثلاثة فراسخ ومنها الى دنفغانكث فرسخان ومنها الى زالثيكث فرسخ ومنها الى بنكث فرسخان ، وهذه المدن على طريق بناكث الى بنكث . وأما المدن التي على طريق بنكث وتونكث قصبة ايلاق فإنّ من بنكث الى نوجكث فرسخاً ، ومنها الى بالايان فرسخان ومنها الى نوكث فرسخ ، ومنها الى بانجخاش فرسخان ومنها الى سكاكث فرسخ ومنها الى تونكث فرسخ . وأما ما بين نهر

برك ونهر ايلاق فيما يلي المشرق من طريق ايلاق فإن بنكث على فرسخين من جبغوكث، ويليها على فرسخين فرنكث ويليها على فرسخ بغونكث، ويليها على فرسخين ابرذكث وكذاك وغدرانك وكبرنه وغزك، وتُدعى غزق كما تُدعى من خوارزم هزاراسف هزاراسب، وكما تُدعى مدينة الرخج بنجواى فنجواى وورودك وجبوزن وكلّها متقاربة في مسيرة يوم في مثله. ومـــا بين بناكث وتونكث ونهر برك ونهر ايلاق من غربي طريق ايلاق فإنها استبيغوا وكاشجك، واردلانكث وبسكث وسامسيرك وخمرك وغناج كلّها في مقدار مرحلة في نحوها. وما بين بناكث وتونكث ونهر الشاش ونهر ايلاق فإنها غرجند وخاش ودخكث وتكث وكهسيم في مقدار مرحلتين في أقل من مرحلة. وأمّا بين نهر ايلاق ونهر الشاش من غربي تونكث فإنها اربلخ وغوذلغ في مقدار خمسة فراسخ. وجينانجكث على طريق وينكرد الى بنكث وبينها وبين نهر الشاش فرسخان. ونجاكث على وادي الشاش ويجتمع عندها بنهر برك وبينهما وبين بناكث ثلاثـــة فراسخ وكنكراك على نهر برك بقرب خذينكث على فرسخ. وبين نهر برك وحائط الشاش الذي من وراء القلاص وتُعرف بحائط عبدالله بن حميد خاتونكث، وهي على فرسخين من المدينة وبركوش على ثلاثة فراسخ من خاتونكث على سمتها ومنها الى خركانكث أربعة فراسخ على سمت المشرق. ومن بنكث الى اسبيجاب أربع مراحل ومن اسبيجاب الى اسبانيكث مرحلتان، ومن اسبانيكث الى كدر قصبة باراب مرحلتان خفيفتان ومن كدر الى شاوغر مرحلة، ومن شاوغر الى صبران مرحلة خفيفة. ووسيج على غربي النهر في نحر الشط أسفل من كدر بفرسخين. وباراب عـــن شرقي الوادي وبين كدر والنهر نصف فرسخ.

٥٣ ــ والطريق من اخشيكث الى شكت تسعة فراسخ، وهي أول مدن ميان روذان، ومن اخشيكث الى شلاث آخر ميان روذان نحو خمس مراحل ومن اخشيكث الى كاسان وهي في شماليّها خمسة فراسخ، ومن كاسان الى اردلانكث مرحلة ومن كاسان الى نجم وهي شرقي الى الشمال مرحلة، ومن اخشيكث الى حـــدّ كروان نحو سبعة فراسخ.

والراشت من اخشيكث على نحو سبعة فراسخ وحدّها يتّصل بايلاق وهي بين المغرب والشمال من اخشيكث وكروان بينها وبين كاسان أربعة فراسخ ومن اخشيكث الى كروان تسعة فراسخ ، وبارياب واخشيكث على شط نهر الشاش وكند بينها وبين نهر الشاش زيادة على فرسخ ، وكذلك بين وانكث والوادي زيادة على فرسخ وبين خواكند والوادي خمسة فراسخ . ومن قبا الى رشتان بينه وبين نهر الشاش نحو مرحلة ومن قبا الى استيقان ثلاثة فراسخ ومن استيقان الى الوادي سبعة فراسخ ، وهي على طريق قبا الى اخشيكث . ومن سوخ الى بامكاخس خمسة فراسخ ومن سوخ الى اوال نحو عشرة فراسخ على طريق اوجنه . ومن قبا الى نقاد سبعة فراسخ وحدودهـا متّصلة . ومن اوش الى مدوا فرسخان . ومن وانكث الى خيلام ثلاثة فراسخ ومن خيلام الى شلات سبعة فراسخ وشلات واستياكند ليس بهما منبر وهما ثغران ، وإنما يُذكران لمحلّهما في الجهاد وإنّهما آخر الاسلام .

خاتمة الكتاب

١ — وقد تمّ هذا الكتاب بعون الله على التقريب لغائبه ونائبه وتوخّي الحقيقة في شاهده ودانيه ، وما به من خَلَلٍ وزَلَلٍ وسَهْوٍ وخَطَلٍ فالعُذر الى قارئه ثمّ الى الله تعـالى من تقصير إن كان فيه ، ولأنّ الإنسان بجُزْئيّته لا يبلغ أَرَبَهُ بِكُلّيّته إلا بتوفيقٍ وتأييدٍ من الحكيم المجيد . والحمد لله حقّ حمده وصلّى الله على محمد خِيَرته من خَلقه وأبرار عِتْرته وهو حسبي ونِعمَ المعين .

٢ — وممّا يشهد لهذا الكتاب على غيره ممّا هو في معناه وبسبيله من الكتب المؤلّفة في أشكال الأرض أن أشهرهم بالتأليف فيها حكى عن بطلميوس أن عرض الأرض من القطب الجنوبي الى القطب الشمالي الذي تدور عليه بنات نعش قال : واستدارة الفلك على الأرض في مكان خطّ الاستواء ثلاثمائة وستّون درجة ، قال والدرجة خمسة وعشرون فرسخاً والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع والذراع أربع وعشرون إصبعاً والاصبع ستّ حبّات شعير مصفوفة بطون بعضها الى بعض ، قال : ويكون ذلك تسعة آلاف فرسخ ، قال : وبين خطّ الاستواء وكلّ واحد من القطبين تسعون درجة واستدارتها مثل ذلك ، قال : والعمارة في الأرض بعد خط الاستواء اربع وعشرون درجة والباقي قد غمره ماء البحر الكبير المحيط قال : ونحن على الرُبع الشمالي من الأرض والربع الجنوبي خراب لشدّة الحرّ فيه والنصف الذي تحتنا لا ساكن فيه ، قال : وكلّ ربـع من الشمالي والجنوبي سبعة أقاليم . وهذا كلام عقليّ مسلّم لصاحبه وإن تزيّن

به في كتابه فجائز حسب ما حشا الناس كتبهم عن الناس . ثم قال عن نفسه : والدنيا مسيرة خمس مائة عام مائتان منها بحار ومائتان منها قفار وتسعون عاماً بلاد ياجوج وماجوج وسبعة أعوام بلاد السودان ، وثلاثة أعوام لسائر الخلق . فأخطأ في أوّل قوله من ذكره الدُنيا وهو يريد الأرض والدنيا في لغة العرب الحياة الدنيا وما ضاهى ذلك على طريق الاستعارة أو كقوله تعالى : إذْ أنتُم بالعدوة الدُنيا وهم بالعدوة القُصوى وهذا كلام عاميٌّ ركيك مرتبك لا يثبت ولا يتمسك لا يعرف للممالك حقيقة ولا من الأرض وجهة ولا طريقة . ويحه أين بلد ياجوج وماجوج الذي هو تسعون عاماً وجميع بلاد ولد يافث مع ما لياجوج وماجوج منها لا يبلغ مائتي مرحلة ؟ وهي من وسط المشارق الى اخر الشمال ممّا يجاور بعض بلد الروم على سيف البحر المحيط . وأين بلد السودان الذي طوله سبعة أعوام في السماء أم تحت الأرض وجميع بلدهم في الاقليم الثاني وأوّله على البحر المحيط غانه ثمّ كوغه ثمّ سامه ثم غريوا ثمّ كزم ، ومعهم بعد المفازة التي بين الزنج والبحر المحيط النوبة والحبشة والزنج ويُعبر الى باقي سهمتهم من بلد الهند بحر فارس والهند ، وجميع أرضهم لا تزيد على خمسين ومائتي مرحلة طولاً وأكثر عروض ممالكهم شهر أو نحوه . وأين ممالك جميع أهل الكُفر في جنب ما للاسلام من البحر المحيط بالمغرب الى نحو البحر المحيط بالمشرق ما عددتُه ووصفتُه وشكلتُه ؟ وجميعه لا تبلغ مسافته أربع مائة مرحلة على الحقيقة ومن أجدّ به سيره ورُزّق السلامةَ قطعه في سنة مع التوفيق . اللهمّ تجاوز عنّا واترُكه ولا تؤاخذه إنّك مجيب قريب .

٣ــ الحمد لله حمد الشاكرين والصلاة على رسوله سيّد المرسلين محمد وآله الطاهرين .

فرغ من نسخ هذا الكتاب عليّ بن الحسن بن بندار في يوم الثلثاء مستهلّ رجب سنة تسع وسبعين وأربع مائة .

فهرس

القسم الأول

القسم الثاني

طبع هذا الكتاب على مطابع
دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر
بيروت - شارع سوريا
تليفون ٢٣١٩٣٠ ص.ب ١٣٩٠